مجالس

في تفسير قول الله تعالى

﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم..﴾

للإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي

٧٧٧ - ٨٤١ هـ

(رحمه الله تعالى)

أخرجه عن أصل مؤلفه وضبطه وعلق عليه

محمد عوامة

دار اليسر
دار المنهاج

مجالس

في تفسير قول الله تعالى

﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم..﴾

للإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي

٧٧٧ - ٨٤١ هـ

(رحمه الله تعالى)

أخرجه عن أصل مؤلفه ورتّبه وعلّق عليه

محمّد عوّامة

دار المنهاج

دار اليسر

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار المنهاج للنشر والتوزيع

جدة - هاتف رئيسي 6326666 - فاكس 6320392

الإدارة 6300655 - المكتبة 6322471

ص. ب 22943 - جدة 21416

الموزعون المعتمدون

- السعودية: مكتبة الشنقيطي - جدة - هاتف: ٦٨٩٣٦٣٨
  مكتبة الزمان - المدينة المنورة - هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦
  دار التدمرية - الرياض - هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦
  مكتبة العبيكان - الرياض - هاتف: ٤٦٥٠٠٧١-٤٦٥٤٤٢٤
  مكتبة المتنبي - الدمام - هاتف: ٨٤١٣٠٠٠
- الإمارات العربية المتحدة: مكتبة دبي للتوزيع - دبي
  هاتف: ٢٢١١٩٤٩-٢٢٢٤٠٠٥ - فاكس: ٢٢٢٥١٣٧
  دار الفقيه - أبو ظبي - هاتف ٦٦٧٨٩٢٠ - فاكس ٦٦٧٨٩٢١
- الكويت: دار البيان - الكويت - هاتف: ٢٦١٦٤٩٠
- مملكة البحرين: مكتبة الفاروق - المنامة - هاتف: ١٧٢٧٢٢٠٤
- مصر: دار السلام - القاهرة - هاتف: ٢٧٤١٥٧٨
- سوريا: دار السنابل - دمشق - هاتف: ٢٢٤٢٧٥٣
- جمهورية اليمن: مكتبة تريم الحديثة - تريم - هاتف: ٤١٧١٣٠
- أندونيسيا: دار العلوم الإسلامية - سورابايا - هاتف: ٦٠٣٠٤٦٦٠
- تركيا: مكتبة الإرشاد - اسطنبول - هاتف: ٠٢١٢ ٦٣٨١٦٣٣
- لبنان: الدار العربية للعلوم - بيروت - هاتف: ٧٨٥١٠٨

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

دار اليسر للنشر

المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني: www.dar-alyusr.com - للمراسلة على البريد الإلكتروني: info@dar-alyusr.com

قامت بطباعته وإخراجه دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان ص.ب: ٥٠١٣ - ١٤ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٦٥٩٠٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ذي الفضل العظيم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، الذي فتح الله به أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا، وهدى به بعد الضلالة، وبصَّر به العَمَاية، وأرشد به بعد الغَواية. فصلوات الله تعالى وتسليماته وبركاته عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ومحبيه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله عز وجل أثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه بوجوه شتّى من الثناء والتعظيم، والتبجيل والتكريم، سواء أكان ذلك بيانًا لما في ذاته الشريفة، أم بيانًا لأثره في العالمين، في الدنيا أو في الآخرة.

وقد تفنَّن وتشرَّف علماء هذه الأمة ببيان ذلك، وكلٌّ طرق بابًا أو أبوابًا من هذا الحصن العظيم، وكلٌّ منهم وقف عاجزًا عن الإيفاء بالمراد.

وكان ممن تشرَّف بالكتابة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب كثيرة الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكرٍ عبد الله القيسيُّ الدمشقي الشافعي، المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي، المولود سنة ٧٧٧ هـ، والمتوفَّى سنة ٨٤٢ هـ رحمه الله تعالى.

ومن أعماله العلمية في هذا الصدد: أنه اختار التفسير والشرح لقول الله عز وجل في سورة آل عمران ـ الآية ١٦٤: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. وذلك حين تولَّى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، ثم إنه جمع هذه المجالس في

مجلدة لطيفة بقي منها هذا المجموع الذي أتشرف بإخراجه.

أما المصنِّف: فأكتفي ـ عن ترجمته ـ بالمقدمات التي كتبها الأستاذ الشيخ محمد نعيم العرقسوسي لـ «توضيح المشتبه»، وبالمقدمة التي كتبها الأستاذ عبد رب النبي محمد لـ «الإعلام بما وقع في مشتبه النسبة من الأوهام»، والأستاذ محمد بن ناصر العَجْمي لـ «التنقيح في حديث التسبيح»، وعنده استقراء لشيوخ المصنف ومؤلفاته أكثر من غيره.

وأكتفي هنا بنقل ترجمته بقلم تلميذه الحافظ تقي الدين ابن فهد المكي رحمهما الله تعالى في «لحظ الألحاظ» ص ٣١٧ ـ ٣٢٢، قال رحمه الله تعالى:

«محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن علي القيسي الدمشقي الشافعي، الإمام العلامة الأوحد الحجة الحافظ مؤرخ الديار الشامية وحافظها، شمس الدين أبو عبد الله، ولد في العشر الأول من المحرم سنة سبع وسبعين وسبع مئة بدمشق، وطلب الحديث بنفسه فسمع وقرأ على جماعة، منهم:

إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن عمر بن مسلم، وأحمد بن أقبرص ابن بلغاق الكنجكي، وأبو اليسر أحمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ، وأحمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الحق الحنفي، وأحمد بن علي ابن يحيى بن تميم، والحسن بن محمد بن محمد بن أبي الفتح البعلبكي، وأم محمد جميلة ابنة عمر بن محمد بن الحسن بن العقاد الدمشقية، وداود بن أحمد البقاعي، ورسلان بن أحمد الذهبي، وزينب ابنة عبد الله ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، وزينب ابنة عثمان بن لؤلؤ الحلبي، وزينب ابنة أبي بكر بن أحمد بن عوان، وسعد بن عبد الله النوبي عتيق البهاء السبكي، وسوملك ابنة عثمان بن غانم، وشمس الملوك ابنة محمد بن إبراهيم بن شادي، وعائشة ابنة محمد بن عبد الهادي،

وعبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الذهبي، وعبد الرحمن بن أحمد بن هبة الله بن مقداد القيسي، وعبد الرحمن بن الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، وعبد الرحمن بن محمد بن طولوبغا التنكزي، وعبد الله ابن خليل الحرستاني، وعبد الله بن يوسف بن أحمد فزارة، وعثمان بن محمد بن عثمان العبادي الأنصاري، وعلي بن أحمد بن محمد بن عبد الله المرداوي، وعلي بن عثمان بن لؤلؤ الحلبي الأتابكي، وعلي بن غازي بن أبي بكر الكوري الملقن، وعلي بن محمد بن سعيد بن زيان، وعلي بن محمد بن محمد بن أبي المجد، وعلي بن أبي بكر بن يوسف الداراني، وشيخ الإسلام عمر بن رسلان البلقيني، وعمر بن أحمد بن عبد الهادي، وعمر بن محمد بن أحمد بن عمر بن سليمان البالسي، وفاطمة ابنة محمد ابن عبد الهادي، ومحمد بن أحمد بن عبد الحميد بن غشم، والحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب الشهير بالصامت، ومحمد بن محمد بن عثمان المعظمي، ومحمد بن محمد بن محمد بن عمر بن قوام، ومحمد ابن محمد بن منيع الوراق، ومحمد بن محمود بن علي، ومحمد بن يوسف بن عبد الحميد المقدسي، وهند ابنة محمد بن علي الأرموي، والعماد أبو بكر بن إبراهيم بن العز محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر، وأبو بكر بن أحمد بن عبد الهادي، وأبو بكر بن محمد بن إبراهيم ابن عبد الله بن أبي عمر.

وهو ـ أبقاه الله تعالى ـ مكثر سماعاً، كبير المداراة، شديد الاحتمال، حسن السيرة، لطيف المحاضرة والمحادثة لأهل مجالسه، قليل الوقيعة في الناس، كثير الحياء قلَّ أن يواجه أحداً بما يكره ولو آذاه، إمام حافظ مجيد، وفقيه مؤرخ مفيد، له الذهن السالم الصحيح، والخط الجيد المليح، على طريقة أهل الحديث النبوي، المحاكي لخط الحافظ الذهبي، كَتَب به الكثير وعلّق وحشّى وأثبت وطبق، برز على أقرانه وتقدم، وأفاد

كلٍّ من إليه يَمَّم، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق في أوائل سنة سبع وثلاثين وثمان مئة فأملى به، وهو مستمر إلى الآن، جمع وألف، وخرَّج وصنّف، فمن ذلك (المولد النبوي) في ثلاثة أسفار، و(توضيح المشتبه)، و(افتتاح القاري لصحيح البخاري)، و(مورد الصادي في مولد الهادي)، و(منهاج السلامة في ميزان يوم القيامة)، وكتاب (الإخبار بوفاة المختار)، و(بَرْد الأكباد عن فقد الأولاد)، و(الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر)، و(النكت الأثرية على الأحاديث الجزرية)، و(بديعة البيان عن موت الأعيان) نظم، وشرحها (التبيان لبديعة البيان)، و(اللفظ المكرَّم بفضل عاشوراء المحرم)، و(بواعث الفكرة في حوادث الهجرة) نظم، و(عقود الدرر في علوم الأثر)، وشرحه، ومختصر الأصل سماه (حل عقود الدرر) أو (علوم الأثر) و(اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق)، والإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام)، و(رفع الملام عن من خفف والد البخاري محمد بن سلاَم)، و(رَيْع الفرع في شرح حديث أم زرع)، و(السراج الوهاج في ازدواج المعراج)، وخرج أربعين متباينة المتن والإسناد.

وله أناشيد رائقة، وأمالٍ جمة فائقة، منها مجلس يسمى (الإتحاف لحديث فضل الإنصاف)، وآخر (تنوير الفكرة لحديث بهز بن حكيم في حسن العشرة)، وآخر (الترجيح لحديث صلاة التسبيح)، وغير ذلك مما لا يحصى كثرةً.

وقد أجاز لي غيرَ مرة، فالله تعالى يبقيه في خير ونعمة شاملة، وأفراح بلا كدر كاملة، بمحمد وآله.

ثم أتاه حُمَامه في صبيحة يوم الجمعة سابع عشري شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة بدمشق شهيداً في بعض قراها عند خروجه مع جماعة لقَسْمها، وصلِّي عليه (في جماعة التوبة)، ودفن بمقبرة باب الفراديس عند والده، برَّد الله تعالى مثواه، وجعل الجنة مأواه، وإيانا وجميع المسلمين.

وأزيد هنا التنبيه إلى سَهْوة تقع لكثير من مترجميه أو ذاكريه، فيقولون مثلاً: قال ابن ناصر في «توضيح المشتبه»، فيقطعون اسمه عن الإضافة، وهذا لا ينبغي، كما لا ينبغي قطعها في اسم الإمام ابن دقيق العيد أيضًا، فلا يقال: قال ابن دقيق، ولا سيما في ابن ناصر الدين، فإن قطع الإضافة يوقع في إيهامِ أن المنقول عنه هو ابن ناصر السَّلامي المتوفى سنة ٥٥٠، أحد مشاهير شيوخ ابن الجوزي، وذاك اسمه محمد بن ناصر السلامي، نسبة إلى دار السلام بغداد، لا أنه لقبٌ لأبيه.

وهذا غير قولهم: ابن الصلاح، وابن الهمام، بالتعريف.

أما دار الحديث الأشرفية: فهي من الآثار العلمية الخالدة إلى الآن التي بناها السلطان الأشرف موسى ابن الملك العادل محمد بن أيوب بن شاذي، وأبوه محمد أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن أيوب ابن شاذي) رحمهم الله تعالى.

وكان الأشرف قد بنى مدرستين: المدرسة الأشرفية البرانية التي بسَفْح جبل قاسيون، وشَرَطها للحنابلة المقادسة، ودار الحديث الأشرفية هذه، التي تقع أواخر سوق الحميدية، فإذا دخلنا سوق ابن أبي عصرون كانت الدار على اليمين، وبعدها بقليل دار الحديث النورية التي بناها نور الدين الشهيد للحافظ ابن عساكر رحمهما الله تعالى، ومقابلتها المدرسة العادلية الصغرى، ويقرب منها العادلية الكبرى، (مقرّ مجمع اللغة العربية سابقًا)، ويقابلها الظاهرية، وكلها قريبة من الجامع الأموي.

وكان بناء دار الحديث هذه من سنة ٦٢٨ ـ ٦٣٠، وافتتاحه لها يوم النصف من شعبان سنة ٦٣٠.

وكان لهذه الدار مجد عريق، وتاريخ عظيم، تعاقب على التدريس فيها أئمة عصرهم، وكان تولّي مشيختها شرفًا كبيرًا لصاحبه، كما أنه دخلها كبار أئمة تلك العصور ممن قدِّر له دخول دمشق.

ومعلوم أن من سَنَن العلماء السابقين إذا ابتدؤوا التدريس في مدرسةٍ ما افتتحوا تدريسهم بآية كريمة جامعة، أو حديث شريف جامع، فيكون محور دروسهم، ولو طال ذلك سنوات!.

ولما ذكر المصنف مشيخة الإمام تقي الدين السبكي للأشرفية هذه قال ص٥٥ الآتية: «باشرها يوم الأربعاء سابع ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة.. وكان درسه في حديث أبي ذر من «صحيح» مسلم خمس عشرة سنة!» يريد حديث أبي ذر «يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي..».

وهذا ما صنعه المصنف، افتتح تدريسه بهذه الآية الكريمة الجامعة.

ـ ومتى ابتدأ تدريسه فيها؟.

ـ ومتى انتهى؟.

ـ وكم مجلسًا استغرق؟.

١ ـ أما متى ابتدأ تدريسه: فجوابه أن ذلك كان بين الخامس عشر والعشرين من شعبان سنة ٨٣٦، ودليل ذلك أنه ذكر في المجلس الأول حضور الحافظ ابن حجر للمجلس ووصفه بقوله «حافظ الزمان قاضي القضاة» وكان وصول الحافظ لدمشق في هذه الرحلة الثانية في الخامس عشر من شعبان سنة ٨٣٦، وبقي فيها إلى العشرين منه[١].

وهذا واضح لا توقف فيه، فقول ابن فهد رحمه الله في «لحظ الألحاظ» ص ٣١٩: «ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق في أوائل سنة سبع وثلاثين وثمان مئة» في محل النظر!.

٢ ـ أما متى انتهى من إملاء هذه المجالس؟

فلم أقف على ما يسعف في الجواب.

---

(١) «الجواهر والدرر» ١: ١٢٠. وانظر الصفحة ٤١٨ الآتية.

٣ ـ وكم مجلسًا استغرق في تفسير هذه الآية؟: فكذلك لا شيء عندي، لكنه قال ص٧٩ الآتية: «الكلام على هؤلاء الآيات الشريفات من واحد وخمسين وجهًا من المعاني المنوَّعات..» وسردها، فلو أنه قدِّر له استيعاب الكلام عليها كلها، وكان له في الأسبوع مجلس واحد، لاستغرق ذلك معه سنة واحدة.

والمجالس التي أمامي التامة والناقصة عددها يزيد على نصف العدد المذكور قليلاً، وفيها تكرار كثير.

ـ فهل استوعب الكلامَ على الواحد والخمسين وجهًا وفُقِد الباقي؟إذْ فُقدان شيء منها محقَّق، كما تجد التنبيه إليه ص٤٠٨.

ـ ومقتضى هذا التكرار الكثير أن يكون عدد المجالس قد زاد على عدد الوجوه، فهل هو كذلك؟.

والظاهر لي أن ابن ناصر الدين استمر في مشيخة الدار إلى حين وفاته، وأستظهر من هذا ومن السؤال الذي قبله: أنه انتقل عن الحديث عن هذه الآية إلى أمور أخرى، ولم يستمر في الحديث عنها والتفسير لها إلى آخر أيام مشيخته، كما حصل للتقي السبكي. والله أعلم.

أما هذه المجالس: فإن المصنف رحمه الله اختار هذه الآية الكريمة الجامعة لكليات الإيمان، واختياره لها أذكرني أولَ ما رأيت مخطوطة الكتاب بالمجالس العامرة بالإيمان والعلم والروح، من مجالسِ شيخنا العلامة القدوة الرباني المتكلم المفسِّر المحدث سيدي الشيخ عبد الله سراج الدين حفظه الله تعالى بخير وعافية[1]، مجالسِه حول هذه الآية في الجامع الكبير بمحلة بانقوسا بحلب، بعد عصر كل يوم جمعة، والتي

(١) توفي رحمه الله تعالى وجبر مصاب المسلمين بفقده مساء الاثنين العشرين من ذي الحجة عام ١٤٢٢هـ، وكان مولده سنة ١٣٤٣هـ.

دامت سنوات، وهو يتكلم فيها عن مواقف النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة: يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

ولما تذكرت هذه المجالس برؤية مخطوطة الكتاب، بادرت إلى تصوير نسخة عنها وتقديمها هدية إليه، والآن أتقدم بإهداء خدمتي للكتاب إلى سماحته راجيًا قبولها ورضاه.

ثم إنه انتقل بعد تلك المجالس إلى الكلام عن قوله تعالى: ﴿البينةُ رسول من الله يتلو صحفًا مطهَّرة﴾. وقد استغرق في ذلك سنوات أيضًا، وهو يتكلم على كون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيِّنَةَ الله العظمى وحجتَه على خلقه، ومبيِّنًا عن الله عز وجل شرعَه ودينَه. وهذه المجالس وتلك جميعها محفوظ لديه، لا تحتاج طباعتها إلا إلى تنقيح يسير.

وكان كل من يحضر تلك المجالس ـ من العلماء وغيرهم ـ يشهد أنها مجالسُ تنقل صاحبها إلى رَوْحٍ وريحانٍ من روح الجنة وريحانها. والحمد لله رب العالمين.

ومع هذا فإن شيخنا أطال الله في عمره لا يرى أن ما يتكلمٍ به يصلح أن يسمى تفسيرًا لكتاب الله عز وجل، فشأن تفسير كتاب الله أجلُّ عنده من هذا، كما هو واضح من كتبه التي طبعها وتكلم فيها عن سورة الفاتحة، والحجرات، و (ق)، وغيرها مما يتلوها، فإنه سمى كلاً منها: حول تفسير سورة كذا، وما رضي أن يسمي كتابه: تفسير سورة كذا.

* * *

هذا، وقد تفنَّن المصنف رحمه الله في الكلام على الآية الكريمة من علوم عديدة:

فمن علوم القرآن: تحدث عن أسباب نزولها بما لم يذكره علماء أسباب النزول، وعدد الآي، والأشباه والنظائر، والمتشابه باللفظ، والتفسير والتأويل، والإعجاز، والرد على القائلين بالصَّرْفة...

ومن جانب علم الكلام: تكلم عن المتشابهات بالمعنى، وهل يُعَلِّق المؤمن إيمانه على المشيئة؟ وهل يُشترط فيمن يدخل الإسلام أن يتبرأ من غيره؟ وبيان ما تدل عليه الآية من صفات الله عز وجل...

ومن جانب علم الأصول: تكلم عن المطلق والمقيد، والعام والخاص، والدلالات، وكرر القول بأن (الحكمة) هي السنة النبوية.

ومن جانب علوم اللغة العربية: تناول الكلام على مفردات الآية كلمةً كلمةً: «منَّ» ومعانيها، ولفظ الجلالة هل هو مشتق أوْ لا؟ و: المؤمن، و: بعث، و: النفْس، وهل هي والروح شيء واحد؟ وهكذا...

وكانت للمصنف وقَفَات لغوية جيدة، وفاته وقَفَات سواها، أَعرِض لكلمة واحدة منها.

كرر المصنف القول بأن معنى (منَّ): أحسن وأنعم، ونحو ذلك، ولم يقيِّد هذا المعنى المراد بدقة، ومن الضروري لدارس القرآن الكريم خاصة، والحديث الشريف: البحثُ عن المعنى الأصلي الدقيق للكلمة حتى يقف على المراد بوضوح وجِلاء.

وقد تَعرِض لقارىء القرآن الكريم مشكلاتٌ إيمانية لا تزول إلا بالرجوع إلى المعنى الدقيق لما أُسميّه بـ (الكلمة القرآنية)، ولولا الشرودُ عما أنا بصدده لذكرت أمثلة على ذلك، وحسبي هذا التنبيه العابر.

قال الإمام الحكيم المفسِّر اللغوي الدقيق الراغب الأصفهاني رحمه الله في كتابه «مفردات القرآن» ـ وهو أول الكتب المساعدة على ما نبَّهت إليه ـ: «المِنة: النعمة الثقيلة، ويقال ذلك على وجهين، أحدهما: أن

يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان، إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين﴾.. وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبَح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة».

فالمنُّ: النعمة الثقيلة العظيمة، لا مطلق نعمة، وقد جاء في القرآن كثيراً استعمال كلمة (نعمة) ومشتقاتها، فالعدول عنها إلى كلمة (منَّ) لا شك أنه لمراد خاص.

ولو تتبَّعنا ورودها في القرآن الكريم منسوبة إلى الله عز وجل لرأيناها لا تذكر إلا في مقام هداية الله عبادَه المؤمنين إلى الإيمان، أو ابتعاثِ المذكور وجعله نبيًّا ورسولاً، أو بعثةِ محمد صلى الله عليه وسلم في المؤمنين، أو ما يتعلق بنتائج الإيمان وعواقب المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿يمنُّون عليك أنْ أسلموا، قل لا تمنُّوا عليَّ إسلامكم، بل الله يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾.

وقال: ﴿ولقد منَّا على موسى وهارون﴾ وقال على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام وأخيه: ﴿أنا يوسف وهذا أخي، قد منَّ الله علينا﴾.

وقال: ﴿ونريدُ أن نمنَّ على الذين استُضْعِفوا في الأرض ونجعلَهم أئمة ونجعلَهم الوارثين﴾.

وقال: ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذابَ السموم﴾.

فما ذكر الله تعالى المنَّ إلا في مثل هذه المقامات العظيمة الشأن، ومن ذلك قوله ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم..﴾. فهذه المنَّة من بابةِ ﴿بلِ الله يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان﴾ و﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾. لأن في منةِ بَعْثه محمداً

صلى الله عليه وسلم نجاةً لهم من كل هَلَكة في الدنيا والآخرة، ورفعةً لهم في الدنيا والآخرة لو تمسَّكوا بما جاءهم به عليه الصلاة والسلام.

وقول موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون، الذي جاء في سورة الشعراء يشير إلى الفرق بين الكلمتين: ﴿وتلك نعمة تمنُّها عليَّ أنْ عبَّدت بني إسرائيل﴾. وقال تعالى في آخر سورة الليل عن سيدنا الصديق رضي الله عنه: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تُجزى﴾ فأراد أن النعمة مطلق الفضل: عظيمًا أو صغيرًا، أما المنة فللنعمة العظيمة والفضل الجسيم.

وهكذا ينبغي الوقوفُ دائمًا عند (الكلمات القرآنية) والبحثُ عن معناها الدقيق في لغة العرب، ليمكن الوقوف على شيء من دقائق القرآن الكريم.

وكان حظُّ العلوم الحديثية في هذه المجالس وفيرًا، فإنه أتى بتنبيهات لطيفة نادرة، منها: تنبيهه إلى مثال جديد على رواية الأكابر عن الأصاغر، وهو روايته صلى الله عليه وسلم عن مجزِّز المُدْلِجي، ونبَّه إلى نوعين طريفين من أنواع علوم الحديث يحسن إفرادهما بالدراسة، ولم يُسبق إليهما، أولهما: سماه «الأنباء المسيَّرة في الأسماء المغيَّرة» كعبد الله بن عمرو بن العاص، كان اسمه العاص، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله. وانظر «تاريخ» أبي زرعة الدمشقي (١٨٤١ ـ ١٨٤٦) وغيره من المصادر.

ثانيهما: «معرفة من له نَسَب، يستقيم إذا انقلب»، كمن اسمه: أحمد ابن محمد بن أحمد، فإنه يقرأ طردًا وعكسًا.

ومن فوائده الحديثية النادرة: ذكره بإسهاب للصحابة الرواة لحديث «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» فإنه أربى بتعدادهم على من أدخل الحديث في المتواتر.

ومن فوائده كذلك: روايتُه حديثَ الرحمة المسلسل بالأولية

ـ «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» ـ مراتٍ عديدة بلغت خمس عشرة مرة، وهو يتفنَّن في إيرادها.

يتفنَّن في وجه إدخال الحديث على موضوعه الذي يتحدث به عن الآية الكريمة.

ويتفنن في الدخول عليه من شيخ إلى آخر.

ومرةً مسلسلاً إلى سفيان بن عيينة ـ على الوجه الصحيح ـ ومرة إلى من فوقه، ثم إلى من فوقه...

وأحيانًا ينبه إلى شواهده، وقد يذكر طُرْفة من طُرَفه، كقصة الكُدَيمي في البستان.

ويطيل الوقوف عند كنية أبي قابوس، ومعنى (قابوس)، ومن تكنى بهذه الكنية.

ويكرر ترجمة سفيان بن عيينة، والقول في تدليسه، وترجمة عمرو بن دينار، ومن اتفق معه في الاسم وافترق في المسمى (المتفق والمفترق).

ودخل على المؤتلِف والمختلِف في: الزِّيادي والزَّبَّادي، والفَراوي والقَراوي.. وهكذا.

إلى غير ذلك مما يجده القارىء ـ أو الناظر في فهرسه ـ.

كما أطال الكلام على معانيه، ولوَّن هذا التكرار بأساليبَ مختلفة، وقد يكون تكرار بغير جِدَّة، كما حصل له في كلامه أحيانًا على اسميْ: الرحمن والرحيم[(١)].

وإن إمعان المصنف رحمه الله في هذا الحديث وما في معناه ـ بل في

---

(١) وانظر لزامًا كلام شيخنا فضيلة الشيخ عبد الله سراج الدين في «تفسيره» للفاتحة ص٢٢ ـ ٢٨.

إفراده بالإملاء، وقد طُبع ـ يدل على شَفَافِيَة روحه، ورقَّة شمائله، وسماحة أخلاقه، وحبِّه إشاعةَ الرحمة بين العباد، لتكون سببًا في رحمة الله تعالى لهم. وما أحوج المسلمين اليوم ـ وكل يوم ـ إلى هذا الخُلُق الكريم!.

وهذا ما يجعلني أقف عند ثلاث نقاط تتعلَّق به.

ـ أولاها: قصد العلماء من افتتاحِ لقائهم مع تلامذتهم وشيوخهم به.

ـ ثانيتها: بعض المؤلفات المفردة به.

ـ ثالثتها: كلمة متممة لمعناه.

١ ـ إن الناظر في تراجم المحدثين يرى اهتمامًا عجيبًا منهم بهذا الحديث، يحرصون على سماعه من الشيخ في أول لقاء به، كما أن بعض الشيوخ يحرصون على أن يكون هذا الحديث أولَ حديث يتلفظون به في هذا المجلس إذا رأوا فيه طلابًا أو رحالة طارئين، لئلا يفوِّتوا عليهم الأولية.

حتى إن من حرصهم على تحصيل الأولية به أوجدوا مخرجًا لمن لم يكن له أولية به، فيقولون مثلاً: أولية إضافية، وذلك إذا كان قد سمع التلميذ من الشيخ أحاديثَ سابقةً عليه، فيجعلون هذا الحديث أول هذا المجلس، ويسمون سماعه الآن: أولية إضافية (غير حقيقية).

وقد بيَّن السيد عبد الحي الكتاني رحمه الله في أوائل كتابه «فهرس الفهارس» ١: ٩٣ قصدهم من افتتاح لقاءاتهم به فقال: هذا الحديث «تداولته الأمة، واعتنى به أهل الصناعة، فقدموه في الرواية على غيره ليتم لهم بذلك التسلسلُ، كما فعلنا، وليقتديَ به طالب العلم فيعلَم أن مبنى العلم على التراحم والتوادد والتواصل، لا على التدابر والتقاطع، فإذا شبَّ الطالب على ذلك شبَّ معه نُعَرة التعارف والتراحم، فيشتدّ ساعده

بذلك، فلا يشب إلا وقد تخلَّق بالرحمة، وعرَّف غيره بفوائدها ونتائجها، فيتأدبُ الثاني بأدب الأول، وعلى الله في الإخلاص والقبول المعوَّل».

٢ ـ وكان من نتائج هذا الحرص أنْ أفرده كثير من المحدثين بالتأليف، يذكر فيه شيوخه الذين سمعه منهم بالأولية، وقد يذكر شواهد له من الأحاديث الواردة بمعناه في الحض على الرحمة والتراحم، وقد يتكلم عليه كلامًا عامًّا من مختلِف الفنون، وقد يستجيزه رجل من أهل الفضل والعلم فيفرد إجازته به بمؤلَّف.

وقد سَرَد السيد الكتاني عقب كلامه السابق جملة وافرة من الأجزاء المفردة لهذا الحديث، أنقل كلامه ثم أزيد ما وقفت عليه.

قال رحمه الله: «أفرد هذا الحديثَ بالتأليف لأهميته جماعة من المحدثين، كابن الصلاح، وهو عندي في كراسين، ومنصور بن سُليم الرازي، وأبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي، والحافظ السِّلَفي، والذهبي له «العذب السلسل في الحديث المسلسل»، والتقي السبكي، وابن ناصر (الدين) الدمشقي، والسراج ابن الملقِّن، والحافظ العراقي، وولده أبي زرعة، وأبي الفتح اللَّخْمي له «العقد المفصَّل في الحديث المسلسل»، والحافظ ابن الأبار التونسي له «المورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل»، وأبي البقاء خالد البَلَوي صاحب «تاج المَفْرِق» له فيه مجموع كبير، والحافظ مرتضى الزَّبيدي، له فيه أربعة مؤلفات، والشمس الجوهري المصري، وهو عندي، والشيخ عطاء المكي، وغيرهم. ولنا فيه عدة رسائل بسطنا فيها القول في طرقه ورواياته ومعناه ولطائفه، كتبناها في الأوائل».

فهؤلاء سبعة عشر عالمًا، تزيد مؤلفاتهم على العشرين. لكن: منصور ابن سليم الرازي لم أقف له على ذكر، وأخشى أن يكون حصل فيه سبق ذهن من منصور بن سليم الإسكندراني (ابن العمادية) المتوفى سنة ٦٧٣،

صاحب «تاريخ الإسكندرية» و «معجم الشيوخ». والله أعلم.

وجزء أبي القاسم السمرقندي في ورقتين، وقفت عليه، يرويه عنه ابن طَبَرزد، وهو في المحمودية بالمدينة المنورة.

وأما مؤلفات الزبيدي: فذكرها الكتاني نفسه ١: ٥٧٣ وهي «المِرْقاة العلية في شرح الحديث المسلسل بالأولية. والمواهب الجلية فيما يتعلق بحديث الأولية. والعروس المَجْليّة في طرق حديث الأولية. والهدية المرتضية في المسلسل بالأولية».

وفي دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٧٨ إجازة من السيد الزبيدي لمحمد بن يوسف الفرقي الزكي أواخر سنة ١١٩٥ بهذا الحديث. انظر فهرس الدار لكتب المصطلح ص١٣٦ الجدول الأيسر.

ومن مؤلفات السيد الكتاني المتعلقة بالحديث المذكور: «ارتقاء الهمم العلية إلى ما علِق بالبال على حديث الأولية».

ويزاد على ما تقدم: جزء، وقفت عليه، في ورقتين ـ سوى سماعاته الكثيرة ـ للجمال المرشدي المكي الحنفي (٧٧٠ ـ ٨٣٩)، وهو في المحمودية أيضًا.

و«المسالك العلمية للحديث المسلسل بالأولية» للقطب الخَيْضري المتوفَّى سنة ٨٩٤، منه نسخة في دار الكتب المصرية (١٠٠٢ الزكية).

ولهبة الله التاجي المتوفى سنة ١٢٢٤هـ «مزيد النعمة في حديث الرحمة» نقل عنه العلامة الكوثري في أول ثَبَته «التحرير الوجيز». وفي ترجمة التاجي في كتاب «علماء دمشق وأعيانها» ١: ٢١٩ أنه «شرح على حديث الأولية بما يحتمل من العلوم».

ولشيخ شيوخنا محمد حبيب الله الشنقيطي صاحب «زاد المسلم» المتوفى سنة ١٣٦٣ رحمه الله جزء فيه طبعه بمصر.

ولعصرينا فضيلة العلامة الصالح الشيخ عبد الله اللَّحْجي الحضرمي المكي رحمه الله تعالى: «إعانة رب البرية على جمع تراجم رجال الحديث المسلسل بالأولية» ترجم فيه رجال إسناد شيخنا العلامة الكبير الشيخ حسن المشاط رحمه الله، بهذا الحديث، وطبعه مع ثَبَت شيخنا «الإرشاد بذكر بعض ما لي من الإجازة والإسناد»، فجاء ذلك من صفحة ١٧ ـ ٥٥.

هذا، وفي العلماء الذين ذكرهم السيد الكتاني رجال متقدمون في الزمن، لكن أقدم من أفرده بالتأليف ـ حسبما وقفت عليه ـ هو الإمام الحافظ المكثر أبو بكر ابن أبي الدنيا المتوفَّى سنة ٢٨١ رحمه الله، ففي دار الكتب المصرية جزء له في ورقتين تحت رقم (٧٨١ مجاميع) من خطوط القرن السادس.

وغير هذا كثير وكثير، وهذا سوى من تكلم عليه ضمن مؤلفاته عامة، وضمن مسلسلاته خاصة، ومحاولة حصر ذلك محاولة للمحال.

٣ ـ إن الكتابة عن الرحمة: معناها، وأهميتها، ومجالاتها، وآثارها، تستأهل أن تفرد بالكتابة، لكنني أكتفي بما يتفق مع الحال التي أنا فيها، فأقول:

أدرك سلفنا حاجة الأمة إلى رحمة الله عز وجل لهم في الدنيا قبل الآخرة، فسلكوا أقرب طريق لحصولهم عليها، وذلك كما علَّمهم رسولهم الرؤوف الرحيم بهم، صلى الله عليه وسلم، وهو: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، «ارحموا ترحموا»، «من لا يَرحم لا يُرحم» وأمثال ذلك.

ولما افتتح الذهبي «معجمه الكبير» بحديث الرحمة وساقه من طُرق عديدة ختمها بقوله ص ٢٣ ـ ٢٤: «وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» و «إنما» من صِيَغ الحصر، وأخرج منه قوله عليه السلام: «من لا يَرحم لا يُرحم» وقال: «لا تُنزع الرحمة إلا من

شقيّ» وقال لرجل: «والشاة إذا رحمتَها رحمك الله»[(١)].

وقد قال الله تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾، وقال تعالى: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: سبقتْ رحمتي غضبي»[(٢)].

وباب الرحمة باب واسع لمن تدبَّره، وحسبك أن الرحمة ينبغي للمسلم تعاهدها، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا قتلتم فأَحسِنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْح، وَلْيُحِدَّ أحدُكم شفرته، ولْيُرِحْ ذبيحته»[(٣)].

وكذلك السنن فيمن قتل سامَّ أبرص في أول ضربة فله ثلاثون حسنة، ومن قتله في ثاني ضربة فله عشرون حسنة، ومن قتله في الثالثة فله عشر حسنات[(٤)] فإنّ قتله بضربة واحدة أروحُ له من التعذيب بثلاث ضربات[(١)].

---

(١) الحديث الأول: رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم ٢: ٦٣٥ (٩٢٣). والثاني: رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم ٤: ١٨٠٨ (٦٥). والثالث: رواه أبو داود (٤٩٠٣) والترمذي (١٩٢٣) وقال: حسن - وفي بعض النسخ: حسن صحيح، كما في «الترغيب والترهيب» ٣: ٢٠٣ - والحاكم ٤: ٢٨٤ وصححه ووافقه الذهبي. والحديث الرابع: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٧٣)، وأحمد ٣: ٤٣٦، وقال الهيثمي في «المجمع» ٤: ٣٣: «له ألفاظ كثيرة، ورجاله ثقات».

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) لم أجده بهذا العدد، وإنما هو في «صحيح» مسلم ٤: ١٧٥٨ (١٤٦)، وأبي داود (٥٢٦٣)، والترمذي (١٤٨٢)، وابن ماجه (٣٢٢٩) بلفظ الكناية العددية: كذا وكذا، في الأحوال الثلاثة. وبرقم (١٤٧) في «صحيح» مسلم: مئة حسنة في الضربة الأولى، ودونها في الثانية، ودون الثانية في الضربة الثالثة. وفي رواية ثالثة له =

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه»[٢].

ومن رحمتنا بالسارق إذا قُطع أن تُحسَم يده بالزيت المَغْليّ لئلا ينزف دمه فيتلف، وأن نَستتيبه، وكذا من وجب عليه القتل نحضُّه على التوبة، وأن يصلي ركعتين، رحمة به[٣].

فمن الرحمة بعباده إقامة الحدود عليهم، فالفقيه من جاهد في سبيل الله، وأقام حدود الله، مع الرحمة بخلق الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» انتهى.

وإذا كنتَ برحمتك لأخيك تستدرُّ رحمته لك، وهكذا بين آخر وآخر، حتى يشيع ذلك بين المسلمين جميعهم، فمن أول مراحل التراحم كفُّ المسلم أذاه عن أخيه المسلم.

وكل واحد منا يحاول أن يسوِّغ إيذاءه لأخيه المسلم بأنه يقول كذا، ويفعل كذا، ويعتقد كذا، لكنها مسوِّغات من تسويلات الشياطين، اللهم إلا إذا كان ذلك مما يخرجه عن الملة باتفاق، فنعم وبالمقدار الذي يَسمح به الإسلام! أما إذا كان أمره على غير ذلك فبمَ يستحلُّ عرضه وحرمته؟! وعلى المسلم العاقل أن يتغلب على هذه الوساوس.

وإذا كان لكل مسلم حرمة عند الله ـ مهما كان شأنه وضعف

ولأبي داود: سبعين حسنة في المرة الأولى فقط.

(١) هذه لفتة جديدة في فهم الحديث من الإمام الذهبي رحمه الله، على خلاف توجّه شُرّاح «صحيح» مسلم كالنووي ١٤: ٢٣٦، والأُبّي ومن معه ٦: ٥٤.

(٢) رواه مسلم ٤: ٢٠١٦ (١١٢).

(٣) وقَطْعنا ليده ورقبته من الرحمة بالآخرين ليسلموا على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم.

استقامته ـ فواجب كل مسلم آخر أن يحترم هذه الحرمة، لأن الله عز وجل يغار لها، ويكرم صاحبها، بدليل أنه لن يخلِّده في النار يوم القيامة، بل سيحيل مآله إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وهذا المسلم ـ لو كان آخر أهل الجنة خروجًا من النار ـ له نصيب في جنة الله بقدر الدنيا وعشرة أمثالها[1] فما بال من يرى نفسه أنه من خاصة أهل الإيمان هو أشدُّ الناس اقتحامًا لهذه الحرمات!! وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2].

والحديث الذي نحن بصدده يقول فيه عليه الصلاة والسلام: «ارحموا من في الأرض» و «مَن» مِن صيغ العموم، فعمت المسلم والكافر، كما يدخل تحتها من باب التغليب العاقل وغير العاقل، كالبهائم، وهذا ما فهمه الإمام البخاري رحمه الله فإنه قال في «الأدب المفرد» ص١٣٦: «باب ارحم من في الأرض» وذكر تحته قول عمر رضي الله عنه: «لا يُرحم من لا يَرحم، ولا يُغفر لمن لا يَغفر..» ثم أعقبه بحديث معاوية بن قرة بن إياس، عن أبيه: «والشاةُ إن رحمتَها رحمك الله» وتقدم تخريجه قريبًا. وبوَّب في «صحيحه» ١٠ : ٤٣٧ : «باب رحمة الناس والبهائم» وذكر عدة أحاديث.

* * *

أما الأصل المعتمد عليه في إخراج الكتاب: فهو محفوظ برقم (١١٤٢) بمكتبة الأسد (حاليًّا) بدمشق، دار الكتب الظاهرية (سابقًا)

---

(١) رواه مسلم أيضًا ١ : ١٧٣ (٣٠٨).

(٢) رواه البخاري (١٠) ومسلم (٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو.

ـ وكان قبلُ في المدرسة العُمَرية ـ وهو بخط المصنف، ومكتوب على وجه الورقة الأولى منه بخط غير المصنف، وهو كاتب غيرُ متقِن: «هذه الكراريس من بعض تداريس الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام والمسلمين بركة الحفاظ والمحدثين ناصر الدين (كذا، خطأ) المحدث بمدرسةِ الأشرفيةِ (كذا) المعروفة بدار الحديث».

وعلى اليسار بخط آخر: «من كتب محمد بن طولون» وتحته بخط كبير مغاير: «وقف الشيخ شمس الدين بن طولون» وفي الأسفل «عمرية» أي من كتب المدرسة العمرية التي كانت بصالحية دمشق، المنسوبة للشيخ الإمام أبي عمر المقدسي رحمه الله تعالى.

لكن على وجه الورقة ٩ بقلم المصنف: «المجلس الأول من التدريس بدار الحديث الأشرفية، وهو أول يوم درست بها، ولله الحمد». فمن هنا أخذت تسمية الكتاب بما تراه.

وعن هذا الأصل صورة محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (١٦١٠) وعدد أوراقها (١٧١) ورقة، في كل صفحة ستة عشر سطرًا، وفي كل سطر نحو ثلاث عشرة كلمة بقلم واضح إلى الكبر أقرب، وعلى كثير من صفحاته حواشٍ وإلحاقاتٌ بقلمه، وقد تكثر في بعض الأحيان.

وهي مجالس مشوَّشة غير مرتبة، وعددٌ من مجالسها غير تام، وأوراقها غايةٌ في الاضطراب والخلل.

وبما أن النسخة التي أمامي صورة، فإن بعض الكلمات التي جاءت في الحاشية الداخلية قد لا تظهر أبدًا، فأنبه إليه، وقد يظهر بعض حروفها مما يساعد على تلمُّس باقي الكلمة.

وعادة المصنف أول كل مجلس أن يفتتحه بالآية الكريمة، ثم يتكلم عليها من الجانب الذي يريده، ويختمه بأشعار على عادة أهل الإملاء

ـ وإن كان هو هنا بالنظم أشبه، لا بشعر العلماء ولا بشعر الشعراء ـ وجلُّ المجالس الموجودة هكذا، إلا أن بعضها قد فُقِد أوله، وبعضها فُقد آخره، وبعضها فقد أوله وآخره، فكان عملي أني رتبت المجالس الكاملة، ثم أتبعتها بالمجالس الموجود أولها، ثم بما فقد آخره، ثم بما فقد أوله وآخره. لكن هذا ترتيب جُملي.

إنما الأمر الذي اهتممت به أكثر وأكثر: ملاحظة الموضوعات، على أن لا تختلف مع ترقيم المصنف لمرات تكراره حديث الرحمة المسلسل بالأولية، فإنه أسعفني كثيراً في ترتيب المجالس، وذلك أنه يقول مثلاً: ومن ذلك حديث الرحمة الذي ذكرناه من طريقين مسنَدين، وهذا ثالثها، فلا بدَّ حينئذ من تأخير المجلس الذي فيه الطريق الثالثة على ما فيه الأوَّلَيْن.

ومع ذلك فقد لقيتُ عَنَتًا في ترتيبها ـ لا سيما في القسم الأخير ـ وفي إحالة كلامه: بعضه على بعض، وفي حرصي على أن لا يتكرر كلامي في التعليق عليه.

ثم إن المجلس الذي فُقد أوله: إن كان الموجود منه كثيراً أو متوسطًا: أفردته، وقد أُضيف في أوله المقدمة المعتادة للمصنف: البسملة والآية الكريمة، وأنبه إليه.

وإن كان الموجود قليلاً لا يستأهل الإفراد: ألحقته بموضع يناسبه في أحد المجالس.

ويذكر أحيانًا قليلة في آخر المجلس فائدة، فإن كانت مناسبة للمجلس ألحقتها به، وما لم يكن منها مناسبًا للمجلس جمعته آخر الكتاب، حرصًا مني على أن لا أُفوِّت على القارىء فائدة يمكنني إيصالها إليه. والله الموفق.

هذا، وأسأل الله الكريم أن يتفضل عليَّ بالإخلاص والتوفيق لما

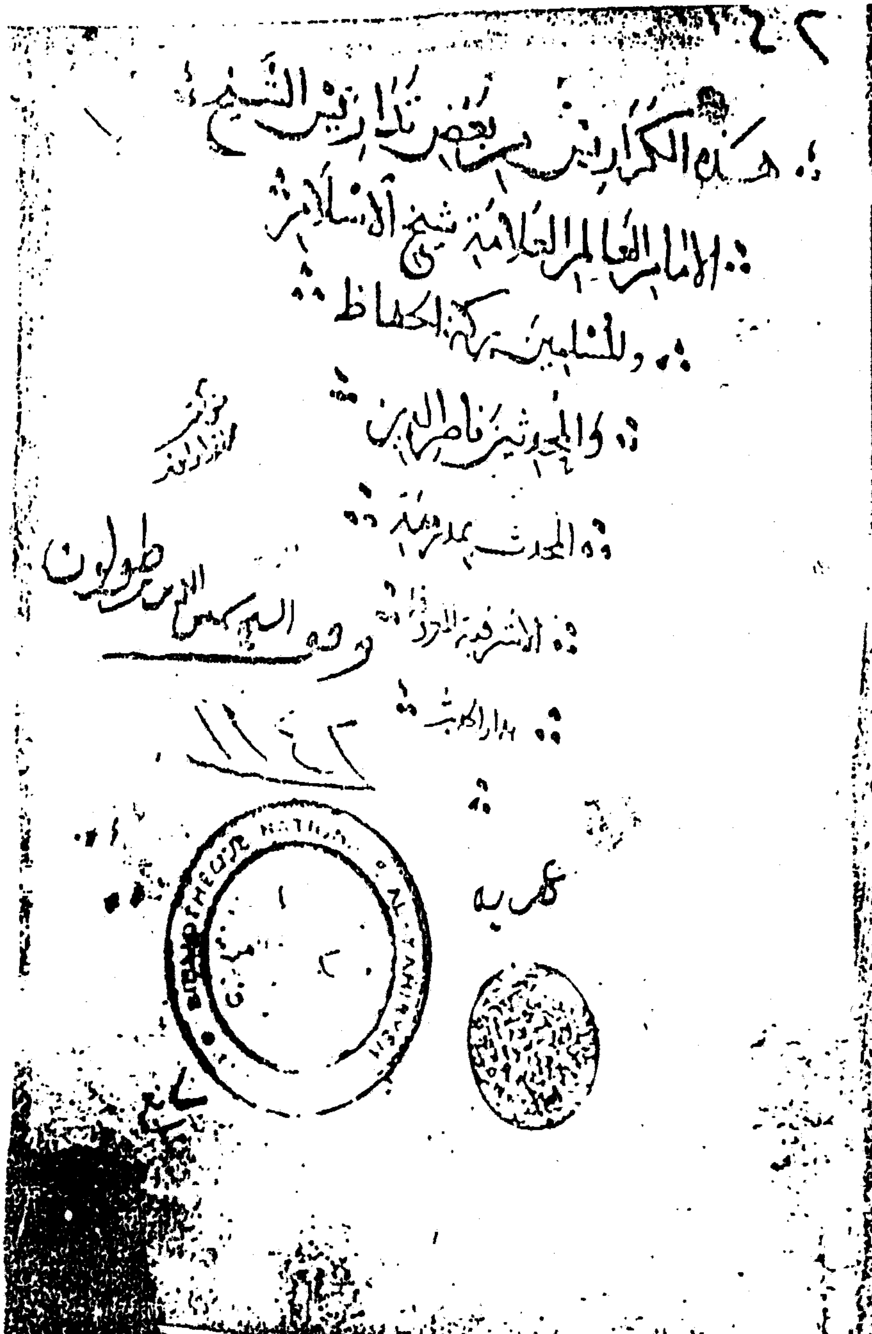
يرضيه، وأن يتقبل مني عملي على ما فيه من تقصير، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي، وأن يزيل الهم والكرب عنا وعن سائر المسلمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

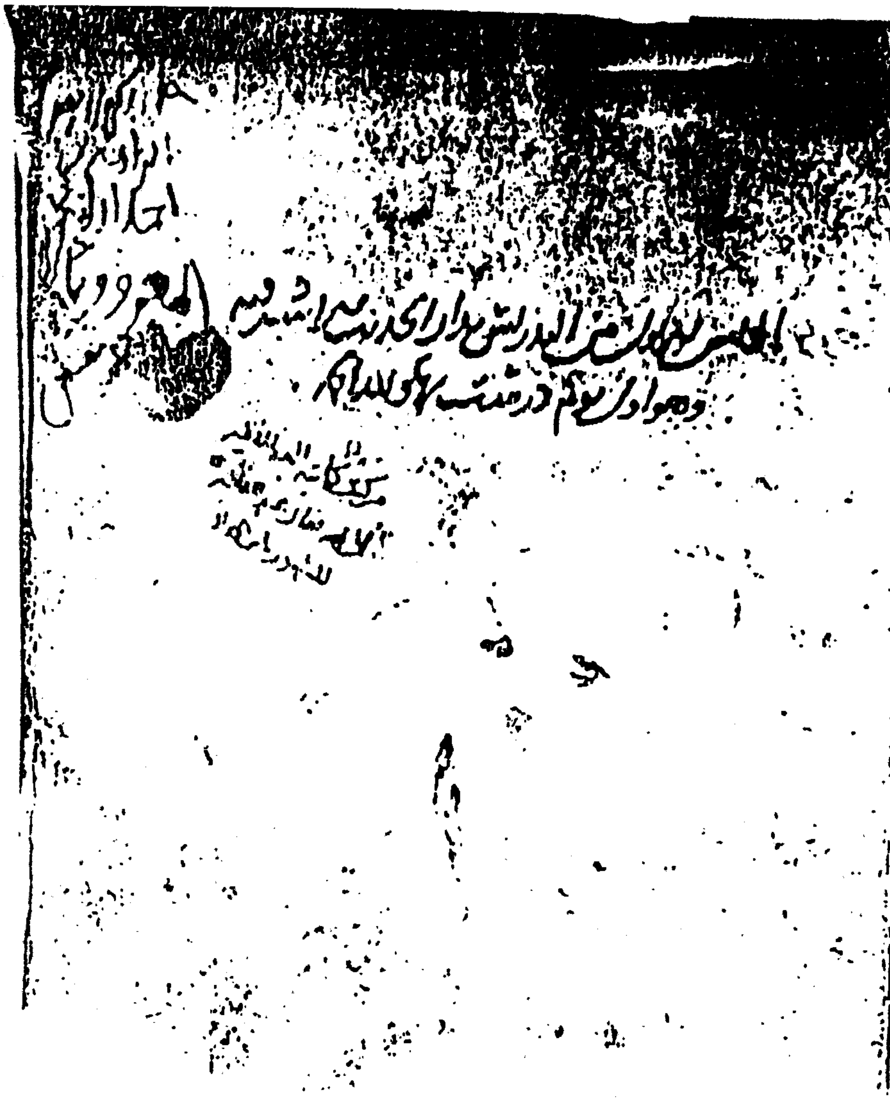
وكتبه

محمد عوامة

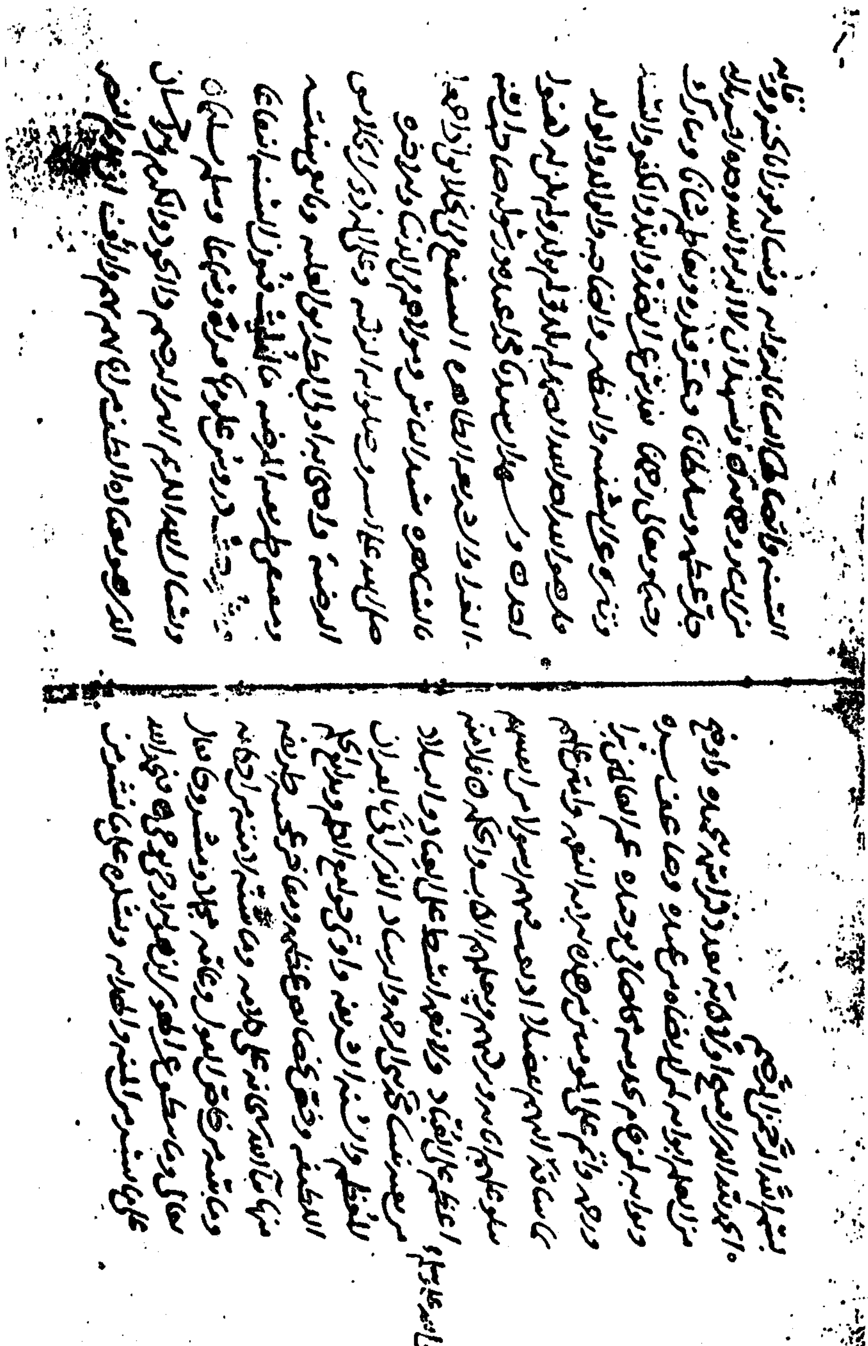
المدينة المنورة ١٤١٦/٢/٢٧


هذه الكراريس بعض تذاكير الشيخ
الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام
وللمسلمين بركة الحفاظ
والمحدثين ناصر الدين
المحدث بمدرسة
الأشرفية ... شمس الدين طولون
بدار الحديث

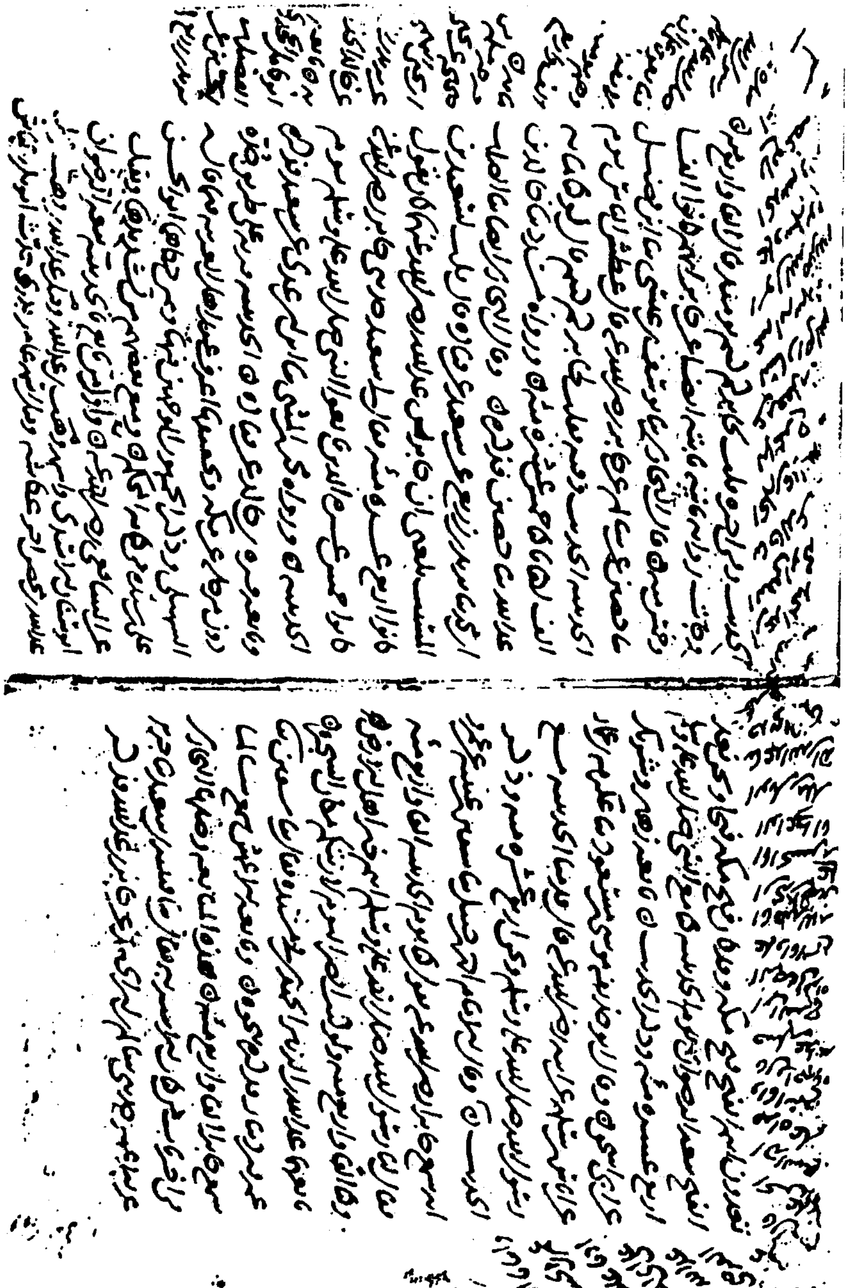
صفحة العنوان بغير خطّ المصنف



صفحة المجلس الأول بخط المصنف وعليها خطّ غيره



صورة الورقة الأولى بخط المصنف



صفحة بخط المصنف وعليها إلحاقات منه

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

- ١ -

الحمد لله الذي افتتح أولاً كتابه بعد ذكر اسمه بتحميده، وأوضح من العلم أبوابه لمن ارتضاه من عبيده، وضاعف بِرَّه وثوابه لمن قام بخدمته مخلصًا في توحيده، عمَّ العالمين بِرًّا ورحمة، وأتم على المؤمنين من هذه الأمة النعمة، وامتنَّ عليهم بما ساقه إليهم تفضيلاً ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه، ويزكِّيهم، ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

فلا منةَ أعظمُ على العُبّاد، ولا نعمةَ أبسطُ على العِباد والبلاد، من بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبيِّ الرحمة والرشاد، الذي أَتى بالقرآن المعظَّم والسنة الشريفة، وأُوتيَ جوامعَ الكَلِم وبدائع الحِكَم اللطيفة، وخُصَّ بخصائصَ عظيمة ومفاخرَ عجيبة طريفة، منها: ثناء الله سبحانه على كلامه، وما سنَّه لأمته من أحكامه، وما بيَّنه من خاصِّ القول وعامّه، مجملاً ومشروحًا، فقال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

فنحمد الله على ما يسر من المنة والهداية، ونشكره على ما نشر من السنة واتصالها إلينا بالرواية، ونسأله فوزًا بالجنة، ووقاية من النار وحماية.

ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جلّ عظمةً وسلطانًا،

---

(١) كتب المؤلف رحمه الله تعالى على الورقة الأولى: المجلس الأول من التدريس بدار الحديث الأشرفية، وهو أول يوم درَّست بها ولله الحمد.

وعزّ قدرةً وتعاظَمَ شانًا، وتبارك رحيمًا وتعالى رحمانًا، تقدس عن الضدِّ والنِدِّ والكُفْءِ والسنَد، وتنَزَّه عن الشبيه والنظير والصاحبة والوالد والولد ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبدُه ورسولُه، صاحب السنة الغراء والشريعة الطاهرة، الشفيع في الخلائق إذا جُمعوا بالساهرة، سيدُ الناس ومولاهم في الدنيا والآخرة، صلى الله عليه أشرفَ صلواتِه الزكية، وعلى آله ذوي الخلائق الرضية، وأصحابِه أُولي الطرائق العلية، وتابعي سنته، ومقتفي طريقته المرضية، ما أُمْليت فنون السنة انتفاعًا، وشُرِحت دروس علومها قراءة وسماعًا، وسلَّم تسليمًا.

ونسأل الله الكريم، البرَّ الرحيم، ذا الجود والكرم والإحسان، الذي هو بعباده ألطفُ من آبائهم بهم وأرأفُ، أن يديم النصر والتأييد، والبقاء والعزَّ لمولانا السلطان الملك الأشرف، وأن يعزَّ بتأييده ونصره دولته ورجاله، وخاصةً المَقَرَّ الأشرفَ الزَّيْنيَّ أسبغ الله ظلاله:

وكم له مـن يـدٍ بيـضاءَ باسـطةٍ ... وسَبْقُها قد غدا بالجود معروفًـا

فالباسط الله مـولاه لـذا بُـسِطت ... منه الأيادي، فعمَّ النـاسَ معروفًـا

ورضي الله تعالى عن أئمة الإسلام، وخصوصًا عن الأربعة الأعلام، الذين منهم إمامنا القرشي المطلبي النفيس، أبو عبد الله الشافعي محمد بن إدريس، وعمن سلف من العلماء، وخلف من الأئمة النبلاء، اللهم وارضَ عن ساداتنا شيوخ الإسلام الحاضرين، وخاصة عن مولانا وشيخنا شيخ الإسلام، وبركة المسلمين أبي الفضل شهاب الدين[1]:

إنْ قيل من يُرْتَجى جودًا وتَفْـضِلةً ... قال: المفيد لفضلٍ كلَّ من وفدا

---

(١) يريد الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

قاضي القضاة إمامُ العصر حافظُـه فردُ الزمان الذي في فضله انفـردا

إذا أردتَ نظـــيرًا في تبحُّــــره علمًا وفضلاً وجودًا لم تجدْ أحدًا

لا تنكروا جوده كالماء منسجِمًا فالماء من حجر يحـيى بـه أبـدًا

أسبغ الله ظِلالَه، وبلَّغه في خيرٍ آمالَه، ورضي الله عن ساداتنا الحاضرين، وختم لنا ولهم بخير في عافية. آمين.

أما بعد: فإن الله عز وجل، وله الفضلُ والامتنانُ، والطَّوْل والكرم والإحسان، أنعم على المؤمنين إنعامًا كبيرًا، ومنحهم فضلاً غزيرًا، وكرمًا خطيرًا، من ذلك ما أشار إليه في كتابه المنزَل، على أكرم مرسَل، نبي الرأفة والرحمة، بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

فالكتاب: هو القرآن العظيم المحكَم، والحكمة هنا: هي سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حافظ أعيانُ هذه الأمة على حفظ الكتاب في الصدور، والإقبال على تفهُّمه وما فيه من الأمور، واعتنى الأئمة بحفظِ السنة وتدوينها في المسطور، والقيامِ بخدمتها والذبِّ عنها كما هو مشهور، وسَمَتِ الأنفس الشريفة من الخلفاء والملوك، فَبَنَوْا دُور السنَّة لحفظها ونشرها للغني والصُّعْلوك[١].

---

(١) أي: الفقير. وكان أولَ من بنى دارًا للحديث الشريف السلطان العادل نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى ورضي عنه، المتوفى سنة ٥٦٩ بدمشق، وهي ما تزال قائمة حتى اليوم، ولكنها متهدِّمة من داخلها، تبعد عن دار الحديث الأشرفية ـ هذه ـ نحو الخمسين مترًا. ذكر هذه الأولية لنور الدين الشهيد: القرشيُّ في «طبقات الحنفية» ٣: ٤٤٠، وصاحب «الدارس» ١: ٦٠٩ وظاهر كلامه أنه ينقل عن ابن خلكان، ولا =

ومِمن بنى دارَيْن للسنَّة في بلد، ولم نعلم أنه سبقه إلى ذلك أحد: السلطانُ الملكُ الأشرف مظفَّر الدين أبو الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر بن الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي[١]، الذي مَلَك دمشق بعد حصاره ابنَ أخيه الناصرَ داودَ ابنَ المعظَّم عيسى، في سنة ست وعشرين وست مئة، وأقام ملِكًا بدمشق تسع سنين، وفيها بنى الدارين المشارَ إليهما، إحداهما التي بسَفْح قاسيون شَرَطَها للمقادسة الحنابلة، وأولُ من باشَرَها شيخُ الإسلام شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن أبي عمر المقدسي أولُ قضاة الحنابلة بدمشق[٢].

شيء في «وَفَيات الأعيان»!.

وذكرها عز الدين ابنُ الأثير، كما نقله عنه ابن كثير في «تاريخه» ١٢: ٣٠١، وليس في تاريخه «الكامل» إنما هو في كتابه «الباهر» في تاريخ الدولة الأتابكية بالموصل، ونسبه في «الدارس» ١: ٦١٠ إلى مجد الدين ابن الأثير، وهو سبق قلم منه.

وأولُ من درَّس فيها: الإمام الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى. قال السبكي في آخر ترجمة ابن عساكر من «طبقاته» ٧: ٢٢٣: «وكان الملك العادل محمود بن زَنْكي نورُ الدين قد بنى له دار الحديث النورية، فدرَّس بها إلى حين وفاته غير ملتفت إلى غيرها». ثم وليها من بعده ولده القاسم. كما في «السِّيَر» للذهبي ٢١: ٤٠٨.

وتسمى هذه الدار أحيانًا «دار السنة» كما جاء ذلك في خاتمة جزء «حديث أبي القاسم الحلبي» المحفوظ ضمن المجموع (٣٧٦١) من مجاميع المدرسة العمرية. انظر «فهرسها» ص ١٢٠ للأستاذ ياسين سواس.

وهذه الدار النورية غير المدرسة النورية التي بناها السلطان نور الدين نفسه، وهي في سوق الخَوّاصين ـ قديمًا ـ ويسمى الآن سوق الخياطين، وهو جامع عامر بالجمعة والجماعات، وعلى بابه قبر نور الدين رحمه الله تعالى.

(١) ستأتي ترجمة المصنف للملك الأشرف ص ٥٠.

(٢) انظر «الدارس» ١: ٤٧، و «تاريخ الصالحية» ١: ١٥٧. وتوافقُ ما فيهما مما =

ودار الحديث الثانية داخل دمشق جِوار قلعتها المنصورة، وكانت أولاً دار قَيْماز النَّجْمي، فاشتراها الملك الأشرف وجعلها دارًا للحديث النبوي، على قائله أفضل الصلاة والسلام، وجعل فيها نعلَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الخزانة الشرقية لَصِيقَ المحراب.

ولما كان الملك الأشرف بِخِلاط، قدم عليه شخصٌ يقال له النِّظام ابن أبي الحديد[1] ومعه نعل[2] النبي صلى الله عليه وسلم، فتلقَّاه الملك

يؤكد أن «الدارس» هو لابن طولون، لا للنعيمي. وانظر التعليق ص ٥٥.

(١) هو نظام الدين أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السلمي، ولد بدمشق سنة ٥٧٠، وتوفي بها سنة ٦٢٥. انظر «الوافي بالوَفَيات» للصفدي ٧: ١٧٦، و«الدارس» ٢: ٢٩٥.

(٢) فردة واحدة وهي اليسرى، وكانت الثانية اليمنى بالمدرسة الدماغية. وأخذ الاثنتين تيمورلنك. انظر «الدارس» ٢: ٢٩٥ ـ ٢٩٦ وكان لهذه الفردة الواحدة قيّم وخازن خاص بها، هو فتح الدين يحيى ابن الفارقي (٦٧٢ ـ ٧٦٣) رحمه الله، وهو ابن الشيخ الخامس لدار الحديث، الآتي ذكره ص ٥٣.

وتنظر الفوائد الملحقة آخر «جزء تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم» للحافظ أبي اليمن ابن عساكر رحمه الله الذي نشره الأخ الأستاذ حسين محمد علي شكري، وأفادني الأخ ـ جزاه الله خيراً ـ: أنه التقى الرجلَ الصالح الشيخ عبد الهادي بمدينة دَرْبَن ـ جنوب إفريقية ـ بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٤٢٠، وجرى بينهما حديث، فكان مما قاله له الشيخ عبد الهادي:

«إن بمسجد دهلي مقصورة بها فردة نعل النبي صلى الله عليه وسلم، يقوم على خدمتها الشيد الشريف شمشاد أحمد، وهذه النعل متوارثة بين ملوك المغول كما يلي: تمرلنك، ثم ابنه بابار، ثم ابنه همايون، ثم ابنه أكبرجهانكير، ثم شاه جهان، وقد كانت محفوظة في الخزانة المغولية حتى بُني الجامع بدهلي فنقلت إليه، وقام على خدمتها السادة الأشراف.

والفردة الأخرى هي في مسجد بادشاه بالباكستان، وهي أيضاً متوارثة من
=

الأشرف ووضع النعلَ على عينيه وجعل يبكي، وخلع على النظام، ورتَّب له مرتَّبًا كثيرًا، وقال الملك الأشرف: قلت في نفسي: هذا النظامُ يطوفُ البلاد، وأنا أُؤثر أن يكون عندي قطعة من النعل، فعزمت أن آخذ منه قطعةً، ثم قلت في نفسي: ربما يتأسَّى بي أحد فيؤدِّي إلى استئصاله، وقلت: من ترك لله شيئًا عوَّضه الله خيرًا منه[1].

فأقام عندي النِّظام شهورًا ثم مات فأوصى لي بالنعل، فأخذت النعل بأَسْره. ثم وضعها الملك الأشرف في ذاك المكان.

وهي هذه التي أولُ من وَلِيها الإمامُ العلامة الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح، ثم الخطيب عماد الدين ابن الحرَستاني، ثم الشيخ شهاب الدين أبو شامة، ثم شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي، ثم الشيخ زين الدين أبو محمد عبد الله الفارقي، ثم الإمام صدر الدين ابن الوكيل، ثم الشيخ كمال الدين ابن الزَّمَلْكاني، ثم القاضي كمال الدين

ملوك المغول».

وسأل الأخ الأستاذ حسين عن الشيخ عبد الهادي: الأخ العالمَ المحقق مولانا حبيب الله قربان أحد علماء «مظاهر العلوم» المجاورين بالمدينة المنورة: هل هو معروف عندكم؟ فقال: نعم، هو معروف عندنا.

قلت: مسجد بادشاه كائن في لاهور من باكستان، وتنظر صورته في كتاب الدكتور شوقي أبو خليل «أطلس التاريخ العربي والإسلامي» ص٦٣.

(١) أصل هذا القول: حديثٌ شريف رواه أحمد ٥: ٧٨، ٧٩، ٣٦٣، والحارث ابن أبي أسامة، وابن أبي شيبة في مسانيدهم ـ «بغية الباحث» ٢: ٩٨٧، و«إتحاف الخيرة» (٩٦٣٦)، و«المطالب العالية» (٣٣١٢) ـ بإسناد صحيح، ومع أنهم ذكروه في كتب الزوائد، فالحديث عزاه المزي في «التحفة» (١٥٦٦٠)، و «تهذيب الكمال» ـ ترجمة قِرْفة بن بُهَيْس ـ إلى النسائي في «الكبرى»، ومن «التحفة» أدخله الأستاذ حسن عبد المنعم في طبعته لـ «السنن» (١١٨٠).

أبو العباس أحمد بن الشَّرِيشي.

ثم وَلِيها بعد موته أحقُّ الناس بها وأولاهم، شيخُ الحفاظ وأعلاهم: أبو الحجاج يوسف المزِّي، وأولُ مباشرته لها كان يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحِجَّة سنةَ سبعَ عشْرَةَ وسبع مئة، واستمرتْ بيده إلى حين موته نحواً من خمس وعشرين سنة، ولم يتولَّها بعده حافظٌ نظيرُه، وإن كان قد وَلِيها شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن السُّبْكي، وابنُ عمِّه الإمام بهاء الدين أبو البقاء، وغيرهما[١].

ولم يحضُرها بعد الحافظ المِزِّي فيما نعلم أحدٌ في درجته من أهل هذا الشان، غيُر شيخنا الحاضرِ في هذا المكان، وهو شيخ الإسلام حافظ الزمان، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل[٢]، فإنه أربى عليه بزيادة المصنَّفات، وإتقان المؤلَّفات، وفنون العلوم أصلاً وفرعًا، واستنباطًا للأحكام المحتَجِّ بها شرعًا، أسبغ الله ظلاله على الإسلام والمسلمين.

وما نذكره ونُبْديه، من بعض فوائده وما يحويه، ولولا امتثالُ أمره

(١) انظر ص٥٠ ـ ٥٨ فقد عرض المصنف رحمه الله لمن درَّس بالمدرسة الأشرفية بزيادات على ما هنا. والبهاء السبكي هو محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي، المتوفى سنة ٧٧٧، والتقي السبكي هو عليٌ بن عبد الكافي بن علي، المتوفى ٧٥٦، فعبد البر والتقي علي ابنا عم، والتقي أجلُّ وأقوى رسوخًا وأكثر مشاركة في العلوم، وهو أستاذ البهاء، وبه تخرّج، وقد شهد ابن تيمية والتقي السبكي للمزي أنه ما ولي دار الحديث الأشرفية أحدٌ مثلُه في الحديث، لأنها دار حديث، لكن مشاركة التقي السبكي في كثير من الفنون مشاركة إمام محقق فيها، لا ينكرها أحد، والمزي ليس كذلك، وقديمًا قال العلماء ما مفاده: صاحب الفن الواحد مقدَّم فيه على صاحب الفنون. والشواهد عليه كثيرة.

(٢) هو الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، كما تقدم قريبًا. وانظر صفحة ٤١٨

الذي مقتضاه الوجوبُ اللازم، لم أحدِّث بحضرته شيئًا استعمالاً لأدب المتعلِّم بين يدي العالم، ولكن مَنْ جَبَرَ من الأئمة، قلبَ من هو دونه من الأمة، لا يخيب إن شاء الله تعالى من حصول الرحمة، المشار إليها في القرآن، وعلى لسان نبينا حبيبِ الرحمن، صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم وعظَّم.

كما أخبرنا جماعة من المسنِدين منهم: أبو يوسف عبد الرحمن ابن التاجر الصالحي، وهو أول حديث سمعتُه من كلٍّ منهم، والمسمَّى من لفظه، قالوا: أخبرنا محمد بن أبي المحاسن بن أبي العزِّ المصري، قال كل منهم: وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا عبد اللطيف بن أبي محمد التاجر، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن علي السَّلامي[1]، وهو أول حديث سمعته من لفظه، حدثنا إسماعيل بن أحمد المؤذِّن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا أبي: أحمدُ بنُ عبد الملك بن علي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو طاهر محمد ابن محمد بن مَحْمِش الزِّيَادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصِي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمُهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهلَ الأرض يرحمْكُم

---

(١) هو الإمام ابن الجوزي، نَسَبه إلى بلده بغداد مدينة السلام، كما ينسب إلى ذلك شيخه الإمام محمد بن ناصر السَّلامي.

مَن في السماء»[١].

---

(١) رواه الحميدي ٢: ٢٦٩ (٥٩١)، وابن أبي شيبة (٢٥٨٦٤)، وأحمد ٢: ١٦٠ ثلاثتهم عن سفيان، به. ورواه عن الحميدي البخاريُّ في «الكنى» ٦٤ (٥٧٤)، وعن ابن أبي شيبة ـ ومسدد ـ أبو داود (٤٩٠٢)، وعن علي بن المديني، عن سفيان: عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» ص٢٣، ومن طريقه الحاكم ٤: ١٥٩ وصححه ووافقه الذهبي، وعن ابن أبي عمر، عن سفيان: الترمذي ٤: ٢٨٥ (١٩٢٤) وقال: حسن صحيح.

ورواه من طريق أبي طاهر ابن محمش الزيادي، به: البيهقي في «السنن الكبرى» ٩: ٤١، وفي «الشُّعَب» ٧: ٤٧٦ (١١٠٤٨) = ٢٠: ١٦٨ (١٠٥٣٧). ورواية مسدد التي أشار إليها أبو داود هي عند عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» ص٢٣.

وعزاه السيد عبد الحي الكتاني رحمه الله في «فهرس الفهارس» ١: ٩٣ إلى النسائي وابن ماجه، ولم أره فيهما، كما لم أر ذلك لغيره!.

والرواية المشهورة: «.. يرحمكم من في السماء»، ورواية الحميدي وأحمد وابن المديني ـ التي عند عثمان الدارمي والحاكم ـ ومسدَّد ـ عند عثمان الدارمي ـ «.. يرحمكم أهل السماء».

فلم ينفرد بها بشر بن موسى راوي «مسند» الحميدي عن مصنفه، كما زُعِم.

وله إسناد غريب عند الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» ٥٦٦ (٧٧٥) سيذكره المصنف ص١٣٧ ويتكلم عليه.

والحديث صحيح، كما يستفاد من كلام المصنف في مواطن من كتابه هذا، ومن قبله الترمذي، قال: حسن صحيح، والحاكم، والذهبي في «تلخيص المستدرك» وفي أول «معجم الشيوخ» ١: ٢٣، وحسَّنه العراقي، وسيأتي كلامه ص٤٥، والمصنف أيضًا في صفحة ١٣٤ وغيرِها، وغيرُهم كثير.

وسوف يكرر المصنف هذا الحديث كثيرًا، وأكتفي بتخريجه هنا عن تكرار ذلك.

هذا، وقد جوَّز العلماء في الميم من فعل «يرحمكم» الرفع والجِزم، قال شيخ شيوخنا العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في أوائل ثَبَته «التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز» ص٨: «والرفع أقوى من الجزم روايةً، وأبلغ دراية، وفي «مزيد النعمة في =

تابعه مسلسلاً كذلك أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز بن محمد المهلَّبي، عن أبي حامد بن بلال[١]، وهذا هو المشهور في تسلسله، يقول الراوي عن شيخه: وهو أول حديث سمعته منه.

ورواه مسلسلاً فوق هذا بدرجة: أبو عاصم عبد الله بن محمد الشَّعيري، عن أبي أحمد هاشم بن عبد الله بن محمد السَّرْخسي[٢] المؤذِّن، عن أبي حامد بن بلال، فوصل التسلسل إلى سفيان بقوله: وهو أول حديث سمعته من عمرو بن دينار.

ورُوي مسلسلاً بدرجة أخرى فوق هذه، وكلاهما لا يصحُّ.

ورَوَيناه موصولَ التسلسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من رواية أبي نصر الوَزِيري محمد بن طاهر بن محمد بن الحسين بن الوزير الواعظ، وتُكُلِّم فيه لذلك[٣].

حديث الرحمة» لهبة الله التاجي تفصيل ما يتعلق بهذا الحديث رواية ودراية».

وقد ساق الذهبي في مقدمة «معجمه الكبير»، ومن بعده السيد عبد الحي الكتاني جملة وافرة من أسانيده بهذا الحديث في أول كتابه «فهرس الفهارس» ١: ٨٥ ـ ٩٣، ثم ذكر الكتاني جملة من الكتب التي أُفردت لهذا الحديث، انظر ما تقدم صفحة ١٧.

(١) كما سيأتي ص ١٤٧، ٢٢٢، ٤١٤.

(٢) السكون على الراء من قلم المصنف، فتكون الخاء مفتوحة، وهناك ضبط آخر مشهور، هو فتح الراء وسكون الخاء.

(٣) قال الذهبي في «الميزان» ٣: ٥٨٦ (٧٧٠٩) ـ ومثله في «لسانه» ٥: ٢٠٧ ـ: «رَوَى عن أبي حامد بن بلال، فذكر الحديث المسلسل بالأولية فزاد تسلسله إلى منتهاه، فطعنوا فيه لذلك».

وللوزيري ترجمة عند السمعاني في «الأنساب» ٥: ٦٠٢ مصدره فيها الحاكم في «تاريخ نيسابور» وهو تلميذ الوزيري، وأرخ وفاته سنة ٣٦٥، واختصرها الذهبي في «تاريخ الإسلام» وَفَيَات سنة ٣٦٥، والتاج السبكي في «طبقاته» ٣: ١٧٥، والداوودي =

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد المقدِسي المجاور بطيبة، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أبو العباس أحمد ابن محمد البدر، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أحمد بن أبي الفتح الشيباني، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم النصري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: وأخبرنا [1] أبو محمد عبد البر ابن الحافظ أبي العلاء الهمَذاني بها، حدثنا والدي الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار، حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن

في «طبقات المفسرين» ٢: ١٦٠ (٤٩٩). وجاء اسم جده الثاني بخط المصنف واضحًا: الحسين، وفي كتاب السمعاني والسبكي: الحسن.

وهل تفرَّد الوزيري بوصل التسلسل إلى آخر السند؟ كلام الذهبي وابن حجر المتقدم واضح في ذلك، ولفظ ابن حجر في «أمالي الأذكار» ـ المجلس ٨٥٩ ـ يشكك فيه، قال: «قيل: إنه تفرد به»، لكن لا خلاف أن التسلسل الصحيح انقطع عند عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدي وأنه قال: هو أول حديث سمعته من سفيان. أما أنه أول حديث سمعه سفيان من ابن دينار، وهكذا من فوقه: فلا يصح.

(١) الواو ثابتة بقلم المصنف، وهي توهم الاستئناف وانقطاع الكلام عند كلمة (قال)، وليس كذلك، وأبو عمرو النصري هذا هو الإمام ابن الصلاح. ومعلوم أن لابن الصلاح جزءاً في هذا الحديث، وفي «كشف الخفاء» ١: ١١٠ (٣١٤) نقلاً عن العراقي قال: «والمشهور أن التسلسل في هذا الحديث إلى ابن عيينة دون بقية الإسناد، وقد رويناه في جزءٍ جمعه ابن الصلاح في جملة طرق هذا الحديث وأوصل التسلسل فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لا يصح إسناده».

ثم إن ابن الصلاح يقول: أخبرنا أبو محمد، وسيأتي بعد أسطر قوله: هذا أول حديث سمعته منه، فكأنه مشى على مذهب من يستعمل «أخبرنا» في التعبير عن السماع من الشيخ، وقد نصَّ هو في «مقدمته» آخر القسم الثاني من النوع الرابع والعشرين على جواز ذلك، لكنه أشعر بترجيح استعمال «حدثنا» في مثل هذه الحال حين قال: «الفرق بينهما صار هو الشائعَ الغالبَ على أهل الحديث».

محمد الحافظ، حدثنا أبو صالح المؤذِّن، أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان الشاهد، حدثنا أبو نصر محمد بن طاهر الوَزِيري الأديب، حدثنا أبو حامد البزَّاز، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمْكُم أهلُ السماء».

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: هذا أول حديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم بعد خطبة الوداع(١)، وقال أبو قابوسَ: هذا أول حديث رواه عبد الله بن عمرو بالشام(١)، وقال عمرو بن دينار: هذا أول حديث رواه لنا أبو قابوس(١)، وقال ابن عيينة: هذا أول حديث أملاه علينا عمرو بن دينار، وقال عبد الرحمن بن بشرٍ: هذا أول حديث سمعته من سفيان، وقال أبو حامد: هذا أول حديث سمعناه من عبد الرحمن، وقال أبو نصر الوزيري: هذا أول حديث سمعناه من أبي حامد، وقال أبو سعد: هذا أول حديث سمعته من أبي نصر، وقال أبو صالح: هذا أول حديث سمعته من أبي سعدٍ في رجوعي إلى نيسابور سنة اثنتين وثلاثين ـ يعني: وأربع مئة ـ، وقال أبو جعفر الحافظ: وهذا أول حديث سمعته من أبي صالح، وقال الحافظ أبو العلاء: وهذا أول حديث سمعته من أبي جعفر، قال ابنه أبو محمد عبد البر: وهو أول حديث سمعناه من أبي من لفظه، قال أبو عمرو النَّصْري: وهذا أول حديث سمعته(٢) من أبي محمد عبد البر.

(١) وفي مثل هذه الحال ـ بقطع النظر عن الصحة وعدمها ـ يقول المحدثون: هذه أولية مقيَّدة، وكذلك أولية ابن عيينة بالنسبة لابن دينار، فإنه قيَّدها بالإملاء.

(٢) انظر آخر التعليق السابق من الصفحة السابقة.

وأنبأنا به عاليًا جدًّا جماعةٌ من شيوخنا منهم: أبو هريرة عبد الرحمن ابن الذهبي، عن يحيى بن محمد بن سعد وغيره، أخبرنا أبو صالح نصر ابن عبد الرزاق الجِيلي كتابةً، عن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد العطار، فذكره.

والحديث عند عدَّة من أصحاب سفيان بن عيينة من غير تسلسل، منهم أحمد بن حنبل فرواه في «مسنده» عنه، وخرَّجه أبو داود في «السنن» عن أبي بكر بن أبي شيبة ومسدَّد، والترمذيُّ في «الجامع» عن محمد بن أبي عمر العَدَني، الثلاثةُ عن سفيان، وهو من أفراده، كما تفرد به شيخه عمرو، عن أبي قابوس[1].

وله متابعٌ عن عبد الله بن عمرو بمعناه، رُوِّيناه في مسنديْ أحمد بن حنبل، وعبدِ بن حميد، كلاهما عن يزيد ـ وهو ابن هارون ـ، أخبرنا حَرِيز، حدثنا حِبَّان الشَّرْعَبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال على المنبر: «ارحموا تُرْحَموا، واغفِروا يُغْفَرْ لكم، ويلٌ لأقماع القول، وويلٌ للمُصِرِّين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون»[2].

---

(١) ينظر تخريجه فيما سبق قريبًا، وأعتذر عن التكرار فيما يأتي.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد ٢: ١٦٥، وعبد بن حميد ١٣١ (٣٢٠) عن يزيد ابن هارون، به، كما قال المصنف. وذكر أحمد عقبه متابعة هاشم بن القاسم التي ذكرها المصنف أيضًا.

وهناك متابعون آخرون: محمد بن عثمان القرشي، عند البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠).

والحسن بن موسى الأشيب، عند أحمد ٢: ٢١٩، والبيهقي في «الشعب» ٥: ٤٤٩ (٧٢٣٦) = ١٢: ٥١٢ (٦٨٤٤)، وعنده مع الحسن متابع آخر: إسحاق بن سليمان.

=

تابعه هاشم بن القاسم، عن حَرِيز ـ وهو ابن عثمان ـ الرَّحَبي، بفتح الحاء المهملة، وحكى أبو منصور الأزهري سكونها أيضًا [(١)]، وهو حمصيٌّ محتجٌّ به في «صحيح» البخاري. وشيخه حِبَّان أبو خِدَاشٍ حمصيٌّ مذكور في «ثقات» ابن حبان[(٢)]، وعدَّه بعضهم في الصحابة، ولا يصح له صحبة، فيما ذكر أبو عمر يوسفُ بن عبد البر[(٣)].

وللحديث شاهدٌ عن عدَّة من الصحابة[(٤)]، ذكرتهم في كتاب «نفحات

وتابعهم كذلك: علي بن عياش الألهاني، عند الطبراني ومن طريق الطبراني: الخطيب في «تاريخه» ٨: ٢٦٥، وأبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عند يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» ٢: ٥٢٢، ومن طريق يعقوب: البيهقي في «الشعب» ٧: ٤٧٦ (١١٠٥٢) = ٢٠: ١٧٢ (١٠٥٤١).

ولما عزاه الهيثمي في «المجمع» ١٠: ١٩١ إلى أحمد قال: «رجاله رجال الصحيح غير حبان بن زيد الشرعبي، ووثقه ابن حبان، ورواه الطبراني كذلك».

(١) لا شيء في «الزاهر»، ولا في «تهذيب اللغة» ٥: ٢٧ وهو الموطن الذي ذكره محقق «توضيح المشتبه»!.

(٢) ٤: ١٨١ واشتهر أيضًا أن شيوخ حَرِيز ثقات كلهم، لذلك قال عنه في «التقريب» (١٠٧٣): ثقة، مع أن عادته في مثله أن يقول عنه: مقبول.

(٣) «الاستيعاب» ٤: ٥٥، وهو أولى من قوله الآخر في «الاستغنا» ١: ١٦٤ (١٩٧): «مختلف في صحبته».

(٤) قال المصنف في «المجلس الأول من أماليه» ص٢٦: «وللحديث شاهد من حديث أبي بكر، وعمر، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وجرير بن عبد الله، وآخرين، رضي الله تعالى عنهم، ذكرتهم في كتابي: نفحات الأخيار من مسلسلات الأخبار». وانظر ص٢٢٤، ٤٢٠.

وقال شيخ شيوخنا العلامة محمد عبد الباقي الأنصاري الأيوبي رحمه الله في «المناهل السلسلة» ص٦: «قال أيوب الخَلْوَتي في «ثَبَته»: وله شواهد من حديث أسامة بن شريك، وأسامة بن زيد، وأشعث بن قيس، وجابر بن عبد الله، وعبادة بن =

الأخيار من مسلسلات الأخبار».

ورَوَيناه من طريق منكرة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أنبأنا أبو محمد بن أحمد بن الموفق الطرائفي، في آخرين، عن محمد ابن أبي بكر بن أحمد، عن جدّه، أخبرنا زيد بن الحسن سماعًا، أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ(١) قال: أخبرني محمد بن أحمد بن رزق، حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي بن محمد بن ذكوان البزاز يعرف بابن الزّهراني، حدثنا حسنٌ الصائغ، حدثنا الكُدَيمي قال:

خرجت أنا وعلي بن المديني وسليمان الشاذَكُوني نتنزَّه، قال: ولم يبقَ لنا موضع نجلس غيرُ بستان الأمير، وكان الأمير قد منع من الخروج إلى الصحراء، قال: فكما (٢) قعدنا وافَى الأمير، فقال: خذوهم، قال:

الصامت، وعبد الله بن عمر، والمغيرة بن شعبة، والنعمان بن بشير، وواثلة بن الأسقع، وأبي أمامة الباهلي، وأبي الدرداء، وأبي ذر، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وهم ثمانية عشر صحابيًّا وهذه أسماؤهم، ثم قال: قال العراقي: هذا حديث حسن رجاله محتج بهم في الصحيح».

قلت: وكثير منها وارد في مطلق الرحمة، وهو المعنى الذي أراده الحافظ السخاوي في تصنيفه الذي أشار إليه في «المقاصد» (٨٨) آخر كلامه على: «ارحموا من في الأرض»: «أفردت لأحاديث الرحمة تصنيفًا». وعليه صنيع ناشر «المجلس الأول من أمالي» المصنف، في تتمته التي سماها «الأمنية في تخريج المسلسل بالأولية».

(١) هو الخطيب البغدادي، والقصة في «تاريخه» ٣: ٤٣٨.

(٢) هكذا جاءت الكلمة واضحة بخط المصنف، وهي في «تاريخ بغداد»: فلما قعدنا. واستعمالها بالكاف في كلام الفقهاء غير قليل، ويسمون الكاف كاف الفور، =

فأخذونا وكنت أنا أصغرَ القوم سنًّا، فبطَحوني وقعدوا على أكتافي.

قال: قلت: أيها الأميرُ اسمع مني. قال: هاتِ، قلت: حدثنا عبد الله ابن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحمْ مَن في الأرض يرحمْك مَن في السماء»، قال: أَعِدْه عليَّ، قال: فأعدتُه عليه، فقال لهؤلائك: قوموا، ثم قال لي: أنت تحفَظُ مثلَ هذا وأنت تخرجُ تتنزَّه! أو كما قال. قال: فكان الشاذَكوني يقول: نفعك حديث الحميدي هذا.

هذه الرواية خطأ على الحميدي[1]، إنما رواه عن سفيان على الصواب، كرواية مسدَّد وغيره من الأصحاب نحوَ ما تقدم. والله سبحانه أعلم.

أما فقه الحديث وما فيه من الأحكام، والمعاني والبيان اللَّذَيْن يظهر بهما حسن الكلام، وإيضاحُ لغته، ومعاني الرحمة، ووصفُ الربِّ عزَّ وجلَّ بها، ثم نعتُ الأمة وما يليق بذلك من الشرح المجانس للمُجَالس: يكون[2] إن شاء الله تعالى فيما بعد هذا من المجالس، والآن نختم ما

فالمعنى: فَوْرَ قعودنا وافانا الأمير، وسماها ابن هشام في «المغني» ١: ١٧٩: كاف المبادرة. قال: «وذلك إذا اتصلت بـ «ما» في نحو «سلِّمْ كما تدخل»، و «صلِّ كما يدخل الوقت». ذكره ابن الخباز في «النهاية» وأبو سعيد السيرافي وغيرهما، وهو غريب جدًّا».

(١) والآفة من الكُدَيمي، إما لما هو فيه من عدم العدالة، فهو أحد المتهمين، كما هو معلوم ـ وتلطف ابن حجر في «التقريب» (٦٤١٩) فقال: «ضعيف» ـ وإما للحال التي هو فيها من الخوف مع صغر السنّ، كما هو واضح من القصة، وقد أشار المصنف إلى هذا المعنى في المجلس ١٩ ص ٤١٨ فقال: «..انقلبت عليه، لرعب حصل لديه».

(٢) كذا بدون فاء في جواب أما. وفي «صحيح» البخاري: كتاب البيوع ـ باب =

إذا اشترط شروطًا في البيع لا تحل ٩: ٣٨٣ من «شرح العيني على البخاري» ذكر حديث السيدة عائشة في مكاتبة بريرة، وفيه: قالت عائشة: قام صلى الله عليه وسلم خطيبًا في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، ما بالُ رجال يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله..» قال العيني في «شرحه» ص٣٨٤: «هذا جواب أما، والأصل فيه أن يكون بالفاء، وقد تحذف»، ووصفه القسطلاني بالندرة ٤ : ٧٧، وجاء هذا الحديث قبل خمسة أبواب: باب البيع والشراء مع النساء، وفيه قول عائشة: «ثم قال: ما بال أناس..» دون جملة «أما بعد» لكن نبه القسطلاني ٤ : ٧٠ أن الرواية عند الكُشْمِيهَني هكذا: «أما بعدُ ما بال» دون فاء أيضًا.

وفي «سنن» أبي داود (٩٦٧) شاهد آخر.

وانظر القسطلاني ٣: ١٨٢، و«المساعد على تسهيل الفوائد» لابن عقيل ١: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، و«شواهد التوضيح» لابن مالك ص ١٣٦ ـ ١٣٧، وختم ابن مالك البحث بقوله منتصرًا لجواز حذف الفاء: «عُلم بتحقيقٍ عدمُ التضييق، وأن من خصَّه بالشعر، أو بالصورة المعيَّنة من النثر، مقصِّر في فتواه، عاجز عن نصرة دعواه».

وحكى العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في «مقالاته» آخر مقالهِ «محادثة قديمة حول الوقف الأهلي» ص٢٠٧ أن العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي رحمه الله تعالى لما ألقى محاضرة في عدم جواز بيع الوقف الأهلي، وفي افتتاحها أسقط الفاء من جواب أما بعد، حاول فضولي مقاطعة الشيخ وتشويش المحاضرة عليه فقال له: أسقطتَ الفاء في جواب أما بعد، وهو لحن! فالتفت الشيخ بخيت قائلاً له: الاستغناء عن الفاء في جواب (أما) لغة الكوفيين، فافهم يا بصري! فسكت مسخورًا منه.

والشيخ بخيت ـ مع سكوت الكوثري على جوابه هذا ـ حجة، ومع ذلك فلم أر من نسب هذا المذهب إلى البصريين أو غيرهم. والله أعلم.

وبعد، فإني أقول هذا دفاعًا عمن يُسقط الفاء من جواب «أما بعد» من أهل العلم الأجلاء، أما من تَسقط الفاء من كتاباتهم من المتطفلين على إمساك القلم والورقة ـ وما أكثرهم في زماننا ـ: فالخطاب معهم ساقط قبل سقوط الفاء من قلمهم!!.

=

أمليناه، بأبيات قلتها في معناه:

خيرُ العلوم كتـابُ الله فـاعْنَ بـه ... وبعدَه سـنةُ المختـار إنـسانا (١)

خذْها بنقلِ ثقـاتٍ واعملَـنَّ بهـا ... وابـدأْ بأولهـا في الـسمع تِبيانـا

وموقف آخر لهؤلاء ينبغي التنبيه له: أنهم يتدخَّلون فيما لا يُحسنون، ويتعاطَوْن ما لا يَعنيهم، ويتطاولون إلى عِلْية كتب الأئمة، ثم يتشبَّهون بالأئمة في اعتذاراتهم إن سقطت لهم كلمة، ينقلون كلام الأئمة في ذلك، وقد غَفَل هؤلاء المتطاولون ـ بَلْهَ المتاجرين ـ عن أن أولئك قالوا ما قالوا بعد إفراغ الجهد وبذل الوسع، أما هؤلاء فماذا فعلوا؟!.

وآخر مضحكٍ مُبْكٍ قرأته الآن ودفعني إلى كتابة هذه الكلمات المزعجة: هو التعليقة الأولى على كتاب الإمام العظيم المحدث الأصولي الفقيه اللغوي صلاح الدين العلائي رحمه الله تعالى: «نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفوائد» يقول رحمه الله في المقدمة: «صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.. وأنصار دينه وحُماته، وليوث الحرب وكُماته» فكتب (محققه!!) في تفسير الكُماة: «جمع الكُميت، وهي أقوى الخيل وأشدّها حوافر»!! وعزا هذا إلى الشروح والمطولات: «تاج العروس» وما كفاه العزو إلى «القاموس»!.

مع أن الكُماة جمع كَمِيّ، وهو الرجل الشجاع، أو لابس السلاح، كما في «القاموس».

فمن لم يعرف ردَّ كلمة إلى أصلها كيف يسوغ له ـ أو تسوِّغ نفسه له ـ أن يتطاول إلى تحقيق مثل هذا الكتاب الفذّ، ويعتذر في مقدمته باعتذار الإمام الحجة الميداني في مقدمة كتابه «مجمع الأمثال»! ثم يوجب على قراء كتابه النصيحة له والستر عليه! وهو الذي دعا الناس إلى ذمه، وفضح نفسه علانية بكشف جهله!! وهذه نفثة مصدور. وأستغفر الله العظيم.

(١) لعله يريد: هو صلى الله عليه وسلم إنسانُ المختارَين المصطفَين، كما يقولون: إنسان العين، فالمعنى: سنةُ صفوة الصفوة.

مسلـــسلاً بـــرواةٍ أولاً سمعـــوا
هذا الحديثَ الذي معناه أحيانـا[١]

الراحمـــون عبـــادَ الله يـــرحمُهم
بفـــضله ربُّنـــا الـــرحمنُ إحـــسانًا

وخالصاً ارحموا أهل الارض يرحمكم
مَن في السماء تعالى الله رحمانا[٢]

صلَّى وسلَّم ربٌّ العالمين علـى
نبيٍّ رحمتِـه المخـصوصِ قرآنـا

كذا على آله والصحب أجمعِهم
والتـابعين لهـم عقـدًا وإيمانـا

ما دُرِّست سنة المختار في مـلأ
لا خيّـب الله سـعيًا منـهمُ كانـا

* * * * *

---

(١) فعلٌ ماض اتصل به ضمير نصب مفعول به، من: أحيا يحيي.

(٢) كتب المصنف رحمه الله همزتي (أهل الأرض) همزة وصل، ومع ذلك فيبقى البيت غير موزون!.

[تعريف بمشايخ دار الحديث الأشرفية قبله]

السلطان الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي[١]، مولده سنة ست وسبعين وخمس مئة بالقاهرة، ونشأ بالقدس في كفالة الأمير فخر الدين عثمان الزَّنْجاري.

سمع الحديث من عمر ابن طَبَرْزَد[٢]، وحدث عنه بحر بن بَخيت وغيره، وأول شيء وَلِيه: القدس من قِبَل أبيه، ثم حرَّان والرُّها وما والى ذلك، وحضر عدة حروب منها المواصلة فكسرهم وكسر الروم أيضًا، وكسر جلال الدين خُوَارَزم شاه، والخُوَارَزمية، وحينئذ لُقِّب شاه أرمن، ولم يَلق حربًا فانكسرت له راية بل يؤيده الله وينصره.

ولما قَصَد أخوه الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل صاحبُ مصر أخْذَ دمشق من ابن أخيه الناصر داود بن المعظَّم عيسى في سنة خمس وعشرين وست مئة كاتبَ الناصرُ عمَّه الأشرفَ لينصره فقدِم لذلك، ثم اتفق مع أخيه الكامل وحاصرا ابنَ أخيهما الناصر داود في سنة ست وعشرين وأخذا منه دمشق وعوَّضاه عنها بالكَرَك ونابلس.

---

(١) له ترجمة عند الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٢٢: ١٢٢، فانظرها، وثمة مصادر ترجمته، ويضاف إليها «الدارس» ١: ١٩، ٢: ٢٩٢، وتقدم ما يستفاد في ترجمة الأشرف في كلام المصنف ص٣٤.

(٢) وسمع على سراج الدين الحسين بن المبارك الزَّبِيدي المتوفى سنة ٦٣١ «صحيحَ» البخاري في ثمانية أيام، وكان ذلك بعد افتتاحه دار الحديث هذه بنحو الشهر. انظر «السير» ٢٢: ١٢٣، ٣٥٩.

ثم سلَّم الكامل دمشق لأخيه الأشرف وأخذ منه حرَّان والرُّها وآمِد، وذهب فتسلَّمها وأعطاها لابنه الصالح أيوب، واستمرَّ الأشرفُ ملكَ دمشق تسع سنين، وأخذ بعلبك من الأمجد.

وكان ملكًا شجاعًا حييًّا عفيفًّا عن المحارم، وقضيته مع ابنة صاحب خِلاط معروفة[١]، وكان محبًّا للصالحين، حسنَ الظن بهم، متواضعًا، محبَّبًا إلى الرعية، كثير الصدقات والبر، وبنى أماكن ووقفها، منها: جامع التوبة بمحلة الأوزاع، وهي العُقَيبة الكبرى، وبنى مسجد القصب بغير خطبة، وجامع جراح، وغير ذلك. ومنه: دار الحديث التي جوار قلعة دمشق[٢]، وأول من ولي مشيختها:

١ ـ أبو عمرو ابن الصلاح[٣] باشَرَها نحو ثلاثَ عشْرة سنة، وتوفي بمنزله من هذه الدار سحرَ يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وست مئة، وصلِّي عليه بالجامع الأموي وخرجوا به من باب الفرج، ومن هذا الباب رجع الناس عن جنازته، ثم خرجوا بها

---

(١) ذكرها الذهبي في «السير» ٢٢: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) تمييز لها عن دار الحديث الثانية التي بناها بسفح قاسيون، انظر كلام المصنف السابق ص٣٦، مع التعليق عليه. وكان البدء بعمارة هذه سنة ٦٢٨، والفراغ منها وافتتاحها سنة ٦٣٠ ليلة النصف من شعبان. «الدارس» ١: ١٩.

(٣) هو الإمام المتفق على إمامته وورعه، وكان له رأي مشهور عنه في تحريم علم المنطق والفلسفة، كما كان مثله للملك الأشرف.

ففي «الدارس» ١: ٢١ ترجمة ابن الصلاح: «صنف التصانيف مع الديانة والجلالة، وكان لا يمكِّن أحدًا في دمشق من قراءة المنطق والفلسفة، وكانت الملوك تطيعه في ذلك». ثم قال ٢: ٢٩٢ في ترجمة الملك الأشرف: «لما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وست مئة نادى منادٍ بها: أن لا يشتغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى الحديث والتفسير والفقه، ومن اشتغل بالمنطق وعلم الأوائل نُفي من البلد».

ومعه نفر يسير دون عشرة أنفس إلى مقابر الصوفية فدفنوه بها، وذلك أيام حصار الخُوَارَزْمية دمشق مع معين الدين ابن الشيخ، من جهة الصالح أيوب صاحب مصر لعمّه الصالح إسماعيل بن أيوب[1].

٢ ـ ثم وَلِيها بعد ابن الصلاح الخطيبُ عماد الدين أبو محمد عبد الكريم ابن قاضي القضاة جمال الدين أبي القاسم عبد الصمد بن محمد ابن الحَرَستاني، توفي سنة اثنتين وستين وست مئة في جُمادى الأولى.

٣ ـ ثم وَلِيها الإمام العلامة المقرىء الحافظ شهاب الدين أبو القاسم ـ ويقال أبو محمد ـ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد المقدسي المعروف بأبي شامة، ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمس مئة، برأس درب الفواخير داخل الباب الشرقي بدمشق، أخذ عن الشيخ موفق الدين الحنبلي أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المتوفَّى يوم عيد الفطر سنة عشرين وست مئة، وسمع الحديث منه ومن طائفة كثيرة، وأخذ الفقه من فخر الدين ابن عساكر ـ وهو أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي المتوفَّى عاشر شهر رجب سنة عشرين وست مئة ـ وغيرِه، وقرأ على أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفَّى في جمادى الآخرة سنة وفاة ابن الصلاح، وأخذ الأصول عن السيف الآمدي: أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلِبي المتوفَّى في صفر سنة إحدى وثلاثين وست مئة.

وشَرَح[2] الشاطبية، واختصر «تاريخ دمشق» لابن عساكر، وله التاريخ المسمى بـ «الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية»، و«الذيل»

(١) ينظر خبر ذلك في «البداية والنهاية» ١٣ : ١٧٧.

(٢) هنا رجع الكلام إلى أبي شامة المقدسي، فهو الذي شرح الشاطبية.

عليه، وغير ذلك.

توفي في رجب سنة خمس وستين وست مئة، نزل عليه بمنزله بطواحين الأُشنان جماعة فضربوه حتى ظنوا أنه مات، ثم ذهبوا وتركوه، وعرفهم؛ وقد أشار إلى هذه القصة في كتابه:

قلت لمن قال: أما تشتكي ... ما قد جرى فهو عظيم جليلْ

يقيض الله تعالى لنا ... من يأخذ الحقَّ ويَشفي الغليل

إذا توكلنا عليه كفى ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

ولم يزل الشيخ شهاب الدين متمرِّضًا إلى أن توفي رحمه الله[١].

٤ ـ فوليها بعده الشيخ الإمام العلامة الزاهد شيخ الإسلام بركة الأنام الإمام محيي الدين أبو زكريا النووي رحمة الله عليه.

٥ ـ ثم وليها بعده الشيخ الإمام مفتي المسلمين زين الدين أبو محمد عبد الله بن مروان بن الفارقي، وكانت وفاته بعد عصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من صفر سنة ثلاث وسبع مئة، ودفن من الغد بتربة أهله بسفح قاسيون جوار تربة الشيخ أبي عمر.

٦ ـ ثم وليها الإمام صدر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد الشافعي ابن الوكيل[٢].

٧ ـ ثم وليها بعد عزل ابن الوكيل عنها الإمام العلامة كمال الدين أبو المعالي محمد ابن الزَّمَلْكاني، توفي ببِلْبِيس ليلة الأربعاء سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة، فحمل إلى القاهرة ودفن بها.

---

(١) انظر خاتمة المجلس ٥ ص ١٤٠.

(٢) وكانت وفاته آخر سنة ٧١٦.

٨ ـ ثم وليها القاضي الإمام كمال الدين أبو العباس أحمد ابن شيخ المالكية كمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد الشَّرِيشي، مولده سِنْجار في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وست مئة، وسمع من النجيب عبد اللطيف وخلق، توفي خارجًا إلى الحج بمنزلة الحسامي ليلة الاثنين سلخ شوال سنة ثمان عشرة وسبع مئة، ودفن من الغد بالمنزلة المذكورة إلى جانب الطريق.

٩ ـ ثم وليها أحق الناس بها وأولاهم، شيخ الحفاظ وأعلاهم، الإمام الحجة القدوة شيخ المحدثين، جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن علي بن أبي الزهر الحلبي ثم المِزي(١)، فباشرها يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة سبع عشرة وسبع مئة، ولم يحضر عنده من الأعيان إلا القليل، واستمرت بيده نحوًا من خمس وعشرين سنة، إلى أن توفي على حالته الرضية من سلامة في دينه، وتواضع وفراغ عن الرئاسة وقناعة، وحسن سمت وقلة كلام وكثرة احتمال، رحمه الله، كانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ودفن بمقبرة الصوفية جوار قبر ابن تيمية.

١٠ ـ ثم وَليها ـ بعد أن ذُكِر لها الحافظ أبو عبد الله الذهبي فلم يتفق ـ: الإمامُ شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي

---

(١) هكذا جاء نسب الإمام المزي بقلم المصنف، وفيه اختلاف مع غيره من مترجميه، انظر مثلاً «فوات الوَفَيات» لابن شاكر الكتبي ٤: ٣٥٣، و«طبقات» التاج السبكي ١٠: ٣٩٥ ـ وكلاهما من تلامذته ـ، و«الدرر الكامنة» ٤: ٤٥٧، وغيرها. وفي «الدرر الكامنة»: «قال ابن تيمية لما باشرها المزي ـ أي مشيخة دار الحديث ـ: لم يَلِها من حين بُنيت إلى الآن أحقُّ بشرط الواقف: منه، لقول الواقف: فإن اجتمع مَن فيه الرواية ومن فيه الدراية قُدِّم مَن فيه الرواية».

قال الذهبي في «السِّيَر» ٢٢: ١٢٦: «كان للأشرف ميل إلى المحدثين والحنابلة» فلهذا شرط هذا الشرط، ولو قدَّم مَن فيه الدراية لكان أولى.

السُّبْكي، فباشَرها يوم الأربعاء سابع ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة بعد قدومه قاضيًا إلى دمشق بسنتين وسبعة أشهر، وكان درسه في حديث أبي ذر من «صحيح» مسلم خمس عشرة سنة[١].

١١ ـ ثم وَليها بعده بنزوله عنها ولدُه الإمامُ العلامة قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن السبكي، فباشرها يوم الخميس سنة ست وخمسين وسبع مئة.

---

(١) يريد الحديث القدسي المشهور: «يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تَظَالموا..» وانظر «طبقات» السبكي ١٠: ٢٠٠، ٢٠١، وهذا يدل على مدى إمامته وتبحُّره في فنون العلم! رحمه الله تعالى.

ولعل المدة لم تزد على أربعة عشر عاماً، ذلك أن البدء كان في السابع من شهر ربيع الأول من عام ٧٤٢، وكانت مغادرة الإمام السبكي دمشق إلى القاهرة في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من عام ٧٥٦، كما في «الدرر الكامنة» ٣: ٧٠، والله أعلم.

وجاء في ترجمة أبي إسماعيل الهروي الأنصاري من «السِّيَر» ١٨: ٥١٤ أنه تكلم على قول الله عز وجل: ﴿إن الذين سبقتْ لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ في ٣٦٠ مجلساً.

وفي «الدارس» للنعيمي ١: ٧٦ في ترجمة الإمام ابن تيمية رحمه الله أنه بقي في تفسير سورة نوح عدة سنين.

هذا، وقد ذكر صاحب «الدارس» ١: ١٩ ـ ٣٦ من سبق ذكرهم على هذا الترتيب، وقال: «هذا آخر ما انتهى إلينا ممن ولي مشيخة دار الحديث هذه على الترتيب، ثم وليها جماعات أُخَر لم أتحقق الترتيب بينهم». ثم ذكر ابنَ كثير، فالتاج السبكي..، وأنت ترى أن ذكر المصنف لهم جاء بـ (ثم) الدالة على الترتيب.

وأقول: إن هذا الكلام من صاحب «الدارس» يعكر على القول بأن «الدارس» لابن طولون، لأن النسخة الخطية لهذه المجالس كانت في حوزة ابن طولون، كما تقدم، فكان ينبغي ـ حسب الظاهر ـ أن يستفيد منها هذا الترتيب. والله أعلم. وانظر التعليق ض ٣٤.

١٢ ـ ثم وليها أخوه قاضي القضاة أبو حامد أحمد ابن السبكي بعد ما كان نائبًا له فيها، ثم عُزل عنها وعن القضاء.

١٣ ـ فوليها أخوه قاضي القضاة تاج الدين مرةً ثانيةً، ثم جرت له أمور وعُزل، وأُرسل من مصر بالكشف عليه واعتقاله بالعَذْراوية، ثم نُقل إلى القلعة محبوسًا بعد ما عُقد له مجلس بقاعة الدوادار[1] ونُسب إليه أنه وقع منه كفر، وتحمَّلوا عليه وكثُر تعصُّبهم في ذلك المجلس حتى بدتْ منه كلمة تعلَّقوا بها عليه، فاستمرَّ بالقلعة إلى أنْ ورد كتاب السلطان يطلبه في التاسع والعشرين من شوال سنة...[2] فتوجه إليها.

١٤ ـ ثم وليها شيخنا شيخ الإسلام خاتمة المجتهدين سراج الدين البُلْقيني رحمة الله عليه، لما قدم من الديار المصرية قاضيًا بدمشق إلى أن عزل عنها.

١٥ ـ ثم وليها مرة ثالثة قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر ابن السبكي في سنة سبعين وسبع مئة.

١٦ ـ ثم وليها بعد وفاته الإمام العلامة الحافظ جمال الإسلام عماد الدين أبو الفداء وأبو الفضل إسماعيل بن الخطيب ضياء الدين أبي حفص

---

(١) قال الأستاذ الشيخ محمد أحمد دُهْمان رحمه الله تعالى في «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» ص٧٧: «الدوادار: هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، ويتولى أمرها، مع ما ينضم لذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال».

(٢) بياض في الأصل، ولم أقف على نص واضح في تحديد السنة، لكن مجيء السراج البُلْقيني إلى دمشق وتولِّيه القضاء ودار الحديث الأشرفية كان سنة ٧٦٩ عوضًا عن التاج السبكي، كما في ترجمته في «الضوء اللامع» ٦: ٨٦.

وذكْر المصنف لهذه الأمور عن التاج السبكي في مثل هذا المقام كأنه أثر من آثار انحرافه عنه، للاختلاف في المشرب الذي نبَّه إليه السيد الكتاني في «فهرس الفهارس» ٢: ١٠٣٨. رحم الله الجميع.

عمر بن كثير بن ضَوْء بن كثير بن ضوء بن ذَرْع القرشي الخَصِيلي، وبنو خَصِيلة من ولد علي الرضا بن جعفر الصادق[١]، وهو خَصِيلة بن حرزى ابن قاسم بن إبراهيم بن محمد بن علي الرضا، ودرَّس بها يوم الاثنين خامس المحرم سنة إحدى وسبعين وسبع مئة.

١٧ ـ ثم وليها بعده قاضي القضاة كمال الدين أبو القاسم عمر بن عثمان بن أبي القاسم هبة الله المعري الحلبي، ودرَّس بها يوم الاثنين السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة.

١٨ ـ ثم وليها بعد عزله منها الإمام العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن القاضي سديد الدين عبد البر السبكي، وباشرها في صفر سنة خمس وسبعين وسبع مئة، سنتين وشهرين.

١٩ ـ ثم وليها بعده ولده قاضي القضاة ولي الدين أبو ذر عبد الله في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وسبع مئة.

٢٠ ـ ثم وليها بعده قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني المصري القاضي، أربعَ سنين وسبعة أشهر ونصفًا.

٢١ ـ ثم وليها بعده قاضي القضاة سَرِيُّ الدين أبو الخطاب محمد ابن قاضي المالكية جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي السُّلمي الأُطرابُلسي المعري الأصل الدمشقي، سبط الشيخ تقي الدين أبي الحسن السبكي، فباشر ذلك تسعة أشهر ونيفًا وجاءت فتنة الناصري، فعزله الناصري لما استقرَّ بمصر.

٢٢ ـ ثم وليها قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن

---

(١) هكذا بخطه، وهو عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضي الله عنهم.

العلامة الشيخ زين الدين أبي حفص عمر بن مسلَّم القرشي في أول رجب سنة إحدى وتسعين وسبع مئة.

٢٣ ـ ثم وليها والده الشيخ زين الدين القرشي ثم عزله عنها الأمير الظاهر[١] حين قبض على ولده، ثم قبَض عليه، وسُجن بالقلعة فلم يزل مسجونًا بها إلى أن توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وسبع مئة بالقلعة ودفن بالقُبيبات، وقبره [مشهور..][٢].

* * * * *

---

(١) كلمة (الظاهر) لم تظهر في الصورة، وأثبتُّها من «الدارس» ١ : ٤٠، وهو الظاهر برقوق.

(٢) زيادة من «الدارس». وهنا وقف الكلام ولم يظهر شيء بعده، وفي هذا الاستعراض من المصنف زيادة على «الدارس» من ناحيتين: من حيث العدد، فإن المصنف زاد عليه رقم ١٢، ١٤، ١٧، ٢٠، ٢١، مع ذكره تولي التاج السبكي المرة الثانية والثالثة، مع ما في آخر كلامه من نقص.

ومن حيث الترتيب: فإن المصنف سردهم مرتبين على الولاء، أما صاحب «الدارس» فذكر عشرة منهم مرتَّبين إلى التقي السبكي، ثم قال ١ : ٣٦ فيمن زاده: «لم أتحقق الترتيب بينهم».

ولم يذكر صاحب «الدارس» زيادة على من ذكره المصنف هنا إلا علاء الدين أبا الحسن علي بن عثمان بن عمر الصيرفي الدمشقي الشافعي، المولود سنة ٧٧٨، والمتوفى سنة ٨٤٤، أي بعد وفاة المصنف بسنتين، فلذا لم يذكره.

وكانت مباشرة العلاء الصيرفي لمشيخة دار الحديث الأشرفية عقب وفاة المصنف، والمصنف توفي وهو شيخ لها لم يُعزَل عنها، كما يستفاد من كلام «الدارس» ١ : ٤٣، و «لحظ الألحاظ» ص٣١٩.

ويلاحظ الفترة الزمنية الطويلة بين وفاة الزين القرشي هذا، وبين وفاة المصنف، وأنه لم يُذْكَر شيخ لدار الحديث فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٢ ـ

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآية الشريفة آية واحدة باتفاق أهل العدد المدنيِّ والبصريِّ والكوفيِّ، وهذه الثلاثةُ هي التي عليها عددُ آيِ القرآن.

أما العددُ المدنيُّ: فمنسوب إلى قارىء المدينة أبي جعفرٍ يزيدَ بنِ القعقاعِ المخزوميِّ مولاهم، وإلى خَتَنه على ابنته ميمونةَ شيبةَ بنِ نِصاحِ ابنِ سَرْجِسٍ(١) بن يعقوب، مولى أمِّ سلمةَ أمِّ المؤمنين، قاضي المدينة، ومات هو وأبو جعفر في عام واحد سنة ثلاثين ومئة.

وأما العدد البصري: فمنسوب إلى أبي المُجَشِّر عاصم بن أبي الصبَّاح الجَحْدري البصري المتوفَّى سنة ثمان وعشرين ومئة.

وأما العدد الكوفي: فرواه أبو محمد خلف بن هشام البزارُ، عن سليم ابن عيسى(٢)، عن حمزة بن حبيب الزيات أنه قال: هذا العددُ عددُ أبي عبد الرحمن السُّلَمي، ولا أشك فيه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) أفاد العلامة الباجوري رحمه الله في شرحه على الحديث الثالث والعشرين من «الشمائل المحمدية» للترمذي: أنه يجوز فيه الصرف وعدمه.

(٢) ضعيف، استدركتُ ترجمته على «تقريب التهذيب» عقب (٢٥٢٨).

رضي الله عنه، إلا أني أجبُن عنه.

وهذه الطرق الثلاثة في العدد تارةً ينفرد المدنيون بعدد دون البصريين والكوفيين، أو البصريون أو الكوفيون[١] دون الباقين، وتارة يتفق اثنان من الثلاثة دون الثالث، وتارة يتفقون على عددٍ من غير خلاف، كهذه الآية الشريفة، اتفق المدنيون والبصريون والكوفيون(١) على أنها آية واحدة.

ومعنى الآية لغة: العلامة، وتُطلق على الدليل، وقال أبو عُبيدةَ مَعْمَر ابن المثنَّى التَّيْمي مولاهم البصري: والآيةُ من القرآن إنما سُميت آيةً لأنها كلام متصل إلى انقطاع، وانقطاع معناه: انقطاعُ قصةٍ ثم قصة، قاله في كتابه «مجاز القرآن»[٢].

وهذه الآية الشريفة فيها قصةُ منٍّ من الله عز وجل منَّ به على المؤمنين مِن بَعْثِهِ أشرفَ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، ومن أنفسهم، وتلاوةِ كتاب الله عليهم، وتزكيتهم، وتعليمهم الكتابَ والحكمةَ: القرآنَ والسنةَ، وإنقاذِهم من الضلال المبين، فلم تنقطع قصةُ المنِّ والإخبارُ عنه إلا باستيفاء قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

فهذه آية واحدة، وهي من الجوامع، لاشتمالها على أحكام خطيرة، ومعانٍ كثيرة، تؤخذ معرفة علومها من منطوقها ومفهومها.

وسبيل مأخذ ذلك من وجوهٍ، منها الاعتبار، وهو أحد أقسام البلاغة.

واختُلف في اشتقاقه، فقيل: من قولهم: عَبَرتُ النهر، إذا دخلتَ فيه من أحد شَطَّيْه إلى الآخر، فاعتبرتَ عُمقه وما في قراره من سُهولهِ أو

---

(١) كتبها قلم المصنف في الموضعين: الكوفيين!.

(٢) ١ : ٥ بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين.

غيرها بعبورك فيه.

وقيل: اشتقاقه من عَبَرتُ الدراهم، إذا عرفتَ أوزانها، وجيِّدها من رديئها.

وقيل: هو من اعتبرتُ الكتاب، إذا قرأتَه في نفسك متدبِّرًا ما فيه، لتحيط علمًا بمعانيه.

وإذا اعتبرنا وجوه الكلام على هذه الآية الشريفة رأيناها تزيدُ على خمسين وجهًا [(١)]، منها: اعتبارُ الوسائط التي بها إلينا وصلتْ، وعنهم إلينا نُقلتْ، فإذا اعتبرنا ذلك وجدناهم على أقسام ثلاثة: قسم من الملائكة، وقسم من الرسل، وقسم من غيرهم.

فالأول: ما ذُكِر في آياتٍ من القرآن، منها قول الله عز وجل: ﴿لكنِ الله يشهد بما أنزل إليك، أنزله بعلمه، والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدًا﴾ وقال الله عز وجل: ﴿وإنه لتنزيلُ رب العالمين نَزَل به الروحُ الأمين على قلبك لتكون من المنذِرين﴾، وهذا الروحُ الأمين هو جبريلُ روحُ القُدُس عليه الصلاة والسلام.

والقسم الثاني من الوسائط: الرسلُ عليهم الصلاة والسلام، وهم على ما رَوَيناه في حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا: أن الرسل ثلاث مئة وثلاثةَ عشرَ رسولاً [(٢)].

---

(١) انظرها في صفحة ٧٩ ـ ٨٤.

(٢) ثبت هذا من رواية أبي أمامة عند الطبراني في «الكبير» ٨: ١١٨ (٧٥٤٥)، قال الهيثمي في «المجمع» ٨: ٢١٠: «رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي، وهو ثقة»، وعزاه في ١: ١٩٦ إلى «الأوسط» وقال: رجاله رجال الصحيح. وروي أيضًا من حديث أبي ذر، رواه عنه كثيرون، وهو حديث طويل، لم يورده كاملاً إلا ابن حبان ـ فيما وقفت عليه ـ ٢: ٧٦ (٣٦١)، وسيأتي الكلام على روايته.

=

ورواياتُه التي فيها تحديد عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام بـ ٣١٣ رسولاً جاءت عند الطبري في أوائل «تاريخه» ١: ٩٤ ـ ٩٥، وابن حبان، والحاكم ٢: ٥٩٧، وسكت عنه، وتعقبه الذهبي بأن «السعدي ليس بثقة»، والبيهقي في «الشعب» ١: ١٤٨ (١٣١) = ١: ٣٧٩ (١٣١) ، وإسناد ابن جرير أمثلُها إن كان أَخْذه عن شيخه أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قبل اختلاطه، وفيه: الماضي بن محمد، مختلف فيه. وإسناد ابن حبان فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، متروك متهم، وإن وثقه الطبراني في «الصغير» (٤٤٦)، وابن حبان في «ثقاته» ٨: ٧٩، والسعْدي في سند البيهقي أيضًا.

وقد قال ابن عدي ٧: ٢٦٩٩ في ترجمة السعدي: «هذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد ـ هكذا ـ، عن أبي ذر». ورواية ابن جرير المتقدمة هي من رواية القاسم بن محمد عن أبي إدريس، عن أبي ذر، ولذلك جعلها ابن حجر في تعليقة له على «موارد الظمآن» للهيثمي ٥٤ (٩٤) شاهدًا.

وجاء في روايات أخرى بلفظ ٣١٥ رسولاً، وبلفظ: بضعة عشر وثلاث مئة، رواه أحمد ٥: ١٧٨، ١٧٩، والطيالسي ٦٥ (٤٧٨)، ومن طريقه ـ وطريق غيره ـ البزار، كما في «كشف الأستار» ١: ٩٣ (١٦٠). وفي أسانيدهم أبو عمر ـ أو أبو عمرو ـ الدمشقي، قال الدارقطني: متروك، كما في «التهذيب». واقتصار الهيثمي ١: ١٦٠ على إعلاله بالمسعودي غير جيد.

وينظر «مصنف» ابن أبي شيبة (٣٧٠٨٣)، كما ينظر تفسير الآية ١٦٤ من سورة النساء من «تفسير» ابن كثير، لكن للفائدة يستدرك عليه بعد ذكره أن ابن حبان أخرجه في «صحيحه»، وأن ابن الجوزي ذكره في «موضوعاته»: أنه ساق حديث أبي أمامة من «تفسير» ابن أبي حاتم (٦٢٨٣)، مع أنه في «مسند» أحمد ٥: ٢٦٥!.

وقد اقتصر النسائي في «سننه» ٤: ٤٦١ (٧٩٤٤) على قوله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس». وفي إسناده ما في إسناد أحمد والطيالسي والبزار.

وخلاصة ذلك: أن رواية حصر عدد الرسل ثابتة، والرواية الطويلة التي انفرد بها

=

ومن هؤلاء أُولو العزم، وهم على الأشهر: نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأفضلُهم نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وهو المذكور في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

والقسم الثالث من الوسائط: مَن كان مِن غير الملائكة والرسل، وهم على قسمين: صحابةٍ وغيرِهم.

فالأول: المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ فالذين بُعِث فيهم هذا الرسولُ وتلا عليهم القرآنَ وعلَّمهم الكتاب والحكمة هم الذين نَقلوا إلينا ذلك، وهم الصحابة رضي الله عنهم، كما هو ظاهر الآية: أن المؤمنين الذين بُعث فيهم نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام هم أصحابه.

وقيل: هم المؤمنون مطلقًا، وأفضلهم الصدر الأول الذين شاهدوا تنزيل القرآن وتلقَّوه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الزمان.

والثاني: مَنْ بعد الصحابة من السلف والخلف.

وهذه الوسائط على أقسامها الثلاثة يُطلَق عليها الإسناد، ويقال له السند، عند الجمهور، وفرَّق آخرون بينهما فجعلوا الإسنادَ: رفعَ الحديث إلى قائله، من قولهم: أسندَ في الجبل إذا صَعِد فيه وَعَلا على سفحه. والسندَ: الإخبارَ عن طريق المتن.

ويطلَق على المتن: الأثرُ والخبرُ والحديثُ، لكنْ في اصطلاح الفقهاء من الخراسانيين أن ما يُروى عن الصحابة رضي الله عنهم يسمَّى بالأثر،

كاملة ابن حبان لا تصح، وأما الروايات المختصرة التي فيها السؤال عن عدد الأنبياء والرسل، والصلاة والصيام والصدقة: فيمكن تحسينها بمجموعها.

وما رُفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسمى بالخبر، كما حكاه عنهم شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي رحمة الله عليه[١].

وجاء عن آخرين إطلاقُ الخبر على غير المرفوع، وتخصيصُ الحديث بالمرفوع[٢].

أما الأثر: فهو مِن أَثَرتُ الحديث ـ بالفتح ـ آثُره ـ بالضم ـ إثْرًا ـ بالسكون ـ فهو مأثور: إذا رويتَه، والاسم الأثر.

وأما الخبر: فهو مِن أَخبَر بالشيء يُخبر به، إخبارًا، إذا أعلم به، فهو

---

(١) في «الإرشاد» ص ٧٦، و«التقريب» ١ : ١٨٤ بشرحه، وأصل الكلام للإمام ابن الصلاح في «مقدمته» آخر النوع السابع: معرفة الموقوف، فالعزو إليه أولى. ويتعين التأمل في عبارة المصنف هنا حيث حكى ذلك عن فقهاء خراسان عامة، مع عبارة ابن الصلاح هناك.

ووجه تسمية المرفوع خبرًا ـ والله أعلم ـ: أنه من باب الوحي، فالنبي صلى الله عليه وسلم بحكايته لنا يخبرنا عن الله عز وجل.

ووجه تسمية الموقوف ـ والمقطوع ـ أثرًا: أن الأثر ـ الذي هو أَثَر الأقدام على الأرض ـ يُقْتَفَى ويتَّبع، للوصول إلى مكان صاحبه، فكذلك آثار الصحابة والتابعين تُقْتَدى وتتَّبع للوصول إلى مقاماتهم، وهو الاهتداء بهديهم، ولهذا أطلقوا كلمة (الأثر) على المرفوع أيضًا، كما قاله النووي في «التقريب».

وأما إطلاقهم (الحديث) فلملاحظة أنه في مقابلة كلامِ الله عز وجل القديم، كما سيأتي بعد أسطر، وانظر «التدريب» ١ : ٤٢.

ويحسن التنبيه هنا إلى ما نبَّه إليه العلامة الكافِيَجي رحمه الله في أول رسالته «المختصر في علم الأثر» ص١١٠ قال: «الحديث في اللغة هو الخبر، يقال على القليل والكثير، والمراد منه هاهنا: هو اللفظ، سواء كان مركبًا أو غيره. فعُلم من هذا فساد قول من قال: المراد منه هاهنا: كلام يحتمل الصدق والكذب».

(٢) حكاه الحافظ في «شرح النخبة» ص٢٧ ـ بحاشية «لَقْط الدُّرر» ـ وصدَّره بـ «قيل».

مُخبِر، والاسم الخبر.

ومعنى الحديث في اللغة: ضد القديم، ويطلق على الخبرِ قليلِه وكثيرِه لأنه يحدُث شيئًا فشيئًا، فسمِّي حديثًا، ثم صار الحديث عَلَمًا على السنَّة التي هي أقوالُ النبي صلى الله عليه وسلم وأفعالُه وتقريرُه[١]، لأنها حَدَثَت منه شيئًا فشيئًا، إلى أنْ أكملها الله تعالى حسبما ورد به النصُّ.

ويطلق على السنة المتنُ أيضًا، ولا يوصَل إليه إلا بالسند كما تقدم، ويتعلق بالسند نيِّفٌ وأربعون نوعًا من أنواع علوم الحديث، كالمسنَد، والمرسل، والمتصل، والمنقطِع، والمعضَل، والمقلوب، والمسلسل، والمزيد، والمتفِق والمفترِق، والمؤتلِف والمختلِف، والمتشابه. ومن ذلك: المتواتر، ومنه المستفيض، ومنه المشهور، وصحيح الإسناد، وحَسَنه، وضعيفه، إلى غير ذلك.

فمما نُقل بالإسناد الصحيحِ المتواترِ بالإجماع المتيقَّنِ بالعلم القطعي من غير انقطاع: كلامُ الله القرآنُ الذي تلقَّاه النبي صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه الصلاة والسلام، عن ربِّ العالمين جل وعلا.

ومنه هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾ وهي القرآن، تلقَّاه منه المؤمنون حين تلاه عليهم، وهم الصحابة خير القرون، وأخذه عنهم التابعون، ثم مَن بعدهم، وهلُم جرًّا، حتى انتهى علم ذلك إلينا، وآضَتْ[٢] بركاته لدينا،

---

(١) ظاهر كلام المصنف رحمه الله التسوية بين الحديث والسنة، في حين أن الحديث أعمُّ من السنة، فالسنة قاصرة على هذه الثلاثة: الأقوال والأفعال والتقريرات النبوية، أما الحديث: فهو هذه الثلاثة ويزاد عليها: أوصافه صلى الله عليه وسلم، وحركاته وسكناته في اليقظة والمنام، كما قال السخاوي في «فتح المغيث» ١ : ٨.

(٢) بمعنى: عادتْ ورجعتْ.

وفاضتْ أنواره علينا. ولله الحمد.

والقسم الثاني من الوسائط: وهو الصحابة رضي الله عنهم، وكلهم عدول.

واختلف في تعريف الصحابي على أقوالٍ أجمعُها أن الصحابي مَن لقي النبيَّ صلى الله عليه وسلم في حياته، بعد المبعث، من المسلمين، ممن يَعقِل(١)، ثم مات مسلمًا.

وهم على طبقات، منهم: سابقون، وغيرهم، ومن السابقين: مهاجرون، وغيرهم، ومن المهاجرين: مَن له روايةٌ، ومنهم من له رؤيةٌ بلا رواية. وأصحاب الرواية: منهم المكثِرون، ومنهم المقلّون.

وأعلا المكثرين: أصحابُ الألوف من الأحاديث، كأبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

وأدنى المقلِّين: من له حديث واحد، بل مَن له روايةُ لفظةٍ واحدةٍ، كطارق بن شهاب بن عبدشمس البَجَلي الأَحْمَسي(٢)، أو عقلَ أمرًا مّا من

---

(١) بالقوَّة أو بالفعل؟ وقوله الآتي «له رؤية بلا رواية»: يدل على أنه يريد هنا: بالقوَّة وبالفعل أي: ولو كان حين اللقاء صغيرًا جدًّا لا يعقل. ثم عَقَل ولو بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فإنه يعدُّ صحابيًّا، كمحمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، فإنه ولد في الطريق إلى حجة الوداع، وكان له أشهر حين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه معدود في الصحابة، نعم هو معدود في الصحابة من حيثُ حصولُه على شرف الصحبة، لكن من حيث الرواية: فهو وأمثاله ينطبق عليهم قول الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه «الإصابة»: أحاديثهم مرسلة عند المحققين، أي: كمراسيل التابعين، يقبلها من يقبل مراسيل التابعين ويردها من يردها.

(٢) طارق بن شهاب ثبت أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو رجل ليس صغيرًا، لكن الخلاف في سماعه، وقد روى له النسائي خمسة أحاديث، وأبو داود حديثًا واحدًا فيمن تجب عليه صلاة الجمعة ـ لا في غسل الجمعة، كما قال ابن حجر
=

النبي صلى الله عليه وسلم مرةً واحدة كمحمود بن الربيع بن سُراقة الأنصاري[١].

ومن أنواع تطبيقهم[٢]: أن منهم خلفاء وغير خلفاء، وأمراء وغير أمراء، ونقباء وغير نقباء، وخطباء وغير خطباء، وشعراء وغير شعراء، وشهداء وغير شهداء.

ومن أنواع تطبيقهم: أولهم إسلامًا مطلقًا، وآخرهم إسلامًا مطلقًا، وأول المهاجرين إسلامًا، وأول الأنصار إسلامًا.

ومن أنواع تطبيقهم: مراتب السابقين، وهي تسع مراتب:

الأولى: كأبي بكر، وخديجة، ومن كان في حَجْر النبوة رضي الله عنهم.

في «الإصابة» ـ ولفظه (١٠٦٠): «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض». قال في ترجمته في «الإصابة» ٣: ٢٨١: «إذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح».

قلت: وهذا مستغرب من الحافظ رحمه الله! إذ لا فرق في هذه الجزئية بين طارق ابن شهاب هذا، وبين من كان دون سن التمييز يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابي الذي قَبِل مراسيله جماهير العلماء هو الصحابي الذي سمع وحضر أشياء من النبي صلى الله عليه وسلم، وغاب عن أشياء فرواها، كرواية أنس ـ مثلاً ـ لمعجزة انشقاق القمر، وقد قال الحافظ نفسه في «الفتح» ٧: ٤ أثناء كلام له: «..من قبيل مراسيل الصحابة الذين سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم». والله أعلم.

(١) وحديثه عند البخاري مواضع، أولها: كتاب العلم ـ باب متى يصح سماع الصغير ١: ١٧٢ (٧٧) ولفظه: «عقَلَت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجَّها في وجهي ـ وأنا ابن خمس سنين ـ من دلو».

(٢) أي: تصنيفهم وترتيبهم على طبقات.

الثانية: كعثمانَ بن عفانَ، وسعد بن أبي وقاص، وبلال رضي الله عنهم.

الثالثة: أصحاب دار الأرقم بن أبي الأرقم التي عند الصفا، وكانوا تسعة وثلاثين صحابيًّا من السابقين، وكَمُلوا بإسلام عمر بن الخطاب أربعين، وللإمام أبي القاسم سعيد بن يعقوب بن شاه الكُشَاني مصنَّف في ذِكر هؤلاء الأربعين وتراجمهم وما يتعلق بذلك سماه «السراج».

الرابعة: مهاجِرة الحبشة.

الخامسة: أصحاب العقبتين من الأنصار.

السادسة: من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بقُباءَ في الهجرة قبل أن ينتقل إلى المدينة.

السابعة: من صلَّى القبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم.

الثامنة: أهل بدر.

التاسعة: أهل بيعة الرضوان. وبهم انقطع السابقون، وقد شُهد لهم بأنهم من أهل الجنة لا يدخلون النار.

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد ابن الذهبي الدمشقي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الشيخ عمر ابن الشيخ القدوة أبي بكر بن قَوَام البالِسي، وأبو الحسن عليٌّ، وأم محمد زينب وكَذا الفخرِ عثمان بن محمد بن الشمس لولو الحلبي، وأم عبد الله زينب ابنة الإمام أبي محمد عبد الله ابن الإمام أبي أحمدَ عبد الحليم ابن تيميَّةَ الحرَّانيةُ، بقراءتي على الأول بجامع كَفْر بَطنا من الغوطة، وعلى الثاني بزاوية جدِّه من سفح قاسيون، وعلى الأخوين بجامع بيت لِهْيا، وعلى ابنةِ تيميةَ بمنزلها داخل دمشق قالوا:

أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الدَيْرَمُقْرِني - قال عليٌّ وابنة

تيمية: حضورًا، وقال الباقون: ونحن نسمع، زاد أبو هريرة فقال: وأخبرنا عيسى بن عبد الرحمن السِّمْسار الصالحي قراءةً عليه وأنا حاضر في الثالثة، وأجاز لي ما يرويه، وأبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسيان إجازةً قالوا ـ سوى ابن عبد الدائم ـ: أخبرنا أبو المنجَّى عبد الله بن عمر العَتَّابي، وقال الحاكم أيضًا وابن عبد الدائم: أخبرنا الحسين بن المبارك الزَّبيدي قراءة عليه، قال القاضي[1]: وأنا حاضر، وابن عبد الدائم: وأنا أسمع، قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى السِّجْزي، أخبرنا محمد بن أبي مسعود الفارسي، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الهَرَوي، أخبرنا عبد الله بن محمد البَغَوي، حدثنا العلاء بن موسى البغدادي، أخبرنا الليث بن سعد المصري، عن أبي الزبير المكي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخُلُ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة النارَ». هذا حديث حسن صحيح، قاله الترمذي بعد أن خرَّجه في «جامعه»، كما خرَّجه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد[2].

وقال مسلم في «صحيحه»[3]: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث.

---

(١) هو الحاكم نفسه سليمان بن حمزة، والحاكم والقاضي بمعنى واحد، وكان قاضي القضاة، كما وصفه وترجمه تلميذه الذهبي في «معجم الشيوخ» ١: ٢٦٨ (٢٩٦) وأشاد به. ومما ذُكر في ترجمته: أنه كان إذا ترافع إليه الخصوم في أمرٍ ما، لا يقضي بينهم حتى يقول لهم: صلُّوا على النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا صلَّوْا حكم بينهم، وذكر هذا عنه أيضًا السخاوي في آخر «القول البديع» من طبعتي التامة المزيدة على سائر طبعات هذا الكتاب ص؟؟، والحمد لله.

(٢) أبو داود (٤٦٢١)، والترمذي ٥: ٦٥٢ (٣٨٦٠) ـ وقال: حسن صحيح ـ، والنسائي في «الكبرى» ٦: ٤٦٤ (١١٥٠٨).

(٣) ٤: ١٩٤٢ (١٦٢).

وحدثنا محمد بن رُمْح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، أن عبدًا لحاطبٍ جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبًا فقال: يا رسول الله لَيدخلَنَّ حاطبٌ النارَ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبتَ[١]، لا يدخلُها، فإنه شهد بدرًا والحديبية».

ولم يخرِّج البخاري حديثَ الليث هذا ـ والله أعلم ـ لعلَّة هي من باب المزيد في الأسانيد[٢]، لكنها لا تقدح، وهي رواية جابر رضي الله عنه للحديث، عن أم مبشِّرٍ الأنصارية الصحابية، بنتِ البراءِ بن معرورٍ زوجِ زيد بن حارثة رضي الله عنهم.

أنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المقدسي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفخرِ عليٍّ بن أحمد، وزينبُ ابنةُ الكمال أحمد، وحبيبة ابنة الزَّين عبد الرحمن المقدسيون قراءةً عليهم وأنا أسمع قالوا: أخبرنا محمد بن نصر بن أبي الفرج بن الحُضَري إجازةً ـ زادت زينب فقالت: ومحمد بن عبد الكريم بن السِّدي كتابة ـ، قالا أخبرنا أبو الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل قراءةً عليه ونحن نسمع ـ قال ابن الحُضَري: وأنا حاضر ـ، أخبرنا أبو هاشم عيسى بن أحمد بن محمد الدُّوشَابي[٣]

---

(١) كذبت هنا بمعنى أخطأت. وانظر «شرح النووي» ١٦: ٥٧. ويبدو لي من دقة العرب في كلامهم: أنه لا بدّ من فرق عندهم في استعمال هاتين الكلمتين، وهو أنهم لا يخطِّئون الرجل بكلمة (كَذَب) إلا في حال تعنيفهم له على شدة خطئه، أما في حال مجرد التخطئة فلا. والله أعلم.

(٢) هذا نوع من أنواع علوم الحديث، وتعريفه ـ كما في «لَقْط الدرر» ص ٩٢ ـ: «أن يزيد الراوي في إسناد حديث رجلاً أو أكثر، وهماً منه وغلطًا». ويبقى السند متصلاً بعد حذف الزيادة الموهومة. وهذا نوع من أنواع العلة في السند، وقد تقدح فيه، وقد لا تقدح ـ كما هنا ـ وسيأتي بأوفى منه في المجلس ٩ ص ٢٠٩.

(٣) نسبة إلى الدوشاب، وهو الدِّبْس في العربية كما في «اللباب» لابن الأثير.

سماعًا، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن البُسْري، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان، أخبرنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس، حدثنا أحمد بن عبيدالله النَّرْسي، حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول:

أخبرتْني أمُّ مبشِّر رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخلُ النارَ إن شاء الله أحدٌ من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» قالت حفصة: بلى يا رسول الله! فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإنْ منكم إلا واردُها كان على ربك حتمًا مَقْضِيًّا﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتقوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا﴾». خرَّجه مسلم في الفضائل عن هارون بن عبد الله، والنسائي في التفسير عن هارون والحسن ابن محمد، كلاهما عن حجاج بن محمد، به.

وقال أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأَصْبَهاني في كتاب «المعرفة»[(١)] حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد ابن الصبَّاح، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن يدخلَ النارَ أحدٌ شهد بدرًا والحديبية».

وقال محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى»[(٢)]: أخبرنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني، حدثني إبراهيم بن عَقيل بن مَعْقِل، عن أبيه، عن وهب بن منبِّه قال: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كم كانوا يوم

---

(١) ١: ١٢٥ (٢٦)، وتحرف فيه الأعمش إلى: الأعشى.

(٢) ٢: ١٠٠.

الحديبية؟ قال: كنا أربعَ عَشْرَةَ مئةً، فبايعته[١] تحت الشجرة ـ وهي سَمُرَةٌ ـ وعمر رضي الله عنه آخذٌ بيده غيرَ جَدِّ بن قيس اختبأ تحت إبط بعيره.

وسألته: كيف بايعوه؟ قال: بايعْناه على أن لا نفرَّ، ولم نبايعْه على الموت.

وسألته: هل بايع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة؟ قال: لا، ولكنْ صلى بها ولم يبايعْ عند الشجرة إلا الشجرةَ التي بالحديبية، ودعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم على بئر الحديبية[٢]، وأنهم نحروا سبعين بدنةً، بين كل سبعةٍ منهم: بَدَنَة[٣].

قال جابر: وأخبرتْني أمُّ مبشِّر رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم عند حفصة رضي الله عنها يقول: «لا يدخلُ النارَ إن شاء الله أصحابُ الشجرة الذين بايعوا تحتها» قالت حفصة: بلى يا رسول الله! فانتهرها فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًّا﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا﴾».

ورواه سُنَيد في «تفسيره» فقال: وحدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كنا في يوم الحديبية أربعَ عشْرةَ مئة فبايعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وعمرُ بنُ الخطاب آخذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرَة ـ فبايعناه غيرَ الجدِّ بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره. قيل لجابر: هل بايع النبيُّ بذي الحُلَيفة؟ قال: لا، ولكنه صلى بها ولم يبايع تحت

---

(١) في المطبوع: فبايعناه.

(٢) أي: عند بئر الحديبية.

(٣) أي: لكل سبعة منهم بدنة، وليس معنى هذا أنهم كانوا أربع مئة وتسعين، لاحتمال أنهم كانوا ينحرون غير البدن، ينظر «فتح الباري» ٧: آخر ٤٤٠ (٤١٥٠).

الشجرة إلا الشجرة التي عند الحديبية. قال أبو الزبير: قلت لجابر: كيف بايعوا؟ قال: بايعناه على أن لا نَفِرَّ، ولم نبايعه على الموت.

أهلُ هذه البيعة يقال لهم أصحاب الشجرة، وأصحاب السَّمُرة، وأهل الحديبية، وأهل بيعة الرضوان، وشهود هذه البيعة آخر مراتب السابقين، كما تقدم، وأعلاها مرتبةً مَن كان إسلامه أولَ الصحابة كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، على قول الجمهور(١)، وعليه قول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

إذا تَذَكَّرتَ شَجْوًا من أخي ثقـةٍ ... فاذكُر أخاك أبا بكرٍ بما فعـلا(٢).

---

(١) أولية مطلقة، ونَسَب هذا القول إلى الجمهور أيضًا ابن كثير في «البداية» ٣: ٢٧، وابن حجر في «الفتح» ٧: ١٧٠، وقال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص٤٠: هو قول خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم، بل ادعى بعضهم الإجماع عليه. أما العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٢٦٦ فحكى القول بأولية علي رضي الله عنه عن أكثر الصحابة! والله أعلم. وانظر «طبقات» ابن سعد ٣: ٢١، ١٧١، و «فضائل الصحابة» للإمام أحمد ١: ٢٢٣، ٢: ٥٨٩، و «الرياض النضرة» للمحب الطبري ١: ٨٥، ٣: ١٠٩، وآخر مناقب علي رضي الله عنه في «سنن» الترمذي ٥: ٦٠٠ (٣٧٣٤، ٣٧٣٥) وشروحه.

وقيل: هو أولهم إسلامًا من الرجال، وأولهنَّ من النساء خديجة، وأولهم من الأطفال علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، روى هذا الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، كما في «فتح المغيث» ٤: ١٢٦، وحكاه عنه ابن كثير في «تاريخه» ٣: ٢٨، ٣١ دون تخريج وعزو، وحكاه الترمذي في «سننه» (٣٧٣٤) عن بعضهم غير مسمّى، وفي «أوائل» السيوطي ٨١ (٥٧٠) حكايته عن ابن عباس نقلاً عن «تاريخ» ابن عساكر، وهذا الجمع يوفق بين الأقوال ويرفع الخلاف.

ويرى العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٢٦٩ أن أولهم إسلاماً هو ورقة بن نوفل.

(٢) قال الأستاذ البرقوقي في شرح ديوان حسان بن ثابت: «الشَّجْو: الهم والحزن. يقول: إذا تذكرت ما يحزنك من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعله معك

=

خـيرَ البريـة أتقاهـا وأعـدلَها بعد الـنبي وأوفاها بمـا حَمَـلا
والثانيَ التاليَ المحمودَ مـشهدُه وأولَ الناس منهم صدَّق الرسلا[١]

فإنه ينسيك بِفِعاله ما كان من غيره، يقول: إن أبا بكر لم يفرُط منه ما يشجي ويحزن، أما غيره فكان منه كل ما يشجي ويهيج الأحزان».

(١) الأبيات مشهورة مذكورة في كثير من المصادر، وهما في «ديوانه» أول قافية اللام ص٣٥٢ من شرح الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي عليه مع زيادة بيتين آخرين عليها. نقلاً عن «جمهرة أشعار العرب»، وهما فيه ١: ١٥٠ بإسناده إلى بكر بن سليمان البصري المتوفَّى سنة ١٩٠ تقريبًا، ينسبه إلى ابن مسعود المتوفى سنة ٣٢، ففيه إعضال كبير!.

ورواه الحاكم في «المستدرك» ٣: ٦٤ من طريق الحارث بن أبي أسامة، عن الخليل بن زكريا، وهو متروك. ورواه الطبري في «تاريخه» ١: ٥٣٩ عن سهل بن موسى الرازي، عن عبد الرحمن بن مغراء، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، وهذا إسناد متماسك الظاهر، على ما في مجالد مِن كلامٍ مِن قِبَل حفظه، لكن الحديث معروف من رواية الهيثم بن عدي ـ بدل ابن مغراء ـ رواه كذلك عبد الله ابن الإمام أحمد في «زوائده على كتاب الزهد» لأبيه ص١٣٩، وفي «زوائده على كتاب فضائل الصحابة» لأبيه أيضًا ١: ١٤٢ (١١٩)، والطبراني في «الكبير» ٢: ٨٩ (١٢٥٦٢)، والهيثم طائي يكنى أبا عبد الرحمن، وهو متروك كذلك.

ولكونه معروفًا من رواية الهيثم قال أبو حاتم الرازي في «علله» ٢: ٣٨٢: «أرى أبا زهير ـ هو ابن مغراء ـ أخذه عن الهيثم بن عدي». ولذلك أعقب الإمام الطبري الطريق السابقة بروايته من وجهين عن الهيثم بن عدي، كالمُعِلِّ له. ورواه عبد الله في «زوائده على كتاب فضائل الصحابة» ١: ١٣٣ (١٠٣) عن محمد بن حميد الرازي، عن ابن مغراء، وابن حميد متروك، وكذبه بعضهم، وهو في أحد أسانيد الطبري. ورواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٨٦) عن شيخ له غير مسمًّى، عن مجالد ـ ومن طريقه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٢: ٢٤٤ ـ، وعزاه ابن كثير ٣: ٢٧ إليه وإلى يعقوب بن سفيان ٢: ٢٦٣، وفي إسناده رجل مبهم أيضًا. فالله أعلم بثبوت الأبيات عن حسان.

وبهذا استشهد ابن عباس رضي الله عنهما على أن أبا بكر رضي الله عنه أول من أسلم مطلقًا [(١)].

وأما أول الأنصار أسلم مطلقًا: فهو إياسُ بنُ معاذ الأَوْسِيُّ الأَشْهَلي، قدم مكةَ وهو غلام قبل الهجرة في نفر من قومه يطلبون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج، فسمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فعرضَ عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآنَ فقال إياس لقومه: هذا والله خير مما جئتم له، فرجع ومات قبل الهجرة؛ وذكر قومه أنه مات مسلمًا رضي الله عنه، قاله بنحوه أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَهْ في كتابه في «المعرفة» بعد أن ذكره في الصحابة[(٢)] وقصتُه بطولها رُوِّيناها من طريق ابن إسحاق في «المغازي»[(٣)].

وقد ذكرته مع ذكرِ ستةٍ سابقين من الأنصار، وأصحابِ العقبتين في أبياتٍ وهي:

ألا أولُ الأنـصار أسـلم مطلقًـا ... إيـاسُ معـاذٍ سـتةٌ بعـدُ تـابعوا

بمكةَ هـم عـوفٌ وأسـعدُ جـابرٌ ... وقُطْبَـةُ منـهم عقبَـةٌ ثم رافـعُ

ومـات إيـاسٌ ثم وافَـوْا بـسبعة ... سوى جابرٍ عهدَ النساء فبـايعوا

---

(١) حينما سأله الشعبي عن ذلك، كما تجده في المصادر الحديثية السابقة.

(٢) انظر «أسد الغابة» ١: ١٨٦، و«المعرفة» لأبي نعيم ١: ٢٩٣ (١٦٢).

(٣) «سيرة» ابن هشام ٢: ٦٧، ومن طريقه الطبراني في «الكبير» ١: ٢٧٦، والحاكم في «المستدرك» ٣: ١٨٠ وقال: «صحيح على شرط مسلم» فتعقَّبه الذهبي بأنه «مرسل»، لكن قال الحافظ في «الإصابة» ١: ٩٣ آخر ترجمة إياس: «هو من صحيح حديثه» أي: من صحيح حديث ابن إسحاق.

عبــادةُ عبــاسٌ عُـوَيْمٌ يزيـدُ مـعْ مُعَوِّذَ، ذكوانُ، ابنُ تَيْهانَ سابعُ
وبعدُ أتَوْا بضعًا وسبعين بـايعوا على الهجرة الغراء والسعدُ طالعُ
فحـازوا رسـولَ الله حيًّـا ودفنَـه بطيبةَ فضلاً عمَّ والفضلُ واسـعُ

آخر المجلس ولله الحمدُ
وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلَّم

* * * * *

الحمد لله :

إياس بن معاذ الأوسي الأشهلي.

عوف ابن عَفْراءَ، وهي أمه، وأبوه الحارث بن رفاعة النجَّاري.

أسعد بن زُرارة النجَّاري أبو أمامة، نقيب النقباء.

جابر بن عبد الله بن رِئاب الخَزْرَجي السَّلَمي.

قطبة بن عامر بن حَدِيدة الخَزْرَجي السَّلَمي.

عقبة بن عامر بن نابي الخزرجي السَّلَمي.

رافع بن مالك بن العَجْلان الخزرجي الزُّرَقي، أحد النقباء.

عبادة بن الصامت الخزرجي القَوْقَلي(١)، أحد النقباء.

عباس بن عُبادة بن نَضْلَة الخزرجي العَجْلاني.

عَوَيْم بن ساعدة، من بني عمرو بن عوف.

---

(١) قال في «القاموس»: «القوقل: اسم أبي بطنٍ من الأنصار، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب قال له: قَوْقِلْ في هذا الجبل، وقد أمنتَ، أي ارْتَقِ». أما ابن دريد ففسَّره في «الاشتقاق» ص ٤٥٦ بـ: «التغلغل في الشيء والدخول فيه». واسم هذا الرجل: غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج كما قال ابن الأثير في «اللباب» ٣: ٦٤ من زياداته على السمعاني، وفيه: غانم بن عوف، وهو خطأ مطبعي.

ولغَنْم إخوة ثلاثة: عوف، وسالم، وعَنْز، وقد جعل ابن حزم في «جمهرته» ص٣٥٣ عَنْزًا هو القوقل، وعبارة ابن سعد في «الطبقات» ٣: ٥٤٦: «ومن القواقلة، وهم بنو غنم وبنو سالم ابني عوف..» فجمع بين بني الأَخَوين، ولا منافاة ولا إشكال، فلفظ ابن الأثير نفسه في «أسد الغابة» ٣: ١٦٠ ترجمة عبادة تدل على أن اللقب لغنم أصالة، ثم عُمِّم على بني عوف بن الخزرج جميعهم، فالقوقل: هو غنم، والقواقل: هم بنوه وبنو إخوته.

يزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن، حليف الأنصار.

معوِّذ ابن عفراء، أخو عوف.

ذكوان بن عبد قيس بن خالد الخزرجي الزُّرَقي، وهو أنصاري مهاجري.

مالك بن التَّيِّهان أبو الهيثم الأوسي، أحدُ النقباء في قولٍ. رضي الله عنهم.

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٣ -

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]. [آل عمران - آية ١٦٤].

الحمد لله رب العالمين.

الكلام على هؤلاء الآيات الشريفات من واحد وخمسين وجهًا من المعاني المنوَّعات:

الأول: فيما يتعلَّق بمعرفة الله تعالى، من قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾ وأن معرفةَ الله أولُ الواجبات، لا النظرُ المؤدِّي إليها، خلافًا للأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإِسْفَرايِيني، ولا أولُ جزء من النظر المؤدي إلى معرفة الله، ولا قصدُ النظر المذكور، خلافًا لمن شرَط ذلك في أول الواجبات[٢].

الوجه الثاني: في الصفاتِ الإلهية المتعلِّقة باسم الله عز وجل، وذكرِ

---

(١) البسملة والآية الكريمة أضفتهما ليتناسب هذا المجلس مع المجالس الأخرى في الافتتاحية.

(٢) هذه أربعة أقوال، أولها: معرفة الله عز وجل، وهو قول الإمام أبي الحسن الأشعري، وثانيها: قول أبي إسحاق الإسفراييني، وثالثها: للقاضي الباقلاني، ومعناه مذكور في أول كتابه «الإنصاف»، ورابعها: لإمام الحرمين، وهو مذكور أول كتابه «الإرشاد» ص٢٥، وهناك أقوال أخرى، انظرها وانظر توضيح قول الباقلاني وإمام الحرمين في «شرح العلامة البيجوري على جوهرة التوحيد» ص٣٧.

بعض الأسماء الحسنى، ومنها: المنان[١]، خلافًا لمن أنكر وروده.

الوجه الثالث: ذكرُ الخلافِ في الاسم: هل هو المسمَّى أو غيرُه، أو لا هو المسمَّى ولا غيرُ المسمى؟ وبيانُ مذهب أهل السنة في ذلك.

الوجه الرابع: إثباتُ الرسالة والنبوَّة، والردُّ على منكري النبوات، وما يتفرَّع من ذلك.

الوجه الخامس: في معنى النبي لغةً واصطلاحًا، وهل هو أعمُّ من الرسول أم لا؟ وذكرِ مرتبتَي النبوةِ والرسالةِ، وأيُّهما أفضل.

الوجه السادس: إثباتُ وجودِ الملائكة ـ ومنهم روحُ القُدُس جبريلُ ـ عليهم السلام.

الوجه السابع: بيانُ المؤمنين المشارِ إليهم في الآية، هل هم المؤمنون مطلقًا أو العرب؟.

الوجه الثامن: في معنى إطلاق ذكر المؤمنين هنا ولم يقيَّد، كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الآية، وهل يُحمل ذاك المطلقُ على هذا المقيَّد أم لا؟.

الوجه التاسع: في معنى الإيمان لغة واصطلاحًا، وهل هو مخلوق أم لا؟.

الوجه العاشر: بمَ يستحقُّ الإنسان اسم الإيمان؟.

---

(١) تخصيص المصنف رحمه الله تعالى لهذا الاسم الكريم بالذكر، للخلاف الذي أشار إليه، وفي المكتبة الظاهرية بدمشق رسالة للمصنف ـ بخطه ـ في الكلام على حديثين: أحدهما في «مجابي الدعوة» لابن أبي الدنيا، والآخر حديث أنس في دعاء الرجل: الحنان المنان. وسيأتي الكلام على حديث أبي هريرة وأنس إن شاء الله في المجلس ١١ ص ٢٦١، ٢٦٢.

الوجه الحادي عشر: بيانُ أول المؤمنين مطلقًا من هذه الأمة، ومقيَّدًا، كأولِ من أسلم من المهاجرين، وأولِ من أسلم من الأنصار.

الوجه الثاني عشر: بيانُ أقسام المؤمنين المشارِ إليها بقوله تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ الآية.

الوجه الثالث عشر: تلاوةُ القرآن ومعناها لغة واصطلاحًا، وبيانُ بعض أحكامها.

الوجه الرابع عشر: بيانُ أن الكتاب هو القرآن، وهل تسميتُه بالكتاب باعتبار كتابته في اللوح المحفوظ، أو باعتبار ما آل إليه الأمر من جمعِ أبي بكر رضي الله عنه القرآنَ وكتابته إياه بين الدَّفَّتين؟.

الوجه الخامس عشر: ذكرُ بعضِ علوم القرآن من التفسير والتأويل، وذكرُ معناهما لغةً واصطلاحًا، والفرقُ بينهما.

الوجه السادس عشر: الإشارة إلى ذكرِ الخطأ في تأويل آياتِ الصفات وأحاديثِها الثابتات، هل يُكْفَر المخطيءُ في ذلك أم لا؟.

الوجه السابع عشر: الكلامُ على أسباب نزول القرآن، وذكرُ سبب نزول هذه الآية.

الوجه الثامن عشر: بيانُ أن القرآن نَزَل مرتين، وما السرُّ في ذلك، وذكرُ أولِ شيء نزل من القرآن، وآخرِ شيء نزل منه.

الوجه التاسع عشر: ذكرُ إعجاز القرآن وبعضُ وجوهه.

الوجه العشرون: الكلامُ على أحد قسمَيِ المتشابه في القرآن.

الوجه الحادي والعشرون: ذكرُ ما في الآية من وجوه القراءات المختلَف فيها، وذكرُ الحجةِ لها من العربية.

الوجه الثاني والعشرون: الإشارةُ إلى بعض الأمثال المضروبة في القرآن.

الوجه الثالث والعشرون: الإشارةُ إلى الناسخ والمنسوخ.

الوجه الرابع والعشرون: بيانُ (الحكمة) المشار إليها في هذه الآية، وأنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرُ بعض وجوه السُّنَن، ومعاني الحكمة، وبيان الحكمة الفلسفية، وكيف انتقلتْ فوضِعت بين المسلمين.

الوجه الخامس والعشرون: استحبابُ مدارسة القرآن.

الوجه السادس والعشرون: بيانُ ما في الآية من الوعد والوعيد، والمدح والذم.

الوجه السابع والعشرون: الكلام على المنِّ، وبيانُ وجوهه التي منَّ الله بها في هذه الآية، ومعاني المنّ.

الوجه الثامن والعشرون: في النِّعمِ وما يتعلَّق بها، وأنها أعيانٌ وأوصاف ومعانِي.

الوجه التاسع والعشرون: بيانُ أمهاتِ النِّعم، وأنها ترجع إلى نعمةٍ واحدةٍ، تتفرَّع منها جميع النعم.

الوجه الثلاثون: في وجوب الشكر للمنعِم سبحانه، وهل الشكرُ واجبٌ شرعًا أو عقلاً، وبيان مذهب أهل السنة في ذلك.

الوجه الحادي والثلاثون: ذكرُ أركانِ الشكر ووجوهِه.

الوجه الثاني والثلاثون: ذكر معنى الشكر، وهل هو بمعنى الحمد أو بينهما فرق؟ وإذا كان بينهما فرق، أيهما أعم من الآخر؟.

الوجه الثالث والثلاثون: الكلامُ على العِلْم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وأن العلم على قسمين: علم الله القديم، والثاني: العلم المحدَث، وبيان هذا القسم الثاني، وأنه ضروري وكسبي.

الوجه الرابع والثلاثون: في تعريف العلم، والإشارة إلى علم الدين.

الوجه الخامس والثلاثون: في الحثِّ على طلب العلم.

الوجه السادس والثلاثون: استحباب التعليم بغير أجرة، وذكر الخلاف في ذلك.

الوجه السابع والثلاثون: في الكلام على البِعثة وما يتعلَّق بها.

الوجه الثامن والثلاثون: في ذكرِ بعضِ شرفِ هذه الأمة، كالتزكية ونحوها.

الوجه التاسع والثلاثون: في وجه الجمع بين آية الدعاء التي في سورة البقرة، وبين هذه الآية في تقديم قوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾ على قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وتأخير ﴿ويزكيهم﴾ في آية الدعاء.

الوجه الأربعون: في الكلام على مناسبة الآية وانتظامها بما قبلها وما بعدها.

الوجه الحادي والأربعون: الكلام على الآيات من جهة العربية.

الوجه الثاني والأربعون: في الكلام على الآيات من جهة اللغة.

الوجه الثالث والأربعون: الكلام على قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾ ومعنى النفْس والروح، وهل هما واحدٌ أو اثنان، ومعنى النفْس[1].

الوجه الرابع والأربعون: في الكلام على نَسَبِ النبي صلى الله عليه وسلم المشارِ إليه على أحد التفسيرين في قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾.

الوجه الخامس والأربعون: بيان ما في هذه الآيات منطوقًا ومفهومًا من المبهمات.

الوجه السادس والأربعون: في التنبيه على بعض ما في الآيات من الأحكام الشرعية سوى ما تقدَّم.

الوجه السابع والأربعون: في فائدة تكرار ذكر القرآن مرتين في هذه

---

(١) هكذا كرَّرها.

الآية قوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

الوجه الثامن والأربعون: في الإشارةِ إلى ما في الآيات من الأشباه والنظائر.

الوجه التاسع والأربعون: في الإشارة إلى ما في الآيات من ضُروب البلاغة.

الوجه الخمسون: ذكرُ ما في الآيات من المعاني والبيان وأنواع البديع.

الوجه الحادي والخمسون: الإشارة إلى جلْب المصالح ودَرْءِ المفاسد، وذكر بعض أحوال أهل الجاهلية.

وهذا الوجه أوسع الوجوه مجالاً، وأعمُّها أحكامًا، وأكثرها مقالاً، كما يأتي بيانه عند الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

* * *

ولْنرجع إلى ما بدأنا من الوجوه بذكره، مع شرحه مختصراً وبيان أمره، وكذلك الكلام على باقي الوجوه، والله الموفقُ لما نؤملُه والمعينُ على ما نرجوه.

الوجه الأول فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى: وقبل السلوك في هذا المَهْيَع، وورود صافي هذا المَشْرِع، نذكر مقدمة تؤخِّر التمثيل والتشبيه بتحقيق التنزيه، وتُزيح التعطيل بالنفي وتكشف التمويه، وتُعين على الفهم لما نذكره ونُبديه:

فليعلم الإنسانُ المعرَّضُ للخطأ والنسيان: أنه عبدٌ مملوك، فقيرٌ صعلوك، ذليلٌ مسكين، ابنُ الماء والطين، مخلوقٌ من ماء مَهين، لا يملك لنفسه ضَرًّا ولا نفعًا، ولا لخير جرًّا، ولا لأذى بعوضةٍ فما فوقها

دفعًا، ولِيتحققَ قَدْر نفسه الضعيفة روحًا وجسمًا، تجدُ عقله معقولاً عن الإحاطة بنفسه علمًا، فضلاً عن معرفة روحِه، وسرِّ الحكمة في تركيب بدنه وتشريحه. وإذا كان الأمر على ما أشرتُ إليه، من عجزِ الإنسان عن معرفة نفسه وما جُبِلت عليه، فكيف يصلُ بعقله المعقول عن السلوك إلى معرفة الله العظيمِ ملكِ الملوك، إلا على وَفْق ما وُقِّف عليه من الكتاب الذي لا ريب فيه، والسنة الثابتة بالنقل إليه؟!.

فليقفْ كلُّ إنسان عند حدود القرآن وما ثبت من السنة، ولْيحذر من نَزَغات شياطين الإنس والجِنَّة، بما نَمَّقوه من جدل الكلام، ولفَّقوه بعبارات لا تُجدي نفعًا على الأنام، وقد حذَّر من ذلك أئمةُ الأمة، وأعلامُ الأئمة، ومنهم الأئمة الأربعة، ذَمُّوا الكلام ومن اشتغل به ومن استمعه، وقبلهم علماءُ لا يحصرون، وبعدهم خلْق آخرون[1].

---

(١) المراد من علم الكلام المذموم على لسان الأئمة الأربعة وغيرهم ذاك العلمُ القائم على جَدَليات تُدحَض بجدليات أخرى ممن هو أقوى بيانًا وألحنُ حجة، كما ستأتي كلمة الإمام مالك ص٨٩.

وذاك العلمُ القائم على منهج الفلاسفة الذين سلكوا طريق الاستدلال بالجواهر والأعراض ولم يسلكوا طريق الاستدلال بالقرآن العظيم وبراهينه القاطعة، لأنهم لا يثبتون النبوات أصلاً، فلا ارتباط لهم بالوحي، كما سيأتي آخر كلام الخطابي ص ٩٤.

أما علم الكلام القائمُ على كشف براهين الكتاب والسنة وتفسيرها وتقريرها وتقريبها للأفهام بأساليب واضحة: فهذا هو العلم الواجب اتباعه في نشر عقيدة الإسلام.

ومثال ذلك: الجواب الذي قاله سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون ـ كما حكاه الله عز وجل في سورة الشعراء ـ: ﴿قال فرعون وما ربُّ العالمين، قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾.

=

ففي هذا الجواب إقامة أعظم برهان على وجود الله عز وجل، لكنه يحتاج ـ بالنسبة إلينا ـ إلى تقرير وتقريب. وقد يُحتاج أثناء التقرير إلى ردّ شُبُهات تَعرِض للسامع فلا بدَّ للمتكلم من إزالتها والجواب عنها، والخوضُ في ذكر هذه الشبهات والجوابُ عنها لا يسمى خوضًا في جدليات الكلام، فيذمَّ وتتنزَّلَ عليه نصوص هؤلاء الأئمة!! لا، إنما هو تقرير للعقائد الإسلامية بلسان العصر وعقلية الزمن، وهذا أمر لا يجوز إغفاله وإهماله.

وتقرير جواب موسى عليه الصلاة والسلام أن يقال: إن وجود السموات والأرض وما بينهما أمر مسلَّم عندكم، موقنون به، لا يعتريه أدنى شك ولا ريب في صدوركم، ذلك لأن الإيقان بالشيء لا يكون إلا ممن رآه وسمعه، كما حكى تعالى عن لسان المجرمين يوم القيامة: ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون﴾ فوصفوا أنفسهم بالإيقان بعد قولهم: أبصرنا وسمعنا.

وكذلك يقول موسى لفرعون: إن وجود هذه العوالم أمر مسلَّم به عندكم، فخالقُها ينبغي أن يكون وجوده أمرًا مسلمًا به عندكم، فإن كنتم موقنين بوجود هذه العوالم، فوجود ربِّها وخالقها سبحانه وتعالى أمر يقيني أيضًا.

لأن من أيقن بوجود كتاب بيده ـ مثلاً ـ، فيقينُه بوجود مؤلفه، وطابعه، وصانع ورقه، وصانع حروفِه الطباعية، وحبرِ الطباعة، والمجلِّد له: أمرٌ مسلَّم به تابع ليقينه الأول، ألا وهو وجود الكتاب بيده، إذ لا كتاب بلا مؤلف، ولا طباعة بلا طابع، وهكذا.

فلهذه المقدمات والنتائج اليقينية المسلَّم بها، قال موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون: رب العالمين هو رب السموات والأرض وما بينهما، ألستَ موقنًا بها؟ فإن كان جوابك: نعم، فأيقنْ بخالقها، وإن كان جوابك: لا، لستُ موقنًا بوجود السموات والأرض، فأنت مكابر لا تستحق الخطابَ وردَّ الجواب.

وأعود لما كنت فيه: وهو أن مثل هذا البرهان القاطع موجود في كتاب الله عز وجل، لكن يحتاج إلى تقرير وتقريب ـ كما قلت ـ وردِّ شبهه إن كانت.

«وما من برهان وتقسيم وتحديد ينبيء عن كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا والقرآن قد نطق به، لكن أورده الله تعالى على عادة العرب دون دقائق الحكماء

=

والمتكلمين..» نقله الكافِيَجي في «التيسير» ص٢١٧ عن الراغب الأصفهاني.

وإنما أنكر سلفنا ذلك الإنكار الشديد لأن صنيع أصحاب تلك الفرق جاء مخالفًا لطريقتهم في أخذ علومهم من الكتاب والسنة، ولأن القائمين بذاك الصنيع الشنيع كانوا من أهل الزيغ والمتأثرين بالفلسفة اليونانية في ثقافاتهم.

ويدل على أنهم لم ينكروا مطلق علم الكلام، إنما أنكروا منه مسلكًا من مسالكه: أن بعضَ مَن ذمَّه قد ألَّف فيه، كالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، فإن له أكثر من مؤلَّف، أشهرها «الفقه الأكبر».

وفي ترجمة الأعرج الراوية المقرىء النَّحْوي المشهور ـ أحد رجالات سلاسل أصح الأسانيد وهي: أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، واسم الأعرج عبد الرحمن بن هرمز ـ جاء في ترجمته عند القِفْطي ٢ : ١٧٢ : «ويروى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضي الله عنه اختلف إلى عبد الرحمن بن هرمز عدة سنين في علم لم يبثّه في الناس، فمنهم من قال: تردد إليه لطلب النحو واللغة قبل إظهارهما، وقيل كان ذلك من علم أصول الدين، وما يردُّ به مقالة أهل الزيغ والضلالة. والله أعلم».

أما السيوطي في «بغية الوعاة» ٢ : ٩١ فقال: «روي أن مالكًا اختلف إليه في علم لم يبثه للناس، يرون أن ذلك من علم أصول الدين وما يرد به مقالة أهل الزيغ والضلالة».

على أن من الثابت عن مالك أنه كتب رسالة إلى تلميذه الإمام عبد الله بن وهب في الرد على القدرية، هي من خيار الكتب في هذا الباب الدالة على سعة علمه بهذا الشأن. كما قاله عياض في «ترتيب المدارك» ١ : ٢٠٤.

بل إن حال الأئمة جميعهم: الأربعة وغيرِهم إتقانُ إقامة البراهين على ما يرونه، ولا يعقل أن إمامًا لا يتقن إقامة البراهين على صحة معتقده، حتى لو كان مذهبه عدمَ الخوض في علم الكلام: لكان من الواجب عليه أن يتدرَّع ببراهين على صحة هذا المذهب!.

ويُعتذر عن علماء الإسلام الكلاميين في تعقيدهم لعلم الكلام بأنهم عايشوا قرونًا طغت فيها الفلسفة والفرق الضالة التي استخدمت الفلسفة وأدخلتها على =

نذكر مقال الأئمة الأربعة أولي المذاهب المتبوعة، حسبما وصل إلينا بالأسانيد المسموعة.

أما الشافعي رضي الله عنه: فقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة: سمعت الربيعَ يقولُ: قال الشافعيُّ رحمه الله: لأَنْ يُبتلَى المرء بكل ما نهى الله عنه ما خلا الشركَ خيرٌ له من أن يُبتلى بالكلام(١).

وقال أبو ثور: سمعت الشافعيَّ يقول: مَن ارتدى بالكلام لم يُفْلِح(٢).

عقائدها، فاضطُرَّ علماؤنا إلى مسايرة أولئك والخوض في مثل ما خاضوا فيه، ليردوا عليهم بلسانهم ومصطلحاتهم.

وحال علمائنا أولئك هي نظير حالنا نحن في سنواتنا الأخيرة، فإن من كتب من علمائنا المعاصرين جزاهم الله خيراً في تقرير وجود الخالق سبحانه وتعالى، والرد على الشيوعيين الماديين، إنما كتب بعد دراسة عقائدهم ومصطلحاتهم، ثم ردَّ عليهم وخاطبهم بلسانهم وما تواضعوا عليه، ولو كتب بغير هذه (اللغة) لما أفلح وأنجح.

ولهذا لُوحظ في القرون المتأخرة ضعف الأسلوب الفلسفي الجدلي (العقيم) في كتب علماء الكلام. وأقول: ينبغي أن يزول تمامًا، وتُصاغَ كتب العقيدة بلسان العصر الذي نعيشه، من خلال الكتاب والسنة، وعلى أهل العصر اللاحق لعصرنا أن يصوغوا كتب العقيدة بما يتناسب وعصرَهم، وهكذا سائر العصور، وهكذا سائر العلوم. ونسأل الله تعالى الإنصاف والتوفيق.

(١) رواه أبو القاسم التيمي في كتابه «الحجة في بيان المحجة» ١ : ١٠٤ من طريق ابن خزيمة، واللالكائي ١ : ١٤٦ من طريق أبي نعيم الجرجاني، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى، عن الشافعي، ثم رواه التيمي ١ : ١٠٦ من طريق محمد بن يعقوب بن يوسف، عن الربيع، عن الشافعي، ثم رواه ١ : ٢٠٧ من طريق ابن أبي حاتم - ص ١٨٧ من «مناقبه» - عن يونس، عن الشافعي. والطريق الأولى ذكرها السيوطي أيضًا في «صون المنطق والكلام» ص ٦٦ ضمن الفصل الذي لخصه من «ذم الكلام» لأبي إسماعيل الهروي.

(٢) «الحجة» للتيمي ١ : ٢٠٨، واللالكائي ١ : ١٤٦، و«صون المنطق» =

وقال المُزَنيُّ: سمعتُ الشافعي يقول: الكلامُ يلعن أهلَ الكلام[1].

وقال أبو ثور، والحسن بن محمد بن الصبَّاح ـ واللفظ له ـ: سمعت الشافعي يقول: حُكْمي في أهل الكلام أن يُضْرَبوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، ويُطافَ بهم في العشائر والقبائل. هذا جزاءُ من تَرَكَ الكتاب والسنة وأخذ في الكلام[2].

وأما مالك بن أنس رضي الله عنه: فقال عبد الرحمن بن مهديّ: دخلتُ على مالك بن أنس وعنده رجل سأله عن القرآن والقَدَر فقال: لعلك من أصحاب عَمرو بن عُبيد؟! لعن الله عمراً، فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلَّم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم، كما تكلَّموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدلُّ على باطل[3].

وقال إسحاق بن عيسى: سمعت مالكَ بن أنس يَعِيبُ الجدال في الدين ويقول: كلَّما جاءنا رجلٌ أجدلُ من رجل أرادنا أن نردَّ ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم! [4].

وأما أبوحنيفة رضي الله عنه: فقال صاحبه محمد بن الحسن: قال أبو حنيفة: لعن الله عَمرو بن عُبيد، فإنه فتح للناس الطريقَ إلى الكلام فيما لا

ص ٦٥، وذكر هذه الجملة في ص ٦٤ معزوة إلى رواية أبي داود وأبي ثور عنه. ولم أعرف من هو أبو داود.

(١) «صون المنطق» ص٦٥.

(٢) «الحجة» للتيمي ١: ٢٠٨، و«صون المنطق» ص٣١، ٦٥ وزاد هنا أنه من رواية الكرابيسي عنه أيضًا.

(٣) «صون المنطق» ص٣٢ ـ ٣٣ وعزاه إلى كتاب الهروي أيضًا.

(٤) «أصول الاعتقاد» للالكائي ١: ١٤٤، و«صون المنطق» ص٤٣، وانظر «أثر الحديث الشريف» ص١١٧

يَعْنيهم من الكلام[١].

قال محمد بن الحسن: كان أبو حنيفة يحثُّنا على الفقه وينهانا عن الكلام.

وأما أحمد بن حنبل رضي الله عنه: فقال أبو علي حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم، وإياكم والخوضَ والمراءَ فإنه لا يُفلح من أحبَّ الكلام.

قال: وسمعت أبا عبد الله ـ وذكر أهل البدع ـ فقال: لا أحبُّ لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنسَ بهم، فكلٌّ من أحب الكلام لم يكن آخرُ أمرِه إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يَدْعوه إلى خير، فلا أحبُّ الكلامَ ولا الخوضَ فيه ولا الجدالَ، عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به، ودَعُوا الجدالَ وكلامَ أهل الزَّيْغ والمِراء، أدركْنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهلَ الكلام.

هؤلاء الأئمةُ وَعلماءُ الإسلام، ومقتدَى الأمة، حذَّروا من الكلام وأهله، لما فيه من البلاء في اقتباسه ونقله.

وقلت في معناه:

علــمُ الكــلام بــلاؤه متعــدِّد ... منــه الأئمــة حــذَّروا يــا متَّقِــي

وبلاؤه من منطقٍ، صَدَقَ الـذي ... قال: البلاءُ موكَّل بالمنطق[٢]

---

(١) «صون المنطق» ص٦٠، وهذا القول والذي يليه نصٌّ واحد عنده، وتأمل كلمته تجدْ أنه لا ينهى عن علم الكلام مطلقًا.

(٢) ويروى: البلاء موكَّل بالقول، و: البلاء موكَّل بالكلام، والمعنى واحد، وكلها تدل على أن المراد بالمنطق: النُّطق، لا علم المنطق، ولكن المصنف استخدم المشاكلة اللفظية. وهذا القول طرف من حديث يروى مرفوعًا من حديث حذيفة =

ولما ذكر الإمام الجليل الزاهد أبو سليمان حَمْدُ بنُ محمد بن إبراهيم ابن الخطاب الخطابي البُسْتي الشافعي في كتابه «الغنية عن الكلام»[(١)] ظهورَ ما ظهر من مقالات أهل الكلام وخوضَ الخائضين فيها قال: ثم إني تدبَّرت هذا الشأن فوجدتُ عُظْم السبب فيه أن الشيطان صار اليوم بلطيف

وعلي، عند القضاعي في «مسند الشهاب» ١: ١٦١، ١٦٢ (٢٢٧، ٢٢٨). ومن حديث أنس عند البيهقي في «الشُّعَب» ٤: ٢٤٤ (٤٩٤٨) = ٩: ٢٢١ (٤٥٩٧). وأعقبه بروايته من حديث أبي الدرداء، وهو كذلك عند الديلمي ٢: ٣٥ (٢٢٢١). ورواه عن ابن مسعود الديلميُّ (٢٢٢٠)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ١: ١٦١، وغيرهما. ورواه ابن لال عن ابن عباس، وابن أبي الدنيا في «الصمت» ١٥٨ (٢٨٦) عن الحسن البصري مرسلاً.

ورواه موقوفًا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه: البيهقي في «الدلائل» ٢: ٤٢٤، قال الزرقاني في «شرح المواهب» ١: ٣٠٩: «وأخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقي بإسناد حسن عن ابن عباس..». وفي قصته وَقَفات، منها: أن أبا بكر قال لعلي رضي الله عنهما: «أجلْ أبا حسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق» وعليٌّ كان حينها عَزَبًا. وفي آخرها: أنه صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم ﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا﴾ وهذا في سورة الأحزاب والفتح، وكلتاهما من السُّوَر المدنية، والموقف كان أيام العرض على القبائل.

وعلى كل: فالحديث ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ٣: ٨، وتُعقب، قال السخاوي في «المقاصد» (٣٠٥): «لا يحسن بمجموع ما ذكرناه الحكم عليه بذلك». ثم رأيته في «الآثار» للإمام محمد آخر خبر فيه: «أخبرنا أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم ـ النخعي ـ قال: البلاء موكَّل بالكَلِم».

(١) نقل أبو القاسم التيمي رحمه الله هذا الكلام الآتي وزيادة عليه قبله وبعده، في كتابه «الحجة» ١: ٣٧١ ـ ٣٧٥، ولم يسمِّ اسم الكتاب، كما فعل المصنف، وتمام اسمه ـ كما في «طبقات» السبكي ٣: ٢٨٣ ـ «الغنية عن الكلام وأهله».

حيلته يُسوِّل لكل من أحسَّ من نفسه بزيادة فهم وفَضْل ذكاء وذهن، ويُوهِمه: أنه إنْ رضي من علمه ومذهبه بظاهرٍ من السنة، واقتصر على واضح بيانٍ منها، كان أسوةَ العامة، وعُدَّ واحدًا من عدد الجمهور والكافة، وأنه قد ضلَّ فهمه واضمحلَّ لطفه وذهنه، فحرّكهم بذلك على التنطُّع في النظر، والتبدُّع لمخالفة السنة والأثر، لِيَبِينُوا بذلك عن طبقة الدَّهْماء، ويتميَّزوا في الرتبة عمن يرونه دونهم في الفهم والذكاء، فاختدعهم[(١)] بهذه المقدِّمة، حتى استزلَّهم عن واضح المحجة، وأَوْرَطَهم في شبهاتٍ تعلَّقوا بزخارفها، وتاهوا عن حقائقها، ولم يخلُصوا منها إلى شفاء نفس، ولا قَبِلوها بيقينِ علمٍ به[(٢)].

ولمَّا رأوا كتاب الله تعالى يَنْطِق بخلاف ما انتحلوه، وشهد عليهم بباطل ما اعتقدوه ضربوا بعض آياته ببعض: وتأوَّلوها على ما سنح لهم في عقولهم، واستوى عندهم على ما وضعوه من أصولهم، ونَصَبُوا العَداوة لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُنته المأثورة عنه، وردُّوها على وجوهها وأساؤا في نَقَلَتها القالة[(٣)]، ووجَّهوا عليهم الظنون، ورَمَوْهم بالتزيُّد، ونسبوهم إلى ضعف المُنَّة[(٤)] وسوء المعرفة بمعاني ما يروونه من الحديث والجهل بتأويله، ولو سلكوا سبيل القصد، ووقفوا عند ما انتهى بهم التوقيف، لوجدوا بَرْد اليقين ورَوْح القلوب، ولكثرت البركة وتضاعف النَّمَاء، وانشرحت الصدور، ولأضاءتْ فيها مصابيح النور، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) بخط المصنف: فاخترعهم، وأثبتُّه هكذا من «الحجة» لأولوية معناه.

(٢) «به» ليست في «الحجة»، وهو أولى.

(٣) القالة: هي القول إذا كان في الشر، مثل القال.

(٤) المُنَّة: القوة، والمراد هنا: قوة العقل والفهم والحجة، ونحو ذلك.

واعلم ـ أدام الله توفيقك ـ أن الأئمة الماضين، والسلف المتقدمين، لم يتركوا هذا النمطَ من الكلام وهذا النوع من النظر عجزًا عنه، ولا انقطاعًا دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة وأفهام ثاقبة، وقد كان وَقَع في زمانهم هذه الشُّبَه[1] والآراء، وهذه النِّحَلُ والأهواء، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لِمَا تخوَّفوه من محنتها وفتنتها، وحَذِروه من سوء مَغبَّتها، وقد كانوا على بيِّنة من أمرهم، وعلى بصيرة من دينهم، لِمَا هداهم الله له من توفيقه، وشَرَح به صدورهم من نور معرفته، ورأوا أن فيما عندهم من علمِ الكتاب وحكمته، وتوقيفِ السنة وبيانها: غنىً ومندوحةً عما سواهما، وأن الحجة قد وقعتْ بهما، والعلةَ قد أُزيحت بمكانهما، فلما تأخر الزمان بأهله، وفترتْ عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة، وقلَّت عنايتهم بها، واعترضهم الملحِدون بشُبَهِهم، والمُتَحَذْلِقون بجدلهم، حَسِبوا أنهم إن لم يَرُدُّوهم عن أنفسهم بهذا النمَط من الكلام، ولم يدافعوهم بهذا النوع من الجدل لم يَقْوَوْا بهم، ولم يظهروا في الحِجَاج عليهم، فكان ذلك ضِلَّة من الرأي، وغَبْنًا فيه وخَدعة من الشيطان، والله المستعان.

فإن قال هؤلاء القوم: فإنكم إنْ أنكرتم الكلام ومنعتُم استعمال أدلة العقول، فما الذي تَعتَمِدون في صحة أصول دينكم، ومن أيٍّ طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها، وقد علمتم أن الكتاب لم يُعلَم حقُّه، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يَثْبُت صدقُه إلا بأدلّة العقول، وأنتم قد نَفَيتموها؟!.

قلنا: إنا لا ننكر أدلَّةَ العقول، والتوصُّلَ بها إلى المعارف، ولكنا لا نذهب في استعمالها إلى الطريقة التي سلكتموها في الاستدلال بالأعراض

---

(١) سبق قلمه رحمه الله فكتب: الشبهة.

وتعلُّقها بالجواهر، وانقلابها فيها على حَدَث العالم وإثبات الصانع، ونرغبُ عنها إلى ما هو أوضحُ بيانًا وأصحُّ برهانًا، وإنما هو شيء أخذتموه عن الفلاسفة وتابعتموهم عليه، وإنما سلكتِ الفلاسفةُ هذه الطريقة لأنهم لا يثبتون النبواتْ، ولا يَرَوْن لها حقيقة، فكان أقوى شيء عندهم في الدلالة على إثبات هذه الأمور ما تعلَّقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء، فأما مثبِتو النبواتِ فقد أغناهم الله عز وجل عن ذلك، وكفاهم كُلْفة المُؤْنة في ركوب هذه الطريقة المنعوجة التي لا يُؤْمَن العَنَتُ على راكبها، والإبداع[1] والانقطاع على سالكها.

ثم ذكر أبو سليمان الخطابي بيانَ معرفة الصانع وإثباتَ توحيده من الطريق الذي ذهب إليه السلفُ من أئمة المسلمين. كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

فأولُ الواجبات معرفةُ ربِّ الأرض والسموات، وهو الله، [لا النظر المؤدي إليها، خلافًا للأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، ولا أول جزء من النظر[2]] المؤدِّي إلى معرفة الله تعالى، ولا قصد النظر المذكور، خلافًا لمن شرط ذلك في أول الواجبات، بل معرفةُ الله عز وجل أولُ الواجبات، قال الله عز وجل: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾.

ـ قيل: هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة ـ.

وهذا الوجه مأخوذ من قول الله عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ لم يذكر الله عز وجل هنا من أسمائه الحسنى غيرَ الاسم الأعظم

---

(١) من قولك: أبدعت الراحلة: إذا كلَّت وعطِبت. وقوله بعده «والانقطاع»: عطف تفسير.

(٢) زيادة أثبتُّها من أول المجلس ص ٧٩، ليفهم الكلام الآتي، وانظر التعليق عليها هناك.

الذي هو (الله) لأن عامة الناس في العالم معترِفون بأن لهم خالقًا وهو الله، لكثرة استجابة دعائهم إياه من دون الأنام، ومفاجأة الفرج عنهم إذا استغاثوا به عند الحوادث العظام، فهم معترفون له بالإلهية والقدرة لكن يشركون معه غيره، فسبحان الله عما يشركون، وتعالى عما يصفون. قال الله عز وجل: ﴿ولئن سألتَهم من خلقهم ليقولُنَّ الله﴾.

فذكر سبحانه في هذه الآية الشريفة أشهر أسمائه وهو (الله) المعروف عند المؤمن والكافر، والبر والفاجر، لما ذكَّرهم نعمته على المؤمنين ببعثة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ليعرفَ المؤمن والكافر والخاصُّ والعامُّ أن خالقهم المعترِفون له بالإلهية وهو (الله) هو الذي منَّ ببعثة هذا الرسول، ليكون أبلغَ في تذكيرهم بهذه النعمة، وأجلبَ لإيمانهم ودخولهم في هذه الأمة.

وأيضًا معرفة بعثة الرسل تتوقَّف على معرفة من أرسلهم، فيستدعي ذلك معرفةَ الصانعِ خالقِ الخلق وباعثِ الرسل، وهو الله عز وجل الموجودُ الحقُّ والإلهُ الصدق الواحدُ الأحد الفرد ﴿الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى.

وصفاته سبحانه على نوعين كما ذكره الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[١].

---

(١) صفحة ١٣٧. وهذا النقل وما بعده إلى آخر أبيات المصنف الرائية الآتية سيكرره المصنف بالحرف تقريبًا، وذلك في ورقة ١٥٧/ب، لذلك حذفته، لكن في أوله كلامٌ بعضُه جديد مفيد، وهذا نصه بعد ما كتب المصنف الآية الكريمة:

«من وجوه الكلام على هؤلاء الآيات العظام، فيما يتعلق بفن واحد من فنون البلاغة، وهو أحد قسمي الإشارة، المسمى عند أهل النقد والبلاغة: بالوحي =

أحدهما: صفات ذاتِه سبحانه، كالحي والقدير، والسميع والبصير.

والنوع الآخر: صفات فعلِه سبحانه، كالخالق والرازق، والمحيي والمميت[١].

فمن صفات ذاته سبحانه: العلم والإرادة، والحياة والكلام، والقدرة، والسمع والبصر، وإلى جميعها تشير هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾. ففي قوله تعالى ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ لا خلاف بين المفسرين أنه القرآن، ولا خلاف أن معلِّمه للمؤمنين عن الله عز وجل هو الذي منّ الله على المؤمنين ببَعْثه رسولاً وهو محمدُ بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم أبو القاسم المذكورُ في قوله سبحانه: ﴿محمدٌ رسول الله والذين

والإشارة، ومعناه أن يجيء كلام قليل المباني يشير إلى كثير من المعاني، ينبه عليها ويشير إليها، ويقال له عند أهل العبارات: اللطائف والإشارات.

فمن لطائف الآية وإشاراتها إلى عظيم أحكامها: ذكرُ اسم الله الأعظم فيها وهو (الله) أكبر الأسماء وأجمعها للمعاني، ومعناه ـ فيما قاله الحاكم أبو عبد الله الحَلِيمي في «المنهاج» ١: ١٩١، وتفسير المعنى الآتي منه أيضًا ـ أنه سبحانه القديمُ التامُّ القدرة.

ومعنى القديم: الموجود الذي ليس لوجوده ابتداء، ومعنى التام القدرة: أنه سبحانه أوجد المعدوم وصرَّف ما أوجده على ما يريد.

فهو الله الموصوف بقوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾، وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فأثبت سبحانه أن له الأسماء الحسنى، وفي إثبات أسمائه إثبات صفاته».

(١) تعريف صفات الذات: أنها ما اتصف به سبحانه وتعالى دون ضدها، أزلاً وأبدًا، كالحياة والقدرة..، فهو متصف بهما أزلاً وأبدًا، ولا يصح أن يوصف بضدهما. وتعريف صفات الأفعال: أنها ما يجوز اتصافه جل وعلا به وبضده، كالإحياء، وضده الإماتة، والرِّزق وضده الإفقار.

معه أشِداء على الكفار﴾ والكتابُ الذي علَّمهم أنزله الله تعالى عليه. قال الله عز وجل: ﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكونَ من المنذِرين﴾.

وفي نزول القرآن الإشارة إلى صفة العلم. قال الله عز وجل: ﴿لكنِ الله يشهدُ بما أنزله إليك أنزله بعلمه، والملائكةُ يشهدون، وكفى بالله شهيدًا﴾.

ويؤخذ من الآية أيضًا وصف الله عز وجل بالإرادة والمشيئة، لأنه سبحانه لو لم يُرِدْ: ما بَعَثَ هذا الرسول، ولا منَّ.

ويؤخذ منها أيضًا وصف الله عز وجل بالحياة لقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾ ذكر هذا الاسم الشريف دون غيره لعموم صفات الإلهية التي مِن بعضها الحياة، كما صرَّح بها وصفًا في قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ﴾.

ويؤخذ منها أيضًا وصف الله عز وجل بالكلام لأن قوله تعالى ﴿يتلو عليهم آياته ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب﴾ وهذا بالاتفاق هو القرآن وهو كلام الله المصرَّح به في قوله تعالى: ﴿وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأَجِرْهُ حتى يسمع كلام الله﴾.

ويؤخذ من الآية أيضًا وصف الله عز وجل بالقدرة التي بها بعث هذا الرسول، وأجْرَى على يديه ما أجرى من تلاوة الآيات، وهدايةِ المؤمنين وتزكيتهم، وجلبِ المنافع لهم، ودفع المضارِّ عنهم.

ويؤخذ من الآية وصف الله بالسمع والبصر لقول الله عز وجل: ﴿ويعلِّمهم الكتاب﴾ ومما علَّمهم من هذا الكتاب قولُ الله عز وجل فيه وصفًا له سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

ويؤخذ من الآية أيضًا وصف الله بالبقاء لأنه من معاني الاسم الشريف

المذكور في قوله تعالى: ﴿لقد منَّ الله﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿كلٌّ من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

وهذه الصفات السبعُ الأُوَلُ المشارُ إليها اتفق أهل النظر عليها أنها من صفات الله الذاتية، وأثبت الجمهور مع ذلك صفة البقاء، وقد نظم الثمانَ أبو القاسم الشاطبيُّ رحمة الله عليه في قصيدته في المرسوم[١].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الشرف محمد بن عبد الله بن المحتسِب إجازةً إن لم يكن سماعًا، أنبأنا أبو محمد الحسن بن عبد الكريم الغُمَاري قال: أنشدنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبيُّ سماعًا، أنشدنا ولي الله أبو القاسم بن فِيرُّه بن أبي القاسم الرُّعَينيُّ الشاطبيُّ رحمه الله قال:

حيٌّ، عليمٌ، قديرٌ، والكلام لـهُ ... باقٍ، سميعٌ، بصيرٌ، ما أراد جَرَى[٢]

وأنشدنا العلامة الحافظ أبو حفص عمر بن أبي الحسن الأنصاري[٣]

---

(١) أبو القاسم الشاطبي هو الإمام المقرىء العَلَم الفرد في فنونه ومواهبه (٥٣٨ ـ ٥٩٠). وقصيدته هي «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد»، وهي في ٢٩٨ بيتًا من قافية الراء المفتوحة، وهي في علم رسم القرآن العظيم، وعبَّر المصنف بـ «المرسوم» لقول ناظمها في البيت السادس منها:

وبعد، فالمستعان الله في سبب ... يهدي إلى سَنَن المرسوم مختصرا

(٢) هذا البيت هو البيت الثالث منها، ولفظه هناك:

حيٌّ عليم قدير والكلام لـهُ ... فردٌ سميع بصير ما أراد جرى

وأنا أنقل عن طبعة العلامة الحجة الشيخ علي محمد الضباع رحمه الله للقصيدة التي طبعها مع تسعة متون أخرى في القراءات سنة ١٣٥٤ هـ بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، بل كذلك جاء في شرحَيْها للجَعبري وعلي القاري (فرد) لا (باقٍ)، فالله أعلم.

(٣) هو الإمام ابن الملقن، من شيوخ المصنف بمصر بالإجازة.

لنفسه كتابةً من مصر:

حيــاةٌ، وعلــم، قــدرةٌ، وإرادةٌ　　　كلامٌ، وإبصارٌ، وسمعٌ، مع البقا

ولو أشار شيخنا إلى أن هذه صفات لله عز وجل كان أبينَ وأمتنَ. وقد نظمت ذلك مع الإشارة إلى غيره من صفات الذات، كما ذكرها الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» فقلت:

صفاتٌ لـذاتِ الله: علـمٌ، إرادةٌ　　　حياةٌ، كلامٌ، قدرةٌ، السمعُ، والبصرْ

قـد اتفـق النُّظَّـارُ في عـدِّ هـذه　　　وجمهورُهم زاد البقاء وما انحصر

فما قد أتى في الذِّكْر أو صحَّ سنةً　　　بوصفٍ لذاتِ الله أو فعلٍ اشتهر

فنثبتُـــــه لله علمًـــــا بأنّـــــه　　　تعالى عن التشبيه والمِثْل والغِيَر

هذا من الأحكام الأصولية المستنبطة من هذه الآية الشريفة، وهي من الآيات المحكَمات المشارِ إليها ـ والله أعلم ـ بقوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب﴾.

لأن هذه الآية مبيِّنةٌ غايةَ البيان بمنِّ الله على المؤمنين وبعثته خيرَ المرسلين، وتعليم الكتاب والسنة على يديه، وإنقاذهم به من الضلال الذي كانوا عليه، فهي من هذا الوجه محكَمة.

وهي أيضًا من أحد أقسام المتشابه في القرآن، وهو التشابه في اللفظ، كأول آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

وهذه الآية الشريفة أنزل الله ما يشابهها في سورتَي البقرة والجمعة. قال الله عز وجل إخبارًا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

وقال تعالى في سورة الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

فهذه الآية متشابهة من هذا الوجه، محكمة على الوجه الأول.

وفي قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ وقعَ التعليم كما أخبر العزيز الحكيم، فنقل إلينا الكتاب ـ وهو القرآن ـ نقلاً متواترًا بالوسائط الثقات الأعيان، وقد تقدمت الإشارة إلى قسمي الوسائط[1]، وأن كل قسم يرجع إلى قسمين، ومنهم التابعون للصحابة رضي الله عنهم، والتابعون على قسمين: مخضرَمون وغير مخضرَمين، وكلٌّ منهما على قسمين، فغير المخضرَمين حفاظ وغير حفاظ، وكل منهما على قسمين: ثقات وغير ثقات.

ولا يخلو مَن بعد الصحابة من الرواة من هذين القسمين، وكل منهما ـ الثقات وغير الثقات ـ على مراتبَ تُفهَم من نوع واحد من أنواع الحديث وهو التعديل والتجريح.

فأعلى مراتب التعديل: تكرار لفظ قولهم «ثقة» كما رُوِّينا عن سفيان ابن عيينة رحمه الله قال: حدثنا عمرو بن دينار، وكان ثقة ثقة ثقة ثقة، كرَّر ذلك سفيانُ أربعَ مرات[2].

وأدنى مراتب الثقات قولهم: فلان شيخ[3] ونحوه.

وأسوأ مراتب التجريح قولهم: فلان كذاب، ونحو ذلك، كدجال،

---

(١) المجلس الثاني ص ٦١ فما بعدها.

(٢) انظر التعليق على صفحة ٢٨٣.

(٣) كلمة «شيخ» تعني أن المذكور راوٍ من الرواة. وليس فيها مدح ولا قدح. انظر ما كتبته في دراسات «الكاشف» للذهبي رحمه الله ١ : ٤٥ ـ ٤٦.

وشِبْهه، وأقل مراتب ذلك ـ وهو أسهلها ـ فلان فيه خُلْفٌ[١]، أو سيء الحفظ، أو في حفظه شيء، ونحو ذلك[٢].

وفي الرواة من يكون حجةً في حديثِ أناسٍ ليِّنًا في حديث غيرهم، كالحافظ هُشَيم بن بَشِير، فهو ليّن في روايته عن الزهري[٣]، حجةٌ مقبول في روايته عن غيره بلا عنعنة، فإذا رَوَى بالعنعنة ـ أو نحوها ـ ولم يُبيِّن سماعًا أوجب وَهْنًا ما[٤]، لكنْ ما وقع في الصحيحين عن هُشَيم وأمثاله من ثقات المدلِّسين بالعنعنة أو بلفظ مُوهِم: فهو محمولٌ على ثبوت سماعهم لذلك من وجه آخر[٥].

---

(١) يحسِّن عدد من الأئمة حديث من تكافأ فيه الجرح والتعديل، وعلى هذا فلا يبقى ضعيف الحديث، ويختلف التكافؤ من راوٍ إلى آخر، ومن ناظرٍ إلى آخر.

(٢) اتفق المتأخرون على أن مراتب التعديل ستة، ومراتب التجريح ستة. انظر بيانها في كتاب الإمام اللكنوي رحمه الله تعالى «الرفع والتكميل» ص ١٥٥ فما بعدها.

(٣) وقصة ذلك ـ كما في «تاريخ بغداد» ١٤ : ٨٧ ـ: «أن هشيمًا كتب عن الزهري نحواً من ثلاث مئة حديث، فكانت في صحيفة، وإنما سمع منه بمكة، فكان يظن أن الصحيفة في المحمِل، فجاءت الريح فرمت بالصحيفة، فنزلوا فلم يجدوها، وحفظ هشيم منها تسعة أحاديث». وقال الحافظ ابن حجر ـ كما في «النكت الوفية» ٤١/آ، ونقله عنه في «التدريب» ١ : ١٢٩ ـ: «ضُعِّف ـ هشيم في الزهري ـ لأنه كان رحل إليه فأخذ عنه عشرين حديثًا، فلقيه صاحب له وهو راجع، فسأله رؤيته ـ أي رؤية ما كتب ـ وكان ثَمَّ ريح شديدة، فذهبت بالأوراق من يد الرجل، فصار هشيم يحدِّث بما علِق منها بذهنه من حفظه ولم يكن أتقن حفظها، فوهم في أشياء منها، ضُعِّف في الزهري بسببها».

(٤) يستفاد هذا التعبير من المصنف، فإن التدليس وهن خفيف، فليتنبَّه له.

(٥) هذا يتفق مع كلام العلائي في «جامع التحصيل» ص١١٣، قال: «هم ـ أي المدلسون ـ على طبقات.. وثانيها: من احتمل الأئمة تدليسه وخرَّجوا له في الصحيح وإن لم يصرح بالسماع.. كالزهري.. وهشيم، ففي الصحيحين وغيرهما لهؤلاء =

فهشيم من أعيان الثقات، لكنه معدود في المدلِّسين، وقد رَمَاه باللَّحْن النَّضْر بن شُمَيل، وذلك فيما:

أخبرنا المسنِد أبو الخير سَعْد بن عبد الله النُّوبي البهائي[١] مولاهم المُجْمِر، بقراءتي عليه بمسجد القصب سنةَ ثمانٍ وتسعين وسبع مئة، أخبرك أبو إسحاق إبراهيم بن بركات بن أبي الفضل بن ألقى ريشه[٢] قراءةً عليه وأنتَ تسمع قال: أخبرنا الإمام التقي أبو عبد الله محمد بن الحسين ابن أحمد الفقيه سماعًا، أخبرنا أبو طاهر بركات بن إبراهيم، أنبأنا أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري النحْوي[٣] قال:

الحديث الكثير مما ليس فيه التصريح بالسماع، وبعض الأئمة حمل ذلك على أن الشيخين اطلعا على سماع الواحد لذلك الحديث..».

وخالف في ذلك الحافظ ابن حجر في جزئه «طبقات المدلسين»، وفي «النكت على ابن الصلاح» ٢: ٦٤٣، فجعل هشيمًا في الطبقة الثالثة، وهم الذين أكثروا من التدليس فلا يحتج من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع.

كما خالفه في الجزم بأن ذلك محمول على ثبوت سماعهم، فنقل عن السبكي عن المزي: أن هذا من باب حسن الظن.

(١) سَعْد: كما هو بخطه، وسعيد: تحريف، والبهائي نسبة إلى معتِقه الإمام بهاء الدين السبكي ابن التقي السبكي، وأخو التاج السبكي، (٧١٩ ـ ٧٧٣)، قال عنه الذهبي في «المعجم المختص» ٢٩ (٢٨) بعد أن وصفه بالإمامة: «ساد وهو ابن عشرين سنة!».

(٢) هكذا جاء رسم هاتين الكلمتين بخط المصنف واضحًا دون لبس، وهو في مصادر ترجمته: ابن القرشية، انظر «معجم الشيوخ» للذهبي ١: ١٣١ (١٢٦)، و«الدرر الكامنة» ١: ٢٠ ـ وفيه: إبراهيم بن أبي البركات ـ بزيادة أداة الكنية، خطأ ـ و«الشذرات» ٦: ١٢٤.

(٣) هو الإمام العلامة صاحب «المقامات» الذائعة الصيت، وصاحب «درة الغَوَّاص»، وفيه ذكر هذه القصة ١٤١ (٩٣)، ومنه نقلها ابن خلكان ٥: ٣٩٧، وأفاد =

أخبرنا أبو علي علي بن عيسى التستري، عن حَمِيْه القاضي أبي القاسم عبد العزيز بن محمد العسكري، عن أبي أحمد الحسن بن سعيد العسكري اللغوي، عن أبيه، عن إبراهيم بن حامد، عن محمد بن ناصح الأهوازي قال: حدثني النضر بن شميل قال:

كنت أدخل على المأمون في سَمَره، فدخلت ذاتَ ليلة وعليَّ قميصٌ مرقوعٌ، فقال: يا نضرُ ما هذا التقشُّفُ حتى ـ يعني: تدخلُ على أمير المؤمنين في هذه الخُلْقان ـ قلت: يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف، وحرٌّ مروَ شديد فأتبرَّدُ بهذه الخُلْقان. قال: لا، ولكنك قَشِفٌ.

ثم أَجْرَيْنا الحديث، وأجرى هو ذكر النساء فقال: حدثنا هُشَيم، عن مُجالِد، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تزوج الرجلُ المرأةَ لدينها وجمالها كان فيها سَدادٌ من عَوَز»[1] فأورده بفتح السين، فقلت: صدق يا أمير المؤمنين هشيم. حدثنا عوف ابن أبي جميلة، عن الحسن، عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عَوَز».

قال: وكان المأمون متكئًا فاستوى جالسًا فقال: كيف قلتَ: سِداد؟

أن أصل القصة رواها أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى في «مثالب أهل البصرة» والنضرُ بنُ شميل منهم.

(١) عزاه في «كنز العمال» ١٦: ٢٨٩ (٤٤٥٢٠) إلى «الشيرازي في الألقاب، عن ابن عباس وعلي» رضي الله عنهم. ويرى القارىء هنا رواية الحديث عنهما. والعَوَز: الحاجة، والمرأة إذا اتصفت بهذين الوصفين كان فيها سِداد لدين زوجها، وصيانةٌ له من التفلُّت، وحمايةٌ لها من الزواج عليها.

قلتُ: لأن السَّداد هنا لحن، قال: أَوَ تُلَحِّنُني؟![١] قلتُ: إنما لحن هشيم، وكان لحَّانةً، فتبع أميرُ المؤمنين لفظَه، قال: فما الفرقُ بينهما؟ قلتُ: السَّداد ـ بالفتح ـ القَصْد في الدِّين والسبيل، والسِّداد ـ بالكسر ـ البُلْغَة، وكلُّ ما سددتَ به شيئًا فهو سِداد، قال: أَوَتعرفُ العربُ ذلك؟ قلتُ: نعم، هذا العَرْجيُّ[٢] يقول:

أضـاعوني وأيَّ فـتىً أضـاعوا ... ليـوم كريهـة وسِـداد ثَغْـرِ

فقال المأمون: قبَّح الله مَن لا أدب له!! وأطرق مَليًّا ثم قال: ما مالُكَ يا نضرُ؟ قلت: أُرَيْضة لي بمروَ أَتَصَابُّها وأَتَمَزَّزُها[٣]، قال: أفلا نُفيدُك

---

(١) قال المأمون ذلك ثقة بعلمه بالعربية، لا تكبُّرًا وغرورًا، وعلمه لا يحتاج إلى دليل ولا شاهد.

(٢) نسبة إلى العَرْج، وهو «موضع بمكة» في قول السمعاني، و «بين مكة والمدينة» في قول ابن الأثير، و «قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف إليها ينسب العَرْجي الشاعر» في قول ياقوت، واعتمده الزِّرِكلي في «الأعلام»، كما تجده فيما علَّقتُه على «الأنساب» للسمعاني، طبعة محمد أمين دمج، وسَرَقها عبد الله عمر البارودي، طبعة دار الجنان!!.

والعرجي: هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي، وكان من أشعر بني أمية، ومن الفرسان المعدودين. ثم رأيت في ترجمته في «الأغاني» ١: ١٥٥ من مصورة دار الفكر: «كان يسكن بمال له في الطائف يسمى العرج، فقيل له: العرجي، ونسب إلى ماله».

(٣) أُريضة: تصغير أرض. والصُّبابة: البقية من الماء واللبن. والتَّمَزُّز: مصُّ الشراب. فالمعنى: عندي قطعةُ أرض صغيرة أعيش منها عيشة ضعيفة، كعيشة من لديه شيء يسير من الماء أو اللبن يخشى إنْ أكثر منه أن ينفد. وهذا جواب فيه استجداء من حيث الجملة، وإن كان حقًّا وصدقًا، لذلك ذكره أبو عبيدة في «مثالب أهل البصرة». لكن لا تنس أن أبا عبيدة شُعوبي، والنضر: عربي أصيل مازنيّ.

مالاً؟ قلت: إني إلى ذلك لَمحتاج، قال: فأخذ القِرطاس وأنا لا أدري ما يكتب، ثم قال: كيف تقول إذا أمرتَ أن يُتَرَّب الكتاب؟ قلت: أَتْرِبْه، قال: فهو ماذا؟ قلت: مُتْرَب، قال: فمن الطِّين؟ قلت: طِنْه، قال: فهو ماذا؟ قلت: مَطِيْن، قال: هذه أحسن من الأولى، ثم قال: يا غلام أَتْرِبْه وطِنْه.

ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه: تَبَلَّغ[(١)] معه إلى الفضل بن سهل. قال ـ يعني ـ فأتيته فلما قرأ الكتاب قال: يا نضرُ إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألفَ درهم، فما كان السبب فيه؟ فأخبرته ولم أُكْذِبه، فقال: أَلحَّنتَ أمير المؤمنين! فقلت: كلا، إنما لَحَن هشيم، وكان لحانة، فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تُتْبَعُ ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار. ثم أَمَر لي الفضل بثلاثين ألفَ درهم، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرفٍ استُفِيد مني.

هذه القصة رواها مطولةً الإمام أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي في كتابه «الحكم والأمثال» كما رويناه[(٢)] من طريقه، لكن في كتاب «الحكم» رواه[(٢)] أيضًا من طريق أخرى فقال: حدثنا محمد ابن أحمد بن أبي يحيى، حدثنا إبراهيم بن ناصح، حدثنا النضر بن شميل.

وكأنّ الحريري الذي رَوَينا القصة من طريقه اختصر هذه الطريق واقتصر على رواية العسكري عن أبيه[(٣)].

ومذهب الأصمعي كمذهب النضر في أن السِّداد من عَوَز بكسر أوله

---

(١) الشدة على اللام من قلم المصنف، وفي «القاموس»: «تبلَّغ المنزلَ: تكلَّف إليه البلوغَ حتى بلغ» فالمعنى: أن المأمون يلزم خادمه بإيصال النضر بن شميل إلى الفضل بن سهل مهما كلَّفه ذلك من مشقة. والله أعلم.

(٢) هكذا ذكَّر المصنف الضمير في الموضعين بقلمه، والوجه تأنيث الضمير.

(٣) وللقصة رواية من وجه آخر، رواها ابن عساكر في «تاريخه» ٣٣: ٢٩٤.

لا يجوز فتحه، وقاله بالفتح غيرُهما، وذكر أن فيه الوجهين: الفتح والكسر(١).

وقولهم «فيه سِداد من عوز»: معناه ـ فيما قاله الأصمعي ـ: إنْ أعوز الأمر كله ففي هذا ما يَسُدُّ بعضَ الأمر، وقيل: معناه ما تُسد به الخَلة. والله سبحانه أعلم.

* * * * *

---

(١) مذهب الأكثر كالأصمعي والنضر ووافقهما الحريري نفسه، ويستفاد من «الصحاح» للجوهري أن القول السديد يقال فيه بالفتح لا غير: سَدَاد. وأن ما كان حسيًّا ويُسدُّ بأمر حسيّ فهو سِداد ـ بكسر السين ـ كالقارورة وغطائها، والثَّغْر الذي يُحمى من العدو بالخيل والرجال، يقال فيهما: سِداد.

وأن ما كان خَلَّة معنوية ويسدُّ بأمر حسِّيّ، كالفقر يسدُّ بالعطاء والمال: ففيه الوجهان: الكسر والفتح، والكسر أفصح.

فكسر السين في هذا البيت أفصح من فتحها، على قول الجوهري، ويَلتزم غيره كسرَها فقط.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٤ ـ

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

من وجوه الكلام على هؤلاء الآيات

من طريقي التفسير والتأويل: ذِكْرُ مواطن التنزيل، لأن القرآن نزلَ سماويًّا وأرضيًّا، والأرضيُّ نزل حضرًا وسفرًا، وشتاء وصيفًا، وليلاً ونهارًا، ونزولُ القرآن على قسمين:

أحدهما: ما له سبب نزل لأجله[1]، وقد صنَّف الأئمة في ذلك، ومنهم: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتّويه النيسابوريُّ الواحدي[2].

والقسم الآخر: نزل بغير سبب.

وهذه الآية، من القسم الأول، وسبب نزولها: الدعوة الإبراهيمية التي أخبر الله تعالى عنها بقوله تعالى إخبارًا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

---

(١) شاع جدًّا إدخال اللام على كلمة «أجْل»، حتى في كتب النحو المتأخرة، فيقولون: باب المفعول لأجله، وقد نبَّه الإمام النووي رحمه الله تعالى إلى خطأ هذا الاستعمال في عدة مواضع من «المجموع» وأن الصواب: من أجل كذا، انظر منه ٢: ٥٢٢، ٣: ١١، ٤: ٢٦٥.

(٢) وهو نفيس مطبوع متداول، لذلك سيكرر المصنف ذكره، وقد ضمَّنه ـ من حيث الجملة مع اختزال شديد ـ السيوطيُّ في كتابه «لباب النقول» مع زيادات عليه، وأول من صنف في هذا الباب الإمام علي بن المديني رحمه الله، وكتابه غير موجود.

﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً...﴾ الآية.

والآيات التي تلوناها من الآي المدنيِّ، لأنها من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف، وثالثُ سورةٍ نزلت بالمدينة، كما رَوَيناه من حديث خُصَيف بن عبد الرحمن الجزري، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فأنزل الله عز وجل بالمدينة: البقرة، والأنفال، وآل عمران[١].

ورَوَيناه بـ «ثم» بدل الواو من حديث عثمان بن عطاء بن أبي مسلم، عن أبيه، [عن ابن عباس] قال: ثم كان أولَ ما أنزل بالمدينة سورةُ البقرة، وقال: ثم الأنفال، وقال: ثم آل عمران[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالإسناد السابق تعليقًا إليه[٣]، أن آخرَ ما نزل بالمدينة: سورة التوبة، وأولَ ما نزل بمكة: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، وآخر ما نزل بمكة: سورة ﴿ويل للمطففين﴾.

ومن الاتفاق: أن هؤلاء الآيات، ذُكِرتْ بنحوها في سورة البقرة، وسورة الجمعة، وهؤلاء الثلاث نزلن بالمدينة، وترتيبهن في النزول

---

(١) الخبر في «دلائل النبوة» للبيهقي ٧: ١٤٤ من طريق عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي، عن خصيف، به. وعبد العزيز: أمر الإمام أحمد بالضرب على أحاديثه وقال: هي كذب، كما في «العلل» من جمع ابنه عبد الله ٣ (٥٤١٩). وخُصيف وإن كان صدوقًا لكنه سيِّء الحفظ واختلط.

(٢) هو كذلك عند ابن الضُّرَيس في «فضائل القرآن» ٧٣ (١٧) وما بين المعقوفين أضفته منه. وفي سنده عمر بن هارون البلخي، عن عثمان بن عطاء، به، وتحرف إلى عمر بن عطاء. والبلخي: متروك تالف، وعثمان: ضعيف. فمثل هذا لا يعوَّل عليه سواء أكان بـ: الواو أم بـ: ثم.

(٣) وقد عرفت ما فيه من ضعف.

كترتيبهن في المصحف.

وعلمُ نزول القرآن ومواطن التنزيل، أحدُ أقسام علوم القرآن، وعلومُه كثيرة، منها: بيانُ ما هو مبهم غيرُ معلوم من المنطوق والمفهوم، ومنه في هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ المراد بهم هذه الأمة، وهي أمة الإجابة، لأن الأمة على ضربين: أمة دعوة، وهم جميع الثقلين، وأمة إجابة: وهم مَن أجاب إلى الإسلام(١)، وذُكِروا في هذه الآية بالمؤمنين، وهم الذين وُصِفوا بالأمّيّة، كما صرِّح بذلك في آية سورة الجمعة في قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم...﴾ الآية.

ومن ذلك: أن الرسول الذي منّ الله به على المؤمنين هو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بلا خلاف بين الأمة.

ومن ذلك: أن الكتاب المذكور هو القرآن جلَّ منزِّله، لا خلاف في ذلك، وهو بمعنى المكتوب، مصدر سُمِّي به المفعول، ولم يكن مكتوبًا وقتَ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، مع أنه أُطلق عليه ذلك، لكنْ من قواعد كلام العرب أنهم تارةً يَصفون الشيءِ بما هو ملابِس له حقيقة، نحو زيد قائم، إذا كان قائمًا حالَ الإخبار عنه، وتارة يصفون الشيء باعتبار ما يؤول إليه.

والحكمة فسِّرت هنا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم. والحكمة تُطلق

---

(١) وجعل بعضهم القسمة ثلاثية، ففي «فتح الباري» ١١: ٤١١ (٦٥٤١) في شرح حديث «سبقك بها عُكَّاشة»: «قال الكَلَاباذي: إن أمته صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام، أحدها أخصُّ من الآخر: أمة الاتباع، ثم أمة الإجابة، ثم أمة الدعوة. فالأُولى: أهل العمل الصالح، والثانية: مطلق المسلمين، والثالثة: مَن عَدَاهم ممن بُعث إليهم». وانظر الحاجة إلى هذا التقسيم فيما كتبته في شرح الحديث السابع عشر من «الأحاديث القدسية» ص١١٩.

ولها معانٍ، منها:

١ ـ القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ فسِّرت هنا بالقرآن(١).

٢ ـ ومنها: أن الحكمةَ علمُ تفسير القرآن، كما فُسِّر بذلك قوله تعالى: ﴿ومن يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيرًا كثيرًا﴾ قيل: علم القرآن(٢).

وقال يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقي في «تفسيره»: حدثنا سعيد بن محمد، عن جُوَيْبر(٣)، عن الضحاك: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾ قال: يعني القرآن في هذه المواضع.

٣ ـ ٨ ـ وتطلق الحكمة أيضًا على المواعظ والآداب، وعلى العلم، والعدل، والحلم، والمنع، والإتقان.

والحكمةُ في عرف الفلاسفة علومُها، ولأَنْ تسمى بلازم الحكمة أولى

---

(١) قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة ١٤: ١٩٤: «بالحكمة: بوحي الله الذي يوحيه إليك، وكتابه الذي ينزله عليك». وجاء في «سنن» الدارمي ٢: ٥٣٠ (٣٣٤٥): «حدثنا مروان بن محمد، حدثنا رِفْدَة الغساني، حدثنا ثابت بن عجلان الأنصاري قال: كان يقال: إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم. قال مروان: يعني بالحكمة: القرآن». ورفدة ضعيف.

(٢) قال ابن جرير في تفسيره لهذه الآية الكريمة ٣: ٨٩: «هي القرآن والفقه به» ثم أسند معناه إلى ابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، ومجاهد، وانظر «الدر المنثور» ١: ٣٤٨ وكأن المصنف يلخص من «نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي ص٢٦٠ وما بعدها، أو من كتاب مثله لغيره. وينظر أيضًا «مفردات» الراغب.

(٣) هو جويبر بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي، ضعيف جدًا. كما في «التقريب» (٩٨٧). وجملة «في هذه المواضع» لعلها مرتبطة بالآيات الأخرى التي فيها ذكر الحكمة، فأشار إليها بقوله هذا.

من أن تُسمَّى بالحكمة، لما فيها من الدواهي الغائلة، والسموم القاتلة، ومن زعم أن حكمة الفلاسفة هي المذكورة في القرآن فقد تجرَّأ وافترى، وكذب فيما رأى، وإنما الحكمة المشار إليها في القرآن على وجوهٍ ذكرها الأئمةُ ومن صنَّف في الأشباه والنظائر. منها: أن المراد بالحكمة في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ سنةُ النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم، وممن فسَّرها بذلك ابن عباس ومجاهد وقتادة وآخرون[1] منهم: الشافعي رضي الله عنهم.

قال الشافعي رضي الله عنه في كتابه «الرسالة»[2]: وقد فَرَض الله تعالى على الناس اتِّباع وحيه وسننِ رسوله صلى الله عليه وسلم فقال في كتابه: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾. وقال تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وذكر الشافعي آياتٍ في ذلك آخرُها قولُه تعالى: ﴿واذكُرْنَ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفًا خبيرًا﴾.

قال الشافعي: فذَكَرَ الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت مَن أَرْضَى يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

ومعاني الكتاب والسنة كثيرة لا تعدُّ، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا من جهة التفسيرِ من طريق المنقول عن الأئمة المرضية، ومن التأويلِ الراجعِ إلى القواعد الشرعية والعقائد السَّنية، ومعاني اللغة ووجوه العربية.

---

(١) قول ابن عباس: ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١: ١٤٦، وقول قتادة في «تفسير» ابن جرير ١: ٥٥٧، ٤: ١٦٣، وأما قول مجاهد و(الآخرون): فينظر.

(٢) «الرسالة» ص ٧٦ ـ ٧٨ (٢٤٤ ـ ٢٥٢).

وإنِ انضمَّ إلى ذلك معرفةُ المعاني والبيان والبديع كان بليغًا في فهم الحِكَم والآيات، وعِلْم الحُجَج والبراهين القاطعات.

والمعاني: جمع معنى، ومعنى الشيء: حالتُه التي يَصير إليها أمره، هذا موضوعه لغةً[1].

وأما اصطلاحًا: فهو ما يحترز به عن الخطأ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال المفتقِرِ في تأديته إلى أزيدَ من الدَّلالات الوضعية. فيعرفُ منه تتبُّع خواصٍّ تركيب الكلام وقيود دلالاته.

وأما البيان: فموضوعه لغة: إخراجُ الشيء من حيِّز الإشكال إلى حيز التجلِّي والظهور.

وأما اصطلاحًا: فهو ما يُحترز به عن الخطأ في دلالة المركَّب لتمام المراد منه بمخالفة الوضوح أو الخفاء، فيعرف منه كيفية إيراد مقتضَى الحال المفتقِرِ إلى أزيدَ من الوضعية بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة أوالنقصان.

وأما البديع فموضوعه لغة: المبتدَع العجيب، وأصله من البِدْع، وهو ما حَدَث مما لم يكن قبلُ.

وأما اصطلاحًا: فهو إبانة المعنى الحسن باللفظ المختار.

فإذا كان الكلام خاليًا عن التعسُّف والتعقيد في معناه، عاطلاً من الكلمات الحُوشِيَّة المتنافِرة المخارِج في مبناه كان بديعًا، يَعلَق بالأفهام سريعًا، لكنْ إذا وقع البديع اتفاقًا من غير تكلُّف، كان أبلغَ في التفنُّن والتصرُّف.

---

(١) حكاه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣: ٢١٣ عن الليث بن المظفر، ونحوه عن ثعلب (أحمد بن يحيى). وانظر «المصباح المنير».

ولقد حدثنا شيخنا الإمام العلامة قاضي المسلمين وليُّ الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحضرمي[١]، عن العلامة مؤرِّخ بلاد المغرب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغَرْناطي لسان الدين ابن الخطيب[٢] أنه قال: أشتهي مَن يتعاطى البديع في شعره أن يُعَزَّر ويُطوَّفَ به ويُنادَى عليه: هذا جزاء من يتعاطى البديع في شعره! أراد أن لا يتكلَّفه الشاعر بل يقعَ له انسجامًا وسجيَّة.

ومن علوم القرآن المتعلقة بهذه الآية: حسنُ بيانِ كَلِمِها، وتعديلُ معاني نظمها، ومناسبةُ فواصلها، وارتباطها بأوائلها، وهذا من أنواع ضروب نظم القرآن، وقد صنَّف فيه غير واحد، منهم: أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجُرْجاني، وكتابه غريبٌ بديعٌ في بابه، وغلط في تسميةِ مصنِّفه الفخرُ الرازي، فجعله عبد القاهر بنَ عبد الرحمن الجرجانيَّ صاحبَ «المقدمةِ في النحو» المشهورة بـ «الجُمَل» و «شرحِ الإيضاح» لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي في ثلاثين مجلدًا![٣].

نعم لعبد القاهر الجرجاني هذا مصنفان في إعجاز القرآن «الكبير»، وآخرَ دونه، فلعل الفخر الرازي أراد أحدَ مصنَّفَيْه في إعجاز القرآن فسماه «ضروب نظم القرآن»؟ والله أعلم.

---

(١) هو ابن خلدون، وينتهي نسبه إلى سيدنا وائل بن حجر الحضرمي الصحابي المعروف، رضي الله عنه.

(٢) هو ذو الوزارتين: وزارة السيف والقلم، وذو العُمُرين: لاشتغاله بالتصنيف ليلاً، وبتدبير الملك نهارًا، المتوفى سنة ٧٧٦ عن ثلاث وستين سنة، وباسمه ألَّف المَقَّري كتابه الممتع «نفح الطيب». انظر «الأعلام» ٦: ٢٣٥ ومصادره.

(٣) لفظ السبكي في «الطبقات الكبرى» ٥: ١٥٠: «في نحو ثلاثين مجلدًا» ثم اختصره في «المقتصِد» في ثلاث مجلدات». والمقتصد هذا طبع في بغداد سنة ١٩٨٢ في مجلدين.

ويؤخذ حسنُ انتظام الكلام واتِّساقُ معانيه من مواضعَ في هذه الآية الشريفة، منها: أن الله تعالى قال: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً..﴾.

ذكر الله تعالى هذه المنة العظمى باسمه المظهَر دون المضمَر، فلم يقل سبحانه: لقد مننتُ، بل قال: ﴿لقد منّ الله﴾ وذلك ـ والله أعلم ـ لعِظَم شأن هذه المنَّة التي لا مِنَّةَ أعظمُ منها، وهي بعثهُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمين، ونعمةً امتنَّ بها على المؤمنين.

فذكر المنَّ بهذه النعمة العظيمة باسمه الأعظم الذي هو (الله)[١].

نعم، ولم يذكر هنا من أسمائه الحسنى غيرَ هذا الاسم الشريف لفوائد، منها: أن هذا الاسمَ الشريفَ يعلمه المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، وهم معترفون بأنه خالقهم وإياه يَدْعُون، وإليه عند الحوادث يفزعون، لكن الكفار يُشركون به غيره، كما كانوا يصنعون في التلبية يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا [هو لك] تملِكُه وما ملَك[٢]. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً.

قال الله عز وجل: ﴿ولئن سألتَهم من خلقهم ليقولُن الله﴾.

فذكر سبحانه في هذه الآية الشريفة[٣] أعظمَ أسمائه وهو (الله) المشهورُ عند المؤمن والكافر، ليعرف الجميع أن خالقهم المعترفون له بالإلهية ـ وهو (الله) ـ هو الذي منَّ ببعثة هذا الرسول، ليكون أبلغَ في

---

(١) كأنه يريد رحمه الله أن ينبه إلى تناسب ذكر أعظم نعمة مع أعظم اسم له سبحانه وتعالى.

(٢) حكاه عنهم ابن عباس رضي الله عنهما، فيما رواه مسلم في كتاب الحج ٢: ٨٤٣ (٢٢) دون الجملة الأولى، وما بين المعقوفين زدته منه.

(٣) وهي الآية المتحدَّث عنها: ﴿لقد من الله على المؤمنين..﴾.

تذكيرهم بهذه النعمة، وأجلبَ لإيمانهم ودخولهم في هذه الأمة.

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية وجوهًا من نِعَمه على المؤمنين ببعثة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

١ ـ منها: تلاوته آياتِ الله عليهم.

٢ ـ ومنها: تزكيتهم وتطهيرهم حسًّا ومعنىً.

٣ ـ ومنها: تعليمُه إياهم الكتابَ والسنةَ.

٤ ـ ومنها: إنقاذُهم على يديه من الضلال المبين، الموجِب للخِزْي والنَّكَال يوم الدين.

وكلٌّ نعمة من هذه النِّعم المسمَّاة تشتمل على نِعَم كثيرة لا يحصيها إلا الله، ولهذا ـ والله أعلم ـ عند ذكر المنِّ بهذه النِّعَم، ذكره الله باسمه الأعظم.

فكم حَوَى القرآن والسنة من عجائبَ ولطائفَ وأحكام، وقواعدَ وعقائدَ وبيانِ حلال وحرام، وأوامرَ وزواجرَ وترغيبٍ وترهيبٍ للخاص والعام.

وقد نبَّهْنا على بعض معاني هذه الآية من القرآن.

ونذكر الآن حديثًا من السنة التي أشرنا من أحسن الحسان، لنجمعَ في المجلس بين تلاوة الكتاب ورواية السنة، ويحصلَ لنا بركاتهما، راجين من الله أول وَهْلة، دخول الجنة.

أخبرنا الشيخان المسندان الكبيران أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمر البالِسي، وأبو هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ أبي عبد الله محمد ابن الذهبي، وآخرون، قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد ابن الشِّحْنة أبي طالب الصالحي قراءةً عليه ونحن نسمع ـ زاد أبو هريرة فقال: وأخبرنا عيسى بن عبد الرحمن السِّمْسار قراءةً عليه وأنا حاضر، وأبو الفضل

سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن أحمد الضرير، وإسماعيل بن يوسف السُّوَيدي، وزينب ابنة أحمد بن عمر بن شكر إجازةً، قالوا سوى الضرير ـ:

أخبرنا عبد الله بن عمر بن علي الحَرِيمي سماعًا ـ وقال الحاكم أيضًا والضرير: أخبرنا الحسين بن المبارك بن محمد السَّلامي قراءةً عليه، قال الحاكم: وأنا حاضر، وقال الضرير: وأنا أسمع ـ قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى الهروي سماعًا، أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن أبي مسعودٍ عبد العزيز الفارسي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن أبي شريح الأنصاري، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد، حدثنا العلاء بن موسى، حدثنا الليث بن سعد، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة».

هذا حديث صحيحٌ عالٍ جدًّا، خرَّجه مسلم في «صحيحه» والنسائي في «سننه» عن قتيبة بن سعيد[1].

وخرَّجه مسلم أيضًا، وابن ماجه في «سننه» عن محمد بن رُمْح، كلاهما عن الليث بن سعد، به، فوقع لنا بدلاً عاليًا، وهو عند القَعْنَبي، وأبي بكر بن أبي شيبة، عن الليث. تابعه مالك، وعبيد الله بن عُمر،

---

(١) «صحيح» مسلم ٣: ١٤٩٣ (قبل ٩٧)، والنسائي «الكبرى» ٣: ٣٩ (٤٤١٥)، وابن ماجه ٢: ٩٣٢ (٢٧٨٧). ورواية القعنبي وابن أبي شيبة عن الليث: لم أقف عليها، ومتابعة مالك ومن بعده: مذكورة في أسانيد مسلم.

وله أسانيد وطرق كثيرة في كتب السنة، منها في «صحيح» البخاري ٦: ٥٤، ٦٣٣ (٢٨٤٩، ٣٦٤٤)، و «صحيح» مسلم غير ما ذُكر، و«مصنف» ابن أبي شيبة (٣٤١٦٨).

وعبد الله بن نُمَير، وأسامة بن زيد بن أسلم، عن نافع.

وله شاهد عن علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وثوبان، وجابر بن عبد الله، وجرير بن عبد الله، وأبي ذر جُنْدُبِ ابنِ جُنَادة، وحذيفة بن اليَمَان، وأبي سعيد سعد بن مالك الخدري، وسَلَمة بن نُفَيل السَّكوني، وسَوَادة بن الربيع الجَرْمي، وأبي أُمامة صُدَيِّ ابنِ عَجْلان الباهلي، وعبد الله بن بُسر، وعبد الله بن عمرو بن العاصي، وعبد الله بن مسعود، وعتبة بن عبد السُّلَمي، وعروة بن الجعد ـ ويقال ابن أبي الجعد، ويقال عروة بن عياض بن أبي الجعد الأزدي البارقي ـ وعَرِيبٍ جَدِّ يزيدَ بنِ عبد الله بن عَرِيب المُلَيْكي، وعمرو بن العاصي، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، والمقدام بن مَعْدِي كَرِب، ويعلى بن مرة، وأبي كبشة الأَنماري، وأبي هريرة، وابن الحَنْظَلية الأنصاري، وأسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنهم[(١)].

---

(١) فهؤلاء ثمانية وعشرون صحابيًّا، وزدت عليهم صحابيين اثنين، وثلاثةً من التابعين، سأذكرهم آخر التخريج الآتي، وقد ذكر أصحاب كتب المتواتر منهم ثمانية عشر فقط!، وهذا الجمع الكبير من فوائد هذا الكتاب النادرة، وهي في غير مظنَّتها، وكأنه تلخيص لكتابه «نيل الأمنية بذكر الخيل النبوية». ولو توسَّعنا في اعتبار كل ما ورد في فضل الخيل شاهدًا للحديث لزاد العدد.

وقد ألَّف العلماء السابقون في الخيل كتبًا كثيرة، طُبع بعضها، منها كتاب «الخيل» لأبي عبيدة معمر بن المثنى، طبع بدائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٥٨، و «أنساب الخيل» لابن الكلبي، طَبَعه الأستاذ أحمد زكي بمصر سنة ١٩٤٦، ثم أعاد تحقيقه الدكتور نوري القيسي والدكتور حاتم الضامن من العراق سنة ١٩٨٥، و «فضل الخيل» للإمام الحافظ الدمياطي، طَبَعه قبل هذين الكتابين الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله بحلب، وفيها كلها أحاديث مسندة، ومع كتاب الدمياطي: «رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد» للبخشي الخلبي المكي =

المتوفى سنة ١٠٩٨، وللعلامة المحدث أبي زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي المعروف بابن النحاس، المتوفى سنة ٨١٤، جمعٌ جيد واسع ومختصر مفيد للأحاديث الواردة في فضل الخيل والقيام عليها بالخدمة، وذلك ضمن كتابه النافع الماتع «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» ـ يريد الجهاد ـ ١: ٣٢٤ ـ ٣٥٦، وأظن أن المصنف يلخِّص ما عنده مع زيادات عليه.

ثم رأيت الحافظ قال في «التلخيص الحبير» ٣: ١٠٦ ـ وقد ذكر بعض ما سيأتي ـ: «له طرق أخرى جمعها الدمياطي في كتاب «الخيل»، وقد لخصته وزدت عليه في جزء لطيف»، وبه يصحح ما في «الجواهر والدرر» ٢: ٦٩١ (٢٣٦).

وإليك تخريج ما وقفت عليه مما ذكره المصنف، مع الاختصار الشديد في التخريج، وبترتيب المصنف.

١ ـ حديث علي رضي الله عنه: رواه أبو عوانة في «صحيحه» ٥: ١٨، والعقيلي في «الضعفاء» ٤: ٤٥١، وعزاه ابن حجر في «الفتح» ٦: ٥٧ إلى كتاب «الجهاد» لابن أبي عاصم، وليس في القسم المطبوع منه.

٢ ـ وحديث أنس: رواه كثيرون، منهم البخاري ٦: ٥٤، ٦٣٣ (٢٨٥١، ٣٦٤٥)، ومسلم ٣: ١٤٩٤ (١٠٠)، وهو في «مصنف» ابن أبي شيبة (٣٤١٧٣).

٣ ـ وحديث البراء بن عازب: رواه أبو عوانة ٣: ١٧، والعقيلي ٢: ٢١٧.

٤ ـ وحديث ثوبان: لم أقف عليه بعد.

٥ ـ أما حديث جابر: فهو في «المسند» ٣: ٣٥٢، قال الهيثمي ٥: ٢٥٩، ٢٦١: «رجال أحمد ثقات».

٦ ـ وأما حديث جرير: فرواه ابن أبي شيبة (٣٤١٧١)، ومسلم ٣: ١٤٩٣ (٩٧) وغيرهما.

٧ ـ وأما حديث أبي ذر: فرواه أحمد ٥: ١٨١، وأبو عوانة (٧٢٩٣)، وسعيد ابن منصور ٢: ١٦٥ (٢٤٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨: ٣٨٥، وفيه عندهم أبو الأسود الغفاري، عن النعمان الغفاري، قال ابن معين في رواية عثمان الدارمي (٩٥٤): «ما أعرفهما». إلا أن النعمان ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٥: ٤٧٣، ونَقَل ابن حجر في «تعجيل المنفعة» ٢٧٦ (١١١٠) عن أبي حاتم أنه قال فيه: «مجهول» ـ فكأنه

=

في غير «الجرح والتعديل» لابنه ـ.

وأما أبو الأسود: فالظاهر أن ابن عدي ٧: ٢٧٤٨ وهم في نقله عن النسائي أنه قال فيه: ليس بثقة. إنما قال النسائي ذلك في أم الأسود، وذلك في آخر ترجمة في «ضعفائه». وتُوبع ابن عدي من الذهبي في «الميزان» ٤: ٤٩١ (٩٩٦٤)، وابن حجر في «اللسان» ٧: ١٠، والظاهر أن الهيثمي متابع أيضًا في قوله عنه في «المجمع» ٥: ٢٥٨ ـ ٢٥٩: «ضعيف».

٨ ـ وحديث حذيفة: رواه البزار ـ «كشف الأستار» ٢: ٢٧٢ (١٦٨٥) ـ قال الهيثمي في «المجمع» ٥: ٢٥٩: «فيه الحسن بن عُمارة، وهو ضعيف».

٩ ـ وحديث أبي سعيد الخدري: أخرجه أحمد ٣: ٣٩، والبزار ـ «كشف الأستار» ٢: ٢٧٢ (١٦٨٦) ـ قال الهيثمي ٥: ٢٥٨: «فيه عطية ـ العوفي ـ وهو ضعيف». وضعْفه من قبل حفظه، لذلك قال عنه في «التقريب» (٤٦١٦): «صدوق يخطىء كثيرًا وكان شيعيًّا مدلسًا»، وقد حسَّن له الترمذي عدة أحاديث: (٤٧٧، ١٩٥٥، ٣٧٢٧)، بل في بعض النسخ في الحديث (١٩٥٥): «حسن صحيح» وانظر ما علَّقته على ترجمته في «الكاشف» للذهبي (٣٨٢٠).

١٠ ـ وحديث سلمة بن نُفيل: رواه أحمد ٤: ١٠٤، والنسائي في «السنن الكبرى» ٣: ٣٥ (٤٤٠١)، وأبو عوانة (٧٢٨٠)، وإسناد أحمد صحيح.

١١ ـ وحديث سوادة بن الربيع: رواه أبو عوانة (٧٢٩١)، والبزار ـ «كشف الأستار» ٢: ٢٧٣ (١٦٨٨) ـ، والطبراني في «الكبير» ٧: ٩٧ (٦٤٨٠)، قال الهيثمي ٥: ٢٥٩ ـ وعزاه إلى البزار فقط ـ: «رجاله ثقات»، وعزاه في «كنز العمال» ١٢: ٣٢٩ (٣٥٢٥٣) إلى الضياء المقدسي.

١٢ ـ وحديث أبي أمامة: أخرجه الطبراني في «الكبير» ٨: ٢٥٥ (٧٩٩٤). قال الهيثمي ٥: ٢٦٠: «فيه يحيى بن راشد المازني ضعَّفه ابن معين ووثقه ابن حبان وقال: يخطىء ويخالف» وينظر لزامًا «تهذيبُ الكمال» ٣١: ٢٩٩ مع التعليق عليه، والمطبوعُ من «ثقات» ابن حبان، وضعَّفه غير ابن معين، وكأن تضعيفهم له من قبل حفظه، كما يُفهم من كلام ابن حبان، وذِكْر ابن حبان له في «ثقاته» من قبيل ارتضاء عدالته.

على أن الراوي عن أبي أمامة هو لَقيط الباهلي أبو المَشَّاء ـ لا: أبو المثنى ـ ذكره =

ابن حبان أيضًا ٥: ٣٤٤ وقال فيه: «يخطىء ويخالف».

١٣ ـ وحديث عبد الله بن بُسر: لم أقف عليه.

١٤ ـ وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص: رواه أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب «الخيل» ص٧ من رواية خالد بن معدان ـ أحد الثقات ـ عن رجل من أهل الشام، عن عبد الله بن عمرو. ففيه هذا الرجل المبهم.

١٥ ـ أما حديث ابن مسعود: فرواه أبو يعلى ٥: ١٧٥ (٥٣٧٥)، وأعلَّه الهيثمي ٥: ٢٨٠ بتدليس بقية بن الوليد، وعزاه ابن النحاس في «مشارع الأشواق» ١: ٣٤٢ إلى «تاريخ» ابن عساكر فأبعد النُّجعة، لكن استفدنا منه رحمه الله أن شيخ بقية بن الوليد هو علي بن أبي علي، والظاهر أنه الصواب، وسُمِّي في طبعة دار القبلة لـ«مسند» أبي يعلى: علي بن علي، ومثله في طبعة دمشق ٩: ٢٧٤ (٥٣٩٦) التي حققها الأستاذ حسين أسد.

وقد ترجم ابن عدي في «الكامل» ٥: ١٨٤٩ لعلي بن أبي علي القرشي، وأنه شيخ بقية، وأشار إلى تدليس بقية باسمه، وتابعه الذهبي في «الميزان» ٣: ١٤٧ (٥٨٩٦)، وابن حجر في «اللسان» ٤: ٢٤٥، قال ابن عدي: «مجهول منكر الحديث».

وعلَّة أخرى هي: أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود راويه عن عبد الله ابن مسعود كان يرسل عن ابن مسعود، كما في أول ترجمته من التهذيبين، و«جامع التحصيل» ص٢٣٢.

١٦ ـ وحديث عتبة بن عبد السُّلَمي: رواه أحمد ٤: ١٨٣ عن عبد الرزاق، والطبراني في الكبير ١٧ (٣٢٠) من طريق عبد الرزاق، عن سفيان، عن ثور بن يزيد، عن نصر، عن رجل يقال له عتبة بن عبد السلمي، ونصر: هو نصر بن علقمة الحضرمي الحمصي، مترجم في «التهذيب» وفيه توثيق دحيم وابن حبان، فهو ثقة، لا «مقبول». لكنه لم يدرك عتبة بن عبد.

ورواه أبو داود (٢٥٣٥) وفيه: نصر الكناني، عن رجل، أو: عن شيخ من بني سليم، عن عتبة بن عبد. ففيه رجل مبهم، وفيه نصر الكناني، هو ابن عبد الرحمن. قال في «التقريب» (٧١١٦): «مجهول».

=

ونُسب في رواية الطبراني (٣١٩): نصر بن شفي، وقد ترجمه البخاري في «الكبير» ٨: ١٠٥ (٢٣٥٣)، وابن أبي حاتم ٨: ٤٦٦ (٢١٣٨) وسكتا عنه، وليس للبخاري اصطلاح فيمن يسكت عنه، أما ابن أبي حاتم فاصطلاحه أنه مجهول عنده ـ لا مطلقًا، فقد يعرفه غيره ـ.

وهذا الشيخ السُّليمي المبهم جاء في رواية أبي عوانة (٧٢٩٠، ٧٢٩١).

وعلى كل ففي أسانيد هذه الرواية ضعف، للانقطاع، أو للإبهام، أو للجهالة.

١٧ ـ وأما حديث عروة البارقي: فرواه البخاري ٦: ٥٤ (٢٨٥٠) ومواطن أخرى منها ٦: ٦٣٢ (٣٦٤٣) وقال فيه الراوي: وقد رأيت في دار عروة سبعين فرسًا، ومسلم ٣: ١٤٩٣ ـ ١٤٩٤ (٩٨، ٩٩)، وغيرهما، وانظره في «مصنف» ابن أبي شيبة (٣٤١٦٩، ٣٤١٧٠).

١٨ ـ وحديث عَريب المُلَيْكِي: رواه الطبراني في «الكبير» ١٧: ١٨٨ (٥٠٥)، و «الأوسط» ـ كما في «مجمع البحرين» ٥: ٤٨ (٢٦٨١) ـ وفي كليهما سعيد بن سنان، قال في «التقريب» (٢٣٣٣): «متروك ورماه الدارقطني وغيره بالوضع»، فقول الهيثمي ٥: ٢٥٩ «فيه من لم أعرفه»: قصور في الإعلال.

١٩ ـ وحديث عمرو بن العاص،

٢٠ ـ ومعاوية بن أبي سفيان: لم أرهما أيضًا.

٢١ ـ وأما حديث المغيرة بن شعبة: فرواه أبو عوانة (٧٢٨٥)، والطبراني ٢٠: ٤٣١ (١٠٤٨) ورجاله ثقات، وفيهما إسماعيل بن سعيد بن عبيد الله، ذكره ابن حبان في «الثقات» ٨: ٩٢، وقال أبو حاتم فيه ٢: ١٧٣ (٥٨٦): «شيخ» أي: راوي.

٢٢ ـ وحديث المقدام بن معدي كرب،

٢٣ ـ ويعلى بن مرة: لم أقف عليهما أيضًا.

٢٤ ـ أما حديث أبي كبشة الأنماري: فهو في «مستخرج» أبي عوانة (٧٢٩٤)، و«صحيح» ابن حبان: «الإحسان» ١٠: ٥٣٠ (٤٦٧٤)، والطبراني في «الكبير» ٢٢: ٢٣٩ (٨٤٩)، وقال الهيثمي ٥: ٢٥٩: «رجاله ثقات»، والحاكم ٢: ٩١ وصححه ووافقه الذهبي.

٢٥ ـ وحديث أبي هريرة: رواه مسلم ٢: ٦٨٢ (٢٦)، وأحمد ٢: ٣٨٣، =

وغيرهما، وانظره في «مصنف» ابن أبي شيبة (٣٤١٨١).

٢٦ ـ أما ابن الحنظلية: فحديثه عند أبي عوانة (٧٢٨٢، ٧٢٨٧)، وينظر في بعض رجاله.

٢٧ ـ وحديث أسماء بنت يزيد: رواه ابن أبي شيبة (٣٤١٧٢، ٣٤١٧٧)، وأحمد ٦: ٤٥٥، وعزاه إلى «مسند» أبي يعلى ابن النحاس في «مشارع الأشواق» ١: ٣٢٦ وحسَّن إسناده ـ وليس في الرواية المطبوعة ـ مع أن في إسناده عند أحمد ـ وأبي يعلى ـ شهر بن حوشب، وبه ضعفه الهيثمي ٥: ٢٦١، وعدد من العلماء يحسِّنون حديثه.

فهؤلاء سبعة وعشرون، يضاف إليهم ابن عمر الذي ساق المصنف الحديث من طريقه.

وروى الحديث غيرُ من ذُكر: النعمان بن بشير، وخباب بن الأرتّ رضي الله عنهما.

فحديث النعمان بن بشير: رواه أبو عوانة (٧٢٧٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١: ٢٠٨ (٢٢٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨٦) من مسند النعمان بن بشير ـ القطعة المفردة ـ، وعندهم جميعاً: أشعث بن سوار، وهو ضعيف، عن أبي زياد التيمي، قال أبو حاتم ٩ (١٧٢٤): مجهول.

وحديث خباب: رواه الطبراني في الكبير ٤ (٣٧٠٧) وفيه مسلمة بن عُلَيّ الخُشَني متروك، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٧٩) موقوفاً على خباب، وإسناده ضعيف أيضاً.

كما رأيته مرسلاً عن ثلاثة من التابعين: مكحول، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الرحمن بن عائذ الثُّمالي.

أما مرسل مكحول: فأخرجه سعيد بن منصور في «سننه» ٢: ١٦٤ (٢٤٢٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤١٧٤)، والراوي له عن مكحول: سعيدٌ البزار لم أقف له على ترجمة. لكنه رواه من وجه آخر وبلفظ مطوَّل ـ وفيه الشاهد ـ أبو عبيدة في كتاب «الخيل» ص٦ ـ ٧، وفيه العلاء بن الحارث الحضرمي، وقد اختلط.

وأما مرسل عطاء: فرواه أبو عبيدة ص٥، وراويه عن عطاء: طلحة بن عمرو، متروك.

=

وفي حديث ابن عمر زيادةٌ من قوله ليست في روايتنا الأولى.

قال إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرة السامي: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا عمر بن صُهْبان، أخبرني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة» وقال: ولقد رأيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرسًا، فلقد رأيته يمسح بردائه أو بداخِلةِ إزارِه عن وجهه العرق(١).

ورُويتْ قصة مسح الفرس من مراسيل الحسن البصري، ونُعيم بن أبي هند الجُهَني، ومسلم بن يسار المُصْبِح(٢). قال مسلم: أُخبرت أن النبي

ومرسل عبد الرحمن بن عائذ: رواه ابن الكلبي في «أنساب الخيل» ص٢٢، وفي إسناده الأحوص بن حكيم، عن أبيه، والأحوص ضعيف من قِبَل حفظه، وأبوه في ضبطه كلام أيضًا. وقولُ محقِّقَيْه عن عبد الرحمن بن عائذ: إنه صحابي، وعزوُهما ذلك إلى ترجمته في «الإصابة»: غفلةٌ غريبة عن مصطلح ابن حجر في كتابه «الإصابة»!!.

(١) في إسناده عمر بن صهبان، متروك منكر الحديث. وهو من رجال «التهذيب». والفرس تقال للذكر والأنثى.

(٢) أما مرسل الحسن البصري: فرواه أبو عُبيدةَ في كتاب «الخيل» بلفظ: «وقال وكيع: حدثنا الربيع بن صَبِيح، عن الحسن..» والربيع صدوق سيء الحفظ، وصيغته صيغة تعليق على وكيع. هكذا نقله في «مشارع الأشواق» ١: ٣٥١ (٥٢٥) ولم أره في المطبوع من كتاب أبي عبيدة، على جودة الأصل الخطيّ الذي طبع عنه.

وأما مرسل نعيم بن أبي هند: فرواه أبو داود في «مراسيله» ٢٢٨ (٢٩١)، ورجاله ثقات، إلا أن نعيمًا أشجعي، لا جهني كما يقول المصنف!.

وأما مرسل مسلم بن يسار: فرواه سعيد بن منصور في «سننه» ٢: ١٦٨ (٢٤٣٨)، وأبو عُبيدةَ أيضًا ـ كما في «مشارع الأشواق» ١: ٣٥١ (٥٣٦) ولم أره فيه أيضًا ـ ورجاله ثقات، لكنه سُمِّي في «سنن» سعيد: محمد بن يسار، وغالب الظن أنه تحريف ناسخ أو مطبعة.

=

صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فمسح وجه فرس له بردائه وقال: «إني عُوتبتُ الليلة في الخيل».

وهذه الفرس جاءت الرواية به مبهمةً.

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عدةٌ من الخيل معلمة[١].

فأولها: الكُمَيْت ـ ويسمى السَّكْب ـ فيما رُوِّيناه، وهو أول فرس اقتناه، ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فَزارة بعشرِ أواقٍ، وكان اسمه عند بائعه الضِّرْس، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم السَّكْب، لأنه كان خفيفَ الجَرْي سريعَه، وكان أولَ ما غزا عليه أُحداً، وليس يومئذ مع المسلمين فرسٌ غيرُه، وغيرُ فرسٍ لأبي بُردة بن نِيَار يقال له: مُلاوِح.

والسَّكْب هذا كان كُمَيْتًا لونُه بين الشُّقْرة والأُدْمة أغرَّ محجَّلاً مطلقَ اليمين.

والثاني من الخيل النبوية: سَبْحَة، من قولهم: فرس سابح، إذا كان

ورأيته أيضًا من مرسل واقد بن عمرو المدني، ويحيى بن سعيد الأنصاري عن رجل لم يسمَّ، وعبد الله بن دينار.

ـ أما مرسل واقد: فأخرجه ابن سعد في «طبقاته» ١ : ٤٩٠، ورجاله ثقات.

ـ ومرسل يحيى في «الموطأ» ٢ : ٤٦٨ (٤٧)، وهو موصول عنه، عن أنس. وهو «المطالب العالية» ٢ : ١٥٨ (١٩٢٩) عن يحيى، عن رجل، وعزاه إلى «مسند مسدَّد». ونقل شيخنا الأعظمي رحمه الله في التعليق عليه عن البوصيري: أن رجاله ثقات، ولفظ أبي عبيدة ص٤ : «...يحيى بن سعيد، عن شيخ من الأنصار» وفيه: «إني عوتبت الليلة في إذالة الخيل». أي: إهانتها والاستخفاف بها.

ـ ومرسل عبد الله بن دينار: أخرجه أبو عبيدة أيضًا ص٥.

(١) جلٌّ ما سيأتي عن الخيول السبعة مأخوذ من «طبقات» ابن سعد ١ : ٤٨٩ فما بعدها. وينظر «مشارع الأشواق» لابن النحاس ١ : ٣٤٥ ـ ٣٤٧.

حسنَ مدِّ اليدين في الجَرْي، وكانت سَبْحَةُ شقراءَ، ابتاعها النبي صلى الله عليه وسلم من أعرابي من جُهَينة بعشرٍ من الإبل، وسابَقَ عليها مرةً فجاءت سابقةً، فهشَّ لذلك وأعجبه.

والثالث من الخيل النبوية: المُرْتَجِز، وهو الذي اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم من الأعرابي الذي جَحَد البيع فشهد خزيمةُ بنُ ثابت بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمةَ بشهادتين[1].

---

(١) روى أبو داود (٣٦٠٢)، والنسائي ٤: ٤٨ (٦٢٤٣) من طريق عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عمه رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى فرسًا من أعرابي، ثم أراد نقض البيع وصار يحلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله أنه ما باعه إياها ويقول له: هلم شاهدًا يشهد لك، فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بعتَه من النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: «بم تشهد؟» قال: بتصديقك يا رسول الله! فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

وفي «التهذيب» عن ابن منده أن اسم عمّ عمارة بن خزيمة هذا: عمارة بن ثابت، وانظر «أسد الغابة» ٤: ١٣٦.

وروى الحديث ابن أبي شيبة ـ وعنه أبو يعلى الموصلي ـ وابن أبي عمر العدني، ثلاثتهم في مسانيدهم، والطبراني في «الكبير» من طريق ابن أبي شيبة وأخيه عثمان ٤: ٨٧ (٣٧٣٠)، كلهم عن عمارة، عن أبيه خزيمة ـ لا عن عمه ـ والاختلاف في الصحابي لا يضرُّ. وقال الهيثمي ٩: ٣٢٠ عن إسناد الطبراني: رجاله ثقات، وانظر «المقاصد الحسنة» (٦٠٢) و «المطالب العالية» ٤: ٩٢. وقد جاءت الإشارة إلى هذه القصة في حديث زيد بن ثابت عند البخاري في تفسير سورة الأحزاب ٨: ٥١٨ (٤٧٨٤) وفيه: أن زيدًا وجد عند خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين قولَ الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

واسم الأعرابي الذي جحد البيع: سَوَاء بن قيس بن الحارث المحاربي.

وكان المرتجِز فحلاً أشهب، وقيل أبيض، سمي المرتجز لحسن صهيله، ويقال لهذا الفرس أيضًا: الطِّرْف والنَّجِيب[١].

والرابع من الخيل النبوية: اللِّزاز ـ بكسر اللام وزايين، وقيل بفتح اللام مع التشديد ـ وهذا الفرس كان من جملة هدية جريج المقوقِس، وهو أحد الأفراس الثلاثة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في حائط سَعْد بن سَعْد بن مالك بن خالد الساعدي والد سهل رضي الله عنهما يَعْلِفُهنَّ. والآخران: اللَّحِيف والظَّرِب.

فالظَّرِب ـ وهو الخامس من الخيل النبوية ـ أهداه له فَرْوة بن عمرو الجُذَامي[٢]، واسمه بفتح الظاء المعجمة، وكسر الراء، يليها موحدة، وقيل فيه: الطَّرِب ـ بطاء مهملة ـ والأولُ المعروفُ، وكان هذا الفرسُ واللِّزازُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المُرَيْسِيع.

والسادس من الخيل النبوية: اللَّحِيف، أهداه للنبي صلى الله عليه وسلم ربيعة بن أبي براءٍ ملاعبِ الأسنَّة[٣]، فأثابه عليه فرائض من نَعَم بني

وفي «المقاصد الحسنة» عزو الحديث إلى ابن خزيمة، وأبي يعلى، والدارقطني، وأن بعضهم قال: حديث خزيمة أخرجه ابن خزيمة.

(١) جاء مثل هذا في «المواهب اللدنية» وشرح الزرقاني عليه ٣: ٣٨٨ نقلاً عن «المعارف» لابن قتيبة، ولم أر فيه ص١٤٩ شيئًا. وتأمل عبارة ابن النحاس ١: ٣٤٦.

(٢) رضي الله عنه، انظر «طبقات» ابن سعد ١: ٢٨١، ٤٩٠، ويصحح ما فيه: عمير، إلى عمرو.

(٣) كما قاله ابن سعد ١: ٤٩٠، ووهم من عزا إليه أن المُهدي هو فروة الجذامي أيضًا، كما وقع للزرقاني ٣: ٣٨٦، نعم، الذي ذكر أن المُهْدِي هو فروة =

كلاب[١]، وقد اختُلف في اسمه على خمسة أقوال[٢]، منها: اللَّحِيف، بالحاء المهملة، وزانَ شَرِيف.

وقيل: بالتصغير.

وقيل: كذلك مع إعجام الحاء.

وقيل: النُّجَيف، بنون وجيم، مصغر.

وقيل: بلام مفتوحة وجيم مكسورة، وهو أوهى الأقوال. وأُراه تصحيفًا. والله أعلم.

والسابع من الخيل النبوية: الوَرْد، وكان فحلاً بين الكُمَيت الأحمر والأشقر، أهداه للنبي صلى الله عليه وسلم تميم الداري رضي الله عنه لما وفد عليه مع الداريين سنةَ تسع من الهجرة منصرَفَه من تبوك.

وهذه السبعة لا خلاف في نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم [٣]. وقد نُسِب إليه عدَّة أفراس دخلنَ في مِلكه على خلافٍ في ذلك.

منها: فرس يقال له ذو اللِّمة، فيما ذكره أبو جعفر محمد بن حبيب بن

الجذامي: هو ابن أبي خيثمة، كما في «فتح الباري» ٦: ٥٩.

(١) الفرائض: «جمع فريضة، وهو البعير المأخوذ في الزكاة.. حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة» قاله ابن الأثير. والنَّعَم: «أكثر ما يقع على الإبل.. وقيل: الإبل خاصة». من «المصباح المنير».

(٢) أما القول الرابع: فلم أره عند غير المصنف، والخامس: ذكر ابن الأثير في «النهاية» أنه يقال فيه بالجيم، لكن لم يضبطه، ويستخلص من «الفتح» زيادة: اللَّخِيف ـ مكبرًا ـ والنحيف، من النحافة، وزاد الزرقاني عن البلاذري: الخليف، بتقديم الخاء على اللام، ولم يضبطه.

(٣) وهي التي ذكرها ابن سعد في «طبقاته» ١: ٤٨٩ ـ ٤٩٠. وجعلها ابن الكلبي في «أنساب الخيل» ص ٢٩ خمسة: اللزاز، اللحاف، المرتجز، السكب، اليعسوب.

محمد البغدادي وغيره[١].

ومنها: السِّرْحان، والمرتَجِل، والأدهم. ذكرهنَّ أبو عبد الله الحسين ابن أحمد بن خالويه.

ومنها: مُلاوِح، ذكره سليمان بن بَنين بن خلف الأنصاري المصري في كتابه «آلات الجهاد وأدوات الصافنات الجِياد»[٢] والمعروف أن مُلاوِح فرس أبي بُردةَ بن نِيَار شهد عليها أُحُدًا، كما تقدم ذكره.

ومنها: ذو العُقَّال، بضم العين المهملة وفتح القاف المشددة ـ وخفَّفها بعضهم ـ وآخره لام.

ومنها: الأَبْلَق، ذُكِر في حديث من رواية مسعود بن الضحاك أن النبي صلى الله عليه وسلم سماه مطاعًا وقال: «أنت مطاعٌ في قومك» وقال له: «امضِ إلى أصحابك» وحَمَله على فرس أبلق. الحديث[٣].

ومنها: اليَعْسُوب، ذكره قاسم بن ثابت في «الدلائل»[٤] وغيره.

---

(١) «المُنَمَّق» لابن حبيب ص ٤٠٦، و«عيون الأثر» لابن سيد الناس ٢: ٤٢١ وغيره من كتب السِّيَر.

(٢) ترجمه السيوطيُّ في «بغية الوعاة» ١: ٥٩٧، وذكر مؤلفاته الكثيرة، ومنها هذا، وأرخ وفاته سنة ٦١٧، ونسبه الزرقاني في «شرح المواهب» ٣: ٣٨٧ إلى ابنه عبد الغني بن سليمان، المتوفى سنة ٦٦١، وكأن سبب وهمه أنه نقل ترجمة ابن بَنين من «تبصير المنتبه» لابن حجر، وهو ذَكَر عبد الغني فقط، فَنَسب الكتاب إليه. والله أعلم.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠: ٣٣١ (٧٨٥) وقال عنه الهيثمي في «المجمع» ٨: ٥٥: «فيه جماعة لم أعرفهم».

(٤) هو كتاب في «غريب الحديث» كالتكملة لكتاب أبي عبيد وابن قتيبة، بدأ به قاسم السَّرَقُسْطي المتوفى سنة ٣٠٢، وتوفي قبل إتمامه، فأتمه أبوه ثابت المتوفى سنة ٣١٣، ويوجد منه قطعة، طُبعت في ثلاث مجلدات، وفقد باقيه.

ومنها: اليَعْبُوب، ذكره بعضهم، وجعله قاسم بن ثابت لقبًا لليعسوب في رواية بعضهم.

ومنها: البحر، ذكره بعضهم.

وكذلك: المندوب.

ومنها: السِّجْل.

ومنها: السَّحَّاء ـ بسين وحاء مهملتين مع التشديد والمدّ ـ وقيَّده أبو محمد الدِّمياطي وتبعه غيره الشَّحَّا ـ بشين معجمة بدل المهملة ـ [(١)].

ومنها: المِرْوَاح ـ بكسر الميم، وسكون الراء، وفتح الواو، ويليها ألف، ثم حاء مهملة ـ ذُكِر في هدايا الرَّهاويين للنبي صلى الله عليه وسلم [(٢)].

وعدَّ بعضهم البُراق في خيل النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم شيخنا شيخ الإسلام البُلْقِيني في كتابه «قَطْر السَّيْل في أمر الخيل».

وقد ذكر العلامة عز الدين أبو عمر عبد العزيز ابن الإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي في كتابه «مختصر السيرة النبوية» أن أباه جمع الخيلَ النبوية المتفقَ عليها في بيت واحد فقال:

والخيلُ: سكْبٌ لَحِيف سَبْحَةٌ ظَرِبٌ ... لِـزازُ مرتجِـزٌ وَرْدٌ لهـا اسْـرارُ

لكن البيت يحتاج إلى تتمة من نسبة الخيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذِكْر أنها متفق عليها، وقد أشرت إلى ذلك في بيت واحد تلوته

---

(١) ويدون مدّ في آخره، كما نبَّه إليه الزرقاني في «شرح المواهب» ٣: ٣٨٨، لكن قال في «النهاية» ٢: ٤٥٠: الشحاء «هكذا روي بالمدّ، وفسِّر بأنه الواسع الخطو».

(٢) «طبقات» ابن سعد ٢: ٣٤٤.

بآخَرين فيهما ذكر الخيل المختلف فيها، ومجموع ذلك كله أحد وعشرون فرسًا، ذكرتُ في كل بيت سبعة فقلت:

خيلُ النبي اتفاقًا: سَـبْحَةٌ ظَـرِب   سَكْبٌ لَحِيفٌ لِـزازُ وردُ مرتجِـزُ
خُلْفٌ: بيعسوبَ ذي العُقّال مرتجِلٍ   بحرٍ مُلاوحَ سَجْلٍ أدهـمٍ بَـرَزوا
سِرْحان ذي اللِّمة السَّحَّاء أبلقِهـم   يَعْبُوبِ مندوبِ مِرْواحٍ بذا حُرِزوا

آخر المجلس، ولله الحمد حمدًا كثيرًا دائمًا
وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا

* * * * *

وجدت بخط غالي[١] بن أبي الفتح عثمان بن جِنِّيْ: قال أبو سعيد: كتبتُ من خطِّ ثعلبٍ أن رجلاً وصف خيلاً فقال: إنها لمَخِيلةٌ لكل خير، إنها لساميةُ العيون، لاحقةُ البطون، مُصْعَنَّات الآذان، أفتاءُ الأسنان، ضخام الرُّكَبات، مُتَشَرِّكاتُ الحَجَبات، رِحابُ المناخر، صِلاب الحوافر، وَقْعُها تحليلٌ، ورَفْعُها تعليل، إن طَلَبتْ سَبَقت، وإن طُلِبتْ فاتت.

قال: الصِعْوَنُّ: الصغير الرأس.

أبو سعيد المذكورُ: أُراه أبا سعيد السَّيرافي، توفي سنة ثمان وستين وثلاث مئة. والله أعلم.

* * * * *

(١) انظر ترجمة غالي في «توضيح المشتبه» ٦: ٧٠، وترجمة أبيه ٣: ٣٩٦ وعلَّق محققه على الموضع الأول أنه وقع بالعين المهملة محرفًا في: «إنباه الرواة» ٢: ٣٨٥، و«معجم الأدباء» ١٢: ٣٩، «وبغية الوعاة» ٢: ٢٤. قلت: وأهمها «إكمال» ابن ماكولا ٢: ٥٨٥!.

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٥ -

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلِّم، ويسِّر

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآيات الشريفات، قد تلوناها في أوائل الدروس الماضيات، تبركًا بتلاوتها، وإيضاحًا لبعض معاني كلماتها، لأن الكلام فيها وما حوَتْه معانيها من نيف وخمسين وجهًا، نذكُرها مجملةً، ثم نوضِّحها وجهًا وجهًا مفصَّلة، مع بيان مآخِذها من الآيات المذكورة، منطوقًا أومفهومًا على القواعد المأثورة، التي بناؤها على أصليْنِ كلٌّ منهما علم جليل، وهما: تفسير القرآن، والتأويل.

ومعنى التفسير في اللغة ـ ويقال له الفَسْر ـ: الكَشْف، يقال: فَسَرتُ الحديثَ ـ بالفتح ـ أَفسِره ـ بالكسر[(١)] ـ فَسْرًا، إذا بينتَه؛ وفسَّرتُه ـ بالتشديد ـ تفسيرًا، كذلك، والتَفْسِرةُ: ماء العليل الذي يُرفَع للطبيب، فإذا رآه كشف له عن العلَّة[(٢)]. هذا موضوعه لغةً.

وأما معناه اصطلاحًا: فهو الكلامُ على أسباب نزول القرآن، وبيانُ أحكامه المجمَلة فيه من السنة، كبيان الصلوات.

---

(١) في «القاموس» من باب ضرب ونصر، فيجوز: أفسُره.

(٢) في «القاموس» أيضًا: «الفَسْر: نظر الطبيب إلى الماء، كالتَّفْسِرة، أو هي البول، يستدل به على المرض» وهذا ما يسمى في زماننا: التحليل.

وفي قوله تعالى ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾: إشارةٌ إلى الرحمة المصرَّح بها في قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، فكان صلى الله عليه وسلم رحمةً للمؤمنين بالهداية، وللمنافقين بالأمان من القتل، وللمشركين بتأخير العذاب عنهم. وعلى قدر رحمته صلى الله عليه وسلم للعالمين تكون رحمةُ الله إياه مع التضاعُف من غير تعيين وثوابٍ لا يدخل تحت العدِّ والحصر ولا الإحصاء، فـ «الراحمونَ يرحمُهم الرحمنُ، ارحَمُوا مَن في الأرض يرحمْكم من في السماء».

وهذا الحديث رُوِّيناه من طرقٍ تقدم في المجلس الأول منها طريقان مسندان، وهذا طريق ثالث.

أخبرنا الأمير أسد الدين عبد الرحمن بن محمد القُطْلوبكي[1]، وهو أول حديث سمعته منه بمنزلي من دمشق، قال: أخبرنا محمد بن أحمد المفيد، وهو أول حديث سمعته منه حضوراً[2]. قال: وأخبرنا عيسى بن

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن طولوبغا، ترجمه السخاوي في «الضوء اللامع» ٤ : ١٣٢، وأرخ ولادته في شهر ربيع الأول سنة ٧٤٦، ووفاته سنة ٨٢٥.

(٢) شيخه المذكور هو الإمام الحافظ الذهبي، كما صرح به المصنف في ص٢١ من «المجلس الأول من أماليه»، فوصْف تلميذه أسد الدين له بـ «المفيد» تقصير غير مَرضي، وكانت وفاة الذهبي رحمه الله تعالى في ليلة الثالث من ذي القعدة سنة ٧٤٨، فيكون عُمُر أسد الدين هذا نحو اثنين وثلاثين شهراً ـ لا: واحد وعشرين شهراً وأيامًا، كما في التعليق على «الضوء اللامع» ـ لذلك يقول: حضوراً.

وقد ساق الذهبي أول «معجمه الكبير» هذا الحديث من عدة وجوه عن عدة شيوخ له، اختار القطلوبكي هذا الوجه منها، ولذلك تجد الواو العاطفة في أول كلامه: وأخبرنا عيسى بن يحيى...

وعيسى بن يحيى هذا: ترجمه الذهبي في «معجمه» المذكور ٢ : ٨٧، وهو من =

يحيى الأنصاري بمصر، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا بشير بن حامد بمكة، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا محمد بن مَعْمَر القرشي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا زاهر بن طاهر المستَمْلي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش بن علي بن داود بن أيوب الزِّيَادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو، عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهل الأرض يرحمكم مَن في السماء».

هذا حديث حسن لقصور درجة أبي قابوسَ عن ثقات الصحيح، وارتفاعه عن مستوى الضعفاء، لكونِهِ وثِّق، وتفرَّد به سفيان كشيخه عمرو عن أبي قابوسَ، وقد صحَّح الترمذي حديثه هذا[1]، لكنه عنده بغير تسلسل.

شيوخه في الحديث والتصوف.

(١) في «سننه» ٤: ٢٨٥ (١٩٢٤) ولفظه: حسن صحيح، وصححه الحاكم في «المستدرك» ٤: ١٥٩، ووافقه الذهبي، وصرح به في مقدمة «معجمه الكبير» ١: ٢٣، وذكر ابن حبان أبا قابوس في «ثقاته» ٥: ٥٥٨، فحال أبي قابوس كما يقول المصنف، لا كما يقول ابن حجر في «التقريب» (٨٣٠٩): «مقبول»! وتحسين الأئمة أو تصحيحهم لحديث رجل، تصديق أو توثيق له، كما قررته بشواهده في «دراسات الكاشف» ص٢٤.

ويراجع لزامًا ما علَّقته على ترجمة أبي قابوس في «الكاشف» (٦٧٨٤)، ومما =

وهذا[١] أحد وجوه الكلام على الحديث.

والكلام عليه يرجع إلى أمرين: أحدهما يتعلق بالإسناد، والثاني بالمتن.

فالأول: الإسناد ـ ويقال السند ـ وهو لغةً في أحد معانيه: ما ارتفع في قَبَل جَبل أو وادٍ. ومصطلحًا: هو الإخبار عن طريق المتن. ومذهب الجمهور أنه لا فرق بين الإسناد والسند، وقيل: السند ـ كما تقدم ـ الإخبار عن طريق المتن، والإسناد: رفع الحديث إلى قائله.

ويتعلق بالسند نيِّفٌ وأربعون نوعًا من أنواع علوم الحديث، منها هذا النوع، وهو المسلسل: مأخوذ من تَسَلْسَلَ الشيءُ إذا اتصل بعضه ببعض على صفة واحدة، كسِلسلة الحديد وسِلْسلة الرمل. وفي المصطلح: المسلسل ما كان إسناده على صيغة واحدة إلى منتهاه، وتارة يأتي كاملاً، وتارة مقطوعَ الأول، وتارة مقطوعَ الوسط، وتارة مقطوع الآخِر.

والمسلسل كثير الأنواع، منها التسلسل بقول الراوي عمن روى عنه: وهو أول حديث سمعته منه، كهذا الحديث، ويسمى المسلسل بالأولية، لكنه مقطوع الأول[٢]، كما هو المشهور في تسلسله إلى عبد الرحمن بن

فيه أني جزمت بوقوع خطأ مطبعي فيما جاء في ترجمته من «تهذيب التهذيب»: «ذكره البخاري في الضعفاء من الكبير له»، وأن غالب ظني صوابه: ذكره البخاري في «الكنى» من الكبير له.

ويزاد على هذا: أني رأيت هذا الاستظهار للعلامة أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «المسند» ٩: ٢٠٥ (٦٤٩٤)، فوثقت بما قلته أكثر؛ وينبغي الحذر ـ والتحذير ـ من الوقوع في متابعة هذا الخطأ وأمثاله. والله المستعان.

(١) أي: التسلسل.

(٢) يريد بأول السند أعلاه.

بشر بن الحكم أنه أول حديث سمعه من سفيان.

والتسلسل بزيادة على ذلك لا يصحُّ، سواء قَلَّ: كرواية أبي عاصم عبد الله بن محمد الشَّعيري[١]، أو كَثُر: كرواية أبي نصر محمد بن طاهر ابن محمد بن الحسين بن الوزير الوَزِيري الواعظ، فإنه وصل التسلسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما رويناه من طريقه، وتُكُلِّم فيه لذلك.

وقد رَوَيناه بغير تسلسل في «سنن» أبي داود والترمذي وغيرهما من طريق سفيان بن عيينة.

وحدَّث به أحمد بن حنبل في «مسنده» عن سفيان[٢].

وأبو قابوسَ عِداده في الكوفيين، وقيل هو مكي، لا يُعرفُ له اسم، ولا له ذِكْر في كتاب «الكنى» لمسلم بن الحجاج، وذكره يحيى بن معين في «تاريخه»[٣] ولم يسمِّه، وكذلك أبو عبد الله بن مَنْدَهْ في «الكنى» وغيرُهما فلم يسموه، وإنما جاءت تسميته عن ثابت بن محمد المَدِيني فذكر أن اسم أبي قابوس: المبرد، وقولُ ثابتٍ ليس بثابت[٤].

---

(١) انظر المجلس الأول صفحة ٤٠.

(٢) ٢: ١٦٠.

(٣) ليس في الروايات المطبوعة شيء: الدوري، والدارمي، وابن الجنيد، والدقاق، وابن محرز، وابن مرثد الطبراني، إلا أنه جاء في «معرفة الرجال عن يحيى ابن معين» لابن محرز ٢: ٢٢٣ (٧٦٣): «وسمعت ابن نمير يقول: ابن قابوس بن أبي ظبيان لم يكن يسوى تمرة» وكلمة (ابن) صحيحة ـ كما يظهر من مراجعة ترجمة قابوس في التهذيبين ـ وإن استظهر محققاه أن الصواب: أبو قابوس، وأن المراد به هو صاحبنا هنا مولى عبد الله بن عمرو!. على أن هذا النقل عن ابن نمير لا ابن معين، كما ترى.

(٤) انظر ص ٢٨٤.

وجاء من طريق الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر، حدثنا سفيان ابن عيينة، عن ابن دينار، عن قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو، فذكره، وهذا خطأ، إنما هو عن أبي قابوس، والمنكدريُّ هذا يتكلَّمون فيه، فيما قاله البخاري[١].

وجاء من رواية أبي أحمد بشر بن مَطَر الواسطي، عن سفيان، فذكره موقوفًا على عبد الله بن عمرو قولَه، والصوابُ رفعه.

وقد رَوَيناه في كتاب «المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي»[٢] لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن الرَّامَهُرْمُزِي قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله ابن محمد الزهري، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو ابن أوس، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الله، فارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء».

قالوا: يا أبا محمد[٣] أَعِدْه، فقال: سمعت الزهري يقول: إعادةُ الحديث أشدُّ من نقل الصخر.

---

(١) نقله عنه ابن عدي ٢: ٧٤٥، ومعلوم أن ابن عدي والعقيلي والدولابي ينقلون كلام البخاري من كتابه «الضعفاء الكبير» المفقود. لكن ختم ابن عدي ترجمته بقوله: «أرجو أنه لا بأس به»، وجزم بذلك النسائي في «أسماء شيوخه» (١٢٨)، واعتمده ابن حجر في «التقريب» (١٢٣٩) إلا فيما يرويه عن معتمر بن سليمان، لصغر سنه حين تحمله عنه، ومع ذلك فلا يقبل منه التفرد والمخالفة.

(٢) صفحة ٥٦٦ (٧٧٥). وانظر «تاريخ بغداد» ٣: ٢٦٠.

(٣) أبو محمد كنية كلٍّ من ابن عيينة وشيخه عمرو، والمراد ابن عيينة، بقرينة تمام الكلام، وللتصريح باسمه الذي جاء في «تاريخ بغداد» ٣: ٢٦٠.

عمرو بن أوس بن أبي أوس الثقفيُّ المكيُّ تابعيٌّ[(١)]، وأبوه صحابي، مشهوران، ولا مدخل لعمرو بن أوس في هذا الحديث. والله أعلم.

وقد تفرَّد بذكر عمرو بن أوس إسنادًا، وبذكر اسم (الله) بدل اسمه (الرحمن) متنًا: عبد الله بنُ محمد بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ الزهري، عن سفيان بن عيينة، دون بقية أصحابه[(٢)]، والصواب ما رَوَيناه أولاً عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس.

وقول سفيان فيه «عن عمرو بن دينار»: هذا معنعَنٌ، وقد اختُلِف فيه: هل يُحمَل على الاتصال أوْ لا؟ والجمهور أنه متصلٌ محتج به مع اشتراط عدالة الراوي وثبوت لقائه لمن روى عنه بالعنعنة؛ وهذا موجود في سفيانَ وروايته عن عمرو، ولا تضرُّ عنعنته هنا وإن كان مدلسًا، فتدليسُه التدليسُ المبيَّن، وإنما سُمِّي المبيَّن لأن المدلِّس إذا استُفْهِم عنه بيَّنه. قال أبو حاتم ابن حِبان[(٣)]: ولا يكاد يوجد لابن عيينة خبرٌ دلَّس فيه إلا وقد بيَّن سماعه عن ثقةٍ مثلِ ثقته. انتهى.

ومع ذلك فقد جاءت روايةٌ عن سفيان قال: حدثنا عمرو، بلفظ التحديث بدل العنعنة، فيما رَوَيناه من طريق أسعد بن أحمد بن محمد بن

---

(١) على الراجح الذي ذهب إليه الإمام مسلم، في «طبقاته» ١ : ٢٧٩ (١١٥٣) ـ وكأنه طائفيّ ثم مكّي ـ وذكره ابن منده في الصحابة، أما ابن حبان فذكره في قسم الصحابة ٣: ٢٧٧، وأعاده في قسم التابعين ٥: ١٧٣، ١٧٥. انظر «تهذيب التهذيب» ٨: ٧.

(٢) فلمخالفته سائر أصحاب سفيان، ولِما أشار إليه الدارقطني من وقوع خطأ قليل في روايته ـ مع توثيقه له ـ حكم عليه المصنف بالخطأ، وأن الصواب ما تقدم عن سفيان.

(٣) مقدمات «صحيحه»: «الإحسان» ١ : ١٦١.

حيان النَّسَوي، عن أبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، فذكره[1].

وجاء الحديث عن بِشر بن الحكم بدلَ ولده عبد الرحمن، وهما من رجال الصحيحين، وهو غريب، ويحتملُ سماعُ أبي حامد بن بلال منهما لقرب وفاة بشر من وفاة ولده عبد الرحمن[2]، فإن بشرًا توفي في سنة سبع وثلاثين ومئتين، ومات ابنه عبد الرحمن ليلة الأربعاء لثمانَ عشرةَ خَلَتْ من شهر ربيع الآخر سنة ستين ومئتين، ودفن من الغد بنيسابور.

وسماعُه وسماعُ أبيه من سفيان مشهور، قال الحاكم أبو عبد الله في كتابه «تاريخ نيسابور»: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب، سمعت عبد الرحمن بن بشر ـ يعني: ابن الحكم ـ يقول: حملني بشر بن الحكم على عاتقه في مجلس سفيان بن عيينة فقال: يا معشرَ أصحابِ الحديث! أنا بشرُ بن الحكم بن حبيب النيسابوريُّ، سمع أبي الحكمُ بنُ حبيب من سفيان بن عيينة، وقد سمعتُ أنا منه وحدثتُ عنه بخراسان، وهذا ابني عبد الرحمن قد سمع منه.

وقد وقع لي من حديث عبد الرحمن بن بشر، عن سفيان بن عيينة سبعٌ وسبعون حديثًا غيرَ الآثار التي منها ما قال الحاكم أبو عبد الله في «تاريخ نيسابور»: أخبرنا أحمد بن محمد الخطيب بمرو، حدثنا محمود

---

(١) لكن جاءت روايته هذه موصولة التسلسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والحملُ فيها على أسعد النَّسَوي، كما قاله المصنف في «المجلس الأول من أماليه» المطبوع ص٢٤، فلا يعتد بهذا التصريح بالسماع.

(٢) لذلك قال الحافظ في «التقريب» (٦٨٣) عن بشر: «من العاشرة»، وقال عن ابنه عبد الرحمن (٣٨١٠): «من صغار العاشرة»، ومقتضى الفرق بين الوفاتين أن يُفاوِت بينهما في الطبقة، لكن الركن الأول في تحديد الطبقة هو سنُّ الطلب والأخذ عن الشيوخ، لا سنة الولادة، ولا سنة الوفاة، والركن الثاني هو سنة الولادة. وانظر ما كتبته في «دراسة تقريب التهذيب» ص٧٤ ـ ٧٥.

ابن والان، حدثنا عبد الرحمن بن بشر النيسابوري قال: سمعت سفيان ابن عيينة يقول: من استغنى بالله أحوجَ الله إليه الناسَ.

هذا مما يتعلق بالإسناد.

وأما المتن فهو لغةً: ما صلُب من الأرض وارتفع. وفي المصطلح: المتن: ما انتهى إليه السند من الكلام.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في المجلس الآتي ذكرُ بعض ما فيه من الأحكام. والله الموفق لكل جميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وهذه الحَسْبَلَة قالها خلق من السلف، واقتدى بهم جماعة من الخلف، استنصاراً لما نابهم من الشرور، وتوكلاً على الله تعالى في جميع الأمور، ومنهم المدرِّسُ الثالثُ بهذا المكان، وهو الإمام العلامة المجتهد أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان.

وقد أنبأنا جماعة منهم أبو حفص عمر بن محمد الملقِّن، عن القاسم ابن محمد الحافظ قال: وفي سابع عشر جمادى الآخرة - يعني: سنة خمس وستين وست مئة - جرتْ للشيخ شهاب الدين أبي شامة مفتي دمشق محنةٌ بداره عند طواحين الأُشنان، دخل عليه شخص[1] معه فتوى، فلما صار معه في الدار ضَرَبه وآذاه، وذكر الناسُ أنه كان حُمِل على ذلك، وصبَّر الشيخ لذلك ولم يَشْكُ إلى أحد.

زاد غير الحافظ قال: ولم يزل متمرِّضًا إلى أن مات في شهر رمضان سنة خمس وستين وست مئة، وأنهم كانوا جماعةً، فضربوه حتى ظنوا أنه

---

(١) في ترجمة أبي شامة من «طبقات الشافعية» للسبكي ٨: ١٦٧، وابن كثير ٢: ٨٩١، والإسنوي ٣: ٣١، و«فوات الوفيات» ٢: ٢٧١ أنهم كانوا اثنين. وأبو شامة لقب له، لشامة كبيرة كانت على حاجبه الأيسر، وكنيته أبو القاسم. انظر ترجمته في المصادر المذكورة، وغيرها كثير.

مات، ثم ذهبوا وتركوه، وعرفهم، فقيل له: ألا تشتكي؟ فأنشأ يقول ـ فيما أنبأنا محمد بن محمد بن عبد الله النِّعالي، عن الحافظ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف ـ؛ وأنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحافظ، وأبو هريرة عبد الرحمن ابن الذهبي، وأبو الخير أحمد بن الحافظ العلائي وغيرهم، عن أبي الصبر أيوبَ بنِ نعمة بن محمد قالا: أنبأنا الشيخ شهاب الدين أبو شامة أنه قال في محنته:

قلتُ لمن قال: ألا تَشتكي ... ما قد جَرَى فهو عظيمٌ جليلْ

يَقَيّض الله تعالى لنا ... من يأخذ الحقَّ ويَشفي الغليلْ

إذا توكَّلنا عليه كفى ... فحسبنا الله ونعم الوكيلْ

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٦ -

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

معنى منَّ الله: أحسنَ وأنعمَ. والله أعلم.

والمنُّ على وجوه منها: الطلُّ الحلوُ ينزِل على الأشجار والأحجار فيكون كالصَّمْغ يُجتنَى منه ويؤكل، ومنه ـ والله أعلم ـ قوله تعالى: ﴿وظلَّلْنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى﴾، قال مجاهد: المنّ صمغة، والسَّلوى الطير، علَّقه البخاري في «صحيحه»[(١)] عن مجاهد، وهو في «تفسير» شيخه محمد بن يوسف الفِرْيابي، عن ورقاء، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد.

وعلماء النبات يعدُّون المَنُون سبعةً بهذا المَنِّ، وغَفَلوا عن الكَمْأة فلم يذكروها، وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم من المنِّ، فقال فيما صحَّ من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكَمْأة من المنِّ، وماؤها شفاء للعين»[(٢)].

---

(١) كتاب التفسير، الباب الرابع ٨: ١٦٣، وهو في «تفسير» مجاهد ١: ٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع، أولها في الموضع المذكور قبل، برقم (٤٤٧٨)، ومسلم في كتاب الأشربة ـ باب فضل الكمأة ٣: ١٦١٩ ـ ١٦٢١ (١٥٧ ـ ١٦٢)، كلاهما عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

=

ومن وجوه المنِّ: المِنَّة، وهي أن يَعتدَّ المعطِي بصنيعته على المعطَى، فيمنَّ بها عليه تقريعًا له، وهذا محرَّم ومعدود من الكبائر[١]، لأنه متوعَّد عليه بما صحَّ من حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثةٌ لا يكلِّمهمُ الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ مرار، قال أبو ذر: خابوا وخَسِروا مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، والمنَّانُ، والمنفِّقُ سِلعتَه بالحلِف الكاذب» خرَّجه مسلم وغيره[٢].

ومع هذا الوعيد الشديد يبطُل أجر العطية بالمنِّ. قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبطِلوا صدقاتِكم بالمنّ والأذى﴾.

وقال تعالى قبل هذا فيما أثنى به على من لا يمنُّ بعطيته ولا يؤذي فقال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يُتْبِعون ما أنفقوا منًّا ولا أذىً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

ووجه كونها من المنِّ أنها تُجنَى من غير بذر وسقي، وماؤها: يستخلص منها بعد سلقها فيعصر ويقطر في العين. ولا بد مع هذا الاستعمال وكافة الاستعمالات الطبية النبوية من صدق الاعتقاد وقوة اليقين بإرشادات النبي صلى الله عليه وسلم وتعليماته. وانظر ـ مثلاً ـ «فتح الباري» ١٠: ١٦٥، والنووي على مسلم ١٤: ٥.

(١) انظر بيان ذلك وأدلته في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للإمام الفقيه ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى ١: ٣١١، وهي الكبيرة الخامسة والثلاثون بعد المئة، ومما ذكره حديث أبي ذر الآتي.

(٢) «صحيح» مسلم: كتاب الإيمان ـ باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار.. ١: ١٠٢ (١٧١)، وأبو داود في اللباس ـ ما جاء في إسبال الإزار (٤٠٨٤)، والترمذي في البيوع ـ ما جاء فيمن حلف على سلعته كاذبًا ٣: ٥١٦ (١٢١١) وقال: حسن صحيح، وأحمد في «مسنده» ٥: ١٤٨، و١٥٨.

وقال بعض العلماء: المنّ من الله تعالى هو التعريف، والمنّ من العباد هو التعنيف[١].

وقد قيل في المأثور عن السلف: المنُّ أخو المنِّ، فالمنّ الأول امتنانُ المعطِي بالعطية على مَن أسداها إليه، والمنُّ الثاني القطع والهدم، وهو أحد وجوه المنّ، من قولهم: مَنَنْتُ الشيءَ منًّا إذا قطعتَه، ومنه قوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ كما فسره جماعة، وقيل فيه غير ذلك[٢]. والله أعلم.

فمعنى الأثر: أن مَنْ منّ بعطيته فكأنما قَطَع وصول أجرها إليه، وهَدَم البناء الذي أسسها عليه، لأن العطيةَ تَسرُّ مَن أُسدِيت إليه، وتُوجِب الأجر لمن أعطاها، والمنَّ يسوء الذي أُسديت إليه، وتُوجب إثمًا على المنان مع حبوط أجره الذي لو لم يمنَّ لكان ثابتًا له.

وتارة يكون المنّ ظاهرًا، كأن يقول: أطعمتك، أو كسوتك، أو أحسنت إليك، ونحوَ هذا.

---

(١) قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في «الزواجر» ١ : ٣١٢: «وإنما كان المنُّ من صفاته تعالى العلية، ومن صفاتنا المذمومة، لأنه منه تعالى إفضال وتذكير بما يجب على الخلق من أداء واجب شكره، ومنا: تعيير وتكدير. إذْ آخذ الصدقة ـ مثلاً ـ منكسر القلب، لأجل حاجته إلى غيره، معترف له باليد العليا، فإذا أضاف المعطي إلى ذلك إظهار إنعامه تعديدًا عليه أو ترفعًا أو طلبًا لمقابلته عليه بخدمة أو شكر: زاد ذلك في مضرة الآخذ وانكسار قلبه، وإلحاق العار والنقص به، وهذه قبائح عظيمة!».

(٢) سينقل المصنف صفحة ٢٦٤ عن ابن عباس: أنه غير مقطوع. أي: أن الأجر لهم متصل مستمر ولو انقطعوا عن العمل الصالح في كبرهم لضعف جسماني أو عقلاني. وفي «تفسير» القرطبي ١٥ : ٣٤١ ـ ٣٤٢: عن ابن عباس ومقاتل: «غير منقوص..، وعن مجاهد: غير محسوب، وقيل: غير ممنون عليهم».

وتارة يكون المن تلويحًا، وقد عدُّوا في المنّ ذكرَ العطية[١]، لأن من شروط المعروف تعجيلَه، وإتمامَه، وتصغيرَه، ونسيانَه بعد فعله.

ومن وجوه المنّ[٢]: الإنعام والإحسان، ومنه في أسماء الله تعالى المنَّان، وقد تقدَّم: أن المنان الذي يبتدئ بالنَّوَال قبل السؤال، ويجودُ بالعطاء قبل الدعاء، وقيل: هو العظيم المواهب، فإنه سبحانه أعطى الحياة والعقل والنفس، وصورَّ فأحسن الصُّوَر، ورزق من الطيبات، وأنعم بما لا يحصَى من النعم والهبات، والعطايا والمِنَح السنيَّات، ومنه قوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أي: أحسنَ فأجمل، وأنعمَ فأجزل.

ومن الإحسان المشار إليه: بَعْثُه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى المؤمنين يتلو عليهم آياتِ الله فيسمعونها ويتعلَّمونها ويعملون بمقتضاها بتوفيق الله تعالى لذلك، وإذا وفَّقهم فقد زكَّاهم وأصلحهم، كما أُشير إليه بقوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ الكتابُ: القرآنُ، والحكمةُ عند الجمهور: السنَّة، وكلاهما علمُ الدين. والعلمُ إذا أُطلق: المراد به هذا، وهو على أقسام:

١ ـ منها: علم الأصل، وهو معرفة الله جل وعلا.

---

(١) سواء أكان للآخذ أم لمن لا يحب الآخذُ اطلاعه عليها. قاله في «الزواجر» ١ : ٣١٢.

(٢) يريد: من وجوه مَنِّ الله تعالى. وفي تسمية الإنعام والإحسان منًّا ملاحظةٌ لمعنى القطع، «لأن المنعِم يقطع من ماله قطعة للمنعَم عليه» كما قاله ابن حجر الهيتمي أيضًا ١ : ٣١٢. وقال الآلوسي في «تفسيره» ٤ : ١١٢ : «سميت النعمة منةً لأنه يُقطع بها عن البلية».

٢ ـ ومنها: علم الأحكام من الكتاب والسنة مجملاً ومفصلاً مع معرفة مراتب النصوص، والناسخ والمنسوخ، والاجتهاد في إدراك المعاني، وتمييز شروط القياس، ومعرفة أقاويل السلف، وما أجمعوا عليه واختلفوا فيه.

٣ ـ ومنها: علم ما به تُعْرَف الألفاظ ومراداتها، وهو معرفةُ لسانِ العربِ ووجوه العربية واللغة.

٤ ـ ومنها: علم اتصال الأحكام من الكتاب والسنة إلينا وما يحصُل ذلك إلا بمعرفة الأسانيد التي بها نُقِلت هذه العلوم، ورُوِيت على أنواع كلٌّ منها عند أهله معلوم، منها: المتواتر، ومنها: المستفيض، ومنها: المشهور، ومنها: الأفراد، ومنها: ما اجتمعتْ فيه شروط الصحة، أو نَقَص عنها من غير ضعف في إسنادها، أو كان فيه ضعف.

وثَمَّ أنواعٌ أُخَرُ كالمسند، والمرسل، والمتصل، والمنقطع، والمسلسَل الذي يأتي إسناده بصفة واحدة، كالحديثِ الذي روَيناه قبلُ من طُرُق، وهذه طريقٌ رابعةٌ من طرقه.

أخبرنا العلامة أبو البقاء محمد بن أبي الفضل القرشي الخَصِيلي بقراءتي عليه بكَفْرسُوسَة، وهو أول حديث سمعتُه منه، أخبرنا أبو طلحة محمد بن علي، وهو أول حديث سمعته منه بمصر، أخبرنا أبو أحمد بن خلف التُّوني[1]، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا محمد بن الحسن بنِ المقدسيةِ، وعلي بن أبي الفضائل اللَّخْمي، وهو أول حديث سمعته منهما متفرِّقَين قالا: أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني الحافظ ـ قال الأول: وهو أول حديث حضرتُه عنده، وقال الثاني: وهو أول حديث سمعته منه ـ

---

(١) هو الإمام الدمياطي، ويكنى أبا أحمد وأبا محمد، رحمه الله، والتونة: جزيرة قرب تنيس ودمياط. قاله ياقوت.

قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن أحمد، وهو أول حديث سمعته منه، حدثني أبو نصر عبيد الله بن سعيد الوائلي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلَّبي، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بِشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمونَ يرحمُهم الرحمنُ تبارك وتعالى، ارحموا مَن في الأرض يرحمْكم من في السماء».

هذه الطريق التي روينا منها هذا الحديث هي من أعلى طرقه علوًّا معنويًا لجلالة قدر رجالها وثقتهم.

والعلوُّ على أقسام(١)، أعلاها وأجلُّها:

---

(١) هما قسمان رئيسيان: علوٌّ مطلق، وهو القسم الأول الذي ذكره المصنف، وعلو نسبي، وهو الثاني والرابع والخامس والسادس، أما القسم الثالث: فأدرجه ابن الصلاح رحمه الله تحت: العلو بالنسبة لكتابٍ، وذكر تحته أربعة فروع: الموافقة، والبدل، والمساواة، والمصافحة، وهذا ما عَنَاه المصنف بقوله «علو الموافقات ونحوها». وأما القسم السابع العلو المعنوي: فهذا قسيم للأقسام الستة، وليس قسمًا من أقسام العلو. إذ العلوّ: صُوريٌّ شكلي، فينظر فيه إلى عدد الرواة، ومعنويٌّ ينظر فيه إلى عدالة الرواة. انظر النوع التاسع والعشرين من مقدمة ابن الصلاح. وهذا تعريف الفروع الأربعة للعلوّ بالنسبة لكتاب، من كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله في «شرح النخبة» بالأمثلة. قال ص ١٢٥ ـ ١٢٦ مع حاشية «لَقْط الدرر» ـ بتصرف يسير في اللفظ ـ:

مثال الموافقة: روى البخاري عن قتيبة، عن مالك حديثًا، فلو رويناه من طريق =

البخاري كان بيننا وبين قتيبة ثمانية، ولو روينا ذلك الحديث بعينه من طريق أبي العباس السراج عن قتيبة ـ مثلاً ـ لكان بيننا وبين قتيبة فيه سبعة.

فقد حصلت لنا الموافقة مع البخاري في شيخه بعينه مع علو الإسناد، على الإسناد إليه.

ومثال البدل: أن يقع لنا ذلك الإسناد بعينه ـ أي: قتيبة عن مالك ـ من طريق أخرى إلى القَعْنبي عن مالك، فيكون القعنبي بدلاً فيه عن قتيبة.

ـ فسُمِّي بدلاً للوصول فيه إلى القعنبي، بدلاً من الوصول فيه إلى قتيبة ـ.

ومثال المساواة: أن يروي النسائي ـ مثلاً ـ حديثًا يقع بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فيه أحدَ عشر نفْسًا، فيقع لنا ذلك الحديث بعينه بإسناد آخر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقع بيننا فيه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أحد عشر نفسًا، فنساوي النسائيَّ من حيثُ العددُ، مع قطع النظر عن ملاحظة ذلك الإسناد الخاص.

والمصافحة: هي الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف ـ رواية النسائي مثلاً ـ على الوجه المتقدم.

وسُميت مصافحة لأن العادة جرت في الغالب بالمصافحة بين من تلاقَيا، ونحن ـ الحافظ ابن حجر ـ في هذه الصورة كأنا لقينا النسائيَّ، فكأنا صافحناه.

ومثَّل العراقي للمساواة والمصافحة في «شرح ألفيته» ٢: ٢٥٩ ـ ٢٦٠ بحديث النسائي عن علي رضي الله عنه، في «مسند مالك» الذي فيه بين النسائي والنبي صلى الله عليه وسلم عشرة رجال، في النهي عن نكاح المتعة، ويرويه أحدُ شيوخ العراقي ويكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عشرة كذلك، فهو لشيخ العراقي مساواة مع النسائي، وللعراقي مصافحة.

وللنسائي حديث عُشاري آخر هو في «سننه الكبرى» ١: ٤٢ (١٠٦٨)، ٦: ١٧٣ (١٠٥١٧)، و«الصغرى» ٢: ١٧١ ـ ١٧٢ (٩٩٦)، هو حديث أبي أيوب مرفوعًا: «قل هو الله أحد: ثُلُث القرآن». قال النسائي عقبه: «لا أعرف في الإسناد الصحيح إسنادًا أطول من هذا».

ورواه الترمذي ٥: ١٥٣ (٢٨٩٦) وقال: حديث حسن. وهو له عُشاري أيضًا.

١ ـ ما قَرُب إسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برواةٍ ثقاتٍ، فإنْ كان والحالةُ هذه من الأحاديث الإلهية ـ ويقال لها القدسية لصدورها عن حظيرة القدس ـ: فناهيك به علوًّا وشرفًا.

٢ ـ ومنها: قرب الإسناد من إمام، كمالك بن أنس ونحوه.

٣ ـ ومنها: علوُّ الموافقات ونحوها، وتسمى علوَّ التنزيل.

٤ ـ ومنها: علوُّ تقدمِ وفاة راوٍ على وفاةِ آخرَ اشتركا في الأخذ عن شيخ، كأبي عبد الله البخاري صاحب «الصحيح»، وأبي عمرو عثمان بن أحمد بن السمَّاك، اشتركا في الرواية عن أبي جعفر بن أبي داود بن المنادي، وبين وفاة البخاري وابن السماك ثمانٍ وثمانون سنة، فالبخاري مات سنة ست وخمسين ومئتين، ومات ابن السماك سنة أربع وأربعين وثلاث مئة.

٥ ـ ومن أقسام العلو: قدمُ سماعِ الراوي من شيخ على سماعِ مَن شاركه في الأخذ منه، وهو قريب من الذي قبله.

٦ ـ ومنها: العلوُّ إلى أحدٍ من مصنفي الكتب، كالبخاري ومسلم.

٧ ـ ومنها: العلوُّ المعنوي. قال الحافظ أبو طاهرٍ السِّلَفيُّ فيما رُوِّيناه عنه قال: والأصلُ في الطلب الأخذُ عن العلماء وإن كانت رواياتهم نازلةً من حيثُ العدُّ والإحصاءُ، فنزولُهم أولى من العلوِّ عن الجَهَلة، على مذهب المحققين من النَّقَلَة. انتهى[١].

(١) ثم إنه رحمه الله نظم هذا المعنى وزيادة ـ حتى على بيتَيْ المصنف ـ في ثلاثة أبيات ذكرها له السخاوي في آخر بحث العالي والنازل من كتابه «فتح المغيث»، وهي:

ليس حسنُ الحديث قربَ رجال ... عنـد أربـاب علمـه النقَّـاد

=

وفي معناه قلت:

إذا أحببتَ تخريج العوالي عن الراوين حَقِّقْ ما أقولُ
نزولٌ عن ثقاتهم علوٌّ علوٌّ عن ضعافهمُ نزولُ

ومن هذا القسم: علوُّ هذا الحديث الذي رَوَيناه، وإن كان نازلاً بدرجة عما في المجلس الأول أمليناه[١]، مع أنه وقع لنا من هذه الطريق عاليًا بدرجة.

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله المقدسي مشافهةً بالإجازة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب وغيره سماعًا قالا: أنبأنا عبد اللطيف بن محمد، أخبرنا أحمد بن المقرِّب الكرخي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا جعفر بن أحمد أبو محمد اللغوي[٢]، فذكره.

وأخبرناه أعلى من هذه بدرجة ومن التي قبلها بدرجتين من غير تسلسل: أبو هريرة عبد الرحمن بن الذهبي بقراءتي عليه، أنبأنا أبو الفضل سليمان بن حمزة ويحيى بن سعد، عن الحسن بن يحيى المخزومي ـ زاد سليمان فقال: وأنبأنا أيضًا محمد بن عماد ـ قالا: أخبرنا عبد الله بن رِفاعة، أخبرنا علي بن الحسن الفقيه، أخبرنا عبد الرحمن بن عمر النحاس، أخبرنا أبو سعيد ابن الأعرابي، حدثنا الحسن بن محمد الزَّعْفَراني، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوسَ، عن عبد الله بن

بل علوُّ الحديث بين أولي الحفـ ـظ والاتقان صحةُ الإسناد
وإذا ما تجمَّعا في حديثٍ فاغتنمْه، فذاك أقصى المراد

(١) فعدد رجاله هنا أربعة عشر رجلاً، وعددهم هناك ص٣٨ ثلاثة عشر رجلاً.

(٢) أبو محمد هنا هو الرجل الخامس، وهو في السند الذي قبله الرجلُ السادس.

عمرو رضي الله عنهما، يبلُغ به النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحيم، ارحموا أهلَ الأرض يرحَمْكُم أهل السماء».

لكنْ وقع في هذه الرواية: عن أبي قابوسَ، عن ابن لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو. فقوله «عن ابن» خطأ، ذكر الذهبي أنها كانت: مولى لعبد الله، فصحَّف «مولى» بقوله: عن ابن؛[1] وما ذكره الذهبي صحيح، لأن متقني الحفاظ من أصحاب سفيان بن عيينة لم يرووه عنه إلا على الصواب.

فصار الحديث مرويًّا بهذه الطريق على ثلاثة أوجه، أولها ـ وهو المشهور المعروف ـ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»[2]، وفي رواية الرامَهُرْمُزِي: «الراحمون يرحمهم الله»، وفي هذه الرواية: «الرحيم».

١ ـ وهذا من وجوه الكلام فيما يتعلَّق بالسند الذي هو طريق الإخبار عن المتن. والمتن ـ في اللغة ـ: ما صلُب وارتفع من الأرض، وهو في المصطلح: ما انتهى إليه السند من الكلام، وهو أعمُّ من أن يكون مرفوعًا أو موقوفًا أو مأثورًا عمَّن دون الصحابة رضي الله عنهم.

فإن كان مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو دائر بين أقواله وأفعاله وتقريرِه على ما يطَّلع عليه، وهي وجوه السنن، لكن التقريرُ يدخل في الأفعال، لأنه كفٌّ عن الإنكار، والكفُّ ـ على المختار عند محققي الأصوليين ـ فعلٌ.

---

(١) لعل هذا القول في جزئه الذي أفرده للحديث المسلسل بالأولية؟ واسمه «العذب السلسل في الحديث المسلسل» الذي أشار إليه السيد عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس» ١: ٩٤، وذكره الدكتور بشار عواد في كتابه عن «الذهبي» ص١٤٤.

(٢) وتقدم تخريجها في ص٣٨، وتخريج رواية الرامهرمزي ص١٣٧.

وزادوا في وجوه السنن ما لا يسلمُ من الاعتراض: كالإشارة، وهي من الأفعال؛ والهَمَّةِ، وهي إرادة الفعل، وتدخل في الفعل، لأنها من أعمال القلوب.

وسكوتُ النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه داخلٌ في تقريره، وكلُّ ذلك دليل على الجواز، وسواء كان سكوته صلى الله عليه وسلم مستبشراً بالمسكوت عنه أو[١] غيرَ مستبشر، والأولُ فيه إعلام بأنه أولى وأقوى مما سكت عنه مع عدم الاستبشار، كسكوت النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع كلام مُجَزِّزِ بنِ الأعور بنِ جَعْدة الكِناني المُدْلِجي لما رأى أقدامَ زيد ابن حارثة وابنه أسامة رضي الله عنهم: «إن هذه الأقدامَ بعضُها من بعض»[٢] فسكت النبي صلى الله عليه مستبشراً ولم ينكر على مُجَزِّز ما قاله، فدلَّ ذلك على جواز القِيَافة واعتبارها في النسب.

ومُجَزِّزٌ أحدُ الصحابة الذين روى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم[٣].

---

(١) شاع استعمال (أو) في معادلة همزة الاستفهام التي بعد (سواء)، والصواب أن يقال: أم، كما قال تعالى: ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾. والأكثر استعمالاً أن تأتي بعدها الهمزة، ويسمونها همزة التسوية، ويجوز حذفها، ويُؤْتَى بـ: أَمْ، كما قرأ ابن محيصن شذوذًا: (سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم)، بهمزة واحدة أصلية في الكلمة. انظر «مغني اللبيب» ١: ١٥، و «روح المعاني» للآلوسي ١: ١٢٨.

(٢) الحديث معروف، وهو في مواضع من «صحيح» البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أولها في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ٦: ٥٦٥ (٣٥٥٥)، ثم في مناقب زيد بن حارثة ٧: ٨٧ (٣٧٣١)، وكتاب الفرائض ١٢: ٥٦ (٦٧٧٠، ٦٧٧١) وهنا عزا الحافظ الحديث إلى ما تقدم وحصل له أوهام في تعيين الطرق وعزوها، فليتنبه له. ورواه مسلم أيضًا ٤: ١٠٨١ ـ ١٠٨٢ (٣٨ ـ ٤٠).

(٣) هذا التنبيه من طرائف فوائد هذا الكتاب ونوادره، فإن مَن كتب في علوم =

الحديث ذكر عدة أمثلة على رواية الأكابر عن الأصاغر من صنيع النبي صلى الله عليه وسلم وغيره، وفاتهم هذا المثال، وتنظر أمثلة أخرى في ترجمة سيف بن ذي يَزَن من كتاب «الإنابة» للإمام مغلطاي ١: ٢٧٤ (٤١٢).

ومُجَزِّز: لقبٌ، لأنه كان إذا أسر أحدًا في الجاهلية جزَّ منه ناصيته وأطلقه، كما في «الفتح» ١٢: ٥٧.

وقال المصنف رحمه الله في ورقة ١٠٩ من القسم غير المرتَّب كلامًا شمل ما تقدم وزيادة، وهذا نصه: «وأما الأفعال والتقريرات فتشاركُ أقواله في بعض ما تقدم وتختص بأمور أُخَر.

وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم على سبعة أقسام، فلا يخلو فعلُه صلى الله عليه وسلم إما أن يكون امتثالاً، كالإتيان بالشهادة وبقية أركان الإسلام من الصلاة وغيرها، أوْ لا، والأول لا كلام فيه، لاستواء الأمة معه صلى الله عليه وسلم في امتثاله، لوجوب الاقتداء به.

والثاني: لا يخلو إما أن يكون من أفعاله الجِبِلِّيَّة، كقيامه وقعوده وحركاته وسكَناته التي هي من لازم طباع البشر، أوْ لا.

والأول لا يُشْرَع اتباعه فيه، وإلا لكان كالمحاكاة التي يتبرَّم بها مَن يُحاكَى فعلُه، لكن مَن استحب مِن الأمة أن يُوقِعَ فعلَه على صفة فعل النبي صلى الله عليه وسلم اتباعًا لهديه وتبركًا بآثاره: كان مشروعًا، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن أحسنَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمد صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدَثاتُها، وإن ما تُوعدون لآتٍ، وما أنتم بمعجزين. [رواه البخاري (٧٢٧٧)].

وحكى الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسْفَرايِيني في الجِبِلِّيِّ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وجهين: أحدهما: الندب، لاستحباب التأسِّي به صلى الله عليه وسلم، وعليه الأكثرون..

والثاني ـ وهو مذهب الأقل ـ: أنه يُستدلُّ بذلك على الإباحة.

ففي ذهابِ النبي صلى الله عليه وسلم إلى العيد في طريق ورجوعِه في آخر [رواه البخاري (٩٨٦)]: وجهان حكاهما الرافعي، وذكر أن الأكثرين على التأسِّي فيه بذلك.

=

وإذا لم يكن فعلُه صلى الله عليه وسلم من أفعال الجِبِلَّة: فلا يخلو: إما أن يكون من خواصِّه، أوْ لا، والأول على ثلاثة أقسام: خاصٌّ به واجبًا، كالضحى والأضحى، فيقع من فعل غيره مستحبًّا، وخاصٌّ به تحريمًا يستحبُّ لغيره التنزُّه عنه كالصدقه لقوله صلى الله عليه وسلم «إن هذه الصدقةَ إنما هي أوساخُ الناس، وإنها لا تَحِلُّ لمحمد ولا لآل محمد». [رواه مسلم ٢: ٧٥٤ (١٦٨)].

وخاصٌّ به إباحةً كالجمع بين ما زاد على أربع زوجات، ليس لأحد أن يتشبَّه به فيه، وإلا لزالت الخصوصية.

وغيرُ الخاصِّ لا يخلو: إما أن يكون بيانًا لحكم مجمَل، كقطع يد السارق من الكُوع، بيانًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فاقطعوا أيديَهما﴾ أوْ لا، والأولُ يتعيَّن فعلُه، لإيقاع المأمور به مجمَلاً على الوجه الذي بيَّنه مفصَّلاً.

والثاني: إذا لم يكن بيانًا فلا يخلو: إما أن تُعلَم صفةُ الفعل من وجوب وندبٍ، أوْ لا، فإن عُلمتْ تلك الصفة وكانت الأمة معه في عموم ذلك ـ كأركان الإسلام ـ: فهذا من القسم الأول الذي لا كلام فيه.

وإن خصَّته الصفة: كان من قسم الخاصِّ به، فلا يُعَدُّ هذا قسمًا.

والثاني: إن لم تُعلَم الصفة: فلا يخلو: إما أن يظهر في ذلك قصدُ القُربة أوْ لا، فإنْ ظهر فيه قصد القُربة: ففيه مذاهب، منها: الوجوب، وذكر السمعاني أنه الأشبه بمذهب الشافعي وأنه الصحيح.

ومنها: الندب، وعزاه بعضهم للشافعي.

ومنها: الإباحة، وهو اختيار الإمام في «البرهان». [الإمام الحرمين ١: ٣٢٢، ٣٢٥].

ومنها: الحظر، وحكاه العلامة أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة.

ومنها: ترجيحُ الفعل على الترك من غير تعيينِ وجوبٍ ولا ندب، حكاه أيضًا أبو شامة. ومنها: الوقفُ إلى أن يثبتَ الحكم بدليل من خارج يدلُّ على ما أُريد منا، وعلى هذا جمهورُ المحققين وصححه القاضي أبو الطيب الطبريّ.

ومعلومٌ من سيرة الصحابة رضي الله عنهم حسبما رَوَينَاه وخَبَرْناه أنهم كانوا =

يَرجِعون في الأحكام الشرعية إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم رجوعَهم إلى أقواله، ويتقرَّبون بها ويحافظون عليها، كصلاتهم في نعالهم اقتداءً بفعله صلى الله عليه وسلم وخَلْعهم إياها في الصلاة حينَ رأوه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك [رواه أبو داود (٦٥٠)، وأحمد ٣: ٢٠]. وكلبسهم الخواتيم ثم طَرْحها من أيديهم، اقتداء بفعله صلى الله عليه وسلم[رواه البخاري (٥٨٦٥)، ومسلم ٣: ١٦٥٥ (٥٣)].

وكانوا يحافظون على الاقتداء بأفعاله وإن لم تَلُحْ فيها قُربة، فهذا يُبطِل قول الحظر والوقف.

نعم، ويدلُّ اقتداؤهم بأفعاله ـ والله أعلم ـ أنهم فهموا أنه شُرِع لهم مثل ذلك الفعل قربةً، وإلا لما فعلوه، فَيَبطل بهذا قول الإباحة.

والثاني: وهو ما لم يظهر فيه قصد القُربة، فخلافه مرتَّب على ما ظهر من ذلك فيه وأولى بترك الوجوب والندب، لكن من يقول بترجيح الفعل على الترك يحملُه على القدْر المشترك بين الوجوب والندب والإباحة، وهو رفع الحرج عن الفعل لا غير.

والمختار ـ كما ذكره الإمام أبو شامة ـ الندب في القسمين، وهو فيما قُصد به القُربة آكد، إلا أن يقترن بقرينة تدلُّ على غير ذلك. والله أعلم.

هذا بعضُ ما يتعلَّق بفعل النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو من سنته، وفي إطلاقهم على ذلك سنةً إشارةٌ إلى أنه تشريع، وإذا كان تشريعًا فلا يتصور من فعله صلى الله عليه وسلم وقوع مكروه، فإنه إذا فعل شيئًا وهو مكروهٌ فعلُه بالنسبة إلينا، فليس بمكروه من النبي صلى الله عليه وسلم، إذ هو تشريعٌ منه وبيانٌ للجواز، ويكون ـ والحالةُ هذه ـ فعلُه صلى الله عليه وسلم ذلك أفضلَ في حقه.

قال شيخ الإسلام أبو زكريا النووي رحمة الله عليه في وضوء النبي صلى الله عليه وسلم مرةً مرةً، ومرتين مرتين: قال العلماء: هو في ذلك الوقت أفضلُ في حقه من التثليث، لأجل بيان التشريع. انتهى. [من «شرح مسلم» ٣: ١٢٣، و«المجموع» ١: ٤٣٥].

وأما أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قدَّمنا أنها أقوى دلالةً من الأفعال وأعمُّ فائدة، وقد حُفظ منها الألوف من العدد، ودوِّنت منها الدواوين وأُلِّفت منها

=

وهذا أحدُ فوائد الحديث وأحكامه: الاستدلالُ بأحد وجوه السنن وهي الأقوال.

ومن فوائد الحديث:

٢ ـ الحثُّ على التراحم بين الأمة، لأن من صفاتها فيما بينهم الرحمة، قال الله عز وجل: ﴿محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار، رحماء بينهم﴾.

٣ ـ ومنها: إثباتُ الثواب على الأعمال، وحصولُ الجزاء في الحال والمآل، لعموم الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لما في معنى الرحمن من الرحمة في الدنيا والآخرة.

٤ ـ ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، لقوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» الحديث.

وقال أبو السَّرِيِّ هَنَّادُ بنُ السَّرِي في كتابه «الزهد»[1]: حدثنا عَبْدة، عن محمد بن عمرو، حدثنا محمد بن المنكدر قال: جاءت امرأة إلى النبي

الكتب، وانتفع الخلق بأحكامها المحكَمة الباهرة، فيما ينفعهم دنيا وآخرة، ومن أقواله السنية: الحديثُ الذي وقع لنا مسلسلَ السماع بالأولية، وقد رويناه في هذا المكان من طرقٍ عدَّة تعلم، ونُمليه الآن من طريقٍ غيرِ ما تقدم».

(١) «الزهد» ٣: ٢٠٣ (١٣٥٢)، وإسناده حسن، ومراسيل ابن المنكدر قوية، ففي «تهذيب التهذيب» ٩: ٤٧٤ ـ ٤٧٥: «قال ابن عيينة: ما رأيت أحداً أجدر أن يقول «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» ولا يسأل عمن هو، من ابن المنكدر، يعني: لتحرِّيه». ولابن عيينة كلمة أخرى نحوها ذُكرت في التهذيبين عن ابن راهويه، عنه.

وروي الحديث مسنداً نحو هذا، رواه عبد بن حميد في «المنتخب» ١٦٧ (٤٥١)، والطبراني في «الكبير» ٦: ١٦١ (٥٨٥٤)، لكن في إسناده عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف.

صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ في المسجد والناسُ حولَه فأطافتْ به لتخلُص إليه، فقام عنها رجل لتخلُصَ إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمُّكَ هي؟» قال: لا، قال: «أختُك هي؟» قال: لا، قال: «فرحمتَها رحمك الله».

٥ ـ ومنها: أنه يستحب لمن رغَّب غيره في عملِ خيرٍ أن يذكر له شيئًا من فوائده وما يترتب عليه من المصالح، تنشيطًا له وانبعاثًا على العمل، كهذا الحديث.

٦ ـ ومنها: أن العالم المعلِّمَ غيرَه يعمل بعلمه أولاً، ثم يعلِّمه، فإنه أبلغ في الإفادة وأرسخُ للعبادة، وإذا نظرنا إلى صفة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي أمر بالرحمة ورغَّب فيها بهذا الحديث ونحوه: وجدنا رحمتَه قد عمَّتِ الخلق. قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، ومن ألقابه: نبي الرحمة(١).

---

(١) جاء ذلك في أكثر من حديث، منها: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عند مسلم ٤: ١٨٢٨ (١٢٦): كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». ورواه أحمد عنه ٤: ٣٩٥. ورواه من الصحابة أيضًا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرج حديثه ابن حبان في «صحيحه»، عزاه إليه السيوطي في «الرياض الأنيقة» ص٢٧، وساق سنده إلى ابن حبان، ثم ساق سند ابن حبان به، وثبت ذلك في أصل ابن بَلْبان والهيثمي من «صحيح» ابن حبان، يدل على ذلك ذكر ابن بلْبان له في «الإحسان» ٨: ٧٦ (٦٢٨٢) طبعة الحوت، والهيثمي في «موارد الظمآن» (٢٠٩٥). والسند الذي ذكره السيوطي كما هو في المطبوعتين، فيستغرب إبدال عبد الله بن مسعود بحذيفة بن اليمان في طبعة مؤسسة الرسالة لـ «الإحسان» ١٤: ٢٢١ (٦٣١٥)!!.

ومنها: حديث عثمان بن حُنيف رضي الله عنه الذي رواه الترمذي في الدعوات =

وجاء أنه لم يكن أحدٌ أرحمَ بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

٧ ـ ومنها: أنه إذا عرض أمر يُحتاج فيه إلى ذكرِ اسمٍ من أسماء الله الحسنى يُذْكَر ذلك الاسم المناسبُ لما عَرَض، ليكون أرجى لبلوغ الغَرَض فيما عَرَض، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارًا﴾.

ولما كان التراحمُ مندوبًا إليه، والجزاءُ من الله تعالى موعودًا عليه: ذُكر اسمٌ من أسماء الله تعالى مناسبٌ للتراحم، وهو الرحمن جل وعلا.

٨ ـ ومنها: وصف الله تعالى بالرحمة، وأن الرحمن من أسماء الله الحسنى، وقد جاء به الكتاب والسنة.

قال الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه «أسماء الله عز وجل وصفاته الواردة في الكتاب والسنة» في قسم الأسماء التي تَتْبَع إثبات التدبير لله سبحانه دون ما سواه[٢]، قال: ومنها الرحمنُ، الرحيم. قال الله عز وجل: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ وقال: ﴿قل ادعوا الله أو

٥: ٥٣١ (٣٥٧٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٦: ١٦٨ ـ ١٦٩ (١٠٤٩٤ ـ ١٠٤٩٦)، وابن ماجه في صلاة الحاجة ١: ٤٤١ (١٣٨٥)، وهو المعروف بحديث توسل الأعمى، وفيه: فأمره صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفِّعْه فيَّ».

(١) قاله أنس بن مالك رضي الله عنه، رواه مسلم في كتاب الفضائل ـ باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيانَ والعيال ٤: ١٨٠٨ (٦٣)، وأحمد في «مسنده» ٣: ١١٢.

(٢) صفحة ٦٩ من «الأسماء والصفات»، وما بين المعقوفين زيادة منه. ومن هنا يستفاد أصل اسم الكتاب.

ادعوا الرحمن﴾ وقال: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾ وقال في فاتحة الكتاب: ﴿الرحمن الرحيم﴾ وقال: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ وقال في فواتح السور [غير التوبة]: بسم الله الرحمن الرحيم.

ثم ذكر البيهقي كلام الخطابي الذي قاله في كتابه في «الدعاء ومعاني أسماء الله تعالى» وهو ما أنبأنا غير واحد منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد بن ريان الطائي، عن زينب ابنة أحمد، أن عبد الخالق بن الأنجب أخبرها كتابةً من ماردِين، عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهَرَوي، أخبرنا أبو نصر بن أبي طاهر الحداد سماعًا، أخبرنا عبد الوهاب بن أبي سهل الأديب، أخبرنا الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البُسْتي الشافعي رحمه الله قال[١]: اختلف الناس في تفسير الرحمن ومعناه، وهل هو مشتقٌّ من الرحمة أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أنه غير مشتق، واحتج بأنه لو كان مشتقًّا من الرحمة لاتَّصل بذكر المرحوم، فجاز أن يقال: الله رحمان بعباده، كما يقال: رحيم بعباده، فلما لم يَستقِم صِلَتُه بذكر المرحوم دلَّ على أنه غير مشتق من الرحمة. قال[٢]: ولو كان هذا الاسم مشتقًّا من الرحمة لم تُنكره العرب حين سمعوه، إذْ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم، وقد حكى الله عنهم الإنكار له والنفور عنه في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ الآية[٣].

وزعم بعضهم أنه اسم عِبراني، وذهب الجمهور من الناس إلى أنه مشتق من الرحمة مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، ولذلك لا يثنَّى ولا يجمع كما يثنَّى الرحيم ويجمع، وبناءُ فَعْلان في

---

(١) في كتاب «الدعاء» صفحة ٣٥ ـ ٣٨.

(٢) القائل هو «بعضهم» المشار إليه قبل قليل. وانظر ص ٢١١.

(٣) سورة الفرقان من الآية: ٦٠.

كلامهم للمبالغة، يقال لشديد الامتلاء: ملآن، ولشديد الشبع: شبعان.

ويدلُّ على صحة مذهب الاشتقاق في هذا الاسم حديثُ عبد الرحمن ابن عوف.

حدثناه أحمد بن عبد الحليم[1] الكُريزي وعبد الله بن شاذان الكُرَانيُّ قالا: حدثنا محمد بن يحيى بن المنذر القزاز، حدثنا حجاج بن المنهال، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، أن أباه عاد أبا الرَّدَّاد، فقال له أبو الرداد: ما أَحَدٌ من قومي أوصلُ لي منك! قال عبد الرحمن: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن ربه عز وجل: «أنا الرحمن، وهي الرَّحِم شققتُ لها من اسمي، فمن وَصَلَها وصلتُه، ومن قطعها قطعتُه ثم أَبُتُّه»[2] اللفظ للكُريزي.

---

(١) هكذا، وفي المطبوع من كتاب الخطابي: عبد الحكيم، لكن في فهرسه: عبد الحليم!.

(٢) صحابيُّ هذا الحديث هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، والحديث رواه عبد الرزاق ١١: ١٧١ (٢٠٢٣٤)، والحميدي ١: ٣٥ (٦٥)، وابن أبي شيبة (٢٥٨٩٦)، وأحمد ١: ١٩٤، والبخاري في «الأدب المفرد» ١: ١٣٢ (٥٣)، وأبو داود (١٦٩١)، والترمذي ٤: ٢٧٨ (١٩٠٧)، وابن حبان ٢: ١٨٦ (٤٤٣)، والحاكم ٤: ١٥٨ من طريق الحميدي، وطرق أخرى.

وفي الحديث إشكال من جهة أنه أبو الرداد، أو الرداد، ورجحوا الأول، ومن جهة أن أبا سلمة ـ وهو ابن عبد الرحمن بن عوف ـ يرويه عن أبي الرداد، عن عبد الرحمن بن عوف ـ كما جاء في بعض الطرق ـ أو يرويه عن أبيه مباشرة، مع أن الأئمة: عليَّ بن المديني ونظراءَه جزموا بعدم سماعه من أبيه لصغر سنه. وانظر كلام العلامة الشيخ فضل الله الحيدرأبادي رحمه الله في شرحه على «الأدب المفرد» ١: ١٣٤ ـ ١٣٦.

نعم، الحديث رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في مناسبة أخرى، انظره =

فالرحمن: ذو الرحمة الشاملة وسِعت الخلقَ في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم، وعمّت المؤمن والكافر والصالح والطالح. وأما الرحيم فخاصٌّ للمؤمنين[١]، كقوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾[٢].

وبالإسناد إلى الخطابي قال[٣]: ويقال: إن الرحمن خاصٌّ في التسمية، عامٌّ في المعنى، والرحيم عامٌّ في التسمية، خاصٌّ في المعنى.

والذي حكاه الخطابي ولم يسمِّ قائلَه: هو ما حكاه أبو القاسم الحسن ابن محمد بن حبيب المفسِّر[٤]، عن عبد الرحمن بن يحيى أنه قال: الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل، والرحيم عام في التسمية خاص في الفعل.

وكأن هذا إشارة إلى أن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى لا يُدعى به غيره، وليس لأحد أن يتسمَّى به إلا الله، كما دلَّ القرآن على ذلك بقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾، فهذا خصوصية في التسمية

في «المسند» ١ : ١٩١، ١٩٤.

(١) كذا، وتعديةُ (خصَّ) باللام استعمال شائع، والصواب تعديته بالباء، فينبغي أن يقال: خاص بالمؤمنين، على معنى الانفراد. فإن استعملتْ بمعنى التفرُّغ عُدِّيت باللام، كقولك: تخصصت له: تريد تفرغت له. نبَّه إليه الأستاذ محمد العدناني في كتابه «معجم الأخطاء الشائعة» ٧٨ (٢٧٩).

(٢) هذا كله كلام الخطابي.

(٣) صفحة ٣٩.

(٤) انظر تعريفًا موجزًا به ومصادرَ ترجمته ص٢١٣ الآتية، وعبد الرحمن بن يحيى لم أقف على ترجمة له، وكأن سبب إغفال الخطابي اسمه هو تعدُّدُ من يُنسب إليه هذا القول، فقد رأيت الإمام الفخر الرازي رحمه الله نقل في شرحه لأسماء الله الحسنى ص١٧٦ عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قوله «اسم الرحمن خاص بالحق عام في الأثر، واسم الرحيم عام في الاسم خاص في الأثر».

وأما معناه فعامّ، لأن الرحمن يرحم الراحمين من عباده، وقد رُوي عن إسرائيلَ، عن سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سميًّا﴾ قال: لم يُسمَّ أحدٌ الرحمن غيره[١].

وأما الرحيم: فعامٌّ في التسمية، لقوله تعالى في وصف نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، وتقولُ العرب: كنْ بي رحيمًا، فهذا العموم في التسمية.

وأما الخصوص في المعنى: فجاء عن عكرمة وغيره أن الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمئة رحمة، إشارة إلى رحمةِ الرحيمِ في الآخرة، وأنها هناك مختصَّة بالموحِّدين، وإن كانت التسميةُ بالرحيم في الدنيا غيرَ محظورة، فهو عامٌّ في التسمية خاصٌّ في المعنى.

والرحمن: يكتب بالألف إلا في البسملة بلا خلافٍ يُكتبُ بغير ألف، وقيل: يُكتبُ بلا ألف حيثُ جاء في القرآن، ولا يكتبٌ كذلك فيما سواه إلا بألف.

وهذان الاسمان وهما (الرحمن الرحيم) دالان على رحمة الله التي وسعت كل شيء دنيا وآخرة.

وأصناف رحمة الله تعالى في الدنيا لا تُحصَر ولا تُحصَى، وهي في الآخرة أجلُّ وأعظم من أن تُستقصَى.

قال أيوب بن أبي تَميمة السَّخْتِياني رحمة الله عليه: إن رحمة واحدة قَسَمها الله تعالى في دار الدنيا، وأصابني منها الإسلام، إني لأرجو من

---

(١) رواه من هذا الوجه الحاكم في «المستدرك» ٢: ٣٧٥ ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص٧٢، و«شعب الإيمان» ١: ١٤٤ (١٢٣) = ١: ٣٧٠ (١٢٢).

تسع وتسعين رحمة ما هو أكثر من ذلك.

وحكَى معناه الإمام شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي رحمة الله عليه فقال: قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار: الإسلامُ والقرآنُ والصلاةُ والرحمةُ في قلبه وغيرُ ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظنُّ بمئةِ رحمةٍ في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء؟! والله أعلم. قاله في «شرح صحيح مسلم»[(١)].

وهو من أجلِّ مصنفاته التي رفعها الله وشَهَرها، وبإخلاصه ونيته الصالحة نفع بها من قرأها أو كتبها أو نظرها.

ولقد كان مصنفها الشيخ محيي الدين على غاية من الزهد والتقوى والورع، ومحبة أهل السنة، ومجانبة أهل البدع، معمورَ الأوقات بالقُرَب لله والطاعات، مع إفادته العلم النفيس، وبما يصنعه ويلقِّنه في التدريس، ولقد درَّس بهذه الدارِ دارِ الحديث حين وَلِيها بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة في سنة خمس وستين وست مئة، وكان رابعَ مَن وَلِيها، ولم تَزَلْ بيده إلى أن توفي بعد رجوعه من بيت المقدس في شهر رجب سنة ست وسبعين وست مئة ببلدِه نَوَى، وبها دُفِن رحمة الله عليه.

ولم يتناول من معلوم دار الحديث شيئًا، وأُتِي مرةً بمعلومها فلم يأخذه وقال: اشتروا به بُسُطًا للمكان، ففعلوا، فكان يجلس[(٢)] على تلك البُسُط أيام الدروس إلى أن وَلِي دارَ الحديث العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن عليُّ بن عبد الكافي السُّبْكيُّ، وكان عاشرَ من وَلِيها، وأول مباشرته إياها كان يوم الأربعاء سابعَ شهرِ ربيعِ الأول سنة اثنتين

---

(١) ١٧: ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) الظاهر جواز قراءة هذه الكلمة بالمبني للمعلوم (يَجلِس)، وبالمبني لما لم يُسمَّ فاعله (يُجلَس).

وأربعين وسبع مئة، فأُخْبِر خبَر تلك البُسُط، وأن الشيخ محيي الدين النواوي كان يمشي عليها ويجلس، فتبرَّك السُّبْكي بها: كان يطوف ويصلِّي عليها وينشِد ما أنشدنا أبو اليسر أحمد بن عبد الله بن محمد الأنصاري مشافهةً بالإجازة قال: أنشدنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السُّبْكي من لفظه لنفسه:

وفي دار الحديث أطلتُ مُكْثي ... أطَـــوّف في جوانبـــها وآوي
عـــسى أني أمَـسُّ بِحُـرّ وجهـي ... مكانًـا مـــسَّهُ قَـدَمُ النـــواوي[1]

* * * * *

(١) كلمة «أمَسُّ» جاءت في الأصل: أمرُّ، فأثبتُّها: أمسُّ، لما يأتي.

ثم إن هذه رواية المصنف للبيتين وحكايتهما عنده، وعند التاج السبكي في «الطبقات الكبرى» ٨: ٣٩٦ وجه آخر. قال: «لما سكن ـ والده التقي السبكي ـ في قاعة دار الحديث الأشرفية في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة، كان يخرج في الليل إلى إيوانها ليتهجدَ تُجاه الأثر الشريف، ويمرِّغَ وجهه على البساط، وهذا البساط من زمان الأشرف الواقف، وعليه اسمه، وكان النووي يجلس عليه وقت الدرس، فأنشدني الوالد لنفسه:

وفي دار الحـديث لطيـفُ معنىً ... علـى بُـسُط لهـا أصـبو وآوي
عـسى أني أمَـسُّ بِحُـرِّ وجهـي ... بـساطًا مـسَّه قـدم النـواوي»

والأثر الشريف المذكور هو النعل النبوية الكريمة التي تقدم ذكرها والحديث عنها في المجلس الأول ص ٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٧ ـ

الحمد لله رب العالمين

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآيات الشريفات تبرَّكنا بذكرها في أوائل الدروس الماضيات، مع الكلام على بعض معانيها، والتنبيه على فوائد مما تحويها، والكلامُ عليها من نيف وخمسين وجهًا[١]، لأن القرآن لا تَفنَى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه.

فمن الوجوه: كيفيةُ نزول القرآن وما يتعلَّق بهذا الشان.

فنزوله كان على أحوال، وفي صفة ذلك أقوال، أحدها: وهو المشهور ـ وعليه الجمهور ـ أنه نزل في ليلة القدر جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرَّقًا.

رَوِّينا في كتاب «فضائل القرآن»[٢] لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّم قال: حدثنا يزيد ـ يعني: ابن هارون ـ عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنْزِل القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نَزَل بعد ذلك في عشرين سنةً ﴿وقرآنًا فَرَقْناه لتقرأه على الناس على مُكْث ونزَّلْناه تنزيلاً﴾، وخرَّجه الحاكم في «مستدركه» وصحَّح إسناده[٣].

---

(١) ينظر تعدادها ص ٧٩ ـ ٨٤.

(٢) صفحة ٢٢٢.

(٣) «المستدرك» ٢: ٢٢٢ ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ، ورواه البيهقي في =

والقول الثاني: أن القرآن كان يَنزلُ منه من اللوح المحفوظ في ليلة القدْر من كلِّ سنة قدرُ ما يُنْزِله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة، فنزولُه من اللوح المحفوظ في عشرين ليلةً، كلٌّ ليلة منها كانت ليلةَ القدر، ونَزَل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة.

قال أبو محمد عبد الله بن ثابت بن يعقوب المقرىء القاضي: حدثني أبي، حدثني الهُذَيل بن حَبيب أبو صالح الأزدي، عن مقاتل بن سليمان(١)

«الأسماء والصفات» ص٣٠٣، و«الدلائل» ٧: ١٣١، جميعًا من طريق يزيد بن هارون، به.

(١) مقاتل: متروك ساقط، لا يعول على نقله، وقد ذكر هذا القولَ الماورديُّ أولاً في «تفسيره» ٦: ٣١١، وثنَّى بقول الشعبي الآتي، فنُسب إلى الماوردي أنه يقول بمقتضاه لكونه قدَّمه.

وقد أنكر القاضي ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤: ٤٢٧ هذا القول جدًّا فقال: «من جهالة المفسرين أنهم قالوا: إن السَّفَرة ألقتْه إلى جبريل في عشرين ليلة، وألقاه جبريل إلى محمد عليهما السلام في عشرين سنة. وهذا باطل، ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة». ووافقه القرطبي ٢٠: ١٣٠.

وفي ٢: ٢٩٧ من «تفسير» القرطبي نقل قول مقاتل هذا وعلَّق عليه ٢٩٨ بقوله: «هذا خلاف ما نقل من الإجماع أن القرآن أُنزل جملة واحدة». وقال عنه الحافظُ في «الفتح» ٩: ٥: «غريب».

فيكون في قول مقاتل منكران، وإن كان السيوطي في «الإتقان» ١: ١١٨ قال: «أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك، عن ابن عباس»، ولذلك نسبه الماوردي ٦: ٣١٢ إلى ابن عباس، لكنني أخشى أن يكون من رواية جويبر التالف المتروك، عن الضحاك، وقد جاء هذا الخبر في كلام الإمام المقرىء العَلَم السخاوي في «جمال القراء» ١: ٢٠ على عكس ما في كلام مقاتل، قال: «... أمر الله جبريلَ عليه السلام =

قال عن القرآن: أنزله الله عز وجل من اللوح المحفوظ إلى السَّفَرة ـ وهم الكَتَبَة من الملائكة ـ في سماء الدنيا، فكان يَنزل ليلةَ القدر من الوحي على قدر ما ينزلُ به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة كلِّها إلى مثلها من القابل، حتى نزل القرآنُ كلُّه في ليلة القدر، ونزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة.

والقول الثالث: أن الله عز وجل ابتدأ بإنزال القرآن في ليلة القدر. قاله الشعبي، فيما حكاه أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي في «تفسيره»[١].

وروينا في كتاب «فضائل القرآن»[٢] لأبي عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن داود بن أبي هند قال: قلت للشعبي: قوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ أمَا نزل عليه القرآنُ في سائر السنة إلا في شهر رمضان؟ قال: بلى، ولكن جبريل عليه السلام كان يُعارِض محمداً صلى الله عليه وسلم بما ينزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان.

تابعه أبو بكر بن أبي شيبة، عن ابن أبي عدي[٣].

وجوَّز بعضهم في قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ ـ مع العلم بنزوله أيضًا في غير شهر رمضان ـ: أن يكون أُنزل جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في شهر رمضان، وأولُ نزوله إلى الأرض على النبي صلى الله عليه وسلم كان في شهر رمضان، وعَرْضه مع

بإملائه على السفرة الكرام البررة عليهم وإنساخهم إياه وتلاوتهم له». فجبريل عليه السلام أملاه على السفرة وأخذوه عنه، لا أنه أخذ القرآن عنهم.

(١) تفسير سورة القدر ٦ : ٣١٢.

(٢) صفحة ٢٢٣.

(٣) لم أجده في «مصنف» ابن أبي شيبة.

جبريل عليه السلام في شهر رمضان(١).

وفي إنزال القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، ثم في إنزاله مفرَّقًا ـ كما تقدم ـ: تعظيمٌ لأمرِ القرآن وأمرِ مَن أُنزل عليه ذلك بإعلام سُكَّان السموات السبع أن هذا آخرُ الكتب، المنزلُ على خاتم النبيين، لأشرف الأمم، قد قرَّبه الله إليهم لينزِله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصولَه إليهم مفرَّقًا بحسَب الوقائع لَهُبِط به إلى الأرض جملةً كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله تعالى بايَنَ بينه وبينها فجمع لنبينا صلى الله عليه وسلم الأمرين: إنزالَه جملةً، ثم إنزالَه مفرَّقًا.

وفيه أيضًا إشارة إلى زيادة شرفٍ لنبينا صلى الله عليه وسلم، لأن كلَّ رسول أُنزل الله عليه كتابَه جملةً واحدة، كما أُنزل القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، فشارك نبيُّنا صلى الله عليه وسلم الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام، وامتاز عليهم بإنزال القرآن أيضًا عليه مفرقًا.

ونزول القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا: هل كان بعد ظهور نبوة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، أم قبل بعثته؟ يَحتمِل كلاً من الأمرين،

---

(١) أما إنزاله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا: فانظر أدلته في «الإتقان» ١: ١١٦، وأما نزوله إلى الأرض في شهر رمضان: فلحديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عند أحمد ٤: ١٠٧: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزلت الإنجيل لثلاثَ عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان». وفيه عمران بن دَاوَر القطان يُحسَّن حديثه، وإن كان يشكل عليه أن أول نزول القرآن كان في ليلة القدر، والأحاديث الكثيرة دالة على أنها تكون في ليالٍ فردية لا زوجية.

وأما عرضه مع جبريل في شهر رمضان: فثابت في عدة أحاديث، منها ما رواه البخاري في أول «صحيحه» ١: ٣٠ (٥) وانظر أطرافه، ثم ٦: ٦٢٨ (٣٦٢٤) و ١١: ٧٩ (٦٢٨٥).

والظاهر أنه قبلها[١]، ومن فائدته: إعلامُ الملائكة بقرب ظهورِ الأمة المحمدية، وإرسالِ نبيهم خاتم الأنبياء الذي ينزل عليه هذا القرآن، كما أعلم الله الملائكة بخلق آدم عليه الصلاة والسلام قبل إيجاده، فقال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾.

وفي إنزالِ القرآنِ جملةً ثم نَزَلَ مفرقًا من الفوائد أيضًا: ما أشار الله عز وجل إليه بقوله تعالى جوابًا عن مقالة الكفار التي أخبر الله تعالى بها في قوله عز وجل: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة﴾ فقال تعالى في الجواب: ﴿كذلك﴾ أي نزَّلْناه مفرَّقًا ﴿لنثبِّت به فؤادَك ورتَّلْناه ترتيلاً﴾ أي: لنقوِّي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدَّد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدَّ عنايةً بالمرسَل إليه، ويستلزم ذلك كثرةَ نزولِ جبريل إليه وسلامِه عليه، وتجديدِ العهد به وبما معه من الرسالة الواردة عن ذلك الجناب العظيم الإلهي، فيحدُث له بذلك من الخيرات والمسرَّات، ما تَضِيق عن تفصيله العبارات، ولهذا ـ والله أعلم ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجودَ بالخير من الريح المرسَلة[٢].

---

(١) ونقله الزركشي في «البرهان» ١: ٢٣٠ عن أبي شامة المقدسي، ثم قال من عنده: «كلاهما محتمل، فإن كان بعدها فوجه التفخيم منه ما ذكرناه ـ وهو ما سبق عند المصنف: إعلام سكان السموات.. ـ وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر».

(٢) رواه البخاري في مواضع من «صحيحه»، أولها ١: ٣٠ (٦)، ومسلم ٤: ١٨٠٣ (٥٠).

هذا، وقد كتب العلامة الداعية البارع الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله تعالى في كتابه البديع المظفَّر في جولاته كلها «مناهل العرفان» ١: ٥٣ ـ ٦٢، كتب في حِكَم ذلك وأسراره ما لا يجده القارىء عند غيره ممن سبقه، وما يجده القارىء عند غيره ممن لحقه فهم آخذون من مَعِينه، وإن غمطوه حقه فلم يذكروه!.

واختلف: كم كان بين نزول أول القرآن وآخره على ثلاثة أقوال.

أحدها ـ وتقدم عن ابن عباس وغيره ـ: أنه عشرون سنةً، وعلى هذا الأكثرُ.

والثاني: أنه ثلاث وعشرون سنةً، وهو الأظهر لي[1].

والثالث: أنه خمس وعشرون سنة.

أما مدة نزوله بالمدينة فلا خلاف أنها كانت عشر سنين، وإنما الخلاف فيما نَزَل بمكة بعد البعثة.

وأولُ ما نزل بمكة ـ بل مطلقًا ـ أول سورة: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ نزلتْ بغار حِراء، وهذا أول مرة نزل فيها جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي، ثم نزل بعد ذلك: ﴿يا أيها المدثر قم

---

(١) وهذا مذهب من يجبر الكسر، وتحريرها أنها اثنتان وعشرون سنة، وخمسة أشهر، وتسعة أيام، بناء على المشهور في ولادته صلى الله عليه وسلم وبعثته وهجرته ووفاته أنها كانت في ١٢ من شهر ربيع الأول، وأنه استكمل صلى الله عليه وسلم من العمر ثلاثًا وستين سنة.

لكن ينقص منها الأشهر الستة الأولى من البعثة، إذ كانت فيها الرؤيا الصالحة والصادقة، ولم يكن فيها نزول قرآن، وذلك إلى ١٢ من شهر رمضان. وينقص منها أيضًا ١٢ يومًا، تضاف إلى الأشهر الستة، وهي من ١٢ رمضان إلى ٢٤ منه، لحديث واثلة السابق قريبًا.

وينقص من آخرها أيضًا تسع ليال، ذلك أن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾ وحدَّد مجاهد وابن جريج ـ كما سيأتي قريبًا ـ أنه صلى الله عليه وسلم عاش بعدها تسع ليال، فيكون نزولها في ٣ من شهر ربيع الأول. فمجموع ما ينقص من الثلاثة وعشرين عامًا: ٦ أشهر و١٢ يومًا و٩ أيام. أي ستة أشهر وواحد وعشرون يومًا. وتكون مدة نزول القرآن الكريم خلال ٢٢ سنة وخمسة أشهر وتسعة أيام. والله أعلم.

فأنذر﴾ وقيل: أول ما نزل: ﴿يا أيها المدثر﴾[١].

وقيل: أول ما نزل من القرآن فاتحة الكتاب، ويُروَى في ذلك عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

---

(١) وهو ظاهر ما روي عن جابر رضي الله عنه، رواه البخاري عنه في تفسير سورة المدثر ٨: ٦٧٦ (٤٩٢٢) وما بعده، لكن في لفظٍ له (٤٩٢٥) ولفظ مسلم ١: ١٤٣ (٢٥٥، ٢٥٦) عن جابر: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدِّث عن فترة الوحي» ثم ذكر نزول السورة، لذلك قالوا: إنها أولية مخصوصة مقيدة، فلا يُعارض أولية أول سورة اقرأ.

(٢) عُزِي هذا القول إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل الهَمْداني المُخَضْرَم المتوفَّى سنة ٦٣ للهجرة، عزاه إليه العَلَم السخاوي في «جمال القراء» ١: ١١ لكونه راوي الحديث، والحديث رواه ابن أبي شيبة (٣٧٧١٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٢: ١٥٨ وهو مرسل ورجاله ثقات، كما قاله السيوطي في «الإتقان» ١: ٧١، وهو يشبه حديث بدء الوحي من بعض الوجوه، لذلك قال البيهقي عقبه: «هذا منقطع، فإن كان محفوظًا فيحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعدما نزلت: اقرأ باسم ربك، ويا أيها المدثر».

وأشار إليه الزركشي في «البرهان» ١: ٢٠٧ ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني قوله في «الانتصار»: «هذا الخبر منقطع ـ أي مرسل ـ... وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات: اقرأ، وأول ما نزل من أوامر التبليغ: يا أيها المدثر، وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة».

ويبدو أن تعليل الحديث بالإرسال لا يضره، فإرسال مثل أبي ميسرة الذي توفي في عصر كبار الصحابة لا يضر إنما يضعفه ما أشار إليه البيهقي بقوله «إن كان محفوظًا» فهذه إشارة إلى أنه شاذ، وهو كذلك، والقصة تأبى الاحتمال الذي ذكره البيهقي، والله أعلم.

وأعود إلى قول المصنف إن هذا القول يروى عن علي رضي الله عنه، فأقول: روى حديث أبي ميسرة هذا الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٥ مختصرًا وقال بعده: «وهذا =

ونُصر هذا القول لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بعد البعثة على المشهور ثلاث عشرة سنة، فما يُظَنُّ أنه في هذه المدة كان يصلِّي بغير فاتحة الكتاب. والله أعلم[١].

وأما آخر ما نزل من القرآن من آياته: ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾ الآية، كما رُوِّيناه في كتاب «فضائل القرآن»[٢] لأبي عبيد قال: حدثنا حجَّاج، عن ابن جُرَيج، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: آخر آية أنزلت من القرآن هي: ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾[٣]. قال[٤]: زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسعَ ليالٍ. وبُدِىء[٥]

قول علي بن أبي طالب. أخبرنا أبو إسحاق.. عن علي بن أبي طالب قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش». فكأن المصنف رحمه الله فهم من قول الواحدي «وهذا قول علي» أنه يقول بأنها أول ما نزل، وهذا مقبول لو لم يذكر بعده قوله: نزلت فاتحة الكتاب بمكة...، فإن صنيعه هذا فسَّر قوله الأول «وهذا قول علي» بأن عليًّا رضي الله عنه يقول: إن فاتحة الكتاب مكية فقط، دون نسبة الأولية لها. والله أعلم.

(١) قاله الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٦، ولا يخفى ما فيه من نظر!.

(٢) صفحة ٢٢٤.

(٣) الخبر في «تفسير» ابن جرير أيضًا ٣: ١١٥، وابن جُريج لم يدرك ابن عباس، لكن روى البخاري في تفسير سورة البقرة ـ تحت باب ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا. يريد آيات الربا ومعها هذه الآية التي خُتِمت بها.

(٤) هذا من كلام ابن جريج، لا ابن عباس ـ وإن أوهم ذلك كلامُ بعضهم ـ ومثله عند ابن جرير، وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير: أن هذه الآية آخر ما نزل، وأنه عليه الصلاة والسلام عاش بعدها تسع ليال أيضًا، كما في «الإتقان» ١: ٧٨.

(٥) هكذا بخط المصنف مع الضبط، وعند ابن جرير ٣: ١١٥: وبدا يوم السبت، وعُلِّق عليه لتأكيد التحريف: يريد أنه احتجب عن الناس لمرضه، ثم خرج لهم يوم السبت! ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم بدأ به المرض يوم السبت.

به يوم السبت، ومات يوم الاثنين صلى الله عليه وسلم.

وقيل: آخر آية نزلت آياتُ الربا، وهذا داخلٌ في القول الأول، لأن آخر آيات الربا ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾ الآية. قال أبو عبيد ـ فيما رُوِّيناه عنه ـ: حدثنا عبد الله بن صالح وابن بُكَير، عن الليث، عن عُقَيل، عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهدًا بالعرش: آية الربا وآية الدَّيْن.

وقيل آخر آية نزلت آية الكَلالة: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ إلى آخرها[1].

وقيل: آخر آية نزلت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ إلى آخر الآيتين[2].

وكذلك اختُلف في آخر سورة نزلت، فصحَّ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: آخر سورة نزلت: براءة[3]، ورُوي ذلك عن أبي الشعثاء والجمهور.

وقيل: آخر سورة نزلت المائدة، وقد جاء حديثٌ مرفوع بذلك أن

---

(١) سيأتي تخريجه في الحاشية رقم (٣)، وهذا وما بعده في آخر آية أو آخر سورة: آخرية مقيَّدة لا مطلقة، فلا تعكِّر على ما تقدم.

(٢) هذا قول أبي بن كعب رضي الله عنه، رواه عنه الحاكم في «المستدرك» ٢: ٣٣٨ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وهو من وجه آخر عنه رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» ٥: ١٣٤، وانظر «مجمع الزوائد» ٧: ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) روى البخاري: آخر تفسير سورة النساء ٨: ٢٦٧ (٤٦٠٥)، وأول تفسير سورة براءة ٨: ٣١٦ (٤٦٥٤) عن البراء قال: آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ وآخر سورة نزلت: براءة. وهو عند مسلم في كتاب الفرائض ٣: ١٢٣٦ (١١، ١٢) وذكر مسلم أن بعض رواته رواه بلفظ: آخر سورة أُنزلتْ تامة، وبعضهم: أنزلت كاملة، وكذلك هو لفظ شيخه ابن أبي شيبة (٣٠٨٣٩)، وهذا يعكِّر على قول ابن حجر ٨: ٣١٦: «المراد بعضها أو معظمها».

النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة المائدة في حجَّة الوداع وقال: «يا أيها الناس إن آخر القرآن نزولاً سورة المائدة، فأَحِلُّوا حلالها وحرِّموا حرامها»[١].

وترتيب الآيات والسور كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بأمره، رُوِّينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن عثمان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو يَنزِل عليه السورُ ذواتُ العَدَد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكَر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية يقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، خرَّجه الترمذي في «جامعه» وحسَّنه، والحاكم في «مستدركه» وصححه[٢].

---

(١) عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس ـ من التابعين ـ قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلُّوا حلالها وحرِّموا حرامها». فهو مرفوع مرسل.

وروى النسائي ٦: ٣٣٣ (١١١٣٨)، والحاكم ٢: ٣١١ وصححه ووافقه الذهبي، عن جبير بن نفير قال: دخلت على عائشة فقالت لي: هل تقرأ سورة المائدة؟ قلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرِّموه.

وروى الترمذي: آخر تفسير سورة المائدة ٥: ٢٤٣ (٣٠٦٣) وحسَّنه، والحاكم ٢: ٣١١ وصححه، عن عبد الله بن عَمرو قال: آخر سورة أنزلت المائدة. وعلَّق عليه الترمذي بقوله: «ورُوي عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أنزلت: إذا جاء نصر الله والفتح» يشير إلى ما رواه مسلم عنه أواخر «صحيحه» ٤: ٢٣١٨ (٢١).

(٢) رواه الإمام أحمد ٢: ٣٢٩، ٣٧٦ (٣٩٩، ٤٩٩) من طبعة شاكر، والترمذي في تفسير سورة التوبة ٥: ٢٥٤ (٣٠٨٦) وقال: حسن صحيح، وابن حبان =

وراويه عثمان بن عفان رضي الله عنه كان أحدَ كتَّاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم.

فكُتّابه من الصحابة رضي الله عنهم: الخلفاء الأربعة، وأُبَيّ بن كعب ـ وهو أول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم[(١)] ـ وزيد بن ثابت،

= ١: ٢٣٠ (٤٣)، والحاكم ٢: ٢٢١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، و٣٣٠ وصحح إسناده ووافقه الذهبي أيضًا، والبيهقي ٢: ٤٢. وللأستاذ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الموضع الأول من «المسند» كلام حول هذا الحديث، قال في أوله: «في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جدًّا، بل هو حديث لا أصل له». ثم رجح أن صواب قول الترمذي فيه: حديث حسن، لا: حسن صحيح، وختم كلامه بالنقل عن أستاذه رشيد رضا ما يقارب حكمه عليه.

وفي كلامه هذا اجتهاد كبير وتوسُّع غير مقبول، ولم يجر على عادته ـ رحمه الله ـ في تحرير المسائل، فلم يحرر الكلام على يزيد الفارسي، يُعلم ذلك بالنظر المتأنّي في ترجمته، وإدخالُ ترجمته في ترجمة يزيد بن هرمز، غير مرضي، فيكفي تحرير المزي وابن حجر وغيرهما أنهما اثنان، ويكفي قول أبي حاتم في يزيد الفارسي: لا بأس به، ولذا كان من الإجحاف في حقه قول ابن حجر في «التقريب»: مقبول! وقال الزركشي في «البرهان» ١: ٢٤: «جاء ذلك في أخبار ثابتة في الترمذي والمستدرك..» وذكر الحديث، وينظر «السنن الكبرى» للبيهقي ٢: ٤٢، و«كنز العمال» ٢: ٥٨٠.

والحديث ذكره ابن حجر في «الفتح» ٩: ٤٢ فقال: «وأخرج أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم...» فذكره ثم استنبط منه حكمًا فقال: «فهذا يدل على أن ترتيب الآيات في كل سورة كان توقيفيًّا...» ولو كان حديثًا لا أصل له لما ساقه الحافظ هذا المساق، وإن كنت لا أرى أن سكوت الحافظ عن حديثٍ ما في «الفتح» و«التلخيص» علامة على صحته عنده، إلا في فوائده المتنية والإسنادية المتعلقة بالحديث إذا كان في البخاري، وإلا في مثل هذه القرينة مع سكوته عن تصحيح ابن حبان والحاكم.

(١) «حين قدم المدينة» كما قيَّده بذلك أبو هلال العسكري في «أوائله» ص٢٩٦، وهذا أولى من إطلاق المصنف وابن حجر وهما متابعان فيه للواقدي، كما =

ومعاوية بن أبي سفيان[١] ـ وهما كانا مداومَيْن على الكتابة ـ وحنظلة بن الربيع الأُسَيِّدي، وخالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة، وأبان بن سعيد ابن العاصي بن أمية، والعلاء بن عبد الله الحضرمي[٢]، والسِّجِل، وخبره

تجد كلامه في «الإصابة».

(١) في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٥٩: ٥٥: «خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين» ونحوه في ترجمته من «التقريب»، والمعروف أنه من كتَّابه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك. ونقل الذهبي في «السير» ٣: ١٢٣ حديثًا عن «المسند» فيه: «وكان يكتب الوحي» لكنها ليست في المطبوع، فكأنه كتبها من حفظه. ثم رأيت النص على أنه من كتبة الوحي في «التراتيب الإدارية» ١: ١١٥، ١٢٢ وهذا الموضع الثاني نقله عن «الشفا» للقاضي عياض ٢: ٦١٧.

ثم رأيت في «المسند» ١: ٢٩١ قول ابن عباس رضي الله عنهم: «وكان كاتبه»، وهو محتمل للأمرين.

(٢) فهؤلاء أحد عشر كاتبًا، وذكر ابن القيم في «زاد المعاد» ١: ١١٧ سبعة عشر كاتبًا، وعند كلٍّ منهما مَن لم يذكره الآخر، لكن ينبغي التمييز بين كتَّاب الوحي وكتّاب الملوك، فظاهر صنيع المصنف هنا أنه يذكر كتَّاب الوحي، وصنيع ابن القيم العموم. وذكر ابن سيد الناس في «سيرته» ٢: ٤١٣ خمسة وعشرين كاتبًا ـ جزمًا ـ ويزاد: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإنه وإن كان قد ارتد، لكنه عاد إلى الإسلام وحسُن إسلامه، وكان له فضل عظيم في فتوح إفريقية. ثم قال: «وذُكِر في كتّابه عليه الصلاة والسلام...» وذكر اثني عشر كاتبًا. ثم ذكر السِّجِلّ.

وذكر القسطلاني في «المواهب» ٢: ١٢٥ ـ ١٣٠ سبعة وعشرين. أما ابن حديدة الأنصاري في كتابه «المصباح المضي في كتّاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي» فذكر اثنين وأربعين كاتبًا، يضاف إليهم رجلٌ من بني النجار ارتد ولما مات لَفَظَتْه الأرض، والسجلُّ، وسيأتي الكلام عليه عقب هذا. وكأن القسطلاني عنى هذا الكتاب أول كلامه، وأشار في آخره أنه ينقل عن كتاب للدمياطي، وسبق الكلَّ عمر بن شبة حيث أفردهم بكتاب. وانظر لزامًا «التراتيب الإدارية» ١: ١١٥.

لا يثبت[1]، قيل: وهو المراد في قوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطيٍّ

---

(١) روى أبو داود في كتاب الخراج والإمارة ـ باب في اتخاذ الكاتب (٢٩٢٨)، والنسائي ٦: ٤٠٨ (١١٣٣٥) وغيرهما، عن ابن عباس أنه قال: «السجل كاتب النبي صلى الله عليه وسلم». وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٤: ٣٤٠ إلى «البيهقي في سننه وصححه» وينظر؟.

وقد قال ابن جرير في «تفسيره» ١٧: ١٠٠: «لا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه». ونقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله في «حواشيه على تهذيب سنن أبي داود للمنذري» ٤: ١٩٦ أنه قال عن الحديث: موضوع، لِما جاء في كلام ابن جرير، وزاد: أن الآية مكية، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب بمكة.

وكذلك مال ابن كثير في «تفسيره» إلى رد الحديث وقال ٤: ١٧٤: «صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في «سنن» أبي داود، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي».

وترجم الحافظ في «الإصابة» ٣: ٦٥ في القسم الأول من حرف السين: «سجل، كاتب النبي صلى الله عليه وسلم» وذكر رواية ابن عباس المذكورة، ثم زاد من عند ابن مردويه وابن منده و«تاريخ بغداد» ٨: ١٧٥ روايته عن ابن عمر، وقال: «فهذا الحديث صحيح بهذه الطرق وغفل من زعم أنه موضوع».

قلت: حديث ابن عمر ذكره ابن كثير في «التفسير» وقال: «هذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر، لا يصح أصلاً»، وكذلك قال الذهبي في «الميزان» ٤: ٦٠٢ (٢٢٨٦) ترجمة حمدان بن سعيد أحد رواته، وتعقبه الحافظ في «اللسان» ٢: ٣٥٦ بطريق ابن عباس، وبأن حمدان لم يضعفه أحد قبل المؤلف.

لكن كلام الخطيب يؤيد كلام ابن كثير، ففيه: «قال البَرْقاني: قال أبو الفتح الأزدي: تفرد به ابن نمير. إن صح» والحافظ نقل قوله «تفرد به ابن نمير» فقط وقال: «ابن نمير من كبار الثقات، فهذا الحديث صحيح..» وكأن قوله «إن صح» إن لم يكن سقط من نسخته من «تاريخ بغداد» فيكون قد حذفه الحافظ لعدم رضاه به، والله أعلم. وهذا التعليق سواء أكان من الخطيب أم من شيخه البرقاني أم من الأزدي =

السِّجِل للكتب﴾. والمشهور من الكتَّاب، المذكورون قبله رضي الله عنهم.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمة الله عليه: واعلم أن القرآن كان مجموعًا كلَّه في صدور الرجال أيامَ حياةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومؤلَّفًا هذا التأليف الذي نشاهده ونقرؤه إلا سورةَ براءة، فإنها كانت من آخر ما نزل من القرآن ولم يُبيِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه موضعَها من التأليف حتى خرج من الدنيا، فقرنها الصحابة بالأنفال، وبيان ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمانَ رضي الله عنه: ما حملكم على أن عَمَدتم إلى براءة ـ وهي من المئين ـ وإلى الأنفال ـ وهي من المثاني ـ فقرنتم بينهما ولم تجعلوا بينهما سطرًا في بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطُّوَل؟ فقال عثمان: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه من السور التي يذكر فيها كذا وكذا، فإذا أنزلت عليه الآيات يقول: ضعوا هذه الآيات في موضع كذا وكذا، فإذا نزلت عليه السورة يقول: ضعوا هذه في موضع كذا وكذا، وكانت الأنفال أولَ ما أنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتُها تشبه قصتَها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبيِّن أمرها، فظننتُ أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم

يخدش الاعتماد على السند من حيث هو، ويعكِّر على ابن حجر تصحيحه له. والخلاصة أن القلب إلى كلام منكريه أميل.

يبقى لفت النظر إلى قول ابن تيمية رحمه الله: لم يكن لرسول صلى الله عليه وسلم كاتب بمكة، إن كان يريد كاتبًا للملوك: فهذا واضح، وإن كان يريد كاتبًا للوحي: فهذا فيه نظر، إذ نزل من القرآن بمكة شيء كثير لا بدَّ له من كتابة، وقد ذكروا أن ابن أبي سرح كان كاتبه بمكة، بل لفظ ابن حجر في «الفتح» ٩: ٢٢: «أول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح»، فأفاد أن له ثانيًا و...، والله أعلم.

أجعل بينهما سطرًا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطُّوَل[١].

قال البيهقي: وفيما روينا من الأحاديث المشهورة في ذكر مَن جمع القرآن من الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]، ثم ما روينا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: كنا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلِّف القرآن[٣]، ثم ما روينا في كتاب «السنن»: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاةِ كذا بسورةِ كذا[٤]: دلالةٌ على

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٧٤.

(٢) روى البخاري في مناقب الأنصار ـ مناقب زيد بن ثابت ٧: ١٢٧ (١٣٨٠) ـ ومواضع أخرى ـ، ومسلم في فضائل الصحابة ـ فضائل أبي بن كعب وجماعة ٤: ١٩١٤ (١٩) عن أنس أنه قال: جَمَع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ، ومعاذ، وأبو زيد، وزيد بن ثابت. فقال قتادة لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. وانظر «فتح الباري» ٩: ٥١ ـ ٥٢، و«البرهان» ١: ٢٤١.

(٣) وفيه: فقال صلى الله عليه وسلم: «طوبى للشام» الحديثَ، رواه ابن أبي شيبة (١٩٧٩٥، ٣٣١٣٣)، والإمام أحمد ٥: ١٨٤، ١٨٥، والترمذي آخر «سننه» (٣٩٥٤) وقال: حسن غريب ـ وعند المنذري في «الترغيب والترهيب» ٤: ٦٣ أنه صحيح ـ، وابن حبان ١٦: ٢٩٣ (٧٣٠٤)، والحاكم ٢: ٢٢٩ وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني ٥: ١٥٨ (٤٩٣٣ ـ ٤٩٣٥)، وذكره الهيثمي ١٠: ٦٠ وصححه، مع أنه ليس على شرطه في زيادات «مجمع الزوائد».

(٤) هذا كثير في الأحاديث، ومنها: ما في «الموطأ»: أن أبا بكر قرأ سورة البقرة، وفي الصحيحين في حديثِ «أفَتَّانٌ أنت يا معاذ»: أن معاذًا قرأ بهم سورة البقرة، وحديث حذيفة رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صلاة المسافرين ـ باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ١: ٥٣٦ (٢٠٣): أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة ثم النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها..

=

صحة ما قلناه، إلا أنه كان مثبَتًا في صدور الرجال، مكتوبًا في الرِّقاع واللِّخاف والعُسُب[1]، وأمر أبو بكر رضي الله عنه حين استحرَّ القتلُ بقرَّاء القرآن يوم اليَمَامة بجمعه من مواضعه في صُحُف، ثم أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى مصاحف[2]، مع بذل المجهود في معارضةِ ما كان في الصحف بما كان مثبَتًا في صدور الرجال، وذلك كلُّه بمشورة مَن حَضَر من علماء الصحابة، وارتضاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحَمِد أثره فيه[3].

الحديث. وفي «سنن» أبي داود: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (٨٧٠)، و«مسند» الطيالسي ٥٦ (٤١٦) قال حذيفة: فصلى ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ـ أو الأنعام ـ شك شعبة.

وفي «سنن» أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب من رأى التخفيف في صلاة المغرب (٨١٠) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة.

ومعلوم أن المفصَّل يبدأ من سورة الحجرات أو التي بعدها، إلى آخر القرآن الكريم.

وطوال المفصل تبدأ من هنا إلى آخر سورة البروج، وأوساطه من سورة الطارق إلى آخر سورة البينة، وقصاره من الزلزلة إلى آخره. انظر «مناهل العرفان» ١ : ٣٥٢.

(١) هذه الكلمات جاءت في حديث زيد بن ثابت لما أمره أبو بكر وعمر بجمع القرآن، وهو في «صحيح» البخاري ٩ : ١٠ (٤٩٨٦) باب جمع القرآن. والرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغَد. واللخاف: جمع لَخْفَة، وهي حجارة رقيقة. والعُسُب: جمع عسيب، وهو جريد النخل. واستحرَّ: اشتد وكثر. كما في «فتح الباري».

(٢) هو في «صحيح» البخاري أيضًا عقب الرقم المتقدم.

(٣) روى ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» ص٢٩ ـ ٣٠ خبرًا طويلاً، فيه =

والله يغفر لنا ولهم.

ويشبه أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما لم يجمعه في مصحف واحد لِمَا كان يعلم من جوازِ ورودِ النسخِ على أحكامه ورسومه، فلما ختَم الله دينه بوفاة نبيه صلى الله عليه وسلم، وانقطع الوحي قَيَّض لخلفائه الراشدين عند الحاجة إليه جمعَه بين الدَّفَّتين.

وقد أشار أبو سليمان الخطابي رحمه الله إلى جملة ما ذكرناه، وذكره أيضًا غيره من أئمتنا، والأخبارُ المشهورة ناطقةٌ بجميع ذلك، والحمد لله على ظهور دينه ووضوح سبيله. قاله البيهقي في كتابه «المدخل إلى السنن»[١].

هذا مما أُشِير به إلى ترتيب القرآن في المصحف.

أما ترتيب نزوله: فلم يكن كترتيبه في المصحف، ونزولُه على نيِّف وعشرين وجهًا.

فمنه ما نزل بمكة، وعددُ السور المكِّيَّات أربعٌ وثمانون سورةً، أولُها ـ كما تقدم على الأكثر[٢] ـ ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، وآخرها في قول ابن عباس رضي الله عنهما: سورة العنكبوت، وفي قول الضحاك بن مزاحم، وعطاء بن أبي رباح: المؤمنون[٣].

قول علي: «.. والله ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعًا.. قال عثمان: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف. قلنا: فنِعْم ما رأيت.. قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل» قال ابن حجر في «الفتح» ٩ : ١٨ : إسناده صحيح.

(١) وهو من النصوص المفقودة من الكتاب المطبوع. لكن معناه وقريب من لفظه تجده في أواخر «الدلائل» ٧: ١٤٧ فما بعدها.

(٢) تقدم ص ١٧٠.

(٣) كما في «البرهان» ١ : ١٩٣ ـ ١٩٤، وروى ابن الضُّرَيس ص٧٣ ـ ٧٤ عن =

هذا من أنواع علوم القرآن الذي بُعِث نبينا صلى الله عليه وسلم بتعليمه، كما قال تعالى في الآية: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾. وكلَّما تُدُبِّر القرآن وأُثير ثارتْ علومه، وأَبرزَها منطوقه ومفهومه. روِّينا من حديث سفيان الثوري رحمة الله عليه، عن أبي إسحاق، عن مُرَّة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أردتم العلمَ فأَثِيروا القرآن(١)، فإن فيه علمَ الأولين والآخرين.

و(الحكمة) المذكورة في الآية: هي السنة النبوية التي تلقَّاها خير القرون المشار إليهم في الآية الشريفة بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾.

والمؤمنون في هذه الآية الشريفة صحابةٌ وغيرُ صحابة، وأفضلُ القسمين الصحابةُ، وعنهم أُخِذَ دين الإسلام، وقامت شرائع الأحكام، والصحابة على أقسام وطبقات، كما أن التابعين في درجاتٍ، أعلاهم المخضرَمون، لكن وقع لنا: مسلمٌ رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم سماعًا منه مشافهةً ورؤية له، وليست له صحبة(٢)!.

* * * * *

ابن عباس أن سورة المطففين نزلت بعد سورة العنكبوت، لكن في إسناده عمر بن هارون وهو متروك. وانظر ص١٠٨. ثم في تصريح المصنف بأن عطاء هو ابن أبي رباح: فيه وقفة، فالذي يُنقل عنه كلام في هذا الصدد في أكثر من موضع هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني الذي تقدم ـ انظر «جمال القراء» ما بين ص٧ إلى ٢٠ وغيره ـ وكلام الزركشي في «البرهان» الذي نقله المصنف جاء فيه هكذا: وقال الضحاك وعطاء، دون نسب. والله أعلم.

(١) «أثيروا القرآن»: ابحثوا فيه، وتفكروا في معانيه.

(٢) هكذا انقطع الكلام مع أن السطر ـ في المخطوطة ـ لم ينته، مما يدل على أن المصنف رحمه الله لم يتمم كلامه. وهذا الرجل الذي يريد المصنف أن يُلغز به هو: كعب بن عدي العِبادي الحِيري، وسيذكره المصنف ص٣٠٤ فما بعدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٨ -

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران - آية ١٦٤].

علوم القرآن التي اشتمل عليها كثيرة، ومعانيها المستنبطة منها خطيرة، والعلوم في القرآن إما مفصلة، وإما مجملة، نصًّا أو دلالة، ومأخذ علومه تارةً تؤخذ من منطوقه نصًّا، وتارة تؤخذ من مفهومه دلالةً...[1] وإلحاقًا للفروع بالأصول.

وهذه الآيات فيها علوم كثيرة، ومأخذها من المنطوق ومن المفهوم.

فمن الأول: الإشارة إلى كرم الله سبحانه وتعالى وأنه يُعطي مَن يشاء مِن عباده بلا سؤال، بل بمجرَّد منٍّ وإفضال منه سبحانه على المؤمنين ببعثة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى غير ذلك من العطايا المصرَّح بها في هذه الآيات مفصلةً ومجملةً.

ومن مفهوم الآيات: اقتضاءُ شكر الله تعالى على نِعَمه، إذ من لازم تذكير الله عبادَه بنعمه عليهم أن يشكروه، كما جاء التذكير مصرَّحًا به في غيرِ ما آية، منها قوله تعالى: ﴿يا أيها الناسُ اذكُروا نعمةَ الله عليكم هل من خالق غيرُ الله يرزقُكُم من السماء والأرض﴾.

ولا يُتَوَصَّل إلى شكر النعم إلا بذكرها، وبحصول العلم القطعي أنها من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ وقال عز

(١) كلمة غير واضحة جاءت على الحاشية الداخلية من الصفحة.

وجل: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾.

رَوِّينا في كتاب «الشكر» لابن أبي الدنيا من حديث القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شُكْرَها» الحديث[١].

وعن الحسن البصري قال: أَكْثِروا ذِكْر هذه النعم، فإن ذكرها شكر[٢].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: ذِكرُ النعم شُكْرُها[٣].

وعن أبي عبد الرحمن الشامي، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التحدث بالنعم

---

(١) هو عند ابن أبي الدنيا برقم (٤٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشُّعَب» ٤: ٩٢ (٤٣٧٩) = ٨: ٣٣٤ (٤٠٦٩) وفي إسناده هشام بن زياد أحد المتروكين، ورواه الحاكم في «المستدرك» ١: ٥١٤ وقال: «لا أعلم في إسناده أحدًا ذكر بجرح» فتعقَّبه المنذري في «الترغيب» ٣: ٩٤ بقوله: «كذا قال» والذهبي في «تلخيصه» بقوله: «بلى، قال ابن عدي ـ ٦: ٢٢٧٤ ـ: محمد بن جامع العطار لا يتابع على حديثه»، بل قال عنه أبو زرعة، كما في «الجرح والتعديل» ٧: ٢٢٣ (١٢٣١): «ليس بصدوق ما حدثت عنه شيئًا» ولم يَقْرأ حديثه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» ٥٠٣ (١٤٣٤)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٣)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ١٠٢ (٤٤٢١) = ٨: ٣٦٥ (٤١٠٧).

(٣) رواه المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك ص ٥٠٣ (١٤٣٦)، وابن أبي شيبة (٣٦٢٣٤)، وابن أبي الدنيا (٥٨)، ومن طريقه البيهقي (٤٤٢٠) = (٤١٠٦)، ومن طريق غيره (٤٤٢٢) = (٤١٠٨)، لكن لفظ يحيى بن سعيد عند ابن أبي شيبة: بلغني عن عمر. ومن مراسيل قتادة عند عبد الرزاق ١٠: ٤٢٥ (١٩٥٨٠): «مِن شكر النعمة إفشاؤها».

شكر وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة بركة، والفُرْقة عذاب» ورواه بنحوه عبد الله ابن الإمام أحمد من «زوائده في مسند أبيه»[1].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٣)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «زوائده على مسند أبيه» ٤ : ٢٧٨ من وجهين، و٣٧٥، وهو في «المسند» المطبوع من حديث الإمام أحمد، وهو خطأ مطبعي، نبَّه إليه الأخ الفاضل الدكتور الشيخ زهير الناصر في تعليقه على «أطراف المسند» ٥: ٤١٣ (٧٤٥٧)، ونبَّه إلى تحريفات أخرى فيه.

والحديث عزاه الهيثمي في «المجمع» ٥: ٢١٧ ـ ٢١٨ إلى البزار أيضًا والطبراني وقال: «رجالهم ثقات». لكنه قال في ٨: ٨٢ ـ وقد اقتصر على عزوه إلى «زوائد عبد الله» ـ: «راويه عن الشعبي لم أعرفه». وقال المنذري في «الترغيب» ٢: ٧٨: «لا بأس به».

ورواه البيهقي في «الشعب» في موضعين: ٤: ١٠٢ (٤٤١٩) = ٨: ٣٦٣ (٤١٠٥)، و٦: ٥١٦ (٩١١٩) من طبعة بيروت فقط.

وإسناد ابن أبي الدنيا المذكور أولاً هو: حدثنا عمر بن إسماعيل الهمْداني، حدثنا إسحاق بن عيسى، عن أبي وكيع، عن أبي عبد الرحمن الشامي، عن الشعبي.

أما عمر بن إسماعيل ـ حفيد مجالد بن سعيد ـ: فمتروك، لكن تابعه في الموضع الأول عند البيهقي الإمام إبراهيم الحربي.

وإسحاق بن عيسى: في طبقته رجلان مترجمان في «التقريب» (٣٧٥، ٣٧٦)، وكلاهما صدوق.

وأبو وكيع: هو والد الإمام وكيع: الجراحُ بنُ مَليح، كما جاء مصرَّحًا به في رواية عبد الله ابن الإمام أحمد.

وأما أبو عبد الرحمن: فنُسب شاميًّا في إسناد ابن أبي الدنيا، ومن طريقه البيهقي ـ الموضع الأول ـ وترجم البخاري في «الكنى» (٤٤١) ـ وابن أبي حاتم ٩: ٤٠٣ (١٩٣٣) ـ لأبي عبد الرحمن ـ غير منسوب ـ وأشار إلى هذا السند وحديثه وقال: «لا يتابع في هذا».

أما ابن عبد البر في «الاستغنا» ٣: ١٣٨٤ (٢٠٥١) فكذلك، لكنه زاد نقلاً عن =

فالتحدثُ بالنعم والعلمُ بأنها من الله عز وجل: ركنان من أركان الشكر. والشكر نصف الإيمان، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر[١]. ورُويَ أيضًا عن

أبي أحمد الحاكم قوله «قد قيل: إنه القاسم بن الوليد الهمْداني، فلا أدري أيصح ذاك أم لا؟».

ومستند أبي أحمد الحاكم ـ والله أعلم ـ وروده مسمىً كذلك في بعض أسانيده، من ذلك: ما جاء في «مسند الشهاب» ١ : ٦١ (٤٤) من طريق ابن أبي الدنيا، ثم (٤٥) من طريق أبي وكيع نفسه عن القاسم بن الوليد أبي عبد الرحمن. لكن لم يقل: همداني أو شامي! فيبقى توقف ابن عبد البر قائمًا.

والقاسم هذا إن صح أنه الهمْداني فهو صدوق، لكنه كوفي لا شامي، ولذا لم يتابع الذهبيُّ أبا أحمد الحاكم في «المقتنى» ففصل بين الترجمتين (٣٨١٤، ٣٨٨٤). وأعقب ابن عبد البر هذه الترجمة بترجمة أبي عبد الرحمن الشامي (٢٠٥٣) ـ وكذا الذهبي في «المقتنى» ـ وقال ابن عبد البر: «قال الحاكم: وخليقًا أن يكون محمدَ بنَ سعيد المصلوب». وهذا ما يبدو لي ـ والله أعلم ـ فالطبقة الزمنية مناسبة جداً، وإن لم يذكروا رواية بين هذا الكذاب المصلوب على الزندقة، وبين الإمام الشعبي رضي الله عنه.

أما من قال إنه القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبي أمامة: فبعيد، إذ القاسم هذا من طبقة الشعبي، وأيضًا فإن وفاته سنة ١١٢، وكانت وفاة الجراح بن مليح سنة ١٧٥، أو ١٧٦، فبينهما فترة زمنية طويلة، وليسا من بلدة واحدة ليقال: تحمَّل الجراح عنه وهو صغير السن. والله أعلم.

فالحديث لا يصح، ومتابعة عبد الحميد له عن الشعبي، الواردة في كتاب «الأمثال» لأبي الشيخ ٦٨ (١١١) لا قيمة لها، لأنها من رواية سوار بن مصعب، عن عبد الحميد، وسوار متروك الحديث، عند أبي حاتم، ومنكر الحديث عند البخاري!.

(١) هذا اللفظ في «إحياء العلوم» للإمام الغزالي ٤ : ٦٦، وكأن المصنف ينقله منه، أما لفظه المروي عند الطبراني في «الكبير» ٩: ١٠٤ (٨٥٤٤) فهو: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان»، وسنده صحيح، كما قال الهيثمي في «المجمع» ١ : ٥٧، وابن حجر في «الفتح» ١ : ٤٨. وقد علَّق الجملة الثانية منه الإمام البخاري في =

الشعبي من قوله[١].

وجاء مرفوعًا في «مسند الفردوس» لأبي منصور الديلمي من طريق يزيدَ الرَّقَاشي ـ وهو متروك ـ عن أنس رضي الله عنه[٢].

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ في أربع سور من القرآن:

في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أنْ أخرِجْ قومك من الظلمات إلى النور وذكِّرْهم بأيام

«صحيحه» آخر الباب الأول من كتاب الإيمان.

وروي هذا القول عنه مرفوعًا، رواه أبو نعيم في «الحلية» ٥: ٣٤، والبيهقي في «الشعب» ٧: ١٢٣ (٩٧١٦) = ١٧: ٢١٦ (٩٢٦٥)، والخطيب في «تاريخه» ١٣: ٢٢٦، وضعّف جدًّا إلا ما قاله العراقي في «تخريج الإحياء»: أول كتاب الصوم: سنده حسن!. وانظر التعليق على «الزهد» لوكيع ٢: ٤٥٦ (٢٠٣)، و«مسند الشهاب» ١: ١٢٦ (١٥٨)، و«الشعب» للبيهقي ١: ١٩٠ (٤٧) من طبعة الهند.

ويلاحظ أنه لا ذكر للشكر في اللفظ المروي.

(١) «كتاب الشكر» لابن أبي الدنيا (٥٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ١٠٩ (٤٤٤٨) = ٨: ٣٨٤ (٤١٣٤). وجاء إسناده على الصواب في كتاب ابن أبي الدنيا، وطبعة الهند لـ «الشعب». وفي طبعة بيروت منه: أبو عوانة، عن المغيرة بن عامر قال. فأبو عوانة: هو الوضاح اليشكري، والمغيرة: هو ابن مِقْسَم، لا ابن عامر، إنما هو: عن عامر، وعامر هو الشعبي. والتعليق الذي على «مسند الشهاب» ١: ١٢٧ يدل ـ والله أعلم ـ على أنه تحريف قديم.

(٢) «الفردوس» ١: ١١١ (٣٧٨)، ورواه السَّهمي في «تاريخ جُرجان» ٤١٠ (٧١٢)، والقُضاعي في «مسند الشهاب» ١: ١٢٧ (١٥٩)، والبيهقي في «الشعب» ٧: ١٢٣ (٩٧١٥) = ١٧: ٢١٥ (٩٢٦٤)، كلهم من طريق العلاء بن خالد القرشي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، والراوي عن العلاء بن خالد عند القضاعي: عتبة بن السكن، وهو مثل يزيد الرقاشي.

الله إن في ذلك لآياتٍ لكل صَبَّارٍ شكور﴾.

وقال تعالى في سورة لقمان عليه السلام: ﴿ألم تَرَ أن الفُلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآياتٍ لكل صبار شكور﴾.

وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿فجعلناهم أحاديثَ ومزَّقناهم كل ممزَّق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿ومن آياته الجوارِ في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

فالصبر والشكر هو الإيمان(١)، لأن جميع ما يباشره العبدُ في هذه الدار لا يخرج عن حصول أمرٍ إما ينفعه في الدنيا والآخرة، وإما يضرُّه فيهما، وإما ينفعه في أحد(٢) الدارين ويضره في الأخرى، وأشرف الأقسام أن يفعلَ العبد ما ينفعه في الآخرة ويتركَ ما يضره فيها. وهذا حقيقة الإيمان. ففعلُ ما ينفعه هو الشكر، وتركُ ما يضره هو الصبر.

والشكر والصبر متلازمان، لكن اختُلف أيهما أفضل: مقام الشكر أو مقام الصبر؟ على ثلاثة أقوال، الثالثُ: أنهما سواء(٣).

---

(١) انظر لتفصيل ذلك «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رحمه الله تعالى ٤: ٦١ فما بعدها.

(٢) كذا كتب رحمه الله، والأولى أن يقال: إحدى، فقد قال في «القاموس»: الدار قد تُذَكَّر.

(٣) وهو قول الإمام أبي سهل الصُّعلوكي، قال ـ وقد سئل: أيهما أفضل؟ ـ: هما في محل الاستواء، فالشكر وظيفة السراء، والصبر وظيفة الضراء. نقله البيهقي في «الشعب» ٤: ١٠٧ (٤٤٤٠) = ٨: ٣٧٨ (٤١٢٦)، ولا بدَّ من تفصيل مع كل قول، وانظر بيان ذلك في «الإحياء» ٤: ١٣٥، و«شرحه» ٩: ١٥٠.

ومن الأدلة على تفضيل الشكر على الصبر: أن الله عز وجل قَرَن ذكره الذي هو المراد من خَلْقه بشكره فقال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرونِ﴾.

وقد أخبر سبحانه أنه إنما يعبده من يشكُره، فمن لم يشكُره لم يكن من أهل عبادته، فقال تعالى: ﴿واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ وجعل سبحانه وتعالى الشكر هو الغايةَ التي خَلَق عباده لأجلها [١]، فقال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾.

ومن الأدلة على تفضيل الشكر: أنه مراد لنفسه، والصبرَ مراد لغيره، وإنما حُمِد الصبر لإفضائه وإيصاله إلى الشكر، فهو بمنزلة الخادم للشكر.

وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم حتى تفطَّرت قَدَماه فيقال له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! فيقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[٢].

ولو لم يكن من فضل الشكر إلا أن النِّعمَ به موصولة، والمزيدَ لها مرتبطٌ به لكان كافيًا، ولهذا كانوا يسمُّون الشكر (الحافظ)[٣] ويسمونه

---

(١) انظر التعليق على أول المجلس الرابع ص ١٠٧.

(٢) الحديث مشهور جدًّا، وممن رواه: البخاري في مواضع، أولها كتاب التهجد ٣: ١٤ (١١٣٠)، ومسلم: آخر كتاب صفات المنافقين ٤: ٢١٧١ (٧٩، ٨٠)، كلاهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، ورواه البخاري أيضًا في تفسير سورة الفتح ٨: ٥٨٤ (٤٨٣٧)، ومسلم (٨١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: قيِّدوا نعم الله عز وجل بالشكر لله تعالى. رواه عنه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٧).

(الجالب)، فهو حافظ للموجود من النعم، جالب للمفقود منها بالمزيد، وقالوا: الشكر يُقيِّد النعم الموجودة، ويَصِيد النعم المفقودة.

وقد رُوِّينا من حديث عبد الله بن صالح قال: حدثنا أبو زهير يحيى بن عُطارد القرشي، عن أبيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرزق الله عبداً الشكرَ فيحرِمَه الزيادة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾»[1].

والشكر أحد نوعَيْ حقوق الله على عباده، فإن لله تعالى على عبده نوعين من الحقوق لا ينفكُّ عنهما العبد:

أحدهما: أمر الله ونهيه، وذلك محضُ حقِّه سبحانه على عباده.

والثاني: شكر الله على نِعمه التي أنعم بها عليهم.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الشكر» (٣)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ١٢٤ (٤٥٢٦) = ٨: ٤٣١ (٤٢٠٨)، ثم أعقبه بروايته من طريق الليث ابن سعد، عن عبد الله بن صالح، عمن أخبره...، وأن ابن دِيزيل أحدَ الأئمة وأحد رواته سأل عبد الله هذا عمن أخبره؟ فقال له: هو يحيى بن عطارد بن مصعب، وقد نقل الذهبي في «السير» ١٠: ٤٠٦ هذا الوجه وعلَّق عليه بأنه: «مرسل، لا بل معضل». ففهم بعضهم من هذا أن الذهبي يحكم بالإعضال على رواية عطارد بن مصعب، وليس كذلك، بل إنه أراد الإسناد الأول: عبد الله بن صالح، عمن أخبره، أما الإسناد الثاني فلا. وذلك لأن عبد الله بن صالح ولد سنة ١٣٧، وتوفي سنة ٢٢٢، ومن يولد في هذا التاريخ المبكر، ثم يذكر راويين فوقه: لا يقال عن حديثه معضل. على أني لم أرَ ترجمة ليحيى ولا لأبيه عطارد.

وفي كتاب «الشكر» لابن أبي الدنيا شواهد له، ويزاد عليها شاهد من حديث أنس مرفوعًا، أخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» ٥: ١٩٢ (١٨١٤)، وفيه: «ومن أُلْهِم الشكر لم يُحرم الزيادة لأن الله تعالى يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾» وشواهد أخرى في «شعب الإيمان».

وهو سبحانه يطالب عباده بالقيام بطاعته في أمره ونهيه، ويطالبهم بشكر نعمته.

فمن طالعَ شهودَ الواجب عليه لا يزالُ يَشهد تقصيرَه وتفريطَه، وأنه محتاج إلى عفو الله ومغفرته، فإن لم يتداركْه بذلك هلك، وكلما كان العبد أفقهَ في دين الله كان شهودُه للواجب عليه أتمَّ، وشهودُه لتقصيره أعظمَ.

ومن طالعَ شهودَ نِعم الله عليه لم يَدَعْ له رؤيةَ حسنةٍ من حسناته أصلاً، ولو عمل من الصالحات أعمال الثقلين، فإن نعم الله عليه أكثر، وأدنى نعمةٍ من نعم الله تستغرقُ جميع أعماله.

وفي كتاب «الشكر» لابن أبي الدنيا[١] عن وهب بن منبِّه قال: عَبَدَ اللهَ تعالى عابدٌ خمسين عامًّا، فأوحى الله تعالى إليه: أني قد غفرتُ لك! قال: يا ربِّ وما تغفرُ لي ولم أذنب؟! فأذن الله لعِرْق في عنقه فضرب عليه، فلم يَنَمْ ولم يصلِّ، ثم سكن فنام، فأتاه مَلَك فشكا إليه فقال: ما لقيتُ من ضَرَبان العِرْق؟! فقال الملَك: إن ربك يقول: عبادتُك خمسين سنة تَعدِل سكونَ ذا العِرْق.

وقال ابن أبي الدنيا[٢]: حدثني أبو أيوب القرشي مولى بني هاشم قال: قال داود عليه الصلاة والسلام: ربِّ أَخْبِرني ما أدنى نعمك عليَّ، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود تنفَّسْ، فتنفسَ، قال: هذا أدنى نِعَمي عليك.

وقال أحمد بن أبي الحوارِيِ[٣]: قالت لي امرأة: أنا في شيء قد شَغَل قلبي، قلت: وما هو؟ قالت: أريد أن أعرِف نعمةَ الله عليَّ في طَرفة عين،

---

(١) ص ٥٩ (١٤٥، ١٤٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) كتاب «الشكر» أيضًا ٥٨ (١٤٢)، ولفظ ابن أبي الحواريِ: «قالت لي مؤمنةُ المتعبدة» وفيه أيضًا في المرتين: عليَّ في طرفة عين، وما أثبته من خط المصنف.

أو أعرفَ تقصيري عن شكر النعمة على طرفة عين، فقلت: تُريدينَ ما لا تهتدي إليه عقولنا.

ومعنى الشكر: الثناء على المحسِن بما أَوْلاكَه من معروف. قاله الجوهري في «صحاحه»[1] يقال: شكَر له النُّعمى شُكرًا وشُكْرانًا، عَرَف النُّعمى للمنعِم فأظهرَها، ولا يكادون يقولون شكرتك، وباللام أفصح.

وقيل: الشكر الاعتراف بنعمة المنعِم على وجه الخضوع.

وقيل: الشكر مشاهدة المِنَّة، وحفظ الحرمة، والقيام بالخدمة.

وقيل: شكر النعمة: أن تَرى نفسَك فيها طُفيليًّا.

وروي نحوه عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال: الشكر أن لا تَرَى نفسك للنعمة أهلاً.

وقيل: الشكر معرفة العجز عن الشكر[2].

---

(١) ٢: ٧٠٢.

(٢) تجد هذه الأقوال معزوة لقائليها عند الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في «الإحياء» ٤: ٨٤ ـ ٨٥ أوائل كلامه عن الشكر، والمصنف نقلها بواسطته دون عزو، وليس هذا من الخلاف في شيء إنما هو اختلاف عبارات، لاختلاف المناسبات، أو لاختلاف الملاحظات.

ومما يدل على ذلك: أن المصنف ذكر قولاً للجنيد، وعنه قول آخر، نقله أبو نعيم في «الحلية» ١٠: ١١٩ ترجمة خاله السَّرِي السَّقَطي، و٢٦٨ ترجمة الجنيد نفسه، وهو في «شعب الإيمان» ٤: ١٣٠ (٤٥٥٠) = ٨: ٤٤٦ (٤٢٢٩)، قال: «الشكر عندي: أن لا يُستعان على المعاصي بشيء من نعمه».

ونحوه قول سفيان بن عيينة لمن سأله: ما الشكر؟ قال: أن تجتنب ما نهى الله عنه. وهو في «شعب الإيمان» أيضًا ٤: ١٠٦ (٤٤٤٠) = ٨: ٣٧٧ (٤١٢٤). ونحوه عن عدد من السلف.

وفرقوا بين الشاكر والشكور، فقيل: الشاكر الذي يشكر على الموجود، والشكور الذي يشكر على المفقود.

وقيل: الشاكر على العطاء، والشكور على البلاء.

وأما الشكور في أسماء الله تعالى ففسِّر بأنه المُجَازِي بالجزيل على القليل، والمُثْني على المطيع في الملأ الرفيع، كمباهاته الملائكةَ بالحاجّ وغيره.

وقد جاء الخلاف في الحمد والشكر في أمرين:

أحدهما: هل معناهما واحد، أو لكلٍّ معنى؟.

وعلى الأول طائفة، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الحمد هو الشكر لله، والاستخذاء لله، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه ـ يعني بالنعم ـ وغير ذلك.

والثاني عليه الجمهور، وصُحِّح، لأن الحمد: ثناء على المحمود بصفاته الجميلة وأفعاله الحسنى، والشكر: ثناء على المحسِن بما أولى من الإحسان.

والأمر الثاني: في العموم والخصوص بين الحمد والشكر.

فقيل: الحمد أعمُّ من الشكر، كما تقدم في معنى الفرق بينهما، وقيل: الشكر أعمُّ، لأن الحمد باللسان. قال الله عز وجل: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا﴾، والشكر بالقول وسائر الأعمال. قال الله عز وجل: ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾[1]، وقيل: كلٌّ منهما أعمُّ من وجهٍ

---

(١) والعمل يشملُ: النطقَ باللسان، والفعلَ بالجوارح، وأحوالَ القلب من خوف ورجاء، ومحبة وكراهة...، ولذلك يقول سبحانه وتعالى دائمًا في كتابه العزيز: ﴿..وعملوا الصالحات﴾ لئلا يتكلم المسلم إلا بالصالحات، ولا يفعل إلا صالحًا، ولا يحمل في قلبه إلا صالحًا.

وأخصُّ من آخر، وهذا ظاهر، لأن الشكر أخصُّ بالأفعال، لأنه لا يكون إلا على إحسانٍ للشاكر من المشكور.

والحمدُ أخصُّ بالأقوال، لقول كلٍ من المنعَم عليه والمبتلَى: الحمد لله، ولا يقع الشكر إلا ممن أولاه المشكور إحسانًا.

وسببُ الحمد أعمُّ من سبب الشكر، لأن ما يُحمَد عليه الربُّ تبارك وتعالى أعمُّ مما يُشكَر عليه، فإنه سبحانه يُحمَد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعَمه، ويُشكر سبحانه على نِعَمه، فكان سببُ الحمد أعمَّ.

ومتعلَّق الشكر وما به: أعمُّ مما به الحمد، فالحمد يطلق على القول، لأن الله سبحانه وتعالى يُحمد بالقلب واللسان، والشكر يطلق على القول والفعل جميعًا، لأن شكر الله تعالى يتعلّقُ بالقلبِ واللسانِ وبقيةِ الجوارح، فالقلبُ لمعرفة الله ومحبته وتوحيده، واللسانُ للثناء عليه وحمده وتمجيده، والجوارحُ في استعمالها بطاعة الله وكفِّها عن معاصيه. وأنشد بعضهم:

أفـادتكُمُ النَّعمـاءُ عنـدي ثلاثـةً ... يدي، ولساني، والضمير المحَجَّبـا

ولو قال:

أفادتنيَ النعماءُ شكرًا لفـضلكم ... بقلبي ونُطقي والجوارحِ مُرْسَـلا

وتوفيقِكم للـشكر يَلـزَمُ شُكرُه ... كذا كـلُّ شـكرٍ بعـده متسلـسلا

وما ثَمَّ إلا العجزُ عن شكرِ ربِّنـا ... كمـا ينبغـي سـبحانه متفـضِّلا

كان أجودَ في الكلام، وأمجدَ لله الملك العلاّم.

فالشكر من وجهٍ متعلَّقه أعمُّ. والشكر ـ كما قدمناه ـ واجبٌ بحسب الشرع، حسبْما قام الدليل عليه نقلاً وعقلاً.

فمن المنقول: قولُ الله عز وجل: ﴿وما كنا معذِّبين حتى نبعثَ

رسولاً﴾. نَفَى الله تعالى التعذيبَ مطلقًا إلى بعثة الرسول، فلو كان الشكرُ واجبًا بحسب العقل لعذَّب الله تاركَه قبل الشرع، لكنه بمقتضَى الآية الشريفةِ لا يعذِّبُه الله حتى تُقَام عليه الحجةُ ببعثة الرسول. والله أعلم.

وأما الدليل على ذلك عقلاً: فلأنّ شكرَ المنعِم لو وجب عقلاً، فلا يخلو إما أن يكونِ لغير فائدة، أوْ لا. وعلى الأول: يلزم العَبَثُ، وهو غير جائز عقلاً.

وإما أن يكون لفائدة: إما للمشكور ـ وهو باطل قطعًا ـ لِتَعالي الله سبحانه عنها.

وإما للشاكر: وعلى هذا: فلا يخلو: إما أن تكون الفائدةُ في الدنيا، فذلك مشقةٌ بلا حَظٍّ، أو في الآخرة: فلا استقلالَ للعقل في الآخرة. والله أعلم.

وللشكر فوائدُ عظيمةٌ منها:

التوفيق له، وهو أحد أنواع النعم، ولهذا جاء الحديث بالدعاء للإعانة عليه من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، ومن الوصية به.

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن محمد بن الذهبي بقراءتي عليه، أخبرنا يحيى بن محمد بن سعد، أخبرنا الحسن بن يحيى بن الصبَّاح إجازة، أخبرنا عبد الله بن رفاعة سماعًا، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن القاضي، أخبرنا القاضي أبو الحسن الخَصِيب بن عبد الله بن محمد بن الخَصِيب إملاءً، حدثنا عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب، حدثنا خالد بن يزيد المكي، حدثنا ابن أبي ذئب، عن صفوان بن سُلَيم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: اللهم أَعِنِّي على شُكْرك وذِكْرك

وحسن عبادتك: فقد اجتهد في الدعاء»[١].

وأنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المقدسي[٢] قال: أخبرتنا زينب ابنة الكمال أحمدَ بنِ عبد الرحيم بقراءتي عليها، عن عبد الرحمن ابن مكي، عن أبي طاهر أحمد بن محمد الحافظ. وقالت زينب: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الفهم اليَلْداني إجازة أيضًا، عن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد سماعًا، أخبرنا أبو طاهر الحافظ سماعًا، أخبرنا أبو طالب أحمد بن أبي هاشم الكُنْدُلاني، أخبرنا أبو سعيد محمد بن علي النقاش، أخبرنا عبد الله بن منصور بن محمد الكاغَدي بنيسابور، حدثنا إبراهيم بن محمد بن هَجْمُويه النَّصْرَاباذي، حدثنا أحمد بن عاصم المصري الحافظ، حدثنا جعفر بن سليمان النَّوْفَلي، حدثنا عَتيق بن يعقوب، حدثنا عبد الله ومحمد ابنا المنذر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحبَّ أن يجتهد في الدعاء فليقلْ: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٣].

وقال شيخنا الحافظ أبو بكر أيضًا: أخبرنا أبو بكر بن أحمد الضرير، قراءة عليه وأنا أسمع في محرَّمٍ سنةِ ثمانَ عشْرةَ وسبع مئة، أخبرنا محمد ابن إبراهيم بن مُسَلَّم قراءة عليه وأنا حاضر في الخامسة، أخبرتنا شُهْدَة

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» ٥: ١٥٨ من طريق ابن أبي شعيب، عن خالد المكي، به، وخالد المكي ـ ويقال له خالد العمري أيضًا ـ كذَّبه ابن معين وأبو حاتم، كما في «الجرح والتعديل» ٣ (١٦٣٠).

(٢) هو المعروف بأبي بكر ابن المحب، أو: الصامت، وكانت وفاته سنة ٧٨٩، وعُمُر المصنف اثنتا عشرة سنة، فهو من متقدِّمي شيوخه.

(٣) عزاه في «كنز العمال» ٢: ٢٢٥ (٣٨٦٥) إلى ابن النجار من حديث عائشة رضي الله عنها، وانظر تمام تخريجه ص١٩٩.

ابنة أحمد الكاتبة سماعًا، أخبرنا أحمد بن عبد القادر بن محمد اليوسفي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيدالله الحُرْفي، أخبرنا أبو بكر أحمد ابن سَلْمان الفقيه، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا أبو معاوية وجعفر بن عون، عن هشام بن عروة، عن ابن المنكدر قال: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم أَعِني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك»[١].

وأخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن ابن الذهبي قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا يحيى بن محمد بن سعد، أخبرنا جعفر بن علي المقرىء قراءة عليه وأنا في الخامسة، وأبو الحسن علي بن محمود ابن الصابوني وآخرون إجازةً قالوا: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ سماعًا، أخبرنا أبو عبد الله القاسم ابن الفضل، حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر القاضي إملاء في جُمادى الأولى سنة تسع وأربع مئة، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس، حدثنا محمد بن محمد بن صخر، حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرىء، حدثنا حَيْوَة، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن[٢]، عن الصُّنَابحي، عن معاذ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا: «يا معاذ والله إني لأحبك» فقلت: بأبي أنت وأمي وأنا والله أحبك، قال: «يا معاذ لا تَدَعَنَّ أن تقول في دُبُر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

---

(١) يرويه المصنف من طريق ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤)، ورواه بزيادة في متنه: ابن أبي شيبة (٣٠٠١٣) من طريق هشام، عن ابن المنكدر مرسلاً، ورواه عبد الرزاق ١٠: ٤٣٩ (١٩٦٣٢) عن معمر، وابن أبي شيبة (٣٠٤٤٤) عن جعفر بن عون، كلاهما عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلاً أيضًا. وهو في «شعب الإيمان» ٤: ١٠٠ (٤٤١١) = ٨: ٣٥٨ (٤٠٩٨).

(٢) هو أبو عبد الرحمن الحُبُلي، عبد الله بن يزيد المَعَافري، أحد الثقات.

قال: فأوصى بذلك معاذٌ الصُّنَابحيَّ، وأوصى به الصُّنَابحيُّ أبا عبد الرحمن، وأوصى به أبو عبد الرحمن عقبةَ بنَ مسلم.

وأخبرنا الشيوخ المسنِدون: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن محمد بن محمد المعظَّمي، وأبو العباس أحمد بن أبي العزِّ بن أحمد بن أبي العزِّ الثوري، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصوفي بقراءتي عليهم متفرقين قالوا: أخبرنا أحمد ابن الشِّحنة أبي طالب، والعفيف إسحاق بن يحيى الآمدي، قال الأول: أنبأنا جعفر بن علي المقرىء، وعبد الله بن عمر العَتَّابي قال جعفر: أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ سماعًا، وقال العتَّابي: أخبرنا أبو علي الحسن بن جعفر قراءة عليه ونحن نسمع، قال هو والحافظ: أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد البَرْقاني.

وقال الآمدي: أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ، أخبرنا أبو سعيد خليل بن أبي الرجاء الرَّاراني، وأبو الحسن مسعود بن أبي منصور قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال هو والبَرْقاني: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر البُنْدار، حدثنا ابن أبي العوام، حدثنا أبو عاصم، حدثنا حَيْوَة بن شُريح، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن الصُّنَابحي، عن معاذ رضي الله عنه قال: لقيني النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي فقال: «يا معاذ إني أحبك» قلت: يا رسول الله وأنا والله أحبك، قال: «أفلا أُوصيك بكلمات تقولهن في دُبُر كل صلاة؟! قل: ربِّ أَعِني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

تابعه أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدثنا محمد بن أحمد ابن أبي العوام، حدثنا الضحاك بن مَخْلَد، فذكره.

وحدَّث به أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي في «معجم الصحابة» عن علي بن مسلم، عن أبي عاصم النبيل.

وخرَّجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن عبد الله بن يزيد المقرىء، وخرَّجه أبو داود في «سننه» عن عبيد الله بن عمر بن ميسرة ـ هو القَوَاريري ـ عن عبد الله بن يزيد المقرىء، وخرَّجه النسائي في «سننه» عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، كلاهما عن حَيْوَة بن شُرَيح، بنحوه.

وخرجه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو حاتم محمد بن حِبَّان في صحيحيهما وهو في «مستدرك» الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ورواه أبو بكر أحمد بن محمد ابن السُّنِّي في كتابه «عمل اليوم والليلة» فقال: أخبرني محمد بن محمد الباهلي، حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا يحيى بن يعلى ـ يعني: القَطَواني ـ عن حَيْوَة بن شُرَيح ـ هو أبو زُرعة المصري ـ فذكره[1].

---

(١) اشتهر وصحَّ هذا الحديث عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه، فهو في «المسند» ٥: ٢٤٤ ـ ٢٤٥، ٢٤٧، و«سنن» أبي داود (١٥١٧)، و«عمل اليوم والليلة» من «سنن النسائي الكبرى» ٦: ٣٢ (٩٩٣٧)، وفي «سننه الصغرى» ٣: ٥٣ (١٣٠٣)، وابن خزيمة ١: ٣٦٩ (٧٥١)، وابن حبان ٥: ٣٦٤ ـ ٣٦٥ (٢٠٢٠، ٢٠٢١)، والحاكم ١: ٢٧٣، وعبد بن حميد ٧١ (١٢٠) من «المنتخب»، والطبراني «الكبير» ٢٠: ٦٠، ١١١، ١٢٥ (١١٠، ٢١٨، ٢٥٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» ص١٠٦، ١٦٣ (١١٨، ١٩٩)، وابن أبي الدنيا (١٠٨)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ٩٩ (٤٤١٠) = ٨: ٣٥٦ (٤٠٩٦). والموضع الأول عند ابن السني هو الذي ذكره المصنف، والثاني لم يذكره.

واشتهر الحديث بأنه من المسلسلات القولية، يقول كل راو لمن بعده: وأنا =

ورويِّناه من طُرُق غير ما ذُكر.

والصُّنَابحي راويه عن معاذ هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن عُسَيْلَة ابن عِسْل بن عسَّال المرادي، منسوب إلى صُنَابح بن زاهر، بطن من مُراد، رحل من اليمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يُدركه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قُبِض والصنابحي قد وَصَل إلى الجُحْفَة فقدم المدينة بعد خمسة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو تابعي(١) ووقعت روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم في «سنن» ابن

أحبك فقل، كما تسلسل بالفعل: بالأخذ باليد، ففي الرواية الأولى من «المسند» ورواية أبي داود والنسائي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد معاذ وقال له...، فهو من الأمثلة على التسلسل القولي والفعلي.

وأرويه بإسناد جيد مسلسلاً بالقول عن شيخنا العلامة المحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري رحمه الله، بإسناده.

(١) قال المصنف رحمه الله في (الأوراق المشوشة): «وهو غير الصُّنَابح الصحابيِّ رضي الله عنه. وللحديث شاهد عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعائشة أم المؤمنين».

قلت: تقدم حديث أبي سعيد وعائشة، وبقي حديث أبي هريرة، وهو في «المسند» ٢: ٢٩٩، قال الهيثمي ١٠: ١٧٢: «رجاله رجال الصحيح غير موسى بن طارق وهو ثقة» لكنه من غير تحديد أن يكون دُبُر الصلاة، ومثله رواية «المستدرك» ١: ٤٩٩ وصححه، ووافقه الذهبي مع ما تجده في ترجمة خارجة بن مصعب السرخسي في «الميزان»، وإن كان هذا لا يؤثِّرُ على الحديث، فقد سلم إسناد أحمد منه. وروي الحديث عن ابن مسعود من غير تحديد أيضًا، رواه البزار ـ ٤: ٥٨ (٣١٨٩) من «كشف الأستار» ـ وقال الهيثمي ـ الموضع السابق ـ: «رجاله رجال الصحيح غير عمرو بن عبد الله الأودي، وهو ثقة».

والصنابح الصحابي: هو الصنابح بن الأعسر الأحمسي. وأما هذا فتابعي كما قال هنا، ويكنى أبا عبد الله كما قال المصنف، وكما في بعض الروايات التي ستأتي في =

ماجه فهي مرسلة[١].

شهد الصُّنابحي فتح مصر، ونزل دمشق، وبها توفي رضي الله عنه.

ومما قلته في معنى الحديث نظمًا، نجعله لِمَا ذكرناه ختمًا، وهو:

أوصيكمُ بالذِّكْر يا إخوتاهْ ... ذكرِ الإله الحقِّ فيه النجاةْ

خصوصًا المأثورَ فهو الذي ... قبولُه يُرجَى لمن قد رجاه

ومنه ما أوصَى معاذًا به ... نبيُّنا صلى عليه الإله

بدعوةٍ جامعةٍ للغنى ... يدعو بها الرحمنَ دُبْرَ الصلاةْ

التعليقة الآتية، ووقع خطأ مطبعيًّا في «تهذيب الكمال» ١٧ : ٢٨٣: أبو عبيد الله، وقد يذكر في بعض الروايات: عبد الله دون أداة الكنية.

ووهَّم البخاري مالكًا في ذلك، والكلام طويل في تحرير المسألة، وللسراج البُلقيني جزء في هذا سماه «الطريقة الواضحة في تمييز الصنابحة» ذكره في كتابه «محاسن الاصطلاح» ص٤٤٩، ٦٢٦، وطبع حديثاً، وفي «الإصابة» ترجمة الصنابح ابن الأعسر تلخيص وضابط مفيد للتمييز بينهما، وانظر رحلة ابن رُشَيد «ملء العيبة» ٥ : ٤٥ ـ ٥٩ و «فتح المغيث» ١ : ٢٣٨.

(١) هما حديثان، الأول: رواه مالك في «الموطأ» ١ : ٣١ (٣٠) عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن الصنابحي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه..». ومن طريقه النسائي في«الكبرى» ١ : ٨٦ (١٠٦)، ورواه ابن ماجه ١ : ١٠٣ (٢٨٢) عن سويد بن سعيد، عن حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، به. والثاني: رواه مالك أيضًا ١ : ٢١٩ (٤٤) بالإسناد السابق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان، فإذا ارتفعت فارقها..» ـ ومن طريقه النسائي ١ : ٤٨٢ (١٥٤٢) ـ وعبد الرزاق ٢ : ٤٢٥ (٣٩٥٠) عن معمر، عن زيد بن أسلم، به، ومن طريقه ابن ماجه ١ : ٣٩٧ (١٢٥٣).

إعانـــةِ الـــربِّ علـــى ذكْـــره وشكْره معْ حُسْنِ فـرضٍ قـضاه
فــادعوا بهــنَّ الله فهــو الــذي يعطــي ولا يمنــع عبــدًا دعــاه
ســبحانه مــن ماجــدٍ واجــدٍ ربِّ الــورى لا ربَّ حقًّــا ســواه

آخره، ولله الحمد

وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلَّم

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٩ ـ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

في هذه الآية الشريفة معانٍ عظيمةٌ وحِكَمٌ لطيفةٌ، منها: أن الله تعالى ذكَّر عباده نِعَمه وإحسانه، وعرَّفهم ببعض الآيةِ امتنانَه، كما ذَكَر ذلك في آيات كثيرة من القرآن، ليشكُروه على ما أنعم، وليعبدوه كما أمر وعلَّم، وليبعثَهم ذِكْرُ نِعَمه على محبته ـ والله أعلم ـ لأن القلوب جُبِلت على حبِّ مَن أحسن إليها.

ومن الآيات المشار إليها قولُه تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً، والسماء بناءً، وصوَّركم فأحسن صُوَرَكم، ورزَقَكم من الطيباتِ﴾ الآية.

ومنها: هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾. وهذه النعمة التي امتنَّ الله بها على المؤمنين، وأحسنَ إليهم أجمعين، أعظمُ نعمةٍ أنعم بها عليهم، لأن نعم الله الظاهرة دائرةٌ بين أمرين:

أحدهما: يتعلَّق بأمور الدنيا.

والثاني: بأمور الدين.

ويرجِعان إلى المبدأ والمعاد، ولم يحصل العلمُ بذلك، وكيفيةُ العمل بما شُرِع أمرًا ونهيًا وغيرِ ذلك، إلا من جهة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة

والسلام؛ فلولاه ما عُرِف الهدى من الضلال، ولا الحرام من الحلال، ولا قواعدُ العقائد أصلاً وفرعًا، ولا شعائرُ الشرائع نقلاً وشرعًا، ولا أمرُ المعاد وما فيه من الأخطار: كالحشر والنشر، والجزاء والقصاص، والجنة والنار، وكيف طريقُ السلامة في الدنيا، والنجاة يوم القيامة، مما بيَّنه النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة، فأيُّ نعمةٍ أعظمُ من بعثة هذا النبيِّ، نبيِّ الرحمة، الذي عُرِف كل ذلك من قِبَله واعتُمِد عليه، وحصلت سلامة المؤمنين ونجاتهم على يديه؟!.

ولعظم هذه النعمة التي هي أجلُّ الإنعام، أخبر الله تعالى عنها مؤكَّدة باللام فقال تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾، ولم يذكر سبحانه اسمًا من أسمائه الحسنى في هذه الآية سوى هذا الاسم الشريف وهو (الله) إشارة ـ والله أعلم ـ إلى أنه لما كان قدْر هذا الرسول عظيمًا ذكر مرسلُه سبحانه اسمَه الأعظمَ الدالَّ على العظمة حين ذكَر مَنَّهُ ببعثته في المؤمنين رسولَه محمدًا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿محمدٌ رسول الله، والذين معه أشداءُ على الكفار رُحَماءُ بينهم﴾.

وأيضًا أهل الملل الذين يعتقدون الصانع، وأنه الله، يعلمون أن النِّعم كلَّها من الله، فذَكَر الربُّ سبحانه عند ذِكْر نعمته ببعثة رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم اسمَه الذي هو (الله) ليعلَم المؤمنُ والكافرُ أن بعثة هذا الرسول من نِعَم الله الذي جميعُ النِّعَمِ منه. قال الله عز.وجل:

﴿قلْ مَن ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيمِ؟ سيقولون: لله، قل أفلا تتقون قلْ مَن بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إن كنتم تعلمون؟ سيقولون: لله، قلْ فأنَّى تُسْحَرون بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذَ الله مِن وَلَدٍ وما كان معه مِن إلهٍ، إذًا لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خَلَق ولَعَلا بعضُهم على بعض، سبحان الله عما يَصِفون عالمِ الغيبِ والشهادةِ فَتَعَالى عما يُشرِكون﴾.

وهذا الاسم الشريف وهو (الله) أول أسماء الله الحسنى ذِكْرًا، وأجمعُها للمعاني، وأدلُّها على الإلهية، وأثبتُها للربوبية، ولم يسمَّ به أحدٌ سوى الله.

قَبَضَ الله تعالى القلوب عن التجاسر على إطلاق هذا الاسم الشريف على غيره سبحانه، فلم يُطْلَقْ على أحدٍ سواه، لا من قبلُ ولا من بعدُ، مع كثرة أعداء الدين، ومعارضة بعضهم للقرآن.

والعلماء مختلفون هل هو مشتقٌ، أو هو كالأسماء الأعلام موضوعٌ غيرُ مشتق؟ على قولين.

فكثير من الأئمة الورِعين أَلجمتْهم هيبةُ هذا الاسم وعظمتُه عن التماس علم اشتقاقه من لغة العرب، وأجمعوا على تعظيمه بالاتفاق.

وعن أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفَرَاهِيديِّ الأَزْديِّ روايتان، إحداهما: أنه اسم علمٍ غير مشتق، ولا يجوز حذف الألف واللام منه، كما يجوز من الرحمن الرحيم.

وهذه أشهر الروايتين عن الخليل، وقد بَلَغَنا أنه رُئي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غَفَر لي بقولي في اسم الله تعالى إنه غير مشتق[١].

---

(١) لم أر هذا الخبر في مصدر آخر، إنما رأيت الآلوسي ذكره في «روح المعاني» ١: ٥٧ تعليقًا عن الإمام الأشعري والله أعلم. وهذا القول عليه جمهور أهل العلم من مختَلِف فنونهم، ففي «البحر المحيط» ١: ١٤ أنه مذهب الأكثرين، وخصهم الرازي في «تفسيره» ١: ١٦٢ بأكثر الأصوليين والفقهاء، وتبعه الآلوسي وزاد أنه مذهب الأشعريِّ وغالب أصحابه، ونسبه ـ تبعًا للقرطبي في «تفسيره» ١: ١٠٣ ـ إلى الشافعي وإمام الحرمين والخطابي، وزاد: سيبويه والمازني وابن كيسان، ومحمد ابن الحسن.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ: وأكره أن أذكر جميع ما قال النَّحْويون في اسم الله جلَّ وعزَّ أعني قوله (الله) تنزيهًا لله جلَّ وعزَّ. قاله في كتابه «معاني القرآن»[١] ولم يتعرَّضْ لشيء من الكلام في اشتقاقه.

ولما حكَى البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» القولين في اسم الله عز وجل، والأقوالَ عن القائلين بالاشتقاق، قال[٢]: وأَحَبُّ هذه الأقاويل إليَّ قولُ مَنْ ذهب إلى أنه اسم علم، وليس بمشتق كسائر الأسماء المشتقة، والدليلُ على أن الألف واللام من بُنْيَة هذا الاسم ولم يَدخُلا للتعريف: دخولُ حرف النداء عليه كقولك: يا الله، وحرفُ النداء لا يجتمع مع الألف واللام للتعريف، ألا تَرَى أنك لا تقول: يا الرحمن، ولا يا الرحيم كما تقول يا الله، فدلَّ أنهما من بُنْيَة الاسم، والله أعلم. انتهى قول البيهقي.

وعند أكثر العلماء أن اسم الله الأعظم هو (الله)[٣].

---

(١) ١ : ٤٣، وكذا «معاني أسماء الله الحسنى» له ص٢٥، لكن انظر ٥ : ١٥٢ من «معاني القرآن».

(٢) صفحة ٣٥، ونقل قبله كلام الإمام الخطابي فانظره فيه، أو في كتاب الخطابي نفسه «شأن الدعاء» ص٣٠ ـ ٣٥، وهو وغيره سَلَفُ البيهقيِّ وغيره في ترجيح ما تراه.

(٣) اشتهر هذا القول، وجابر بن زيد هو أبو الشعثاء الأزدي، من التابعين، وكانت وفاته سنة ٩٣ أو ١٠٣. وممن قال بذلك الإمام الأعظم، أسنده إليه الطحاوي في «مشكل الآثار» ١ : ١٦١، وهو أقدم من رأيته بحث هذه المسألة، وقال الخطابي في «شأن الدعاء» ص٢٥: «جاء في بعض الروايات أن اسم الله الأعظم: الله». فإن كان مراده بالروايات الأحاديث المرفوعة وصحَّ النقل: تعيَّن المصير إليه. وانظر جزء المصنف «التنقيح في حديث التسبيح» ص١٠٤ فما بعدها، و«مصنَّف» ابن أبي شيبة (٢٩٩٧٣) فما بعده.

=

قال جابر بن زيد: اسم الله الأعظم هو (الله)، ألم تَرَوْا أنه يُبدأ به في القرآن قبل الأسماء كلها.

وقال وكيع بن الجراح: رأيتُ رجلاً في المنام له جناحان، قلت: من أنت؟ قال: مَلَك، قلت: ما اسم الله الأعظم؟ قال: الله، قلت: وما بيانُ ذلك؟ قال: قوله لموسى: ﴿إنني أنا الله﴾ ولو كان اسمٌ أعظمَ منه لقاله له.

وخرَّج أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «حِلية الأولياء»[1]، وأبو الحسن علي بن جَهْضَم في كتابه «بهجة الأسرار»[2] ـ واللفظ له ـ من طريق أحمد ابن أبي الحوارِيْ، حدثني أبو اليَمَان الحمصي قال: كان لنا شيخٌ يقال: إنه كان يعرف اسم الله الأعظم، فأتيته فقلت له: يا عمٍّ قد بلغني أنك تعرف اسم الله الأعظم، فقال: يابن أخي أتعرِف قلبك؟ قال: قلت: نعم. فقال: إذا رأيتَه قد أقبل، وخَشَع ورَقَّ، ودمعتْ عينك فاسأل الله عند ذلك

وانظر كتاب «الدعاء» للطبراني ٢: ٨٣١ ـ ٨٣٥ (١١٣ ـ ١٢٠). وللإمام الفخر الرازي كلام مسهب في شرح أسماء الله الحسنى له من صفحة ٩٢ ـ ١٠٣، واستطرد لذلك الحافظ في «الفتح» ١١: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ فجمع الأقوال مع أدلتها بإيجاز، وتبطَّن كلامه السيوطي في «الدر المنظم» المطبوع آخر الجزء الأول من «الحاوي»، وللسيد علي بن حسن العطاس الحضرمي المتوفى سنة ١١٧٢ جزء «خلاصة المغنم في الاسم الأعظم» لخصه من كتاب العلامة الفقيه الشافعي ابن بنت المَيْلَق: محمد بن عبد الدائم المتوفى سنة ٧٩٧، واسمه: «جواب مَن استفهم عن اسم الله الأعظم»، وفي «تحفة الذاكرين» للشوكاني ص ٦٥ ـ ٦٧ ما يستفاد، لكنه ذكر أن في تعيينه «أربعين قولاً قد أفردها السيوطي بالتصنيف» مع أن السيوطي ذكر عشرين قولاً فقط!.

(١) ١٠: ١٦٣ ترجمة أبي اليمان. وفي رسالة السيوطي خبر نحو هذا عزاه لأبي نعيم عن أبي سليمان الداراني، ولم أره في ترجمته في «الحلية».

(٢) انظر عن الكتاب ومؤلفه «سير أعلام النبلاء» ٧: ٢٧٥ ومصادر ترجمته هناك.

حاجتَك، فهو اسم الله الأعظم.

قلت: إن أنعمتَ النظرَ في هذا الأثر، وجدت الشيخَ المسئولَ قد صرح لأبي اليمان، بالاسمِ الأعظمِ العظيمِ الشان، ويكفيك من التفسير، النظر إلى الضمير، لكنه وَرَّى ـ والله أعلم ـ بالكلام الذي قدَّم، غيرةً منه على كشف الاسم الأعظم.

ولهذا الاسم الشريف من الخصائص اللفظية والمعنوية ما لا يُحصَى، وقد افتتِحتْ به البسملة أولَ القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

ذكر بعض المفسرين أنه لما نَزَل قوله تعالى: ﴿بسم الله﴾ وقع الخلق في الفَزَع والهيبة، فلما نزل قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾ استقرُّوا وسكَنوا، وذاك لأن من معاني اسم الله الجلالَ والعظمة، ومعنى الرحمن الرحيم، رحمة الله التي عمَّت الخلق في الدنيا، وتعمُّهم في الآخرة. قال الله عز وجل: ﴿ورحمتي وَسِعتْ كلَّ شيء﴾ فهي في الدنيا عامة، وفي الآخرة تختص الرحمة بالمؤمنين.

وجاء ذكر رحمة الرحمان في أحاديثَ، منها الحديثُ السابقُ ذكرُه الذي رَوَيناه من طُرُق خمسة، وهذه طريق سادسة:

أخبرنا الشيخ عبد الرحمن بن محمد القَنَواتي المتقِن، وهو أول حديث سمعته منه يومَ جمعةٍ بمنزلي، أخبرنا محمد بن أحمد الفارقي، وهو أول حديث سمعته منه وأنا شاهد، أخبرنا علي بن أحمد الغَرّافي بالثَّغْر، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا محمد بن أحمد البغدادي من القَطِيعة، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن يوسف، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا جعفر بن أحمد، وهو أول

حديث سمعته منه، أخبرنا عبيد الله بن سعيد البكري[١]، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا حمزة بن أبي محمد بنيسابور، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن محمد البِلالي، وهو أول حديث سمعته منه سنة ثلاثين ومئتين، حدثنا عبد الرحمن بن بِشْر العَبْدي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهمُ الرحمن تبارك وتعالى، ارحَموا أهل الأرض يرحمْكم من في السماء».

هذا أحد الوجوه الثلاثة التي رُوي هذا الحديث عليها: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، والثاني: «يرحمهم الله»، والثالث: «يرحمهم الرحيم». والمشهور الأول.

وقد تقدم بعض الكلام على سنده وعلى متنه.

ومن الأول أيضًا: أن الحديث يدخلُ في باب (المزيد في متصل الأسانيد) لأنا رَوَيناه من طريق أبي سعيد أحمد بن محمد ابن الأعرابي، حدثنا الحسن بن محمد الزَّعفراني، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوسَ، عن ابنٍ لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، يبلُغُ به النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فذكره.

فقوله «عن ابن لعبد الله»: هو زيادة رجل مبهم، فيدخل الحديث في نوع المبهمات في أحدِ قسميْها، ويدخل في باب المزيد في متصل الأسانيد، وهو من أحد أقسامه، لأنها إما أن يكون المزيدُ صوابًا وغيرُه

---

(١) هو أبو نصر السجستاني ـ أو: السِّجزي ـ الوائلي، المتوفى سنة ٤٤٤، وكأنه اشتهر وكثر دوران حديث الأولية عليه، فعرَّفه به الذهبي في «السير» ١٧: ٦٥٥.

خطأٌ، أو خطَأً وغيرُه صوابٌ، أو يكون كلٌّ منهما صوابًا. وصورته: أن يسمع الرجل حديثًا من شيخٍ عن آخر، ثم يَلْقَى الرجلُ شيخَ شيخِه، فيسمعَ منه ما حُدِّث به عنه، فتارة يرويه بنزول، وتارة يرويه بعلوّ، وكلاهما صحيح.

ومن القسم الثاني: رواية ابن الأعرابي للحديث الذي رَوَيناه، فالمزيد في إسناده خطأ، لأن لفظةَ «عن ابن لعبد الله» تصحيفٌ، كانت «عن مولى»، فصحِّفت.

وهذه علة للحديث لكنها غير قادحة، فلا تأثير لها في الحديث، ولهذا لما رَوَى الحافظ أبو عبد الله الذهبي هذا الحديث[١] من طريق ابن الأعرابي حذف لفظةَ «عن ابن» فلم يذكرها، وقال بعدُ فيما وجدته بخطه: صُحِّف «مولى» عن «ابن»؟! وإذا كان كذلك يجوز حذفه من الرواية إذْ لم نَحذِف رجلاً من السند، وإنما حذفنا زيادة لا تفيد، فاعلم ذلك. انتهى.

وهذا من بعض الكلام على سند الحديث.

وقد رَوَيناه في هذا المجلس لأجل ذكر اسم الله عز وجل (الرحمن)، وأن الله تعالى موصوف بالرحمة.

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه «أسماء الله عز وجل وصفاته الواردة في الكتاب والسنة» فقال في قسم الأسماء التي تتبع إثبات التدبير لله سبحانه دون ما سواه[٢]: ومنها الرحمن الرحيم. قال الله عز وجل: ﴿الرحمنُ علَّم القرآنَ خَلَق الإنسانَ علَّمه البيان﴾ وقال تعالى: ﴿قُل ادْعُوا الله أوِ ادْعُوا الرحمنَ﴾ وقال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾

---

(١) في جزئه «العذب السلسل في الحديث المسلسل» والله أعلم.

(٢) «الأسماء والصفات» ص٦٩، وما بين المعقوفين زيادة منه، وتقدم هذا النقل في المجلس٦ ص١٥٨.

وقال في فاتحة الكتاب: ﴿الرحمنِ الرحيمِ﴾ وقال: ﴿حم تنزيلٌ من الرحمن الرحيم﴾ وقال في فواتح السور [غير التوبة]: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. ثم ذكر البيهقي كلام الخطابي الذي قاله في كتابه في «الدعاء ومعاني أسماء الله تعالى»[١] وهو ما أنبأنا غير واحد، منهم: أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد بن ريان[٢] الطائي، عن زينب ابنة أحمد، أن عبد الخالق بن الأنجب أخبرها كتابةً من ماردين، عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي، أخبرنا أبو نصر بن أبي طاهر الحداد سماعًا، أخبرنا عبد الوهاب بن أبي سهل الأديب، أخبرنا الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البُسْتي الشافعي رحمه الله، قال:

اختلف الناس في تفسير الرحمن ومعناه، وهل هو مشتقٌّ من الرحمة أم لا، فذهب بعضهم إلى أنه غير مشتق، واحتج بأنه لو كان مشتقًّا من الرحمة لاتَّصلَ بذكر المرحوم، فجاز أن يقال: الله رحمان بعباده، كما يقال: رحيم بعباده، فلما لم يَستَقِمْ صلته بذكر المرحوم، دل على أنه غير مشتق من الرحمة، قال[٣]: ولو كان هذا الاسم مشتقًّا من الرحمة لم يُنكره العربُ حين سمعوه، إذْ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم، وقد حكى الله عنهم الإنكار له والنفور عنه في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن، قالوا وما الرحمن؟﴾ الآية.

---

(١) المطبوع باسم «شأن الدعاء»، والنص الآتي تجده فيه ص٣٥ ـ ٣٨.

(٢) هكذا رسم في الأصل بالراء المهملة، لكن دون علامة إهمال على الراء، وجاء في «لحظ الألحاظ» ص٣١٨ وهو يعدِّد شيوخ المصنف: بن زيان، بالزاي المعجمة.

(٣) أي: البعضُ المحكيُّ مذهبه.

وزعم بعضهم أنه اسم عبراني[(١)].

وذهب الجمهور من الناس إلى أنه مشتقٌّ من الرحمة، مبنيٌّ على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظيرَ له فيها، ولذلك لا يُثَنَّى ولا يُجمع كما يُثَنَّى الرحيم، ويجمع. وبناءُ فَعْلان في كلامهم للمبالغة، يقال لشديد الامتلاء: ملآن، ولشديد الشبع: شبعان، ويدل على صحة مذهب الاشتقاق في هذا الاسم حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

حدثناه أحمد بن عبد الحليم الكُريزي وعبد الله بن شاذان الكُرَاني قالا: حدثنا محمد بن يحيى بن المنذر القَزَّاز، حدثنا حجَّاج بن المِنْهال، حدثنا حماد بن سَلَمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، أن أباه رضي الله عنه عاد أبا الرَدّاد، فقال له أبو الردّاد: ما أحدٌ من قومي أوصلُ لي

---

(١) الكلام ما يزال متصلاً للخطابي، ولم يسم القائل، ونسبه القرطبي في «تفسيره» ١: ١٠٤ إلى المبرِّد، نقلاً عن ابن الأنباري في «الزاهر» وإلى ثعلب (أحمد ابن يحيى) نقلاً عن الزجَّاج في «معاني القرآن». أما ابن الأنباري فرأيته في «الزاهر» ١: ٥٩ كما قال، وأما الزجاج فلم أر في مظان المسألة شيئًا من مطبوعة «معاني القرآن».

واستدل المبرِّد على ما ذهب إليه ببيتين لجرير، الشاهد في ثانيهما ـ وليس في مطبوعة دار الكتاب العربي لعام ١٤١٣، ورقم القصيدة ٢٨٨ ـ وهو:

أو تتركون إلى القَسَّيْن هجرتكم ومَسْحكم صُلْبَهم رحمان قربانا

هكذا في «تفسير» القرطبي و «الزاهر»: رحمان ـ بالحاء المهملة ـ وبه يضيع الشاهد، لكن جاء في «الدر المصون» ١: ٣٤: رخمان قربانا، وهكذا أثبته العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى في تفسيره «التحرير والتنوير» ١: ١٦٩ وأكد ذلك فقال: «الرواية بالخاء المعجمة». وبه يصح المراد والاستشهاد. وقد نَسَب هذا القول إلى ثعلب عدد من الأئمة، منهم الإمام الفخر الرازي في شرحه على أسماء الله الحسنى، واستدل له بأربعة أدلة، وأجاب عنها، واستدل لمذهب الأكثرين، فانظره ص١٦٤ ـ ١٦٦.

منك، قال عبد الرحمن رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن ربه عز وجل: «أنا الرحمن، وهي الرَّحِم، شَقَقتُ لها من اسمي، فمن وَصَلَها وصلتُه، ومن قطعها قطعتُه ثم أَبُتُّه»(١). اللفظ للكُرَيزي.

فالرحمن: ذو الرحمة الشاملة [التي] وسعتْ الخلقَ في أرزاقهم وأسبابِ معاشهم ومصالحهم، وعمَّتْ المؤمن والكافر، والصالح والطالح.

وأما الرحيم فخاص للمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾.

وبالإسناد إلى الخطابي قال(٢): ويقال إن الرحمن خاصٌّ في التسمية، عامٌّ في المعنى، والرحيم عامٌّ في التسمية، خاصٌّ في المعنى.

والذي حكاه الخطابي ولم يسمِّ قائلَه: هو ما حكاه أبو القاسم الحسن ابن محمد بن حبيب المفسِّر(٣)، عن عبد الرحمن بن يحيى أنه قال: الرحمن خاصٌّ في التسمية، عامٌّ في الفعل، والرحيمُ عامٌّ في التسمية، خاصٌّ في الفعل.

وكأن هذا إشارة إلى أن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى لا يُدْعَى به غيره، وليس لأحد أن يتسمَّى به إلا الله، كما دلّ القرآن على ذلك بقوله

---

(١) انظر تخريجه فيما تقدم ص ١٦٠.

(٢) صفحة ٣٩.

(٣) ونقله عنه مشافهة البيهقي في «الأسماء والصفات» ص٧٢. وأبو القاسم هذا كانت وفاته سنة ٤٠٦، وهو شيخ الثعلبي المفسِّر، والسَّهمي صاحب «تاريخ جرجان» وله ترجمة عنده ص١٨٨، وفي «معجم الأدباء» ٣: ٩٩٦، و«السِّيَر» ١٧: ٢٣٧، و«الوافي» للصفدي ١٢: ٢٣٩ مع مصادر ترجمته في التعليق عليها. ومن طُرَف مؤلفاته «عقلاء المجانين» المطبوع قديمًا وحديثًا.

تعالى: ﴿قلِ ادْعُوا الله أوِ ادْعُوا الرحمنَ﴾، فهذا خصوصية في التسمية، وقد رُوي عن إسرائيل، عن سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿هل تعلمُ له سَمِيًّا﴾ قال: لم يسمَّ أحد الرحمن غيرُه[١].

ومعنى الرحمن عام [في الفعل][٢] لأنه يرحم الراحمين من عباده.

وأما الرحيم: فعام في التسمية[٣]، لقوله تعالى في وصف نبيه صلى الله عليه وسلم:﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، وتقول العرب: كنْ لي رحيمًا، فهذا العموم في التسمية.

وأما الخصوص في المعنى: فجاء عن عكرمة وغيره أن الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمئة رحمة، إشارة إلى رحمة الرحيم في الآخرة وأنها هناك مختصَّة بالموحِّدين[٤]، فالرحيم عام في التسمية، خاص في المعنى.

هذا الذي عليه الجمهور، لكنه قد جاء أن الله عز وجل رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وذلك فيما رُوِّيناه في «جزء أبي القاسم إبراهيم بن محمد المعاديلي»: حدثنا أبو الحسن محمد بن عمر الذهبي، حدثنا محمد ابن بكر بن عبد الرزاق، حدثنا أبو داود، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن وهب، أخبرني حفص بن ميسرة، عن موسى بن عقبة، عن عطاء بن [أبي][٥] مروان، عن أبيه، أن كعبًا حلف له بالذي فرَق البحر لموسى عليه

---

(١) تقدم تخريجه صفحة ١٦٢ من المجلس السادس، وهذا تفسير لقوله «الرحمن خاص في التسمية».

(٢) زيادة مني للتوضيح.

(٣) أي: يجوز إطلاق هذا الاسم على الله عز وجل، وعلى غيره.

(٤) كما قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾.

(٥) زيادة مني، وعطاء وأبوه من رجال «التهذيب». وقد وضع المصنف =

السلام أن في التوراة ثلاثةَ أملاكٍ أُمِروا إذا قال أحدٌ من العباد راهبًا أو راغبًا: بسم الله، قال له: هُدِيتَ، ثم يقول: توكلت على الله، قال الثاني: كُفِيت، ثم يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال الثالث: حُفِظت.

ثم إن كعبًا حَلَف له بالذي فَرَق البحر لموسى أن في التوراة: أن الرب عز وجل يَستجيبُ للعبد عند نزول القَطْر، ويستجيب له عند السَّحَر، وعند السجود، وعند الفِطْر، وفي السَّحَر تُفتحُ أبواب السماء لكل داعٍ راهب أو راغب.

وقال: إن كعبًا حَلَف له بالذي فرق البحر لموسى: أن في التوراة: أن عبدًا من عباد الله عندما يقول: اللهم يا فارجَ الهمِّ، ويا كاشفَ الغَمِّ، ومجيبَ دعوةِ المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمَهما أنتَ ارحمني رحمةً تُغْنيني بها عن رحمة مَن سواك، واقْضِ عني دَيني، واكبِتْ عدوّي: إلا كُفِيَ ذلك كلَّه.

وهذا الدعاء جاء مرفوعًا في الحديث المأثور في الدعاء لقضاء الدَّيْن، وإسناده واهٍ جدًّا، ومن ألفاظه ـ وهو موافق لمذهب الجمهور ـ ما قال أبو بكر ابن أبي عاصم: حدثنا حُميد بن كاسب، حدثنا أنس بن عياض، عن يونس بن يزيد الأَيْلي، عن الحكم بن عبد الله، عن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ أبو بكر رضي الله عنه فقال: هل علَّمكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دعاءً علَّمَنيه؟ كان عيسى ابن مريم عليهما السلام يعلِّمه أصحابَه ويقول: لو كان على أحدكم جبلُ ذهبٍ ثم دعا به قضاه الله عنه، «اللهم فارجَ الهمِّ، كاشفَ الغمِّ، مجيبَ دعوةِ المضطرين، رحمن الدنيا ورحيمَ الآخرة ورحيمَهما، ارحمني رحمةً تُغنيني بها عن

رحمه الله فوق كلمة «بن» علامة توقف، فنبَّهني بها إلى مراجعة اسم الرجل.

رحمة مَن سواك».

خرَّجه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في كتابه «الدعوات» من طريق ابن أبي عاصم، والحكمُ بنُ عبد الله هو الأَيْلي ـ يقال له: ابن خُطَّاف، ويقال: هما اثنان[1]، كان ابن المبارك شديدَ الحمل عليه، ورُمي

(١) وهو الصواب، فابن خُطَّاف هو أبو سلمة العاملي، من رجال «التهذيب»، أما الأيلي فكنيته أبو عبد الله، وقد فرَّق بينهما الذهبي في «الميزان» ١: ٥٧٢ (٢١٧٩، ٢١٨٠) وقرَّب احتمال كونهما واحدًا، فتعقبه الحافظ في «اللسان» ٢: ٣٣٣ بقوله: «الصواب عندي التفرقة» ونقل عن ابن عساكر أيضًا التفرقة بينهما وقال: «هما اثنان بلا شك». وكلاهما تالف هالك متهم.

وقول المصنف «لكن حديثه هذا في الترغيب في الدعاء» يستفاد منه، أو يحفظ عليه، فهو في هذا القول يشبه صنيع المنذري في «الترغيب والترهيب». والكلام طويل.وقد أبعد المصنف النُّجعة بإخراجه الحديث من رواية الواحدي له أو ابن أبي عاصم، فالحديث في «المستدرك» ١: ٥١٥ من طريق يونس بن زيد، عن الحكم، به، وذكر في آخره أنه كان على أبي بكر دين فدعا به، فقضاه الله عنه، وكذلك عائشة، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، غير أنهما لم يحتجا بالحكم» فتعقبه الذهبي بأن الحكم ليس بثقة. ورواه البزار أيضًا ـ «كشف الأستار» ٤: ٥٢ (٣١٧٧) ـ من طريق أنس بن عياض، عن يونس، به، وضعَّفه بالحكم وقال: «إنما ذكرنا إذ لم نحفظه عن غيره، وقد حدَّث به أهل العلم على ما فيه».

وروى الطبراني في «معجمه الصغير» ١: ٣٣٦ (٥٥٨) محل الشاهد منه هنا، عن أنس، أنه صلى الله عليه وسلم علَّم معاذًا دعاء لقضاء الدين، وفيه «رحمن الدنيا والآخرة» وهو بهذا اللفظ في «مجمع الزوائد» ١٠: ١٨٦، و«مجمع البحرين» ٨: ٤٤ (٤٦٧٩)، وقال عنه الهيثمي: «رجاله ثقات»، وذكره المنذري في «الترغيب» ٢: ٦١٤ وقال عنه إسناده جيد، لكن في مطبوعته زيادة «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما»؟.

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٤٨٦) عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهؤلاء الكلمات ويُعظمهنَّ: «اللهم يا فارج الغمّ، وكاشف الكرب، ومجيب المضطرين، ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما،
=

بالكذب، لكنْ حديثُه هذا في الترغيب في الدعاء، وفيه جملةٌ من آدابه، منها: تمجيدُ الربِّ سبحانه، والثناءُ عليه، وهذا أول آداب الدعاء الواردة في السنة الشريفة، وقد جمعتُها في أبياتٍ نختم بها مجلسنا هذا، وهي:

بتمجيدٍ ابدأْ، صلِّ، ثلِّثْ: تَضَرَّعَنْ ... أَلِحَّ بِسَرّا[1] طـاهرًا وقـتَ نـافعِ

ومستقبِلاً بالحلِّ جـازٍ، ومعرِبًـا ... دَعِ السَّجعَ، بالمأثور شرِّك وجامعِ

وأَمِّنْ، ولا تَعْجَلْ، مع الرَّفع، وامسحنْ ... فهذي شـروطٌ في دعـاءٍ لطـائعِ

* * * * *

ارحمني اليوم رحمة واسعة تغنيني بها عن رحمة من سواك» وهو صحيح مرسل.

ويلاحظ أن في الرواية التي أخرجها المصنف: «رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحيمهما» وفيها تكرار وزيادة كلمة «ورحيم» وقد خَلَت رواية الحاكم منها، فلفظه: «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما».

وقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى في «تفسيره» ١ : ٥٦ : «ربُّنا جل ثناؤه رحمن جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة» إلى آخر كلامه.

(١) بِسَرّا: أصلها: بسرّاء، فقصرها لضرورة الشعر.

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١٠ -

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

تقدم الكلام على بعض ما في هذه الآية الشريفة من المعاني والأحكام، وهي من جوامع آيات القرآن، القائمِ خطابُه في كل عصر وأوان، وكيف ما تُدُبِّر ما فيه وأُثير، ظهرتْ معانيه لمتأمِّليه على التحرير.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الشرف أبي عبد الله محمد بن المحتسِب مشافهةً بالإجازة، أنبأتنا أم الحسن فاطمة ابنة سليمان بن عبد الكريم، عن أبي البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله، أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله سماعًا، أخبرنا أبو المعالي محمد بن إسماعيل بن محمد الفارسي قراءةً عليه، أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا هارون بن سليمان الأصبَهاني، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مرَّة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أردتم العلم فأَثيروا القرآن، فإن فيه علمَ الأولين والآخرين.

وإذا تدبَّرنا قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ الآيةَ، ظهر لنا كثير من أنواعِ علومها المأخوذةِ من منطوقها ومفهومها.

فمن منطوقها: ثناء الله تعالى على من بَعث فيهم رسولَه محمدًا خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذلك إذْ وَسَمهم بالإيمان، وأعلم بنعمِهِ عليهم بالامتنان، وذكر بعضَ ما أحسن إليهم، وبيَّن عدةً مما

أنعم به عليهم، فقال عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ الآية.

ومن مفهومها: الإشارةُ إلى القضاء السابق في اللوح المحفوظ بإيمان مَن بَعَث فيهم رسولَه صلى الله عليه وسلم، إذْ سماهم قبلَ البعثة مؤمنين، باعتبار ما قضاه وقدَّره، وفي اللوح المحفوظ قبل إخراجهم إلى الوجود سطَّره، فقال تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ قال: ﴿على المؤمنين﴾ للبيان بقضائه السابق لهم بالإيمان، وهذا من بعض فضل الله عليهم والامتنان.

والمؤمنون المصدِّقون واحدهم مؤمن، والمؤمن: من اعتقد بقلبه دينَ الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونطقَ بالشهادتين مع القدرة على النطق بهما. فهذا يُحكَم بأنه من أهل القِبلة ولا يخلَّد في النار، كما حكاه شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي رحمة الله عليه عن اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين[1].

ولا يشترط في المؤمن الذي اعتقد بقلبه التوحيدَ ونَطَقَ بالشهادتين أن يقول مع ذلك حين يُسلم: وأنا بريء من كل دين يخالفُ دينَ الإسلام إلا إذا كان من كفارٍ يعتقدون اختصاصَ رسالة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام إلى العرب، فهذا لا يُحكَم بإسلامه إذا نطق بالشهادتين حتى

---

(١) «شرح صحيح مسلم» ١: ١٤٩ـ ونحوه ٢١٩ـ في شرح حديث جبريل، وأفاد الإمام ابن حجر المكي رحمه الله في شرح الحديث نفسه من «شرحه على الأربعين النووية» ص٦٦ أن «ما وقع في «شرح مسلم» للمصنف من نقله اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلَّدًا في النار: فمعتَرَضٌ بأنه لا إجماع على ذلك، وبأن لكل من الأئمة الأربعة قولاً أنه مؤمن عاصٍ بترك التلفظ، بل الذي عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققي الحنفية ـ كما قاله المحقق الكمال ابن الهمام وغيره ـ أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب».

يقول: وأنا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام، وقد شرط بعضهم قول ذلك على كل كافر يدخل في الإسلام، وليس العمل على هذا. والله أعلم[(١)].

---

(١) إلى هنا كلام النووي، وقد حدَّد في كلامه هناك مَن (البعض) الذي شرط ذلك بأنهم من أصحاب الشافعي، ونقل المصنف هذا الكلام في مجلس آخر، جاء في الأوراق المبتورِ أولُها، وزاد عن النووي ـ بتصرف ـ ما يحسن إلحاقه هنا، فقال: «بقي ما لو اقتصر على أول الشهادتين ولم يقل «محمد رسول الله» فالمشهور من المذهب ومذاهب العلماء أنه لا يكون مسلمًا، ومِن الأصحاب وغيرهم مَن قال: يكون مسلمًا بنطقه بالشهادة الأولى ويطالَب بالشهادة الثانية، فإن أبى جُعل مرتدًّا، واستدلَّ قائلو هذا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عَصَموا مني دماءَهم وأموالَهم..» الحديثَ.

ولا دليل فيه لهذه المسألة لأمرين:

أحدهما: أن الحديث عند الجمهور محمولٌ على قول الشهادتين معًا، واستغنيَ بذكر إحداهما عن الأخرى لارتباطهما وشهرتهما.

والثاني: أن الحديث جاء مقيَّدًا بالشهادتين، فيحمل ذاك المطلَق على هذا المقيَّد، وهو ما صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» الحديثَ.

وإذا صار العبد من المؤمنين بما قدَّمناه هل يجوز أن يقول عن نفسه: أنا مؤمن من غير استثناء؟ ـ أي من غير أن يقول: إن شاء الله ـ.

فالمختار جواز ذلك من غير استثناء. وقيل: لا يقول أنا مؤمن إلا مقيَّدًا بقوله: إن شاء الله.

وذهب الأوزاعي وخلقٌ ـ وهو قول أهل التحقيق ـ إلى جواز الأمرين معًا، فمن أطلق نظر إلى الحال، وأن أحكام الإيمان جارية عليه حينئذ.

ومن قيَّده بالاستثناء يكون إما للتبرك، كقوله في حديث السلام على أهل المقابر: «وإنا إن شاء الله بكم للاحقون».

=

وإما لاعتبار العاقبة المغيَّبة عن الإنسان ولا يدري بما يُختَم له. وهذا القول بالتخيير ـ كما قاله الإمام أبو زكريا النووي رحمة الله عليه ـ حسن صحيح نظرًا إلى مأخذ القولين الأولين[١].

نعم، وفي قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ ولم يقل: إليهم رسولاً، إشارةٌ ـ والله أعلم ـ إلى رفع العذاب عن المؤمنين وبشارةٌ لهم بذلك، لقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذِّبهم وأنتَ فيهم وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون﴾ رُوي أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد أنزل الله عز وجل عليّ أمانيْنِ لأمتي» ثم تلا: ﴿وما كان الله ليعذِّبهم وأنتَ فيهم، وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون﴾ «فإذا مضيتُ تركتُ فيكم الاستغفار»[٢].

وهذا من بعض النعمة التي امتن الله بها على المؤمنين وأشار إليها بقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. وقد وصفه الله بالرأفة والرحمة في قوله تعالى: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، ومن ألقابه عليه أفضل الصلاة والسلام: نبي الرحمة ونبي المَرْحَمَة[٣]، ووُصفت أمته بأنها

---

(١) إلى هنا انتهى النقل ـ بتصرف ـ عن النووي رحمه الله.

(٢) سيأتي تخريجه ص٤١١.

(٣) أما «نبي الرحمة» صلى الله عليه وسلم: فهو في حديث دعاء صلاة الحاجة، المعروف بحديث توسل الأعمى، وذكرته في التعليق على ص١٥٨، وأما «نبي المرحمة»: فقد جاء ذلك في حديث أبي موسى الذي ذكرته هناك من «صحيح» مسلم ٤: ١٨٢٨ (٢٦) ولفظه «أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». قال القاضي عياض في «المشارق» ١: ٢٨٥: «كذا للسجزي، ولغيره: المرحمة». وقال النووي في«شرحه» ١٥: ١٠٦ بعدما شرح «المقفِّي»: «وأما نبي التوبة والرحمة والمرحمة: فمعناها متقارب..» فتكون هذه الإضافة منه إشارة إلى رواية غير السجزي. ولهذا نسب الزرقاني في «شرح المواهب» ٣: ١٨٣ الحديث إلى رواية مسلم جزمًا ولم ينبه إلى شيء. وساق السيوطي في «الرياض الأنيقة» ص٢٤ حديث أبي موسى بإسناده من طريق أبي داود الطيالسي بلفظ مسلم الذي ذكرته ـ مع أنه في مطبوعة الطيالسي ص٦٧: نبي الملحمة ـ ثم إنه في ص٢٦٢ ذكر «نبي المرحمة» وأحال على حديث أبي موسى المتقدم، فكأن ما جاء فيه ص٦٧: «نبي الرحمة» تحريف عن: نبي المرحمة. والله أعلم.

ثم إن السيوطي قال في ص ٢٦٢: «المرحمة هي الرحمة». لكنهم قالوا: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

=

أمة مرحومة(١)، وقال الله تعالى: ﴿رحماء بينهم﴾. وأوصاهم بالتراحم وحثَّهم على الرحمة في أحاديثَ كثيرة وأخبار خطيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» وقد رويناه قبلُ من طرق ستة وهذه طريق سابعة:

أخبرنا الشيخان الصالحان العالمان النجْم أبو الصبر أيوبُ بن سعيد بن عَلَوي بن شاكر بن علوي بن مرهوب الخالدي الشافعي، والصلاح أبو المحاسن يوسف بن علي الحنبلي بقراءتي عليهما متفرِّقَيْن، وهو أول حديث سمعته من كلٍّ منهما، قالا: أخبرتنا أم محمد ستُّ العرب ابنة محمد بن علي، وهو أول حديث سمعناه منها قالت: أخبرنا جدّي أبو الحسن علي بن أحمد السعدي، وهو أول حديث سمعته منه حضورًا، أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد الحساني، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثني القاضي أبو الحسن علي بن المفرج بن عبد الرحمن السقلي(٢)، من لفظه بمكة في المسجد الحرام تُجاه الكعبة زادها الله شرفًا وتعظيمًا وكرامةً، وهو أول حديث سمعته منه، حدثني أبو نصر عبيد الله بن سعيد الحافظ، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلَّبي، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول

(١) ورد هذا الوصف للأمة المحمدية في حديث رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «إن أمتي مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب..» وله ألفاظ متعددة، أشير إلى الأماكن التي ورد فيها الوصف فقط. فهو في «سنن» أبي داود (٤٢٧٧)، و «مسند» أحمد ٤: ٤١٨، وفي إسنادهما المسعودي، وهو مختلط.

ورواه أحمد ٤: ٤٠٨ من طريق أبي سعيد النصري ـ بالنون ـ وهو مجهول.

وهو في «المعجم الصغير» ١: ٢٦ (٥)، و«مسند عمر بن عبد العزيز» (٦٢) وإسناد كل منهما حسن.

ورواه من حديث أنس بن مالك: ابن ماجه ٢: ١٤٣٤ (٤٢٩٢) وفيه ضعيفان.

ورواه الحاكم ٤: ٢٥٤ من حديث رجل من الأنصار، وصححه ووافقه الذهبي، مع أن الراوي عن الأنصاري ـ وهو ابنه ـ مبهم غير مسمى.

(٢) كذا بخطه وعلى السين علامة الإهمال، وهو وجه في اسم صِقِلِّيَة، كما قاله ياقوت، والمشهور بالصاد: الصقلِّي، ويجوز في الصاد والقاف كسرهما وفتحهما.

=

حديث سمعته منه سنة ثلاثين وثلاث مئة، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

هذا حديث مشهور من حديث سفيان بن عيينة رواه عنه طائفة كثيرة أكثرهم بغير تسلسل، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» ومحمد بن عباد المكي، ومحمد ابن أبي عمر العَدَني، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وأبو بكرعبد الله بن أبي شيبة، ومحمود بن آدم، ومسدَّد بن مُسَرْهَد، وهارون بن معروف.

لكن الحديث على شهرته فرد، لم يروه عن أبي قابوسَ غيرُ عَمرو بن دينار، ولا عن عَمرو سوى سفيان بن عيينة فيما نعلم.

فهذا هو من الأفراد، والأفراد في الحديث على أقسام تَرجع إلى قسمين:

مطلق ومقيَّد، فمن أقسامه: تفرُّد أهل بلدةٍ بحديث أو بسنة، وهذا قد صنَّف فيه أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني صاحبُ «السنن» مصنفًا، وتعرَّض في «سننه» إلى أحاديثَ من هذا الضرب، كأنْ يقال: هذا حديث تفرد به أهل مكة، أو هذه سنة تفرد بها أهل البصرة.

ومن الأفراد: زيادات الثقات، وهو ما ينفرد بالزيادة ثقة عن غيره.

منها: ما ليس له إلا إسناد واحد، وقد صنَّف فيه أبو الحسن الدارقطني مصنفًا حافلاً، وجعل له أبو عبد الله محمد بن طاهر المقدسي أطرافًا، و «معجم الطبراني الأوسط» في الأفراد. ويدخل فيها الشاذ، والمنكر، والغريب، فإن انفرد به ثقة متقن غيرُ مخالف لغيره فهذا حديثُه الذي انفرد به صحيح أو حسن يحتجُّ به، ومنه أفراد الصحاح، ويسمَّى غرائب الصحاح، كحديث النهي عن بيع الوَلاء وعن هِبته، تفرَّد به عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقد استفاض ممن دون عبد الله بن دينار إلينا. ومن هذا القسم: هذا الحديثُ فإنه مرويّ من طرق إلى سفيان بن عيينة، وقد انفرد به عن عمرو، كما انفرد عمرو عن أبي قابوس، وهذا التفرد لا يقدحُ في الحديث، لأن سفيان وشيخَه عَمرًا ثقتان متقنان جبلان في الحفظ والثقة والإتقان، =

والمؤمنون أقسام: منهم الملائكة، وهم على طبقات ومنازل.

ومنهم الإنس والجن، ومن الإنسِ: الأنبياءُ، وفيهم الرسل، وهم

ولأبي قابوس متابعٌ على حديثه رَوَيناه[1] في مسندي أحمد بن حنبل وعبد بن حميد من حديث أبي خِداش حِبان بن زيد الشَّرْعَبي الحمصي أحد الثقات، عن عبد الله بن عمرو بمعناه، وللحديث شاهد عن نيف وعشرين صحابيًّا: منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، ذكرتهم في كتابي «نفحات الأخيار في مسلسلات الأخبار».

وفي الحديث سنداً ومتنًا فوائدُ أُخر، ذكرنا بعضها على سبيل التَّذكار لمن حضر، فقد أنبأنا الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله السعدي، أخبرنا أحمد بن أبي طالب البَيَاني سماعًا، أنبأنا جعفر بن علي المقرىء، أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني الحافظ سماعًا، أخبرنا أبو الخطاب نصر بن أحمد، أخبرنا محمد بن أحمد بن رِزْقويه، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا جعفر بن شاكر، حدثنا ابن الغَلابي، حدثنا سعيد بن عامر، عن عوفٍ الأعرابي رحمة الله عليه أنه كان يقول لجلسائه: والله ما نُعلِّمكم من جهالة، ولكنَّا نذكركم بعض ما تعرفون لعل الله أن ينفعكم.

وبالتَّذكار تحصل المذاكرة، وبها حياة العلم النافع دنيا وآخرة.

وقد أنشدونا عن حافظ الإسلام وشيخ بلاد الشام أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي رحمه الله أنه أنشد لنفسه:

مـــن حَـــازَ العلـــمَ وذاكَـــرَهُ ... صَـــلُحَتْ دُنيـــاهُ وآخرتُـــهْ

فـــأدَمَ للعلـــمِ مـــذاكرةً ... فحيـــاةُ العلـــمِ مذاكرتُـــهْ

آخره ولله الحمد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا».

وقول المصنف «أنشدونا»: كأن إسناده بهذين البيتين هو: يرويهما عن شيخه الإمام سبط ابن العجمي، عن أبي الربيع الياسوفي، عن ابن رافع السَّلامي، عن المزي، وجدته كذلك في «ثَبَت» السبط بخطه ص٢٢٩ من المخطوط، وعلى هذا (الثبت) خط المصنف ص١٩٠ وغيرها.

---

(١) يريد الحديث الذي تقدم في ص٤٣: «ارحموا ترحموا..».

على درجات. قال الله تعالى: ﴿تلك الرسلُ فضَّلنا بعضهم على بعض منهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات﴾.

ومنهم مَن دونهم مِن المؤمنين، كمؤمني الأمم المتقدِّمة، ومؤمني هذه الأمة المحمدية، وهم أمة الإجابة، وأفضلُهم مطلقًا الصحابةُ، وهم في قولِ المشارُ إليهم بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

والمؤمنون: أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا على قسمين: قسم آمنوا به وحَصَلَت لهم صحبته، وقسم كذلك في الإيمان، لكن فاتَتْهم صحبته، وهم بعضُ المخضْرَمين[1].

والصُّحبةُ: عامةٌ، وخاصة، فالعامة: يدخل تحتها كل مَن صاحَبَ غيره، وإن اختلفا في جنس أو دين أو منزلة، يقال صَحِبه ـ بالكسر ـ يصحَبه ـ بالفتح ـ صُحبة ـ بالضم ـ وصَحابة ـ بالفتح ويكسر ـ: إذا عاشَرَه، فهو صاحب له، وجمعه صَحَابة ـ بالفتح ـ وأصحاب، وصَحْب، وصِحاب، وصُحْبان. هذا معناه لغةً.

وأما اصطلاحًا: فالصاحب ـ ويقال له الصحابي، وهو الأكثر ـ: مَنْ لقيَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في حياته، بعد المبعث، من المسلمين، ممن يَعقِل، ثم مات مسلمًا.

وقيل في تعريف الصحابي غير ذلك.

ومعرفة الصحابة من أوكد العلوم وأهمّها، وهو علم جسيم لا يُعذر

---

(١) هذا يتفق مع ما قالته السيدة عائشة: «هذه للعرب خاصة» رواه عنها البيهقي في «الشعب» ٢: ٢٣٢ (١٦١٥) = ٤: ٢٤٦ (١٥٠١)، و «مناقب الشافعي» ١: ٣٢، لكن انظر ما سبق من المصنف ص٦٣ فإنه أولى، لتعميمه.

أحدٌ [ينسب إلى علم الحديث] بجهله، ولا خلافَ علمتُه بين العلماء أن الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوكدِ علم الخاصة، وأرفعِ علم الخَبَر، وبه ساد أهل السِّيَر، وما أظن أهلَ دينٍ من الأديان إلا وعلماؤهم معتنون بمعرفة أصحاب أنبيائهم، لأنهم الواسطة بين النبي وبين أمته. قاله أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَر النَّمَري رحمة الله عليه(١).

ومن تبحَّر في معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ. قاله الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري(٢).

وطريق معرفة الصحابي من وجوه، منها: التواتر، كصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه المنصوصِ عليها في أعظمِ قولٍ وأحكمِ معنى، قال الله عز وجل: ﴿ثانيَ اثنين إذْ هما في الغارِ إذْ يقول لصاحبه لا تحزنْ إن الله معنا﴾.

وكذلك تواترُ صحبةِ بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، وآخرين، كابن مسعود، وأبي هريرة، وخَلْق من الصحابة.

ومن وجوه معرفة الصحابة: الاستفاضةُ، وهي دون التواتر، كضِمام ابن ثعلبة السَّعْدي، وآخرين.

ومنها: إخبارُ بعض المشهورين من الصحابة بصحبة غيره.

ومنها: إخباره عن نفسه بذلك، لكنْ بشرط أن يقتضيه الحال مع وجود الثقة والأمانة، فإن كانت الحال لا تقتضيه، أو ظهرَ كذبُ المخبِر

(١) في مقدمة كتاب «الاستيعاب في أسماء الصحاب» ١: ٩ ـ ١٠ على حاشية «الإصابة».

(٢) في «معرفة علوم الحديث» آخر النوع السابع ـ معرفة الصحابة، صفحة ٢٥ القسم الرابع.

فيما يدَّعيه، فلا يقبل ـ والحالةُ هذه ـ إخبارُه بذلك، ولا خبرُ مَن ادعاه له من الهوالك، مثل:

رتَن شاهون بن جندريق الهندي البِتْرَنْدي[١]، وجعفر بن نُسطور الرومي، ويُسر بن عبد الله الخادم، ومُعَمَّر بن بُرَيْك، وفهر بن تميم الكلابي[٢]، وربيع بن محمود المارديني وأمثالهم، وقع لي منهم أحد وعشرون نفساً[٣] ذكرتهم مع نحوهم ممن ادعَى أو ادُعي له أنه تابعي، مع تراجمهم، وذكر شيء مما رَوَوْه في مؤلَّف سميته «كشف القناع عن حال من افترى الصحبة أو الاتباع».

وقد صنف في أسماء الصحابة وذِكْرِهم كثيرٌ من الأئمة مع إفاضتهم في عددهم تقليلاً وتكثيرًا، وكلٌّ من الأقوال رَوَيناه مأثورًا. ومنها ما قال أبو الحسن محمد بن الحسين الآبُري السِّجْزِي الحافظ[٤]: أخبرني محمد

(١) هكذا جاء بخط المصنف وضبطه، لم أزد عليه، وفي مطبوعة «الإصابة»: رتن بن ساهوك بن جكندريو، قال ابن حجر: «هكذا وجدته مضبوطًا مجوَّدًا بخط من يوثق به، وضبطه بعضهم بقاف بدل الواو» يعني: جكندريق، بدل: جكندريو.

(٢) هكذا بخط المصنف أيضًا، وقد ذكره الحافظ في «الإصابة» ـ القسم الرابع ـ في حرف القاف: قيس بن تميم الطائي ـ نَسَبًا ـ الكَيْلاني بلدًا، نسبة إلى مدينة كَيْلان، لدخوله إياها.

(٣) وأوصلهم شيخنا العلامة الضليع المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في تعليقه على «المصنوع» للقاري ص٢٣٨ ـ ٢٤٦ إلى ستة وعشرين رجلاً، ويضاف إليهم موسى بن عبد الله الطويل، فإنه ورد اسمه ضمن نقوله الكثيرة، في صفحة ٢٤٠، في كلام للذهبي نقله عنه العراقي، فيكون عددهم سبعة وعشرين رجلاً، ولموسى هذا ترجمة في «الميزان» ٤: ٢٠٩، و«اللسان» ٦: ١٢٢.

(٤) لعل هذا في كتابه «مناقب الشافعي». وأبو الحسن: هكذا بخطه، وهو كذلك في غير مصدر. وانظر ترجمته عند التاج السبكي ٣: ١٤٧ مع التعليق عليه، و١: ٣٤٤ منه أيضًا.

ابن رمضان المصري، أخبرنا محمد بن عبد الحكم، أخبرنا الشافعي قال: قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ثلاثون ألفًا بالمدينة، وثلاثون ـ يعني: ألفًا ـ في قبائل العرب وغير ذلك.

ومِن أكثر ما قيل فيهم: ما قال القاضي أبو عبد الله أحمد بن إسحاق ابن خَرْبان، أخبرنا الحسن بن بكر الوراق، حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد التُّستَري، أخبرنا محمد بن سعيد بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عيسى الهمَذاني قال: قال أبو زرعة الرازي: توفِّي النبي صلى الله عليه وسلم ومَن رآه وسمع منه زيادةٌ على مئة ألف إنسان من رجل وامرأة، وكلٌّ قد رَوَى عنه سماعًا أو رؤية.

روي من طريق أخرى عن أبي زرعة ـ وقيل له: حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف؟ ـ فقال: ومَن قال ذا؟! هذا قول الزنادقة! ومن يُحصي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مئة ألفٍ وأربعةَ عشَرَ ألفًا من الصحابة ممن رآه وسمع منه. قيل له: هؤلاء أين كانوا؟ وأين؟ ـ يعني: يَسَعُهم ـ قال: أهل المدينة، وأهل مكة، ومَن بينهما من الأعراب، ومَن شهد معه حجة الوداع، كلٌّ رآه وسمع منه بعرفة[1].

---

(١) قال الحافظ في مقدمة «الإصابة»: «قال ابن فتحون في «ذيل الاستيعاب» بعد أن ذكر ذلك: أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصة، فكيف بغيرهم؟!». وقد نقل السخاوي أيضًا في «فتح المغيث» ٤: ١٠٨ ـ ١٠٩ كلمة ابن فتحون هذه وزاد عليه فقال: «وكذا لم يدخل في ذلك من مات في حياته صلى الله عليه وسلم في الغزوات وغيرها».

هذا، وللحافظ العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٢٦٤ وَقْفة في ثبوت هذه الكلمة عن أبي زرعة، وقد تعقبه فيها السيوطي في «التدريب» ٢: ٢٢٠.

وأولُ من جمع أسماء الصحابة فيما نعلم، مرتَّبين في الأسماء على حروف المعجم: أبو عبد الله البخاري، وهو قسم من أقسام «تاريخه الكبير»[(١)] ثم تبعه الناس في الجمع الموصوف، فبعضهم على الطبقات، وآخرون على الحروف، ما بين مختصَر ومطوَّل، وأصل ومذيَّل، فأخصرُ مصنَّف في ذلك كتاب «الصحابة» تأليف أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي[(٢)]، ومن ذلك «معجمُ» أَبَويْ القاسمِ: عبد الله بن محمد البغوي، وسليمانَ بنِ أحمد الطبراني، و«معجم» أبي الحسين عبد الباقي بن قانع ابن مرزوق القاضي، و«معجم» أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين، وكتاب «المعرفة» لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْده، و«المذيَّل» عليه لحفيده أبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب، و«التتمة» على ذلك لأبي موسى محمد ابن أبي بكر المديني، وكتاب «المعرفة» لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وكتاب «الاستيعاب لأسماء الأصحاب» لأبي عمر بن

---

(١) لكن لفظ المصنف في «تحفة الإخباري بترجمة البخاري» ص١٨٣: «أشار إليه في: التاريخ الكبير»، ولفظ ابن حجر في مقدمة «الإصابة»: «أولُ من عرفتُه صنف في ذلك أبو عبد الله البخاري، أفرد في ذلك تصنيفًا، فنقل منه أبو القاسم البغوي وغيره»، وانظر لزامًا آخر مقدمة «فتح الباري»، فإنه زاد هذا المعنى تأكيدًا، وأفاد أن للبخاري كتابًا آخر في الصحابة الذين ليس لهم إلا حديث واحد. و«التاريخ الكبير» مطبوع وليس فيه قسم مفرد لذلك، نعم يذكر أول كل حرف منه من سمِّي من الصحابة بهذا الاسم، ثم يُتبعهم بأسامي كبار التابعين، ثم بمن دونهم، وهكذا، تطبيقًا لاسمه الذي سماه به، وهو كتاب «الطبقات والتاريخ» كما تجده في «تصحيفات المحدثين» ١: ١١٦.

ثم، إنه يبدو لي أن البخاري مسبوق في التأليف في الصحابة، ففي «فهرست» ابن النديم ص١١٢ ضمن مؤلفات الهيثم بن عدي: «من روى عن النبي من أصحابه». وكانت وفاة الهيثم سنة ٢٠٧، وهو من الأئمة الأخباريين على ما فيه من جرح شديد.

(٢) طبع ببيروت سنة ١٤٠٦، وفيه ذكر ٧٢٨ صحابيًّا.

عبد البَر، والمذيَّل عليه[١] وغير ذلك من المؤلفات في أسمائهم، وكذلك المؤلفات في مسانيدهم كـ «مسند» الإمام أحمد بن حنبل، ومن ذلك التواريخ: كـ «تاريخ» أبي بكر أحمد ابن أبي خيثمة.

ومِن أجمع مؤلَّف أُفرِد للصحابة كتاب «أُسْد الغابة» للعلامة عز الدين أبي الحسن علي ابن أثير الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، وجرّده الحافظ أبو عبد الله الذهبي باختصارٍ وزيادةِ صحابةٍ كثيرة في كتاب سماه «تجريد الصحابة»[٢].

وهم على طبقات كما تقدم[٣]، منها: أنهم طبقتان سابقون، وغير سابقين، ذكر الله تعالى الطبقتين في القرآن، فقال عز وجل: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورَضُوا عنه وأعدّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم﴾.

ومراتب السابقين تسع: الأولى: كأبي بكر الصديق، وأم المؤمنين خديجة، ومن كان في حَجر النبوة ونشأ فيها كالذريَّة الطاهرة، وعلي بن

---

(١) لابن فتحون الأندلسي المتوفى سنة ٥١٩. وفي مقدمة كتاب «معرفة الصحابة» لأبي نعيم ذكر الدكتور محمد راضي (٥٨) كتابًا في هذا الصدد، وفاته أشياء حتى من «الرسالة المستطرفة»!.

وفاتَ المصنفَ وابنَ حجر وغيرهم أن يذكروا ممن ألَّف في الصحابة: الإمام أبا جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله، فإن له جزءاً في «أسماء من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم» نقل عنه المزي في «تهذيب الكمال» ٣٤: ٢٧٨ ترجمة أبي مروان الأسلمي، ووصْف المزي له بالجزء يشير إلى أنه مثل أو أصغر من كتاب الترمذي.

(٢) ثم جاء الحافظ ابن حجر رحمه الله فألف كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» فأربى على من تقدَّمه كمّاً وكيفاً.

(٣) صفحة ٦٦، وما هنا تكرار له.

أبي طالب، وزيد بن حارثة رضي الله عنهم.

والمرتبة الثانية: كعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبلال بن رَبَاح رضي الله عنهم.

الثالثة: أصحاب دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه، التي بمكة عند الصفا، وكانوا تسعة وثلاثين صحابيًّا، وبإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كَمُلوا أربعين، جمعهم في مصنف يذكر تراجمهم وما يتعلق بهم الإمام أبو القاسم سعيد بن يعقوب بن شاه الكُشَاني، سمَّى مصنفه «السراج».

المرتبة الرابعة: مهاجِرة الحبشة.

الخامسة: أصحاب العَقَبتين من الأنصار.

السادسة: من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بقُباءَ لما نزلها في الهجرة قبل أن ينتقل إلى المدينة.

السابعة: من صلى القِبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم.

الثامنة: أهل بدر.

التاسعة: أهل بيعة الرضوان.

وبهم انقطع السابقون، وقد شُهِدَ لهم بأنهم من أهل الجنة لا يدخلون النار.

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن الذهبي الدمشقي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ القدوة أبي بكر ابن قَوام البالسي، وأبو الحسن علي، وأم محمد زينب: ولدا الفخر عثمان بن محمد بن الشمس لولو الحلبي، وأمُّ عبد الله زينبُ ابنةُ الإمام أبي محمد عبد الله ابن الإمام أبي أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرانيةُ، بقراءتي على الأول بجامع كَفْر بَطْنا من الغُوطة، وعلى

الثاني بزاوية جدِّه من سفح قاسيون، وعلى الأخوين بجامع بيت لِهْيا، وعلى ابنة تيمية بمنزلها داخل دمشق، قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الدِّيْرمقرني ـ قال عليّ وابنةُ تيمية: حضورًا، وقال الباقون: ونحن نسمع، زاد أبو هريرة فقال: وأخبرنا عيسى بن عبد الرحمن السِّمْسار الصالحي قراءةً عليه وأنا حاضر في الثالثة، وأجاز لي ما يرويه، وأبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدِسيان إجازة ـ قالوا سوى ابن عبد الدائم: أخبرنا أبو المُنَجَّا عبد الله ابن عمر العَتَّابي، وقال الحاكم أيضًا وابن عبد الدائم: أخبرنا الحسين بن المبارك الزَبيدي قراءةً عليه قال القاضي[١]: وأنا حاضر، وابن عبد الدائم: وأنا أسمع ـ قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى السِّجْزي، أخبرنا محمد بن أبي مسعود الفارسي، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الهَرَوي، أخبرنا عبد الله بن محمد البَغَوي، حدثنا العلاء بن موسى البغدادي، أخبرنا الليث بن سعد المصري، عن أبي الزبير المكي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل أحدٌ ممن بايع تحت الشجرةِ النارَ». هذا حديث حسن صحيح، قاله الترمذي بعد أن خرَّجه في «جامعه» كما خرجه أبو داود، والنسائي من حديث الليث بن سعد[٢].

وقال مسلم في «صحيحه»[٢]: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه: أن عبدًا لحاطب جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبًا فقال: يا رسول الله ليدخلَنَّ حاطبٌ النارَ! فقال رسول الله صلى الله

---

(١) هو سليمان بن حمزة الحاكم نفسه، انظر ص٦٩.

(٢) تقدم تخريجه في ص٦٩، و«كذبت» معناه: أخطأتَ. وانظر ماتقدم ص٧٠.

عليه وسلم: «كذبتَ، لا يدخلُها فإنه شهد بدرًا والحُدَيبيَة».

لم يخرج البخاري ـ والله أعلم ـ حديث الليث الذي تقدم لعلَّةٍ هي من باب المزيد في الأسانيد[1]، لكنها لا تقدح، وهي رواية جابر رضي الله عنه هذا الحديثَ عن أم مبشِّر، وهي بنتُ البراء بن مَعْرور الأنصارية الصحابية زوجُ زيد بنِ حارثة رضي الله عنهم.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عبد الله بن المحتسِب إجازةً إن لم يكن سماعًا، أخبرنا أبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم سماعًا في صفر سنة تسع وسبع مئة، أخبرنا أبو الوفاء محمود بن إبراهيم العبدي وأختاه أسماء وحُميراء كتابةً قالوا: أخبرنا أبو الخير محمد بن أحمد بن الباغْبان سماعًا، أخبرنا إبراهيم بن محمد الطيان، وأبو بكر محمد بن أحمد السمسار، وأبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن منده قراءة عليهم وأنا أسمع قالوا: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد[2]..، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن أم مبشر رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «لا يدخُلُ أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوني تحتها النار إن شاء الله» فقالت: بلى! فانتهرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وإنْ منكم إلا واردها، كان على ربك حتمًا مقضيًّا﴾! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَر الظالمين فيها جِثِيًّا﴾.

---

(١) تقدم تعريفه أيضًا صفحة ٧٠.

(٢) كلمات غير واضحة أبدًا، وأما أبو إسحاق هذا فهو المعروف بلقبه: خُرَّشيد قُوله، وله ترجمة في «السِّيَر» ١٧ : ٦٩.

تابعه ابن جريج، عن أبي الزبير.

أنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المقدسي، أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن الفخرِ عليٍّ، وزينبُ ابنةُ الكمال أحمدَ، وحبيبةُ ابنةُ الزَّينِ عبد الرحمن المقدسيون قراءةً عليهم وأنا أسمع قالوا: أخبرنا محمد ابن نصر بن أبي الفرج بن الحُصري إجازة ـ زادت زينب فقالت: ومحمد ابن عبد الكريم بن السِّيِّدي كتابةً ـ قالا: أخبرنا أبو الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتِيل قراءة عليه ونحن نسمع، قال ابن الحصري وأنا حاضر، أخبرنا أبو هاشم عيسى بن أحمد بن محمد الدُّوْشابي[(١)] سماعًا، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن البُسري، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد ابن شاذان، أخبرنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس، حدثنا أحمد بن عبيد الله النَّرْسي، حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: أخبرتْني أمُّ مبشِّر رضي الله عنها أنها سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخلُ النارَ إن شاء الله أحدٌ من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها». قالت حفصة رضي الله عنها: بلى يا رسول الله! فانتهرها! فقالت حفصة: ﴿وإنْ منكم إلا واردُها كان على ربك حتمًا مقضيًّا﴾! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد قال الله عز وجل ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا﴾».

حدَّث به الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن حجاج كذلك[(٢)].

وخرَّجه مسلم في الفضائل عن هارون بن عبد الله، والنسائي في التفسير عن هارون والحسن بن محمد، كلاهما عن حجاج بن محمد، به.

---

(١) تقدم صفحة ٧٠ أنه نسبة إلى الدوشاب، وهو الدِّبْس في العربية.

(٢) «المسند» ٦ : ٤٢٠، وهو فيه من وجه آخر ٦ : ٣٦٢.

وقال أبو السَّرِي هنّاد بن السَّرِي في كتاب «الزهد»[١]: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة رضي الله عنهم قالت: قال صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن لا يدخل النارَ ـ إن شاء الله ـ أحدٌ شهد بدرًا والحديبية» قال: فقلت: يا رسول الله أليس الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًّا﴾؟ قال: أفلم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثِيًّا﴾؟...[٢].

والمشهور أنه من مسند أم مبشر الأنصارية. وعلى المشهور ما قال أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في كتاب «المعرفة»[٣]: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصبَّاح، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشِّر رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن يدخل النارَ أحدٌ شهد بدرًا والحديبية».

وقال محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى»[٤]: أخبرنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني، حدثني إبراهيم بن عَقيل بن مَعْقِل، عن أبيه، عن وهب بن منبِّه قال: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربعَ عشْرةَ مئةً، فبايعتُه[٥] تحت الشجرة وهي سَمُرَةٌ، وعمرُ رضي الله عنه آخِذٌ بيده، غيرَ جَدِّ بن قيس اختبأ تحت إبط بعيره!.

---

(١) ١: ٣٢٧ (٢٣٣).

(٢) كلمات على الحاشية غير واضحة أبدًا.

(٣) ١: ١٢٥ (١٢٦).

(٤) ٢: ١٠٠.

(٥) في المطبوع: فبايعناه.

وسألته: كيف بايعوه؟ قال: بايعناه على أن لا نَفِرَّ، ولم نبايعْه على الموت.

وسألته: هل بايع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بذي الحُلَيفة قال: لا، ولكنْ صلَّى بها ولم يبايع عند الشجرة، إلا الشجرةَ التي بالحديبية، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على بئر الحديبية، وإنهم نحروا سبعين بدنةً بين كل سبعةٍ منهم بدنةٌ.

قال جابر: وأخبرتْني أم مبشِّر رضي الله عنها: أنها سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم عند حفصة رضي الله عنها يقول: «لا يدخلُ النارَ إن شاء الله أصحابُ الشجرة الذين بايعوا تحتها». قالت حفصة: [بلى يا رسول الله، فانتهرها! فقالت حفصة:] [(١)] ﴿وإنْ منكم إلا واردُها كان على ربك حَتْمًا مقضيًّا﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا﴾.

ورواه الحافظ أبو علي الحسين بن داود المِصِّيصي سُنَيْد في «تفسيره» فقال: وحدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنا في يوم الحديبية أربعَ عشْرَةَ مئةً، فبايعْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه آخِذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرَة، فبايعناه غيرَ الجَدِّ بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره! قيل لجابر: هل بايع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بذي الحُلَيفة؟ قال: لا، ولكنه صلَّى بها ولم يبايع تحت الشجرة إلا الشجرةَ التي عند الحديبية. قال أبو الزبير: قلت لجابر: كيف بايعوا؟ قال: بايعناه على أن لا نفرَّ، ولم نبايعه على الموت.

الجَدُّ بن قيس: من بني سَلِمة، وكان سيدَهم في الجاهلية، فجعل

---

(١) زيادة مما تقدم ص٧٢، ومن «الطبقات الكبرى» ٢: ١٠١.

النبي صلى الله عليه وسلم سيدَهم عمرو بن الجَموح، وكان الجَدُّ يُزَنُّ بالنفاق[١]، وقيل: إنه تاب وحسن إسلامه، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه[٢].

وقد اختُلِف في عدَّة أهل الحديبية التي كانت بيعة الرضوان تحت سَمُرة من شجرها على أقوال، فقيل: بضع عشرة مئة، من غير تعيين، كما صحَّ من حديث عروة بن الزبير، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، يزيد أحدهما على صاحبه قالا: خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضعَ عشْرةَ مئة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. الحديث[٣].

---

(١) أي: يتَّهم بالنفاق.

(٢) حكى هذا (القيل) ابن عبد البر في «الاستيعاب» ١: ٢٥١ـ على حاشية «الإصابة» ـ وعنه ابن الأثير في «أسد الغابة» ١: ٣٢٧، وابن حجر أيضًا، في القسم الأول، وفي «صحيح» مسلم ٣: ١٤٨٣ (٦٩) قال جابر: «كنا أربع عشرة مئة، فبايعناه.. غير جَدّ بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره»، فنسبه أنصاريًّا، ولو كان بقي على نفاقه لما جعله من الأنصار، وهو من أعرف الناس به، لأنه ابن أخت الجدّ بن قيس.

وقول القاضي البيضاوي رحمه الله في الحديث الذي رواه الترمذي ـ وحسنه ـ ٥: ٦٥٣ (٣٨٦٣): «ليدخلن الجنةَ مَن بايع تحت الشجرة إلا صاحبَ الجمل الأحمر»: «قيل هو الجدّ بن قيس» ـ كما في «تحفة الأحوذي» ١٠: ٣٦٦ ـ يخالفه جزم علي القاري في «المرقاة» ١١: ٤٣١ بأنه عبد الله بن أُبيّ رئيس المنافقين.

لكن يُنظر سبب نزول قول الله تعالى في سورة التوبة ـ الآية ٤٩ ـ: ﴿ومنهم من يقول ائذنْ لي ولا تَفْتِنّي، ألا في الفتنة سقطوا، وإن جهنم لَمحيطةٌ بالكافرين﴾، فقد اتفقت الروايات على أنها نزلت في الجدِّ، وكان ذلك يوم غزوة تبوك التي هي من آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي ـ باب غزوة الحديبية ٧: ٤٤٤ (٤١٥٧، ٤١٥٨).

وقيل: كانوا ألفًا وثلاث مئة كما علَّقه البخاري في «صحيحه» فقال: وقال عبيد الله بن معاذ: حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، حدثني عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كان أصحاب الشجرة ألفًا وثلاث مئة وكانت أسلمُ ثُمُنَ المهاجرين.

تابعه محمد بن بشار: حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة(١).

حديث عبيد الله: حدث به أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في «مستخرجه»(٢) عن أبي عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا عبيد الله بن معاذ، فذكره.

وحديث محمدِ بن بشارٍ بُنْدارٍ رواه أبو بكر الإسماعيلي في «مستخرجه» فقال: حدثنا ابن عبد الكريم، حدثنا بُندار، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كنا يومَ الشجرة ألفًا وثلاث مئة، وكانت أسلمُ يومئذ ثُمُنَ المهاجرين.

وهو في «مسند» أبي داود سليمان بن داود الطيالسي(٣) عن شعبة، كما تقدم.

وقيل: كانوا ألفًا وأربع مئة. قال البخاري في «صحيحه»(٤): حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه

---

(١) «صحيح» البخاري: الكتاب والباب السابقان ٧: ٤٤٣ (٤١٥٥).

(٢) على «صحيح» مسلم، كما صرَّح به الحافظ في «الفتح» ٧: ٤٤٤، ونبَّه إلى أن حديثه في «صحيح» مسلم. انظر كتاب الإمارة ـ باب استحباب مبايعة الإمامِ الجيشَ ٣: ١٤٨٥ (٧٥)، فكأنه ضاق مخرج الحديث على أبي نعيم فرواه من طريق شيخ مسلم فيه.

(٣) ص ١١٠ (٨٢٠).

(٤) الكتاب والباب السابقان ٧: ٤٤١ (٤١٥٠).

قال: تعدُّون أنتم الفتحَ فتحَ مكةَ، وقد كان فتحُ مكة فتحًا، ونحن نعدُّ الفتحِ بيعةَ الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربعَ عشرةَ مئة وذكر الحديثَ.

تابعه زهير وشَرِيك، عن أبي إسحاق[(١)].

وقال أبو حذيفة موسى بن مسعود: حدثنا عكرمة بن عمار، عن إياس بن سَلَمة، عن أبيه رضي الله عنه قال: قَدِمنا الحديبيةَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربعَ عشرةَ مئة. وذكر الحديث[(٢)].

وأنبأنا أبو حفص عمر بن الحسن المَرَاغي[(٣)] إذنًا عامًّا، وقرأته على أبي المعالي عبد الله بن إبراهيم الفَرَضي وغيره عنه قال: أخبرنا أبو الحسن

---

(١) متابعة زهير جاءت عند البخاري (٤١٥١). ومتابعة شريك عند ابن سعد ٢: ٨٩.

(٢) هذا إسناد ابن سعد في «طبقاته» ٢: ٩٨ ـ ٩٩، ورواه مسلم في الجهاد ـ باب غزوة ذي قَرَد ٣: ١٤٣٣ (١٣٢) عن إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ عن العَقَدي، عن عكرمة، به.

(٣) المراغي نسبة إلى أكثر من موضع، لكن سيحدد المصنف في ص٣٧٢ موضع نسبة شيخه هذا فيقول: «مراغة مصر لا العراق». وكانت ولادة أبي حفص هذا سنة ٦٧٩ أو ٦٨٢ ـ ووفاته سنة ٧٧٨، وقد أُحضِر أول ما أُحضِر وهو في السنة الأولى من عُمره! وقد تصدَّر للتحديث والإقراء نحوًا من خمسين سنة، وأجاز لمن أدرك حياته خصوصًا الشاميين والمصريين، والمصنف شامي ولد سنة ٧٧٣، فيكون قد أدرك من حياة المترجَم خمس سنين، ولهذا يقول كلما روى عنه: إذنًا عامًّا، أو: إذنًا مطلقًا!.

ولما كان في هذا الإذن العام توسُّع لا يرضاه الحذّاق، نرى المصنف يردفه بالرواية قراءةً على غيره. فرحمه الله تعالى.

وتنظر ترجمة المراغي عند ابن حجر في «الدرر الكامنة» ٣: ١٥٩، و «إنباء الغمر» ١: ٢١٦.

علي بن أحمد السعدي قراءة عليه وأنا أسمع قال: وأخبرناه حنبل بن عبد الله بن الفرج الرُّصافي قراءةً عليه وأنا أسمع، أخبرنا هبة الله بن محمد ابن حصين، أخبرنا الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي[١]، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي أبو محمد، حدثنا خالد، عن الحكم بن عبد الله الأعرج، عن مَعقِل بن يسار رضي الله عنه، أنه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وهو رافعٌ غصنًا من أغصان الشجرة بيده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على أن لا يفروا، وهم يومئذ ألف وأربع مئة.

خرجه مسلم في «صحيحه»[٢]، عن يحيى بن يحيى التميمي، عن يزيد ابن زُريع، عن خالد الحذاء، به. تابعه أبو كامل الجَحْدَري الفضيل بن الحسين، عن يزيد بن زُريع. وقال الإمام أحمد بن حنبل[٣]: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول: كنا يومَ الحديبية ألفًا وأربع مئة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفًا وأربع مئة، ولو كنت أُبصِر اليومَ لأريتُكم مكان الشجرة.

تابعهما عبد الله بن الزبير الحُمَيدي في «مسنده» فقال[٤]: حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، فذكره بنحوه.

وتابعه الأعمش، سمع سالمًا، سمع جابرًا: ألفًا وأربع مئة.

(١) «مسند» أحمد ٥: ٢٥.

(٢) ٣: ١٤٨٥ (٧٦).

(٣) في «مسنده» ٣: ٣٠٨.

(٤) ٢: ٥١٤ (١٢٢٥).

هذه المتابعة وصلها البخاري في آخر بابٍ من كتاب الأشربة فقال[١]: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن الأعمش، حدثني سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله، فذكر الحديثَ، وفي آخره: قلت لجابرٍ: كمْ كنتم يومئذ؟ قال: ألفًا وأربع مئة.

وجاءت رواية ثانية ثابتة أيضًا عن جابر أنهم كانوا ألفًا وخمس مئة.

قال البخاري[٢]: حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا ابن فُضَيل، حدثنا حُصَين، عن سالم، عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، الحديثَ، وفيه: فقلت لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئةَ ألفِ لكفانا! كنَّا خمسَ عشرةَ مئة.

ورواه مسدَّد: حدثنا خالد بن عبد الله، حدثنا حُصَين، فذكره.

وقال البخاري أيضًا[٣]: حدثنا الصَّلْت بن محمد، حدثنا يزيد بن زُرَيع، عن سعيد، عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيَّب: بلغني أن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما كان يقول: كانوا أربعَ عشْرةَ مئة؟ فقال لي سعيد: حدثني جابر رضي الله عنه كانوا خمس عشرة مئة الذين بايعوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية.

---

(١) تحت باب شرب البَرَكة والماء المبارك ١٠: ١٠١ (٥٦٣٩)، وأشار إليها في المغازي ـ غزوة الحديبية ٧: ٤٤٣ (٤١٥٤)، وكذلك وصلها مسلم في كتاب الأمارة ـ باب استحباب مبايعة الإمامِ الجيشَ عند إرادة القتال ٣: ١٤٨٤ (٧٤).

(٢) المغازي ـ باب غزوة الحديبية ٧: ٤٤١ (٤١٥٢). ورواه الطيالسي في «مسنده» ٢٣٩ (١٧٢٩) عن شعبة، وكذا مسلم ٣: ١٤٨٤ (٧٢) من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة وحُصَين، به.

(٣) الكتاب والباب السابقان ٧: ٤٤٣ (٤١٥٣).

ورواه محمد بن المثنى: حدثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، فذكره[١]، وتابعه قُرَّة بن خالد، عن قتادة[٢].

الحُدَيبِيَة: قرية على طريق جُدّة دون مرحلة عن مكة، وتخفيفها أعرف عند أهل العربية، فيما قاله السُّهيلي[٣]، وذَكَر الجمهور الوجهين فيها، وممن حكاهما أبو الحسن علي بن سِيدَهْ في كتابه «المُحْكَم»[٤].

ومنع بعضهم من تشديدها، ونُقِل عن الشافعي رضي الله عنه[٥].

وأولُ من بايع بالحديبية بيعةَ الرِّضوان أبو سنان الأسديُّ، واسمه عبد الله بن وهب، وقيل وهب بن عبد الله، وقيل عبد الله بن مِحْصَن أخو

---

(١) أشار إليها المزي في «تحفة الأشراف» ٢: ١٨٢ (٢٢٥٧).

(٢) أشار إليها البخاري عقب الحديث المذكور، وقال الحافظ: «وصلها الإسماعيلي من طريق عمرو بن علي الفلاس، عن أبي داود الطيالسي».

(٣) في «الروض الأُنُف» ٤: ٣٣.

(٤) ٣: ١٩٧، وعبارته تشعر أن الأصل تشديد الياء الثانية.

(٥) عبارة المصنف رحمه الله تحتمل: ونُقل المنع من تشديدها عن الشافعي، ويؤيد هذا الاحتمال نقل البيهقي في «مناقب الشافعي» ٢: ٥٨، وابن الصلاح والنووي كليهما في «شرح صحيح مسلم» ص٢٤٩، و٢: ٦٠ عن الشافعي أنها بالتخفيف. وتحتمل: ونُقل التشديد عن الشافعي، ويؤيده نقل ياقوت في «معجم البلدان» ٢: ٢٢٩ عن الشافعي: الصواب تشديد الحديبية.

وممن اضطرب النقل عنه في هذه الكلمة: أهل العراق وأهل الحجاز. ففي نقل أبي عبيد البكري في «معجم ما استعجم» ٢: ٣٨٤ أن أهل العراق يشددونها، وأهل الحجاز يخففونها، والذي في «مشارق الأنوار» لعياض ١: ١٦٨، ٢٢٠ ـ ٢٢١، وابن الصلاح في «شرح مسلم» ص٢٤٩ العكس: أهل العراق يخففونها، وأهل الحجاز يشددونها، وكل منهما ينقل عن علي ابن المديني!.

عُكَّاشة[١]، وقيل اسمه عامر، بدري.

حدّث أبو بكر بن عياش قال: قال زِرٌّ ـ يعني: ابن حُبَيش ـ: أول من بايع تحت الشجرة أبو سنان بن وهب رضي الله عنه، وهكذا روي عن الشعبي، وهذا يوهِّن قولَ مَن ذَكَر أن أبا سنان توفي سنة خمس من الهجرة[٢].

وأهلُ هذه البيعة كلٌ منهم بايع مرةً مرةً إلا رجلين: أحدهما عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فإن أباه أرسله يومئذ إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتِل عليه، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة، وعمرُ لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله بن عمر ثم ذهب إلى الفرس، فجاء به إلى عمر وأخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع تحت الشجرة. قال: فانطلق، فذهب مع أبيه حتى بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. قيل: وبايعه ابن عمر ثانيةً بعد أبيه.

والثاني: أبو إياس ـ ويقال: أبو مسلم ـ سَلَمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبد الله بن قُشَير الأسلمي، بايع يوم الحديبية مرتين. وثبت في «صحيح» مسلم من[٣] حديث عكرمة بن عمار، حدثني إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله

---

(١) قول زرّ بن حبيش: ذكره ابن منده في «معرفة الصحابة» وينظر في «أسد الغابة» ٦: ١٥٧، و«الإصابة» ٧: ٩٢، وقول الشعبي: رواه ابن سعد ٢: ١٠٠، الطبري في «تفسيره» ـ سورة الفتح ـ ٢٦: ٨٦، و«تاريخه» ٢: ١٢١. وقال الواقدي: يقال أول من بايع سنان بن أبي سنان بن مِحْصَن، وأن الذي توفي سنة خمس في حصار بني قريظة هو أبوه أبو سنان ابن مِحْصَن، أخو عُكَّاشة بن محصن. انظر «المغازي» له ٢: ٦٠٣، ٥٢٢.

(٢) انظر التعليقة السابقة.

(٣) كتاب الجهاد ـ باب غزوة ذي قَرَد ٣: ١٤٣٣ (١٣٢).

عليه وسلم ونحن أربع عشرة مئةً وعليها خمسون شاةً لا تَروِيها. قال: فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جَبَا الرَّكِيَّة[١]، فإما دَعَا وإما بَصَق فيها. قال: فجاشتْ فَسَقَينا واستقينا.

قال: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة. قال فبايعته أولَ الناس، ثم بَايَعَ وبَايَعَ، حتى إذا كان في وسط الناس قال: «بايعْ يا سلمة» قال: قلتُ قد بايعتُك يا رسول الله في أول الناس. قال: «وأيضًا» قال: ورآني رسول الله صلى الله عليه وسلم عَزِلاً ـ يعني: ليس معه سلاح ـ[٢] قال: فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حَجَفَة أو دَرَقة، ثم بايع، حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تُبَايِعُني يا سلمةُ!» قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس، قال: «وأيضًا» قال: فبايعته الثالثة..، وذكر الحديثَ بطوله.

وكتب إليَّ بعضُ حفَّاظ مكة[٣] ـ زادها الله شرفًا ـ سؤالاتٍ، منها: وما الحكمةُ في مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم لسلمة بن الأكوع يوم الحديبية مرتين؟.

فكان من جوابي إياه: أن المحفوظ أن سلمة بايع يومئذ ثلاثَ مرات، وبايع على الموت، والذي يظهر ـ والله سبحانه أعلم ـ من الحكمة في تكرار مبايعة سلمة: أنه صحَّ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزوة عبد الرحمن الفَزَاري: «خيرُ فرساننا اليومَ أبو قتادة، وخيرُ رجّالتنا سَلَمة»[٤].

---

(١) الجَبَا: ما حول البئر. والركية ـ والرَّكيُّ ـ: البئر.

(٢) هذا التفسير جاء في أصل الرواية.

(٣) لعله الحافظ تقي الدين ابن فهد صاحب «لحظ الإلحاظ»؟.

(٤) هذه جملة من الحديث السابق، وهو طويل ممتع، وعبد الرحمن الفزاري هو الذي أغار على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها وقتل راعيها، فلحق =

وكان سلمة أيضًا حسنَ الرمي بالنبل، وكان سريعَ الجَرْي، بحيث إنه كان يسبِق الفرس إذا جرَى معها، فهذه ثلاثُ خصال كانت فيه، فحسُن أن تكون مبايعته ثلاث مرار، لأنه بايع على الموت في أي حال كان من أحواله الثلاثة: إنْ قاتل راجلاً بسلاحه، أو راميًا عن قوسه، أو مبادرًا بجرْيه في أَثَر العدو، أو إلى انتهاز فرصة ونحوها في القتال.

ويَحتمِل أن تكون البيعة الأولى على الجهاد بين يديْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم رأى قُرناءَه من الصحابة بايعوا على أن لا يَفِرُّوا ودعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المبايعة ثانيًا فبايعه كأقرانه، ثم شحَّتْ نفسه بالقتل في سبيل الله ودعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المبايعة ثالثًا فبايعه على الموت.

ويَحتمِل أن تكرار المبايعة كان للتأكيد.

ويحتمل أن يكون لأمر ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حال سلَمة لا يليق ببيعته إلا تكرارُها، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالمبايعة أيضًا ثانيًا وثالثًا.

ويَحتمِل غير ذلك. والله أعلم.

وهذه البيعة يقال لها بيعة الرِّضوان، لقول الله عز وجل: ﴿لقدْ رَضِي الله عن المؤمنين إذْ يُبايعونَك تحتَ الشجرة﴾ الآية.

قال أبو العباس محمد بن إسحاق السَّراج: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا محمد بن عبيد وأبو أسامة، عن إسماعيل، عن عامرٍ الشعبي قال: المهاجرون الأولون: الذين بايعوا بيعة الرضوان[١].

بهم سلمة رضي الله عنه، حتى استردها.

(١) وروى سُنَيد في «تفسيره» عن هُشَيم، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي أنه =

وحدَّث به الإمام أحمد عن هُشَيم، عن إسماعيل ومطرِّف، عن الشعبي قال: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان.

وبأهل هذه البيعة خُتِم السابقون، فمن أسلم بعد هذه البيعة لم يُعدَّ من السابقين، لكنهم فيمن اتَّبعوهم بإحسان.

قال الله عز وجل: ﴿والسابقونَ الأولونَ من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان رضيَ الله عنهم ورَضُوا عنه﴾ الآية.

ومن السابقين: مهاجرون وأنصار، فأول المهاجرين ـ بل أول المسلمين من الصحابة مطلقًا إسلامًا على قول ابنِ عباس والجمهورِ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1]، وأول الأنصار مطلقًا إسلامًا إياسُ بنُ معاذٍ الأَوْسيُّ الأَشْهَليُّ، قدم مكة وهو غلامٌ قبل الهجرة في نفر من قومه يطلُبون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج، بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج، فسمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن، فقال إياس لقومه: هذا ـ والله ـ خير مما جئتم له، فرجع ومات قبل الهجرة.

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَهْ بعد أن ذكر إياس بن معاذ في الصحابة، قال: وذكر قومُه أنه مات مسلمًا رضي الله عنه. قاله في كتاب «المعرفة».

وقال أبو نعيم: إياس بن معاذ الأَشْهَلي قدم على النبي بمكة فعرض عليه الإسلام فأسلم، فتوفي قبل مَقْدَم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة. انتهى.

قال: «فَصْلُ ما بين المهاجرين الأولين وسائر المهاجرين: بيعةُ الرضوان يوم الحديبية»، كما في أول «الاستيعاب» ص٧.

(١) تقدم ص٧٣، وكذلك ما سيأتي، وانظر تخريجه هناك.

وقصةُ إياس وإسلامه وموته رَوَيناها بطولها من طريق محمد بن إسحاق في «المغازي»، وقد ذكرتُه مع ذكرِ ستةٍ سابقين من الأنصار وذكرِ أصحاب العَقَبَتَيْن في أبياتٍ وهي:

ألا أولُ الأنـصار أسـلمَ مطلقًـا … إياسُ معـاذٍ، سـتةٌ بعـدُ تـابعوا
بمكة هم: عوف وأسعدُ، جـابرٌ … وقُطبـةُ، منـهم عقبـةٌ، ثم رافـعُ
ومـات إيـاسٌ ثم وَافَـوْا بـسبعة … سوى جابر عهدَ النساء فبـايعوا
عبـادةُ عبـاسٌ عُـوَيمٌ يزيـدُ مـعْ … معوِّذَ، ذكوانُ، ابنُ تَيْهان سابعُ
وبعدُ أَتَوْا بضعًا وسبعين بـايعوا … على الهجرة الغرَّاءِ والسعد طـالعُ
فحـازوا رسـولَ الله حيًّـا ودفنَـه … بطيبةَ فضلاً عمًّ، والفضلُ واسعُ

آخر المجلس ولله الحمد حمدًا كثيرًا
وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١١ -

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ على محمد وآله وصحبه وسلِّم، ويسر

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الآية.

الكلام على هذه الآياتِ من وجوه كثيرة مبنية على أصلين:

أحدُهما: التفسيرُ المأخوذُ بطريق النقل والسماع.

والثاني: التأويل الراجع إلى القواعد الشرعية، والعقائد السَّنية، ومذاهب اللغة ووجوه العربية.

فمن وجوه الكلام على هذه الآيات: علمُ نزول القرآن، ومواطن تنزيله، وقد تقدَّم ذكْر شيء من ذلك[١]، فالقرآن نزل سماويًّا، كنزوله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وتقدم أن في نزوله كذلك قولين: أحدهما: نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلةً، من كلِّ سنة في ليلة القدر منها، فكان ينزلُ فيها بقدْر ما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السنة.

والقول الثاني ـ وعليه الجمهور ـ: أنه نزل جملةً واحدةً إلى سماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض، فكان نزوله على قسمين: أحدهما: ما له سببٌ نزل لأجله، والثاني: ما نزل بغير سبب ظاهر.

وقد صُنِّف في القسم الأول، ومن ذلك كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متُّويه النيسابوريِّ الواحديِّ رحمه الله.

---

(١) في أول المجلس٧ ص١٠٧.

ومن مواطن تنزيل القرآن: مكة والمدينة، وهذه الآيات الشريفات نزلْن بالمدينة، لأنهنَّ من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف، وثالث سورة نزلت بالمدينة، كما رَوَيناه من حديث خُصَيف بن عبد الرحمن الجَزَري، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فأنزل الله عز وجل بالمدينة البقرة والأنفال وآل عمران[١].

ورَوَيناه بـ «ثم» بدل الواو من حديث عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، عن أبيه، [عن ابن عباس] قال: ثم كان أول ما نزل بالمدينة سورة البقرة، وقال: ثم الأنفال، وقال: ثم آل عمران[١].

ومن الاتفاق أن هؤلاء الآيات ذُكِرتْ بنحوها في سورة البقرة، وسورة الجمعة، وهؤلاء الثلاث نزلن بالمدينة، وترتيبهن في النزول كترتيبهن في المصحف.

والآيات داخلة أيضًا في وجه آخر من وجوه نزول القرآن، وهو ما له سببٌ نزل لأجله[١]، والسبب في نزول هذه الآيات غامضٌ، ولهذا ـ والله أعلم ـ لم يذكره أبو الحسن الواحدي في كتابه «أسباب نزول القرآن». وسببُ نزولها الدعوةُ الإبراهيمية التي أخبر الله تعالى عنها بقوله عز وجل إخبارًا: ﴿ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ويزكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فاستجاب الله عز وجل هذه الدعوة، وبعث هذا الرسولَ كما دعا إبراهيمُ عليهما السلام، وأنزل الله تعالى إعلامًا لهذه الأمة بإجابة الدعوة المشار إليها فقال تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمُهم الكتابَ والحكمة﴾ الآية.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى إجابة هذه الدعوة الشريفة،

---

(١) انظر لزامًا أول المجلس الرابع ص١٠٧.

فقال فيما خرَّجه أبو القاسم الطبراني في «معجمه الكبير» عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، ما كان بدءُ أمرك؟ فقال: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبشَّر بي عيسى، ورأتْ أمي أنه خرج منها نور أضاءتْ له قصور الشام».

وللحديث طُرُق خرَّجتها في كتابي «جامع الآثار»[1].

---

(١) عزاه المصنف إلى «المعجم الكبير» وهو فيه ٨: ١٧٥ (٧٧٢٩)، ولا أدري لمَ أبعدَ النُّجعة فعزاه إلى الطبراني مع أنه في «المسند» ٥: ٢٦٢، قال الهيثمي ٨: ٢٢٢: «إسناده حسن، وله شواهد تقوّيه» ورواه أيضًا الطيالسي ١٥٥ (١١٤٠) ومن طريقه البيهقي في «الدلائل» ١: ٨٤، وهو كذلك عند ابن سعد ١: ١٤٩.

ورواه غير أبي أمامة: العِرْباض بن سارية، وأبو مريم الغساني، وشداد بن أوس، وخالد بن مَعْدان أحد أجلاء التابعين عن نفر من الصحابة.

فحديث العرباض: رواه ابن سعد ١: ١٤٩، وأحمد ٤: ١٢٧، ١٢٨، والبخاري في «تاريخه الكبير» ٦: ٦٨ (١٧٣٦)، و «الصغير» ١: ١٣، والبزار ٣: ١١٢ (٢٣٦٥) من «كشف الأستار»، وابن جرير في «تفسيره» ١: ٥٥٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا ٣٨٨ (١٢٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» ١٤: ٣١٣ (٦٤٠٤)، والطبراني في «الكبير» ١٨: ٢٥٢ (٦٢٩ ـ ٦٣١)، والحاكم في «المستدرك» ٢: ٦٠٠ ـ شاهدًا لحديث خالد بن معدان الآتي، وصححه، فتعقّبه الذهبي بضعف أبي بكر بن أبي مريم الغساني ـ والبيهقي في «الدلائل» ١: ٨٠، ٨٣ و ٢: ١٣٠.

وقال الهيثمي ٨: ٢٢٣: «رواه أحمد بأسانيد، والبزار، والطبراني بنحوه..، وأحد أسانيد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان» وأيضًا قال فيه البزار عقب روايته هذا الحديث من طريقه: «ليس به بأس». وقال الذهبي في «السيرة النبوية» ص٤٢: «حسن إن شاء الله».

وحديث أبي مريم الغساني: رواه ابن أبي عاصم في كتابيه: «السنة» ١: ١٧٨ (٤٠٨)، و«الآحاد والمثاني» ٤: ٣٩٧ (٢٤٤٦)، والطبراني في «الكبير» ٢: ٣٣٣ (٨٣٥). قال الهيثمي ٨: ٢٢٤: «رجاله وثِّقوا».

قلت: فيهم بقية بن الوليد، وقد وثقه عدد من الأئمة إذا روى عن الثقات، وهنا =

وفي آية الدعوة الإبراهيمية قال تعالى إخباراً: ﴿يتلو عليهم آياتِك، ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، ويزكِّيهم﴾ وقال تعالى في هذه الآية: ﴿ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

والتزكية هي: التقديس والتطهير، والنماء والتكثير، ووجه تأخير التزكية في آية الدعوة الإبراهيمية ـ والله أعلم ـ: أن التطهير والتقديس لا يكون ذلك إلا بعد الإيمانِ وتلاوة القرآن، وتعليمِ الكتاب والحكمة، وطلبُ ذلك أهم من طلب التزكية، وتقديمُ الأهمِّ أولى وأعلى، فحَسُنَ تقديم طلب تعليم الكتاب والحكمة على التزكية هنا.

وأما تقديم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة في آية الإعلام بإجابة الدعوة الإبراهيمية: فإن الله عز وجل أثبتَ للمدعوِّ لهم ـ وهم هذه الأمة ـ الإيمانَ أولاً بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ فحصلت التزكية

كذلك، يرويه عن صفوان بن عمرو السكسكي، أحد الثقات، وقد صرح بالسماع منه، وفيه حُجْر بن حُجْر: وثقه ابن حبان ٤ : ١٧٧، ووصفه الحاكم في «المستدرك» ١ : ٩٧ مع آخَرَين: بأنهم من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام، وقد روى عنه هذا الحديثَ صفوانُ السكسكي، فانتفى بهذا الحصرُ الذي قاله الذهبي في «الميزان» ١ : ٤٦٦ (١٧٥٧).

وحديث شداد بن أوس: ذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» ١ : ٨٣، وابن حجر في «تلخيصه» المطبوع آخر «الكشاف» ص١٠، وعزياه إلى أبي يعلى، ولم أره في المطبوعتين، ولا في «مجمع الزوائد» ولا في «المطالب العالية». وعلى كل فقد ساق سنده الزيلعي، وفيه عمر بن صُبْح ـ لا: صبيح ـ وهو متروك متهم.

وأما حديث خالد بن معدان، عن نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فرواه الطبري في «تفسيره» ١ : ٥٥٦، والحاكم في «المستدرك» ٢ : ٦٠٠ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الدلائل» ١ : ٨٣. ورواه ابن سعد ١ : ١٥٠ بلفظ: «قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم..».

بالإيمان، وأيُّ تزكيةٍ أعظمُ منها! فقدَّم ذكرها في هذه الآية قبل ذكر تعليم الكتاب والحكمة.

ووجه آخر: لما كان متعلِّمو العلمِ على قسمين: صالحُونَ وغيرُ صالحين، والصالح يفيد فيه التعليم، ويَبعثه العلم على العمل أكثرَ من غيره، لصلاحه الذي هو التزكية، وكان صلاحه متقدمًا على طلب العلم، فحصلت له الفائدة بذلك، وهذه الأمة اختارها الله على سائر الأمم قبل بعثة نبيِّها صلى الله عليه وسلم فيها، فلما بُعث فيها كانت زاكيةً، كما أُشير إليه في الآية بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ فقدَّم الإخبار بالتزكية على التعليم هنا، وأُخرتْ في آية الدعوة الإبراهيمية للاهتمام بطلب تعليم الكتاب والحكمة، على طلب التزكية. والله أعلم بما أراد.

وبهذا تدخل هذه الآية الشريفة أيضًا في علمٍ من علوم القرآن العظيم، وهو نوعٌ من أنواع علمِ المقدَّم والمؤخَّر في كتاب الله عز وجل، وهو أحد وجوه كلام العرب.

وتدخل أيضًا في علم من علوم القرآن وهو علم المتشابه، والمتشابه في القرآن إما يكون في المعنى، أو اللفظ، والأول: ما اشتبهتْ وجوه المراد منه فلم يتعيَّن المقصود به، قال الله عز وجل: ﴿هو الذي أنزلَ عليك الكتابَ منه آياتٌ محكَماتٌ هنَّ أمُّ الكتابِ وأُخَرُ متشابهاتٌ﴾.

فالمحكَم: المبيَّن الذي ارتفعت عنه وجوه الإجمال والاحتمال. والمتشابه مقابِله، وهو الوارد بصفة الإشكال.

وقد اختلف العلماء في تأويل المتشابهاتِ المشارِ إليها في الآية، فذهب خلق من الأئمة إلى أنه لا يَعْلَم تأويلَه إلا الله، وممن رُوي عنه ذلك من الصحابة: عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وأبو أُمامة الباهلي رضي الله عنهم.

ولم نُكَلَّف طلبَ معناه، وإنما كُلِّفنا الإيمان به لوجهين:

أحدهما: ليُظهر آثارَ نقصنا وقصورَ علمنا عن كمال العلم، كما قالت الملائكة: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمتنا﴾.

والوجه الثاني: ليختبر الله بذلك حسنَ طاعتنا وقوةَ إيماننا في التصديقِ بذلك والتسليمِ له، وردِّ علمه إلى عالمه سبحانه(١).

---

(١) كرر المصنف رحمه الله في الأوراق المشوشة هذا المعنى ثم قال: «وكما أنه يصح ورود الخطاب بالمجمَل فكذلك بالمتشابه، لأن المجمَل هو: ما لا يتعيَّن المراد من جهته، ولا يتبيَّن المقصود من جملته، والمتشابه كذلك، لكنِ الفرقُ بينهما أن المجمَل يتعلَّق به التكليف، فيُحتاج فيه إلى طلب ما يبيِّن عنه، ولذلك لم يجب البيان قبل الحاجة إليه، ولا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة إليه.

وأما المتشابه: فلا يتعلَّق به تكليف سوى الإيمان به، فلم يُحتج فيه إلى بيان معناه فنكلَّفَ طلبَه، قال الله عز وجل في المتشابه: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا﴾، وهذا المتشابه أحد الوجوه الخمسة التي أنزل الله القرآن عليها.

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ أبي عبد الله محمد ابن الذهبي قراءةً عليه وأنا أسمع، أخبرنا يحيى بن محمد سماعًا، أخبرنا جعفر بن علي المقرىء قراءةً عليه وأنا حاضر، أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، أخبرنا القاسم بن الفضل، حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحَرَشيُّ بنيسابور، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوبَ الأصمُّ، قال: حدثنا محمد بن الجهْم بن هارون، حدثنا الهيثم بن خالد، عن عبيد بن عَقيل، أخبرني مُعارِك بن عبّاد، حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبُري، حدثني أبي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَعْرِبوا القرآن واتَّبِعوا غرائبه، وغرائبُه فرائضُه وحدودُه، فإن القرآن نَزَل على خمسة أوجه: حلالٍ، وحرام، ومحكَم، ومتشابِه، وأمثال، فاعْمَلوا بالحلال، واجتنبوا

=

الحرام، واتَّبِعوا المحكَم، وآمِنوا بالمتشابه، واعتبِروا بالأمثال»[١].

هذا الحديث له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان الكِتابُ الأولُ أُنزل من باب واحد على حرف واحد، فنزل القرآن على سبعة أحرف: نهيٍ، وأمرٍ، وحلال، وحرام، ومحكَم، ومتشابه، وأمثال، فأَحِلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أُمرتم به، وانتهُوا عما نُهيتم عنه، واعتبروا [بأمثاله، واعملوا] بمحكَمه، وآمنوا بمتشابِهه، وقولوا: ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾»[٢].

وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قولَه، من رواية الحسن البصري رحمة الله عليه قال: كان عمر رضي الله عنه يَضرِب على بعض التفسير للقرآن ويقول: إنما هَلَكَ مَن كان قبلكم بالتأويل، وإن القرآن أُنزل على خمسة أجزاء: جزءٍ حلال، وجزءٍ حرام، وجزء أمثال، وجزء محكم، وجزء متشابه، فأَحِلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، واعمَلوا بمحكَمه، وآمِنوا بمتشابهه، واعتبِروا بأمثاله.

ورُوِي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ هذه الآية ﴿وقَضبًا * وزيتونًا﴾ إلى قوله: ﴿وفاكهة وأبًّا﴾ فلما انتهى إلى ذكر الأبِّ قال: كلُّ هذا قد علمناه، فما الأبُّ؟ ثم ضرب عصاه بالأرض وقال: نعم والله إن هذا لهو التكلُّف ﴿اتبعوا ما أُنزِل إليكم من ربكم﴾، ما تبيَّن لكم من هذا الكتاب فعليكم به، وما لا فَدَعوه[٣].

---

(١) صدر هذا الحديث رواه ابن أبي شيبة (٣٠٥٣٢)، ومن طريقه الحاكم ٢: ٤٣٩، وعن الحاكم: البيهقيُّ في «الشعب» ٢: ٤٢٦ (٢٢٩٢) = ٥: ٢٣٩ (٢٠٩٤)، ثم رواه البيهقي تامًا عن القاضي الحَرَشي والحاكم، به، وفي أسانيدهم جميعًا عبد الله المقبري وهو متروك. وإعرابُ القرآن يكون بالمحافظة على الحركات الإعرابية فيظهرها، وإذا أظهرها لم يغيِّرها فيجعل الفتحة ضمة في مثل قوله تعالى: ﴿صراطَ الذين أنعمتَ عليهم﴾ وهكذا. انظر «شعب الإيمان» للبيهقي ـ وأصلُه للحليمي ٢: ٢٣٧ ـ و «فيض القدير» للمناوي ١: ٥٥٨.

(٢) صدر هذا الحديث رواه الإمام أحمد ١: ٤٤٥، والنسائي في «الكبرى» ٥: ٤ (٧٩٨٤)، ورواه بتمامه الطبري في «تفسيره» ١: ٣٠، وابن حبان ٣: ٢٠ (٧٤٥)، والحاكم ٢: ٢٨٩ وصححه، فتعقبه الذهبي بالانقطاع وكذلك ابن حجر في «الفتح» ٩: ٢٩، ونقل ذلك عن ابن عبد البر أيضًا. ورواه الطبراني في «الكبير» ٩: ٢٦ (٨٢٩٦) من وجه آخر، وضعَّفه الهيثمي في «المجمع» ٧: ١٥٣. وما بين المعقوفين من مصادر التخريج.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٧٢٩)، والحاكم ٢: ٢٩٠، ٥١٤ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، والبيهقي «الشُّعَب» ٢: ٤٢٤ (٢٢٨١) = ٥: ٢٢٩ (٢٠٨٤).

=

قال أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في كتابه «مسند شيوخ

وعن عَمْرو بن عثمان بن [عبد الله بن] مَوْهَب، أنه سمع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقرأ: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ قال: انتهى علمُهم إلى أنْ قالوا: ﴿آمنا به﴾(١).

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن المتشابهَ في القرآن المشارَ إليه في قوله تعالى: ﴿وأُخَرُ متشابهات﴾ إلى أنه يَعلم تأويله العلماء...(٢).

والبحث عنه. واحتجوا بأمورٍ منها: أن القرآن [أنزل بلسان عربي] مبين، والمبين لا يكون مشكِلاً، ووصف القرآن بأنه تِبيانٌ لكل شيء، وهذا ينفي اشتباه البيان فيه، لخروج المتشابه المشكِل عن وقوع التبيان فيه.

والحجةُ عليهم من الآية. قال الله عز وجل: ﴿منه آياتٌ محكَمات هنَّ أم الكتاب وأُخَر متشابهات﴾ صحَّ عن ابن أبي مُلَيكة [عن القاسم بن محمد] عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ إلى قوله ﴿الألباب﴾ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيتَ الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم»(٣). فالمصطفى زاده [الله] شرفًا، قد شَفَى في معنى هذه الآية وكَفَى، إذ حذَّر ممن يتَّبع المتشابه، فلو كان اتباعُ تأويلِ المتشابه جائزًا ما حذّرَ ممن يفعله، وأيضًا جعل الله عز وجل الذين يتَّبعون تأويل المتشابه أهلَ زيغٍ وفتنةٍ، فلو كان المتشابه مما يوصَل إلى علمه لوجب تتبُّعه، ولو وجب تتبُّعه لكان فاعله ممدوحًا غيرَ مذموم بنسبته إلى الزيغ والفتنة.

وجعل الله الفتنة معلَّقة بانتفاء تأويله، فلو كان التأويل مما يوصَل إلى علمه لم يكن طلبهُ محظورًا وزَيغًا وفتنة.

وأيضًا ففي قول الله عز وجل: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ نفيٌ وإثبات، فأثبتَ لنفسه.. علم تأويله، ما نفاه سبحانه عن غيره، وما أثبته [هنا وقف الكلام].

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٣: ١٨٣ وما بين المعقوفين منه.

(٢) كلمتان غير واضحتين.

(٣) رواه البخاري ٨: ٢٠٩ (٤٥٤٧)، ومسلم: أول كتاب العلم ٤: ٢٠٣٥ (٢٦٦٥)، وما بين المعقوفين زيادة منهما إلا إذا كان المصنف يشير إلى أحد أسانيد الترمذي ٥: ٢٠٧ (٢٩٩٣).

الشاميين الثقات»[١]: حدثنا عبيدٌ العِجْلُ، حدثنا هارون بن موسى المستملي. وحدثنا محمد بن عُبدوس بن كامل، حدثنا أبو الربيع سليمان ابن داود البغدادي قالا: حدثنا محمد بن حرب، حدثنا أبو سلمة سليمان ابن سُلَيم، حدثنا أبو حَصين[٢]، عن أبي صالح مولى أم هانىء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزِل القرآن على أربعة وجوه: فوجهٌ حلال وحرام لا يَسَعُ أحدًا جهالتُه، ووجهٌ عربي يعرفه العرب، ووجهٌ تأويل يعلمه العلماء، ووجهٌ تأويل لا يعلمه إلا الله، مَن انتحلَ منه علمًا فقد كذب.

والثاني من المتشابه في القرآن: المتشابه في اللفظ. وقد صنَّف فيه جماعة من أئمة القراء، ومن أغربها مصنَّفًا كتاب «المتشابه» لإبراهيم بن خالد الدقاق[٣] وهو يروي عن أصحاب أبي الوليد الطيالسي، وأبي نُعيم الفضْل بن دُكَين وأضرابهما. قال في كتابه المذكور في: بابٌ ما في كتاب

---

(١) «مسند الشاميين» ٢: ٣٠٢ (١٣٨٥)، ويستفاد من هنا أصل اسم كتاب الطبراني.

(٢) أبو حَصين هذا هو عثمان بن عاصم الأسدي، أحد الثقات، وليس هو الكلبيَّ، كما ظنه المعلق على «مسند الشاميين» وما كَنَى أحدٌ الكلبيَّ بأبي حصين!!. نعم شيخه أبو صالح مولى أم هانىء ضعيف. ورواه ابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» ٢: ٧ ـ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وفيه كلام مشهور.

(٣) لم أقف على ذكر للكتاب في موضع آخر، ولا على ترجمةٍ لمؤلفه، وقول المصنف عنه: يروي عن أصحاب فلان وفلان، استخرجه من رجال أسانيده، فهو على هذا من رجال القرن الرابع. والله أعلم. ويبدو من النقل الآتي عنه أن كتابه مِن شاكلة كتاب بدر الدين ابن جماعة «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، وكتاب شيخ الإسلام زكريا الأنصاري «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن»، وكلاهما مطبوع.

الله من حرف واحد في ترجمةٍ: ومن سورة آل عمران، قال: وفيها: ﴿إذْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو﴾: ليس في القرآن مثله.

يعني الدقاقُ: والباقي ﴿رسولاً منهم﴾ كما في آية البقرة: ﴿ربنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك﴾، وفي آية الجمعة كذلك: ﴿هو الذي بعثَ في الأميين رسولاً منهم﴾.

وفي آية آل عمران المتشابهُ أيضًا من وجه آخر، وهو قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ فلفظة ﴿ويزكيهم﴾ هنا قبل قوله ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾، وكذلك مرتبتها في سورة الجمعة، وأُخّرت في آية سورة البقرة بعد قوله: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾. وتقدم توجيه ذلك[١]. والله سبحانه أعلم.

ومن المتشابه أيضًا: ما يجيء على الإطلاق فيُرجَع فيه إلى المقيَّد، كقوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعًا﴾ يُرجَع فيه إلى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به﴾، وإلى قوله تعالى: ﴿وإني لَغفارٌ لمن تاب وآمن﴾ الآية.

ومن أنواع المتشابه: أن هذه الآية أشبهتْ فاتحة الكتاب من وجه، لأن فاتحة الكتاب افْتُتِحت بذكرِ الله وحمدِه والإشارةِ إلى نِعَمه على خلقه مع الثناء عليه، وخُتِمت بذكر أهل الغضب والضلال ممن ساق الله الشقاوة إليه.

وكذلك هذه الآيةُ الشريفةُ، اُفتتحتْ بذكر الله ومنِّه على المؤمنين بالإنعام ببعثة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وخُتِمت

---

(١) صفحة ٢٥١ فما بعدها.

بذكر الإنقاذ من الضلال المبين.

ومن المتشابه: متشابه السُّوَر، وهو على قسمين أحدهما: أن تُشبه قصةُ سورةٍ قصةَ أخرى، كالأنفال وبراءة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قلت لعثمان رضي الله عنه: ما حَمَلكم على أنْ عَمَدتم إلى براءةَ، وهي من المئين، وإلى الأنفال وهي من المثاني، فَقَرَنتم بينهما ولم تجعلوا بينهما سطرًا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطُّوَل؟ فقال عثمان رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه من السور التي يُذكَر فيها كذا وكذا، فإذا أُنزلتْ عليه الآياتُ يقول: ضعوا هذه الآيات في موضع كذا وكذا، فإذا أُنزلتْ عليه السورة يقول: ضعوا هذه في موضع كذا وكذا، وكانت الأنفالُ أولَ ما أُنزِل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتُها تُشبه قصتها، فقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبيِّن أمرها، فظننت أنها منها، فمن أجل ذلك قَرَنتُ بينهما ولم أجعل بينهما سطرًا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطُّوَل[1].

والقسم الثاني من متشابه السُّوَر: في عدد الآي، كسورة الفاتحة وسورة أرأيتَ: كلٌ منهما سبعُ آيات، وكسورة يوسف والإسراء والأنبياء، كلٌ منهن مئةُ آيةٍ وإحدى عشْرة آية، وكسورة الجمعة والمنافقين والضحى والعاديات والقارعة، كل منهن إحدى عشْرة آية[2]، وكسورة العصر والكوثر والنصر، كل منهن ثلاث آيات؛ وهذا أقلُّ المتشابه من السور في عدد الآي، وأكثرُ ما في متشابه السور عددًا سورةُ براءة وطه، كلٌ منهما مئة آية وثلاثون آية.

---

(١) تقدم تخريجه في المجلس ٧ ص١٧٤.

(٢) سبق قلم المصنف رحمه الله فكتب: ركعة.

ومن المتشابه في القرآن: الأشباه والنظائر، وقد وقع في هذه الآية الشريفة من ذلك عدَّة، واستعمالُ ذلك في الكلام المنثور والمنظوم: من البلاغة، وهو أحد أصناف البيان، ويسمَّى التصريف، وليس المرادُ التصريفَ الذي هو الكلام على أسماءٍ وأفعالٍ يكون فيها أحدُ حروف العلة التي هي الياء والواو والألف، ويجمعها قولك (آوي)[١] المذكور في قول الشاعر:

أَطَــوِّفُ مــا أُطــوِّف ثم آوي ... إلى بيـــتٍ قَعِيدتُـــه لَكَـــاعِ

وإنما المرادُ التصريفُ الذي هو أحدُ أصناف البيان التي ذَكَرها أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجُرْجاني في كتابه «ضروب نظم القرآن»[٢] وأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي صاحب «المجمَل» في كتابه «فيما ترجع إليه علوم الإسلام من الفهم والإفهام» وغيرهما، فذكروا من

(١) كذا قال المصنف، ووضع المدَّ فوق الألف، واستشهد عليه ببيت الحطيئة، والمشهور في زماننا: واي، بألف ليِّنة بعد الواو، غير مهموزة ولا ممدودة، وهو أولى. أما (آوي) فالألف الممدودة بحرفين، وتكون حروف العلة حينئذ أربعة، ويسوِّغ صنيعَ المصنف أن الألف اللينة لا يمكن الابتداء بها نطقًا، فوضعوا لها الهمزة لإمكان ذلك، فالهمزة وبعدها الألف تشكل مدًّا، كما نقول: آدم، وآخر، وآخرة، لكنها هنا بمثابة حرف واحد، لهذا الاعتبار.

(٢) له ترجمة مختصرة في «تاريخ جرجان» للسهمي ١٨٧ (٢٥٥)، وذكر كتابه هذا وقال عنه: «مجلدتان»، ولم أقف على أكثر من ذلك ترجمةً له أو شيئًا يتعلق بكتابه، غير أن الجمال القِفْطي ذكر في «إنباه الرواة» ٣: ٣١٦ في ترجمة الإمام مكي ابن أبي طالب أن له مختصراً لهذا الكتاب سماه «انتخاب كتاب الجرجاني في نظم القرآن وإصلاح غلطه، في أربعة أجزاء» حديثية. وذكر هذا الانتخابَ ابنُ خير في «فهرسته» ص٤١، وذكر سنده به: عن حفيد مؤلفه، عن أبيه، عن جده مكيّ هذا، ويبدو من إسناد السهمي أن أبا علي هذا من رجال أوائل القرن الرابع.

أصناف البيان: التصريفَ، وهو القليل من اللفظ يعرف من المعاني بزيادة تقع في البناء الأول، وهو على قسمين:

ـ تصريف المعنى في الدّلالات المختلفة، كهذه الآية الشريفة، ذُكِرت كما تلوناها أولاً في سورة آل عمران: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ الآية، وذُكرت في سورة الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾، وذُكِرت في سورة البقرة في الدعوة الإبراهيمية، قال الله تعالى إخبارًا: ﴿ربنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمهمُ الكتابَ والحكمةَ ويزكِّيهمْ إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

فآية آل عمران ذُكِرت تذكيرًا لبعض نِعم الله على المؤمنين، وحثاًّ لهم على شكرها، وإشارةً إلى إجابة الدعوة الإبراهيمية التي ذُكرت في سورة البقرة.

وقد ذكرت آية البقرة إخبارًا عن شرف نبينا صلى الله عليه وسلم، وأنه دعوة أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وإظهارًا لكرامة هذه الأمة المحمدية.

وآية الجمعة ذُكِرت بعد تسبيح الله وتمجيده وتقديسه، وذِكْر عدَّة من أسمائه الحسنى، تعظيمًا لشأن هذا الرسول المبعوث صلى الله عليه وسلم، فاختلفت الدلالات في المعنى الواحد.

وهذا هو القسم الأول من التصريف.

ـ وأما القسم الثاني: فهو تصريف المعنى في المعاني المختلفة، وهو عَقْدها به على جهة المعاقبة، فالمنّ يطلق وتُصرف معانيه المختلِفة بحسب الحال، فقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ هذا من المنّ الذي هو الإنعام والإحسان ابتداءً بغير سؤال، بل لمجرد منّ وإفضال.

ومن أسماء الله تعالى (المنان)، ولا عبرةَ بقول مَن أنكر ورودَ هذا الاسم في جملة الأسماء الحسنى مطلقًا، لكنْ إن قُيِّد بروايةٍ ليس فيها: سُلِّم، فأسماء الله الحسنى رُويتْ من طرق، وفي بعضها زيادة أسماءٍ على غيرها، وفي بعضها إبدال أسماءٍ بغيرها.

فمن الطُرُق: ما رواه أبو سعيد أحمد بن محمد الأعرابي قال: حدثنا سليمان بن الربيع النَّهْدي، حدثنا خالد بن مَخْلَد القَطَواني، حدثنا عبد العزيز بن الحصين، حدثنا أيوبُ وهشامٌ، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» فذكر الأسماء وفيها «الرب، المنان»[(١)].

---

(١) ينقل المصنف عن كتاب «شأن الدعاء» للإمام الخطابي ص٩٩، إلا أن الخطابي ضعَّف الحديث هناك برواية عبد العزيز بن الحصين بن الترجُمان، وهو كذلك، فإنه ممن اتُّفِق على ضعفه بين النقاد: البخاري ـ في «التاريخ الكبير» ٦: ٣٠ (١٥٨٦) ـ ومسلم ـ في «الكنى» ١: ٤٠٠ (١٥١٠) ـ وغيرهم، إلا الحاكم فإنه روى هذا الحديث من طريقه في «المستدرك» ١: ١٧ ووثقه!!، انظر «الميزان» و «اللسان».

وكذلك سليمان بن الربيع النهدي، فإنه متروك، لكنه ـ كما قال المصنف ـ توبع، أما ابن الترجمان فلم يتابع، لكن الخطابي قال: «غير أن أكثر هذه الأسماء مذكورة في القرآن» فسوَّغ بهذا اعتماده لها وتفسيره وشرحه لها. وشرَح المنانَ بقوله «هو كثير العطاء. والمنُّ: العطاء لمن لا يَسْتَثيبه» أي: لا يطلب منه ثوابًا على عطائه، ولا مقابلاً لإحسانه.

وقد قال سيدنا علي كرم الله وجهه: «الحنان الذي يُقبل على من أعرض عنه، والمنان: الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال». أسنده إليه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١١: ٣٢ مسلسلاً برواية الأبناء عن الآباء، ـ وانظره في «التدريب» النوع الخامس والأربعين ٢: ٢٦٠، و «المناهل السلسلة» ص١١٩ ـ لكن الرجل الثاني في السند متهم بالوضع، كما أن آباءه غير معروفين.

تابعه جماعة منهم محمد بن عثمان بن كرامة، عن خالد بن مخلد.

وجاء هذا الاسم أيضًا فيما رُوِّيناه في «مسند» الإمام أحمد، و«سنن» النسائي وابن ماجه، وهذا لفظه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمدَ لا إله إلا أنت، وحدَك لا شريك لك، المنانَ، بديعَ السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام. فقال: «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئِل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب»(١).

وقوله تعالى ﴿لقد منّ﴾: يدلُّ على أن المنَّ حصل في زمن ماضٍ، لكنه مستمرٌّ، كما أشير إليه بلفظٍ يدلُّ على الحال في قوله تعالى: ﴿بلِ الله يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان﴾ فهذا لفظُه لفظُ الحال.

والمنُّ أيضًا: اعتدادُ المعطِي بصنيعته على من أعطاه، فيمنُّ بعطيته عليه تقريعًا له، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبْطِلوا

---

(١) رواه أحمد ٣: ١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥، وأصحاب السنن الأربعة: أبو داود (١٤٩٠)، والترمذي ٥: ٥١٤ (٣٥٤٤) وقال: غريب من حديث ثابت البناني، والنسائي في «الكبرى» ١: ٣٨٦ (١٢٢٣)، و«الصغرى» ٣: ٥٢ (١٣٠٠)، وابن ماجه ٢: ١٢٦٨ (٣٨٥٨)، وابن حبان ٣: ١٧٥ (٨٩٣) طبعة مؤسسة الرسالة، و ٢: ١٢٥ (٨٩٠) طبعة الحوت، والحاكم ١: ٥٠٤، من طرق متعددة إلى أنس، وهو صحيح، وإن كان الترمذي استغربه من حديث ثابت البناني فقط. وليس في المواطن التي ذكرتها ـ على كثرتها ـ إلا ذكر اسم (المنان) فقط، وانفردت مطبوعتي ابن حبان بزيادة «الحنان المنان» مع أنها غير واردة أيضًا في «موارد الظمآن» ٥٩٢ (٢٣٨٢).

وورد اسم المنان أيضًا في حديث رواه أحمد ٣: ٢٣٠، وأبو يعلى ٤: ١٨٦ (٤١٩٥) من رواية أبي ظلال، عن أنس مرفوعًا: «إن عبداً في جهنم لينادي ألفَ سنة: يا حنان يا منان..»، لكن أبو ظلال ضعيف. انظر «القول المسدد» ص٨٣، وانظر للفائدة «التلخيص الحبير» ٢: ١٧٢ ـ ١٧٤.

صدقاتِكم بالمنِّ والأذى﴾.

والمنّ أيضًا: الطَّلُّ الحلو الذي ينزلُ على الأشجار والأحجار، فيكون كالصمغ يُجتنَى منه ويؤكل، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وظلَّلْنا عليكمُ الغمامَ وأنزلْنا عليكم المنَّ والسلوى﴾، قال مجاهد: المنُّ: صَمْغَةٌ، والسَّلوى: الطير.

هكذا علَّقه البخاري في «صحيحه» بغير إسناد[١]، وهو في «تفسير» شيخه محمد بن يوسف الفِرْيابي: عن ورقاء، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد.

وعلماء النبات يعدُّون المَنُون سبعةً منها المنُّ المذكور، وغَفَلوا عن الكمأة فلم يذكروها، وقد صحَّ عن سعيد بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الكَمْأةُ من المنِّ، وماؤُها شفاءٌ للعين»[٢].

والمنُّ أيضًا القطع والهدم، ومنه قوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ فسَّره جماعة أنه غير مقطوع. وفي «مسائل نافع بن الأزرق»[٣] الحَنَفيِّ

(١) انظر أول المجلس ٦ ص١٤٣.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٤٣.

(٣) مسائل نافع بن الأزرق ـ أحد بني حنيفة ـ طويلة مروية بالإسناد، تزيد على المئتي سؤال، ذكر منها السيوطي رحمه الله تعالى في «الإتقان» في النوع السادس والثلاثين ٢: ٥٥ ـ ٨٨ مئة سؤال وتسعة وثمانين سؤالاً، وقال في آخرها: «حذفت منها يسيرًا نحو بضعة عشر سؤالاً». ومنها هذا السؤال الذي ذكره المصنف.

وقد روى بعضًا يسيرًا منها الطبراني في «معجمه الكبير» ١٠: ٢٤٨ ـ ٢٥٦، فذكر واحدًا وثلاثين سؤالاً من رواية جويبر بن سعيد الأزدي، وهو متروك، وهو في «مجمع الزوائد» ٦: ٣٠٤ ـ ٣١٠، ٩: ٢٧٨ ـ ٢٨٣. وبعض يسير منها ذكره المبرِّد في «الكامل» ٣: ١١٤٤ فما بعدها عن أبي عبيدة معمر بن المثنى. وعزا السيوطي قسمًا =

الحَرُوريِّ فقيهِ الخوارج لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وسأله عن قول الله عز وجل ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ فقال ابن عباس: غير مقطوع. قال: هل تعرفُ ذلك العرب، فقال: قد عرفه أخو بني يَشْكُر حيث قال:

وَتَرى خلفهنَّ من سرعة الرَّجْـ ـعِ مَنِيناً كأنه أهباء[1]

كبيراً منها إلى كتاب «الوقف والابتداء» لابن الأنباري، وساق سنده بها في الأول من طريق الطستي.

وقد طبع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله هذه المسائل مع غريب القرآن الذي استخرجه من «صحيح» البخاري، كما أن الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن (بنت الشاطىء) استخرجت نصَّ السيوطي، وعملت دراسة لكل سؤال وجواب، وذلك ضمن كتابها «الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق» من ص٣٠٩ ـ ٦٠٣، فجاءت دراسة موفقة رائدة، وقدَّمت لها بعشرين صفحة في وصف المخطوطات الثلاثة والمطبوعات الثلاثة التي اعتمدت عليها في إخراجها، وإن كانت من حيث الرواية تدور على جويبر الأزدي، وأبي بكر الهذلي، وكلاهما تالف ساقط.

وفي «لسان الميزان» ٦: ١٤٥ ترجمة نافع هذا: «له أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء، أخرج الطبراني بعضها في معجمه الكبير» ولم يذكر الجامعَ له، فلعله جزء الخُتَّلي الذي اعتمدته الدكتورة عائشة.

ثم وقفت على طبعة الدكتور محمد أحمد الدالي لها، معتمداً على المخطوطات السابقة نفسها، مع تذييله عليها بضمّ ما جاء في المصادر السابقة إليها، فبلغ عدد المسائل ٢٨٧ سؤالاً، ففي عمله مزية من حيث الجمع على عمل الدكتورة بنت الشاطىء، وعلى عمل الدكتور إبراهيم السامرائي من حيث الإتقان، لكن في عمل الدكتورة بنت الشاطىء مزية كبرى من حيث الدراسة القرآنية والعربية.

(١) المصنف ينقل عن «الكامل» للمبرِّد ٣: ١١٥١ والتفسير منه، والبيت هو البيت الثاني عشر من معلَّقة الحارث بن حِلِّزة اليشكُري بلفظٍ نحوه، وإهباء: يجوز في همزتها الكسر والفتح، والكسر أصح عند الأصمعي، ومعناه إثارة الناقة للهباء بسرعتها. انظر «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري ص٤٤٣، و «شرح =

يعني الغبار تقطعه قطعًا وراءها، والمَنين: الغبار الضعيف، ويقال مَنين وممنون: كقتيل ومقتول، وجريح ومجروح.

وقول بعض السلف: المنُّ أخو المنِّ: فالمنُّ الأول: امتنانُ المعطي بالعطية على من أسداها إليه تقريعًا له، والمنُّ الثاني: القطع والهدم، فيكون معنى الأثر[1] أن من منّ بعطيته فكأنما قَطَع وصول أجرها إليه، وهَدَم البناء الذي أسسها عليه، لأن العطية تَسُرُّ من أُسدِيت إليه وتُوجِب الأجر لمن أعطاها[2]. والمنُّ يَسوءُ الذي أُسدِيت إليه، ويوجب إثمًا على المنَّان مع حُبوط أجره الذي لو لم يمنُّ لكان ثابتًا له. والمُنّة: القوة، وفي كتاب «الأضداد» للتَّوَّزيِّ[3] أن المَنِين يكون القويّ أيضًا، فعيلاً، من المُنَّة.

فالمنُّ في هذه المواضع لفظُه متشابه، ومعانيه مختلفة، وهذا من تصريف المعاني من اللفظ الواحد.

ومن هذا الباب: قوله تعالى ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾. فمعنى بعث هنا ـ والله أعلم ـ أرسل، يقال: بعثت الرجل في حاجةِ كذا، وإلى كذا، أبعثه: إذا أرسلتَه، وبعثتُه على كذا: إذا أرغبتُه فيه أن يفعله، ومصدر ذلك كله: البَعْثُ.

القصائد العشر» للتبريزي ص ٢٩٤.

(١) أي: الكلمة المنقولة عن بعض السلف.

(٢) يريد من وجوب الأجر ـ أو الإثم ـ ثبوتَه. وإلا فلا موجبَ على الله تعالى أن يعطي فلانًا من الناس أجرًا على عطيته، أو إثمًا.

(٣) عودٌ إلى النقل عن «الكامل» وزاد عنه: «والمعروف الأول» أي: الضعيف، والتوَّزيُّ: هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوَّزي المتوفى سنة ٢٣٠، شيخ المبرد، ترجمه وذكر كتابه هذا الجمال القِفْطي في «إنباه الرواة» ٢: ١٢٦، وانظر كتاب «الأضداد» للإمام ابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٧، صفحة ١٥٥ـ ١٥٨.

وله وجوه أيضًا، منها: البعثُ: الجندُ يبعثون في الأمر. والبعثُ أيضًا: النشور من القبور. والبعثُ: القومُ يؤمَر بهم إلى مكان، ومنه الحديث: أن آدم عليه الصلاة والسلام يقال له يوم القيامة أَخْرِج بعثَ النار[1].

والبعث أيضًا: المَبْعَث، ويقال له البِعثة أيضًا، وهي رسالةُ نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام المشارُ إليها بقوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

ومن الأشباه والنظائر أيضًا: الرسول، وهو هنا نبينا محمدٌ عليه أفضل الصلاة والسلام، ويُطلَق الرسول أيضًا على المبعوث برسالةٍ مّا مِن ذَكَر أو أنثى، ويطلق على مَن أُرسل مِن الملائكة بأمرٍ مّا، قال الله عز وجل: ﴿الحمد لله فاطرِ السموات والأرض جاعلِ الملائكة رُسُلاً﴾ وقوله تعالى: ﴿رسلاً﴾ هو جمع رسول، ويجمع أيضًا على أَرْسُل.

ومن الأشباه أيضًا: قوله تعالى ﴿من أنفسهم﴾ جمع نَفْس. واختُلِف في المراد بها هنا، فقيل: العرب، وقيل: المؤمنون، وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: من أنفسهم بالإيمان والشفقة، لا بالنسب، كما يقول القائل: أنت نفسي. انتهى.

وتطلق النفس أيضًا ويُراد بها نفس الإنسانِ وغيرِه التي يقوم بها جسمه، والخلاف فيها مشهور: هل هي الرُّوح أم لا؟ وقيل: الروح بها الحياة، والنفْس بها العقل، وعلى هذا قيل إذا نام: قَبَضَ الله نفسَه، وإذا مات: قبض الله روحه[2]، وحديثُ النوم عن صلاة الصبح في الوادي يردُّ

---

(١) رواه البخاري في مواضع، أولها: في أحاديث الأنبياء ـ باب قصة يأجوج ومأجوج ٦ : ٣٨٢ (٣٣٤٨)، ومسلم آخر كتاب الإيمان ١ : ٢٠١ (٣٧٩).

(٢) حكاه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٧: ١٣.

على هذا ويُثبت أن الروح والنفْس شيء واحد[١].

وتطلق النفْس على حقيقة الشيء، وعلى جملته، والنفس أيضًا: العظمة، والعزة، والهِمَّة، والأَنَفة، والعين المصيبة يقال: أصابت فلانًا نفسٌ، أيْ: عينٌ، والنفْس أيضًا: الخَلَد والرُّوع يقال: في نفْس فلانٍ أن يفعل كذا وكذا، والنفس أيضًا: ملءُ الكفِّ من الدِّباغ.

ومن الأشباه: قوله تعالى ﴿يتلو﴾ معناه هنا: يقرأ، يقال: تلوت القرآن: إذا قرأته، كأنك أَتْبَعْتَ آيةً في إِثْر آيةٍ قراءةً[٢]، والمصدر: التِّلاوة

---

(١) حكى ابن العربي هذا المعنى عن العلماء كافة في «القبس» ١: ١٠٤. والمصنف يشير إلى حديث أبي هريرة في عودة النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر وتعريسهم ليلاً بالوادي، وقوله لبلال: «اكْلأْ لنا الليل» فغلبه النوم قبيل الفجر، فلم يستيقظ أحد منهم حتى أثَّرت بهم الشمس، وكان أولَهم استيقاظًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنادى بلالاً، فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ بنفسك. رواه مالك في «الموطأ» ١: ١٣ (٢٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١: ٤٧١ (٣٠٩)، ورواه الترمذي في تفسير سورة طه ٥: ٢٩٩ (٣١٦٣) من طريق ابن أبي الأخضر ـ وهو ضعيف ـ عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، وأعلَّه.

وروراه مالك في «الموطأ» ١: ١٤ (٢٦) عن زيد بن أسلم مرسلاً، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا، ولو شاء لردَّها في حينٍ غيرِ هذا».

فعبَّر صلى الله عليه وسلم عن حال النوم بقوله «قبض أرواحنا» وجاء تعبير بلال في القصة نفسها: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، فتمَّ للمصنف قوله: إن الروح والنفس شيء واحد، وهو قول حُكي في كتب اللغة، لكن اعتقادي أن العرب أدقُّ من هذا، وفروقُها الدقيقة بين كلماتها دليلُ ذلك، وإن كان يحصل أحيانًا كثيرةً تجاوزٌ في الاستعمال يشوش على ادّعاء الفرق، بسبب الرواية بالمعنى.

(٢) ولذلك يعبَّر في جانب القرآن العظيم بـ: التلاوة، على معنى مواصلة القراءة

=

ـ بكسر أوله ـ ويقال التُّلاوة بالضم لغتان، ويتلو أيضًا: يخبر، يقال: تلا الخبرَ يتلوه إذا أخبر به، ويتلو الشيءَ أيضًا يَتَتَبَّعه، تَلْوًا، فيهما.

ومن الأشباه أيضًا: قوله تعالى ﴿يتلو عليهم آياتِه﴾، الآيات هنا فسِّرت بالقرآن، وآيٌ أيضًا: جمع آية، والآية إنما سميت آيةً لأنها كلام متصل إلى انقطاع، وانقطاعُ معناه انقطاعُ قصةٍ ثم قصةٍ. قاله أبو عبيدة في كتاب «مجاز القرآن»[(١)].

والآيةُ أيضًا العلامةُ، ومنه الحديث: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ»[(٢)]. والآيةُ أيضًا: المعجزةُ[(٣)].

ومن الأشباه أيضًا في الآية: قوله ﴿ويزكِّيهم﴾، أي يُصلِحهم، فيما ذكره مقاتل بن سليمان وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿ولكنَّ الله يزكِّي مَن يشاء﴾، فالزكاة: الصلاح. والزكاة أيضًا: كلمة التوحيد، كما فُسِّر قولُه تعالى ﴿لا يؤتون الزكاة﴾: لا يشهدون أن لا إله إلا الله[(٤)]. والزكاة أيضًا:

منه، فما يكاد ينتهي من مجلس التلاوة الأول حتى يجلس المجلس التالي لها، يوالي بين القراءتين والمجلسين.

(١) ١: ٥.

(٢) حديث مشهور، رواه الشيخان في أوائل صحيحيهما: البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (١٠٧)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) على فرق بينهما، فالمعجزة علامة دالة على صدقِ النبيِّ في دعواه النبوة، لكن المعجزة أمر خارق للعادة، ولا يلزم من الآية أن تكون كذلك، فالآية أعم، والمعجزة أخصّ.

(٤) الآية رقم ٧ من سورة فصلت، وهذا التفسير رواه ابن جرير ٢٤: ٩٢ عن ابن عباس وعكرمة، ثم رجَّح تفسير الزكاة بالمعهودة المفروضة، لكن انظر توجيه قول ابن عباس في كتب التفسير الأخرى، ومما فيها: تفسير الزكاة بتزكية النفس، وذلك بالطاعة والاستقامة، وركنها: لا إله إلا الله.

=

التطهير. والزكاة أيضًا: النماء والزيادة. والزكاة: صدقةُ الفرضِ المشهورةُ. والزكاة أيضًا: البركة والمدح. ويقال أيضًا: زكا الرجلُ صار عدلاً مرضيًّا. وزكا أيضًا: أخصب. وزكا أيضًا: تنعَّم.

ومن الأشباه في الآية: قوله تعالى ﴿ويعلِّمُهُمُ الكتاب﴾ المراد به القرآن، وهو بمعنى المكتوب، مصدر سُمي به المفعول، ولم يكن مكتوبًا وقت نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، معِ أنه أُطلق عليه ذلك، لكنْ من قواعد كلام العرب أنهم تارةً يصفون الشيء بما هو ملابسٌ له حقيقةً، نحو: زيد قائم، إذا كان قائمًا حالةَ الإخبار عنه، وتارة يصفون الشيء بما يؤول إليه مجازًا، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قتل قتيلاً فله سَلَبُه»[1] فالقتيل: لا يُقتَل، وإنما عُبِّر عنه بما يصير إليه، وتارة يصفون الشيء بما كان عليه أولاً، كقول الله عز وجل: ﴿وآتُوا اليتامى أموالَهم﴾ ولا يسمَّى اليتيم بعد بلوغه يتيمًا إلا باعتبار ما كان عليه.

والقرآن ـ جلَّ منزِّلُه ـ لم يكن وقتَ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبًا، وإنما ذلك باعتبار أنه كان مكتوبًا في اللوح المحفوظ، قال الله عز وجل: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾، ويَحتمل أنه سُمى

وهذا التفسير من ابن عباس يذكرنا بتفسيره لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان..﴾ فسَّر العدل بـ: لا إله إلا الله، ولا غرابة في ذلك أبدًا، لأن الله عز وجل قال: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ فأفهمنا سبحانه أن التوحيد هو العدل العظيم، وعنوان التوحيد وكلمته هي: لا إله إلا الله.

(١) رواه البخاري في فرض الخمس ـ باب من لم يخمس الأسلاب ٦: ٢٤٧ (٣١٤٢)، ومسلم: كتاب الجهاد ـ باب استحقاق القاتل سلب القتيل ٣: ١٣٧ (٤١) وغيرهما، عن أبي قتادة رضي الله عنه، بلفظ: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه»، ولفظ أحمد ٥: ٣٠٦: «من قتل قتيلاً فسلبه له». ويسمي علماء البلاغة ـ والأصول ـ هذه العلاقة: اعتبار ما يكون، ويسمون العلاقة التي ستذكر بعدها: اعتبار ما كان.

كتابًا باعتبار ما يؤول إليه، لأنه جُمع بعد نزوله وكُتب، والأول أظهر، لأن أبا بكر الصديق وغيره[١] رضي الله عنهم لما امتنعوا من كتابة القرآن حين اجتمعوا عند أبي بكر رضي الله عنهم لجمعه، لو فَهِموا عن الله عز وجل أن الكتاب سُمي بذلك باعتبار مصيره مكتوبًا في المستقبل ما امتنعوا من الكتابة أولاً. والله أعلم[٢].

ويطلق الكتاب أيضًا على الحكم، وبه فُسِّر قول الله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ أي: في حكمه، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لأَقضِينَّ بينكما بكتاب الله»[٣]. والكتاب أيضًا: الفرض، ومنه قوله تعالى: ﴿كتابًا موقوتًا﴾ وكَتَب الشيء: قضاه، وجَعَله، وأَمَر به، وفَرَغَ منه، وقدَّره، وأحصاه، وغير ذلك من الوجوه.

ومن الأشباه أيضًا في الآية: قوله تعالى ﴿والحكمة﴾ هي هاهنا سنة

---

(١) هو زيد بن ثابت رضي الله عنه، وذلك لما جاء عمر إلى أبي بكر باقتراح جمع القرآن عقب يوم اليمامة، والقصة مشهورة جدًّا، وهي في «صحيح» البخاري في آخر تفسير سورة براءة، ومواطن أخرى منه، ومصادر أخرى. ثم شرح الله صدر أبي بكر لذلك، ثم صدر زيد، وحصل من وراء ذلك الخير العظيم، ولله الحمد.

(٢) ينظر في قوة هذا التلازم؟ والله تعالى يقول في سورة البينة: ﴿البينةُ رسولٌ من الله يتلو صُحُفًا مطهَّرة﴾.

(٣) هذا جزء من حديث العسيف الذي رواه البخاري في مواضع كثيرة، منها في كتاب الصلح ـ باب إذا اصطلحوا على صلح جور ٥: ٣٠١ (١٦٩٥، ٢٦٩٦)، ومسلم في الحدود ـ باب من اعترف على نفسه بالزنى ٣: ١٣٢٤ (٢٠) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني معًا، وفيه: «لأقضين بينكما بكتاب الله، أما الوليدة والغنم فردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مئة وتغريب عام» ومعلوم أن التغريب ليس منصوصًا عليه في الكتاب الكريم، فيكون المراد حينئذ بقوله «بكتاب الله»: بحكم الله، كما قال المصنف.

النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك فسَّره ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه مجاهد، ورُوي عن قتادة وآخرين، وبه قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه، فقال في كتابه «الرسالة»[١] من كتابه «الأم» ـ وهو أولها ـ: وقد فرض الله تعالى على الناس اتباع وَحْيه وسُنن رسوله صلى الله عليه وسلم فقال في كتابه: ﴿ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم﴾[٢].

* * * * *

(١) «الرسالة» بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ٧٦ (٢٤٤).

(٢) هكذا انقطع الكلام بين ١١٧/آ و١١٧/ب، والله أعلم بحقيقة الأمر.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ١٢ ـ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

ذكّر الله عز وجل المؤمنين بنعمة عظيمة من أمهات نِعَمه، وما أفاضه عليهم من بحار كرمه، وهي بعثةُ هذا الرسول سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وما حصل على يديه من الإنعام والإكرام، من ذلك: تلاوةُ آياتِ الله علينا أيها المؤمنون، إما: بغير واسطة لمن شاهدوا التنزيل، وكانوا يسمعونه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم وعنه يأخذون، وهؤلاء هم السادة الصحابة خير القرون.

وإما: تلاوةُ الآيات بواسطة الصحابة مع بعضهم، ومع التابعين، وبواسطة التابعين لمن لم يسمع من الصحابة، وهلمّ جرًّا، إلى أنْ تليتْ علينا الآياتُ العظام، وتلقّيناها سماعًا وتلاوة ممن أدركنا من الأعلام، وهكذا تُتْلى على مَن يأتي بعدُ من المؤمنين، إلى أن يُرفَع القرآن من صدور المسلمين[1].

---

(١) يشير إلى ما رواه ابن ماجه ٢: ١٣٤٤ (٤٠٤٩)، والحاكم ٤: ٤٧٣، ٥٤٥ عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدْرُسُ وَشْي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيامٌ ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ولَيُسْرى على كتاب الله عز وجل في ليلةٍ فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخُ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله،
=

وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى ـ والله أعلم ـ: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾.

والتِّلاوة ـ بكسر المثناة فوقَ، وضمها، لغتان ـ ومعناها إتْباعُ بعض القرآن بعضَه قراءةً. والآيات هنا فُسّرت بالقرآن، وتلاوته أحدُ علوم القرآن العظيم، وعلومُه كثيرةُ الأنواع، ترجع إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: تلاوته بالإتقانِ، وتصحيحِ الإعراب، وحسنِ الأداء، ومنه الواجب والمستحب.

فمن الواجب: تصحيح التلاوة من اللحْن الجليّ، مثل تغيير الإعراب، لا سيما إذا غيَّر اللحنُ المعنى، وكإخراج الحرف من غيرِ مخرجه، وربما تغيّر به المعنى، وكذلك عدم أصل التشديد.

ومن المستحبّ: تصحيحُ التلاوة من اللحن الخفيّ، كترك المدّ المتفَق عليه، وأحكام النون الساكنة والتنوين، ونحو ذلك من الترقيق والتفخيم[1].

فنحن نقولها». فقال صِلة بن زُفر لحذيفة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاةٌ ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟! فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّها عليه ثلاثًا كلُّ ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلةُ تنجيهم من النار ـ ثلاثًا ـ.

وصححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٢: ٣٠٧ (١٤٢٩)، والحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وكذلك قوّى سنده الحافظ في «فتح الباري» ١٣ : ١٦.

(١) يكاد يتفق مع المصنف في هذا التقسيم والحكم العلامة عليٌّ القاري ـ وهو من الأئمة القراء ـ في شرحه «المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية» ص١٩، ٢٠، وآخرون، ويختلف معه آخرون. انظر «هداية القاري» للمقرىء الشيخ عبد الفتاح المرصفي ص٤٨، «وأحكام القاري» للمقرىء الشيخ محمود خليل الحصري ص٢٧ رحمهما الله، وتأملْ كلام ابن الجزري في «النشر» ١ : ٢١١، فالظاهر أن قوله بين =

فهذا أحدُ أقسامِ علوم القرآن معرفةُ تلاوته المشارِ إليها بقوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته﴾.

والثاني: معرفة وجوه القراءات المأخوذة عن الأئمة، كالسبعة[1]، وما

القولين، وقولُ المصنف وعلي القاري أرفقُ بالأمة، بل أرفق بمن هم من خاصة الأمة، فضلاً عن عامتها.

ويلزم على القول الثاني أمران شديدان، أولهما: أن السواد الأعظم من الأمة آثم في قراءته. ثانيهما: أن من نجا من الإثم فإن قراءته للقرآن بلغت من الإتقان والدقة مبلغ الأئمة القراء العشرة وأشباههم، بل مبلغ الصحابة رضي الله عنهم، بل مبلغ خاصة الصحابة وعظمائهم كالأربعة الخلفاء، وأن قراءة الأربعة الخلفاء كقراءة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم!! وهذا لازم باطل. والله أعلم.

(١) الحق الذي لا يُلتفت إلى سواه: أن القراءات العشر كلها متواترة، ينظر لهذا كلام خاتمة الأئمة المقرئين: ابن الجزري رحمه الله في «النشر» أو جزئه اللطيف «منجد المقرئين»، فإنه لم يدع قولاً لقائل.

هذا، وقد قال المصنف رحمه الله في الأوراق غير المرتبة بعد أن قسم هذا التقسيم وتكلم على اللحن الجلي والخفي: «والقسم الثاني من أقسام علوم القرآن: معرفةُ وجوهِ قراءاته، وهي على أقسام، منها:

[القسم الأول]: معرفة وجوه القراءات عن الأئمة السبعة الذين جمعتُهم في بيت مفرَد للمعرفة بهم فقلت:

أئمــةُ قـــرَّاءِ القـــراءات ســـبعةٌ ضِياؤُهمُ كالزُّهْر في الناس لامـعُ

همُ ابنُ كثير ابنُ العَلاء ابنُ عـامرٍ كـسائيٌّ الزيــاتُ عاصــمُ نــافعُ

وأولُ من جمع قراءاتهم الإمامُ أبو بكر أحمدُ بن موسى بن العباس بن مجاهد التميميُّ البغداديُّ كان في حلْقته أربعة وثمانون خليفةً[1] يأخذون على الناس، توفِّي في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاث مئة.

وإنما جمع قراءةَ هؤلاء السبعة ليكونَ موافقًا لعدد الحروف السبعة التي أُنزل

(١) أي: خَلَفًا ونائبًا.

=

القرآن عليها[١]، لا أنها بعينها هي التي أُنزل القرآن عليها.

والخلاف مشهور: هل مصحفُ عثمانَ المتضمِّنُ للعَرْضة الأخيرة التي عَرَضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام، هو أحدُ الحروف السبعة التي أُنزِل عليها القرآن، أم هذا المصحفُ مشتملٌ على الأحرف السبعة المشارِ إليها؟ قولان للعلماء، وجمهورهم على الأول[٢]، وذهب إلى الثاني طوائفُ من الفقهاء والقراء والمتكلمين، بناءً على أنه لا يجوز على الأمة أن تُهمِل نقلَ شيء من الأحرف السبعة، وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف العثماني وعلى تَرْك ما سواه.

والقسم الثاني من وجوه القراءات: قراءةُ الأئمةِ الثلاثةِ بعد السبعة، وهم: أبو جعفرٍ يزيدُ بنُ القَعْقَاعِ المدنيُّ التابعيُّ المشهور، وأبو محمد يعقوبُ بن إسحاقَ الحضرميُّ مولاهم البصري، وأبو محمد خَلَف بن هشامِ البزارُ الأسديُّ البغداديُّ.

والقسم الثالث: قراءةُ أئمةٍ غيرِ العشَرة الذين صحَّ الإسناد بقراءتهم وتشملهم الكتب المصنَّفة في ذلك، مثل كتاب «وجوه القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم وغيره[٣].

---

(١) هذا ما نقله شيخ المقرئين ابن الجزري في «النشر» ١: ٣٩ عن الشيخ الإمام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، لكن في «فتح الباري» ٩: ٣٢ نقلاً عن مكي بن أبي طالب: «..وقد صنف ابن جبير المكي ـ وكان قبل ابن مجاهد ـ كتابًا في القراءات، فاقتصر على خمسة اختار من كل مصرٍ إمامًا، وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسًا إلى هذه الأمصار، ويقال: إنه وجَّه بسبعة، هذه الخمسة ومصحفًا إلى اليمن ومصحفًا إلى البحرين، لكن لم نسمع لهذين المصحفين خبرًا، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف فاستبدلوا من غير البحرين واليمن قارئين يكمل بهما العدد، فصادف ذلك موافقة العدد الذي ورد الخبر بهما..».

(٢) وعبارة الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى في «النشر» ١: ٣١ أوفى وأدق: «ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحفَ العثمانية مشتملةٌ على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعةٌ للعرضة الأخيرة.. لم تترك منها حرفًا، وهذا الذي يظهر صوابه..» وانظر تمام كلامه وبحثه.

(٣) وهذا ما يسمى عند أهل الفن بالقراءات الآحاد، وهي القراءات الأربعة التي تأتي بعد العشرة، وأصحابها: الحسن البصري ـ الإمام المشهور ـ وابن محيصن المكي، ويحيى بن المبارك اليزيدي، وأبو الفرج الشَّنَبوذي رحمهم الله تعالى جميعًا.

=

يتعلق بذلك.

والثالث: معرفة تفسيره واستنباط أحكامه، كما هو من شروط المجتهد.

والقسم الرابع: سوى ما تقدَّم، وهو الشاذ، وهو على قسمين: شاذٌّ سندًا ومتنًا، وشاذ متنًا صحيحٌ سندًا، كما قد صحَّ من قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء رضي الله عنهما: «والليلِ إذا يغشَى، والنهارِ إذا تجلَّى، والذكرِ والأنثى»[(١)].

وكقول ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل قوله تعالى: «وأنذِرْ عشيرتَك الأقربين، ورَهْطَك منهم المخلَصين» صَعِد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا، وذكر الحديث[(٢)].

والقسم الثالث من علوم القرآن التي تَرجع أنواع علوم القرآن إليها: معرفةُ تفسيرِه واستنباطِ أحكامه، كما هو من شروط المجتهد، وهذا القسم هو غايةُ علوم القرآن، لأنه المقصود لمعرفة المتكلِّم به، وهو الله سبحانه، وما يتعلق بتوحيده وإخلاص الدين له، وكيفية عبادته سبحانه كما أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿يتلو عليهم آياتِه ويزكيهمْ ويعلمهمُ الكتاب والحكمة﴾.

ووجوه مأخَذِ علوم القرآن منه عدَّة، وأصلُها المنطوق والمفهوم، فأما المنطوق فهو: ما دلَّ عليه اللفظ بغير واسطة في محلِّ النطق، ويأتي نصًّا وظاهرًا، فالنصُّ: ما رُفع في بيانه إلى أقصى غايته، وهو ما استقلَّ بنفسه بنصِّه.

والظاهر: ما احتملَ أمرين أحدُهما أقوى من الآخر.

وأما المفهوم: فهو ما دلَّ عليه اللفظ في محلِّ السكوت، أما دلالةُ المفهوم فمختلَف فيها: هل هي قياسية؟ كما نُقِل عن الشافعي، وحُكي عن...[(٣)].

---

(١) انظر هذا في «صحيح» البخاري ٨: ٧٠٦، ٧٠٧ (٤٩٤٣، ٤٩٤٤)، و«صحيح» مسلم ١: ٥٦٥، ٥٦٦ (٢٨٢ ـ ٢٨٤).

(٢) «صحيح» مسلم ١: ١٩٣ (٣٥٥). وهذه القراءة والتي قبلها كانت قرآنًا يتلى ثم نسخ، كما قال العلماء. انظر «فتح الباري» و«شرح النووي» ٣: ٨٢ ـ ٨٣، و «تفسير» القرطبي ١٣: ١٤٣، واللام من قوله «المخلَصين» ضبطها الإمام النووي بالفتح.

(٣) وقف الكلام هنا، وينظر كلام المصنف في النص والظاهر والمفهوم ص٤٨٩.

وهذا القسم هو غاية علومه، لأنه المقصود لمعرفة المتكلِّم به سبحانه، وما يتعلق بتوحيده وإخلاص الدين له، وكيفية عبادته سبحانه، كما أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿يتلو عليهم آياتِه ويزكيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

ومعنى التزكية: الإصلاح ـ والله أعلم ـ لأنه بتلاوة القرآن على المؤمنين انفتحتْ لسماعه آذانهم، وانشرحتْ لفهمه صدورهم، فصلحتْ بالتزكية، فتعلموا حينئذ الكتابَ ـ وهو القرآن المتلوّ على المؤمنين ـ.

والحكمةَ ـ وهي سنة النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً ـ فصاروا بذلك من المهتدين، كما أشار إليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: ﴿من قبل﴾ أن يَبعث الله فيهم هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بما بعثه به ﴿لفي ضلال﴾ وهو عدم الرَّشَاد والهدى ﴿مبين﴾ أي: بيِّن ظاهر. والله أعلم.

فأيُّ نعمةٍ توازي هذه النعم! وأي فضل يوازي هذا الفضل والكرم!.

وفي قول الله عز وجل: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾ أي القرآنَ الذي أنزله الله عليه. ونزول القرآن كان في شهر رمضان، كما قال الله عز وجل: ﴿شهرُ رمضان الذي أُنزِل فيه القرآن﴾ فقيل: ابتداء نزوله كان في شهر رمضان، ثم نزل مفرَّقًا في رمضان وغيره، وقيل: كان النزول في الشهر جملةً واحدةً، كما قال الله عز وجل: ﴿إنا أنزلْناه في ليلة القدر﴾ وهي الليلةُ المباركةُ عند الجمهور المشارُ إليها بقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدلُّ على ذلك، جمعًا بين الآيات الثلاث وبين ما عُلم نزوله في غير شهر رمضان، وهو ما خرَّجه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه

«أسماء الله تعالى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة»[١] من حديث السُّدِّي، عن محمد بن أبي المجالد، عن مِقْسَم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سأله عطيةُ بنُ الأسود فقال: إنه قد وقع في قلبي الشك، قولُ الله عز وجل: ﴿شهرُ رمضانَ الذي أُنزل فيه القرآن﴾ وقولُه تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، وقولُه تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وقد أُنزِل في شوال، وذي القعدة، وذي الحجة ـ يعني وغير ذلك من الأشهر ـ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل في رمضان، وهي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة، جملةً واحدةً، ثم أُنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رِسْلاً في الشهور والأيام.

ومعنى رِسْلاً أي رِفْقًا، وقوله صلى الله عليه وسلم[٢]: على مواقع النجوم: أي على مِثل مَسَاقط النجوم يتلو بعضُه بعضًا على تُؤَدَة ورِفْق.

ورُوِّينا في كتاب «فضائل القرآن»[٣] لأبي عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا يزيد، عن داود بن أبي هند، عن عِكرِمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزل القرآنُ جملةً واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نَزَل بعد ذلك في عشرين سنة، وقرأ: ﴿وقرآنًا فَرَقْناه لِتقرأه على الناس على مُكْث ونزَّلْناه تنزيلاً﴾. قال أبو عبيد: لا أدري كيف قرأه يزيد ـ يعني: ابنَ هارون شيخَه في حديثه ـ إلا أنه لا ينبغي أن يكون على هذا التفسير إلا فَرَّقناه ـ بالتشديد ـ. والحديث خرَّجه الحاكم في «مستدركه»[٤] ـ دون قول أبي عبيد ـ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

---

(١) «الأسماء والصفات» ص٣٠٤، ويستفاد من هنا أصل تسمية هذا الكتاب.

(٢) كذا قال! وهو من كلام ابن عباس كما ترى.

(٣) صفحة ٢٢٢.

(٤) ٢ : ٢٢٢ ووافقه الذهبي.

والسرُّ في إنزال القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نَزَل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرَّقًا: أن الكتب المنزلة قبل نزول القرآن أُنزِلت إلى الأرض جملةً واحدة، فحَصَل للنبي صلى الله عليه وسلم ما حَصَل للأنبياء الذين أَنزل الله عليهم كُتُبه جملةً واحدة، فأنزل القرآن جملةً واحدةً، ووُضَع في بيت العِزَّة من سماء الدنيا، ثم زاده الله على الأنبياء نزولَ القرآن مفرَّقًا بعد نزوله جملةً، فكان نزولُ القرآن مرتين.

والمرةُ الأولى التي نَزَل فيها جملة: هل كانت بعد ظهور نبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم أم قبلها؟ كلٌّ منهما محتمِل، وعلى كلٍّ فيه تفخيمٌ عظيمٌ للنبي صلى الله عليه وسلم إنْ كان بعد ظهور النبوة، وإن كان قبلها ففائدتُه أظهرُ وأكثرُ، لأن فيه إعلامَ الملائكة بقُرْبِ ظهور أمةِ النبي صلى الله عليه وسلم الأمةِ المرحومة الموصوفة في الكتب السالفة، وبإرسال نبيِّهم أحمدَ خاتمِ الأنبياء، وأَرَقِّ الرحماء، خاتم النبيين، والمرسَلِ رحمةً للعالمين، الذي أَمَر بالتراحم ورَغَّب فيه، ووعد الثواب للراحم من جنس ما يعطيه، فقال في أحاديثَ منها ذلك الحديثُ العظيمُ الشان «الراحمون يرحمهم الرحمن» الذي رَوَيناه فيما تقدَّم من طرق ثمانية إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه طريقٌ تاسعة، هي لما قبلها تابعة.

أخبرنا الإمام أبو العباس أحمد بن أبي محمد بن موسى الحاكم، وهو أول حديث سمعته منه بمنزله بدمشق، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن محمد الثَّغْري، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا يحيى بن محمد بن الحسن بن عبد السلام، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبي أبو بكر محمد بن الحسن، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأَصْبَهاني، وهو أول حديث سمعته منه وأنا حاضر، أخبرنا جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر بن السراج، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو نصر عُبيدالله الوائلي بمكة، وهو

أول حديث سمعته منه، أخبرنا حمزة بن أبي محمد بنيسابور، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمُهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهلَ الأرض يرحمُكم من في السماء».

وأنبأناه أعلى من هذا بدرجةٍ المسنِدُ الكبيرُ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله النِّعالي، عن الحافظ العلامة أبي محمد عبد المؤمن بن خَلَف الدِّمياطي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام في الرحلة الثانية إلى ثَغْر الإسكندرية سنة تسع وثلاثين وست مئة، وهو أول حديث سمعته منه فذكره.

وبالإسناد إلى أبي طاهر قال: قال لي ابن السَّرَّاج: لما دخلتُ مصر حضرتُ مجلس أبي إسحاق الحبَّال فأخرج لي هذا الحديثَ وكان يرويه عن أبي نصر فقلت: هو سماعي منه. فقال: أقرؤُه فتسمعُه أنتَ مني، وأسمعُه أنا منك، فقرأه رحمه الله.

هذا حديثٌ حسنٌ عالٍ من حديث أبي محمد سفيان بن عيينة بن أبي عِمران: ميمونٍ الهلاليِّ مولاهم، الكوفيِّ الأصلِ، المكيِّ الدار، عالمِ الحجاز. وكان أعورَ العين، أدرك من التابعين ستة وثمانين، وتفرَّد مدّة عن الزهريِّ وعمرِو بنِ دينار، في آخرين.

ولما مات الزهري سنة أربع وعشرين ومئة كان لابن عيينة من العُمُر سبعَ عشْرةَ سنةً، وحين مات عمرو بن دينار في سنة ستٍ وعشرين ومئة كان لابن عيينة إذ ذاك تسعَ عشْرةَ سنةً.

قال البخاري: قال لنا عليٌّ، عن ابن عيينة: ولدتُ سنةَ سبعٍ ومئة، وجالست الزهريَّ وأنا ابن ست عشرة سنة وشهرين ونصفٍ. رواه في «تاريخه الكبير»[(١)].

وكان قد رأى في حياة شيوخه في المنام كأن أسنانه كلَّها سقطتْ، فقصَّ رؤياه على شيخه الزهري فقال: تموتُ أسنانُك ـ يعني: أقرانَك ـ وتبقى أنت. قال سفيان: فماتت أسناني وبقيتُ[(٢)].

ورُوي أن سفيان لما تفرَّد تمثَّل وأنشد:

خَلَت الديارُ فَسُدْتُ غيرَ مسوَّدِ ... ومن الشقاء تفرُّدي بالسُّؤْدُدِ

هذا، والشافعي يقول عنه: ما رأيتُ أحدًا فيه من آلة العلم ما في سفيان، وما رأيت أحدًا أكفَّ[(٣)] عن الفتيا منه!.

وقال ابن المديني: ما بقيَ على وجه الأرض أحدٌ يشبهه.

وقال ابن وهب: ما رأيتُ أعلمَ بكتاب الله منه.

وأثنى عليه الأئمة، وكان أحدَ علماء الأمة، وكان له أخوة تسعة هم به عشرة، منهم: محمد، وآدم، وعمران، وإبراهيم، وسفيان، وكلُّهم محدِّثون[(٤)]، وسفيانُ أجلُّ العشَرَة قدرًا، وأشهرهم ذِكْرًا.

مولده بالكوفة للنصف من شعبان سنة سبع ومئة ثم نقله أبوه إلى مكة،

---

(١) ٤: ٩٤ (٢٠٨٢).

(٢) زاد في «تهذيب الكمال» ١١: ١٨٩ من كلامه: «فجعل الله كلَّ عدوٍّ لي محدِّثًا» وفيه: «كل عُدُولي» فيصحح.

(٣) تحرف في «تهذيب الكمال» ١١: ١٩٠ إلى: أكفأ.

(٤) «ثقات» ابن حبان ٦: ٤٠٤، وعنه «تهذيب الكمال» ١١: ١٧٨، وفيه ص١٩٤ قصة ذكر فيها هؤلاء الخمسة إلا آدم.

ثم دخل الكوفة وقد ناهز عشرين سنة فقال أبو حنيفة لأصحابه: جاءكم حافظُ علمِ ابن دينار، فجاء الناس إليه يسألونه عن عمرو بن دينار. قال ابن عيينة: فأولُ مَنْ صيَّرني محدثًا أبو حنيفة، فذاكرته.

وقد رُوي أن أولَ من أخذ عنه من أهل الكوفة مِسْعَر بن كِدَام. قال أبو غسان مالك بن إسماعيل النَّهْدي: سمعت ابن عيينة يقول: أول من جاءني يطلبُ مني الحديث مِسْعَر.

توفي مِسْعَر سنة خمس وخمسين ومئة قبل وفاة سفيان بثلاث وأربعين سنة.

توفي سفيان سنة ثمان وتسعين ومئة بمكة، ودُفن بالحَجُون وقبره ظاهر يُزار، وحجَّ سبعين حجةً[1].

وهذا الحديث معروف به، وهو من أفراده عن عمرو بن دينار.

وهو أبو محمد المكي الجُمَحي الأثْرَم، مولى موسى بن باذانَ مولى بني جُمَح، ويقال مولى باذانَ والدِ موسى المذكور، وقيل باذان مولى بني مخزوم، ويقال هو مولى باذانَ عاملِ كسرى على اليمن.

قال أحمد بن حنبل: كان مولىً فشرَّفه الله بالعلم. يعني: عَمْرًا.

---

(١) عاش سفيان إحدى وتسعين سنة، وحج به والده لأول مرة وعمره ست سنوات، وحجَّ به سبعًا وعشرين حجة وقد بلغ سفيان نيفًا وثلاثين سنة، كما في «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي ورقة ١١٠/آ نسخة قليج علي، فلا يستبعد منه ـ وقد أتم الواحدة والتسعين عامًا ـ أن يكون قد أتم سبعين حجة، والذي حدَّث عنه أنه حج هذه الحِجَج الكثيرة هو ابن أخيه الحسن بن عمران بن عيينة، كما نقله عنه ابن سعد في «طبقاته» ٧: ٤٩٧ ـ ٤٩٨، بل في «الحلية» ٧: ٢٨٩ عنه أنه قال: شهدت ثمانين موقفًا!، وفي آخر ترجمة سفيان من «تهذيب التهذيب» أن انتقاله إلى مكة كان سنة (٦٣) بعد المئة ويبدو أنه تحريف صوابه ٢٣؟. والله أعلم.

وهذا غير عمرِو بن دينار الأعورِ قَهْرَمانِ آلِ الزبير، والقهرمانُ هذا متأخرٌ عن عمرو بن دينار المكيِّ الأثرمِ مولى عبد الله بن عمرو حسًّا ومعنىً، لأن المكيَّ لقيَ عدةً من الصحابة، منهم ابنُ عباس، وجابرٌ، وأبو شُرَيح الخُزَاعي، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو؛[(١)] والقَهرمانُ ليس له صحابي يروي عنه، إنما يروي عن سالم بن عبد الله بن عمر.

وأما تأخُّر القهرمان معنىً: فهو ضعيف، قال البخاري: فيه نظر، وقد ضعَّفه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، ويحيى بن معين، والترمذي وغيرهم[(٢)].

وعمرو بن دينار المكيُّ التابعيُّ من كبار الثقات، ولقد حدَّث عنه سفيان بن عيينة مرةً فقال: حدثنا عمرو بن دينار وكان ثقةً ثقةً ثقةً ثقةً، وحديثًا أسمعه من عمرو أحبُّ إلي من عشرين من غيره[(٣)].

---

(١) وزاد المزي وابن حجر على هؤلاء: عبد الله بن الزبير، وأبا هريرة، وأبا الطفيل.

(٢) «التاريخ الكبير» ٦: ٣٢٩ (٢٥٤٥)، و «الجرح والتعديل» ٦: ٢٣٢ (١٢٨١)، و«سنن» الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب ما يقول إذا رأى مبتلى ٥: ٤٥٩ (٣٤٣١).

(٣) هكذا بخط المصنف تكرار «ثقة» أربع مرات وتقدم منه التصريح بأنه كررها أربع مرات في المجلس الثالث ص١٠٠، ومثله في «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي ٢: ٢٧ مع النصِّ على أنها أربع مرات أيضًا، لكن في المطبوع من مصدرهما الأصلي ـ وهو «الجرح والتعديل» ٦: ٢٣١ (١٢٨٠) ـ تكرارها ثلاث مرات، وفي «فتح المغيث» ٢: ١١١ ـ مبحث مراتب الجرح والتعديل ـ: «وكان ثقة ثقة، تسع مرات، وكأنه سكت لانقطاع نَفَسه». والأربع مرات لا ينقطع عندها النفَس.

وقوله «وحديثًا أسمعه..»: هكذا بخطه مع الشكل، ومثله في «الجرح والتعديل» وطُبع في المصادر الأخرى: وحديثٌ، وسيأتي كذلك بخطه ص ٣١٩.

وذكر بعضهم عمرو بنَ دينار ثالثًا وهو أبو خَلْدَةَ الكوفي، من شيوخ سيف بن عمر صاحب «الفتوح» و «الرِّدَّة»[١]. وهذا من المتفِق والمفترِق، وهو أحد الأنواع التي يدخل فيها الحديث.

وأول الثلاثة عمرو بن دينار المكيُّ: أمثلُهم، وقد تفرد بالحديث عن أبي قابوسَ.

والصحيح فيه أن اسمه كنيته، وزعم ثابت بن محمد المديني أن اسمه المبرد[٢] قال الذهبي فيما أُخبِرنا وحُدِّثنا عنه: ومن زعم أن اسمه المبرد فقد تبارد. لكني قلت: وقولُ ثابت ليس بثابت.

وشيخُ أبي قابوسَ مولاه: عبد الله بن عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فِهْر القرشي السَّهمي، أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل أبو نصير، وهو وأبوه، وأمه رَيْطَة بنت مُنَبِّه بن الحجاج السَّهْمية صحابةٌ رضي الله عنهم. ورُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيهم: «نِعْمَ أهلُ البيت عبد الله وأبو عبد الله وأمُّ عبد الله»[٣] رضي الله عنهم.

---

(١) وذكره المزي في «تهذيبه» في الرواة عن سَهْم بن مِنْجاب بن راشد، ثم طبع كتاب الخطيب «المتفق والمفترق» ورأيته فيه كذلك ٣: ١٦٩.

(٢) انظر ص ٣٦٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٤: ١٥٠، وفي «فضائل الصحابة» له أيضًا ٢: ٩١٢ (١٧٤٤) عن عقبة بن عامر بإسناد صحيح، ورواه أيضًا فيهما: ١: ١٦١، ٢: ٩١١ (١٧٤٣) من رواية ابن أبي مليكة، عن طلحة بن عبيد الله مرفوعًا، وروى طرفًا آخر منه الترمذيُّ ٥: ٦٤٦ (٣٨٤٥) من هذا الوجه وقال: «إسناده ليس بمتصل، وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة»، وكأن للمزيِّ وقفةً في ذلك فإنه قال أول ترجمة ابن أبي مليكة في «تهذيب الكمال» ١٥: ٢٥٦: «قيل لم يسمع من طلحة» وتبعه ابن حجر في «تهذيبه»، وبين وفاتيهما أزيد من ثمانين سنة، فالله أعلم. وقد اقتُصِر في التعليق على =

ولم يكن بين عبد الله وأبيه في السنِّ سوى إحدى عشْرَةَ سنةً وقيل اثنتيْ عشْرَةَ سنةً.

أسلم عبد الله قبل أبيه، وكان اسمه كاسم جدِّه: العاصي، فسماه النبيُّ صلى الله عليه وسلم عبد الله[١]، وكان رجلاً طُوَالاً، أحمرَ، عظيمَ البطن، أبيضَ الرأس واللحية، وكان أحدَ فقهاء الصحابة وحفاظِها، مع ورع وصلاح وعبادة، سخيًّا كريمًا متواضعًا.

اختُلِف في وفاته ومكانها، فقيل: سنة ثلاث وستين، وقيل سنة ثمان وستين، وقيل سنة ثلاث وسبعين، بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر، وقيل بفلسطين. وكان من المكثِرين أصحابِ المئين، قيل روَى سبع مئة حديث، أُخرِج له في الصحيحين خمسة وأربعونَ حديثًا، المتفقُ عليه فيهما سبعةَ عشَرَ حديثًا، وانفرد البخاري بثمانية أحاديث، وانفرد مسلم بعشرين حديثًا، وله في السنن عدَّة، وخرج له...[٢] مسندًا مفردًا.

«سير أعلام النبلاء» ٣: ٥٦ على تخريجه من «المسند» ١: ١٦١ والترمذي من حديث طلحة فقط، وجعل الحديث منقطعًا، وهو قصور.

(١) تقدم تخريجه من «تاريخ» أبي زرعة الدمشقي ١: ٦٣٥ (١٨٤١).

(٢) بياض قدر كلمتين آخر السطر لتسمية من أفرد كتابًا خاصًّا سماه مثلاً مسند عبد الله بن عمرو بن العاص. ولعبد الله بن عمرو (الصحيفة الصادقة) وهي معروفة، غير أنها ليست مرادة هنا، وقد جمع الإمام أحمد في «مسنده» جملة كبيرة من روايات عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ـ عبد الله بن عمرو ـ تِلْو بعضها، فبلغت مئتي حديث وسبعة وأربعين حديثًا، انظرها في طبعة الأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله ١٠: ١٤٣ (٦٦٥٩) ـ ١١: ١٢٦ (٦٩٠٦)، وضمن أحاديثه الأخرى أحاديثُ هي من رواية عمرو عن أبيه عن جده لم تذكر مع هذه المجموعة، وذكر ابن حزم في جزئه «أسماء الصحابة الرواة» (٩) أنه روى سبع مئة حديث.

وحديثه هذا حسن، كما تقدم، وصححه الترمذي[١]، وهو من الأفراد.

ومن لطائف سنده: رواية الأقران عن أقرانهم، وهو على ثلاثة أجناس، منها المُدَبَّج: روايةُ كلٍّ من القرين عن الأخر، لأن ابن السرَّاج سمعه من لفظ أبي إسحاق الحبال، حدَّثه به عن أبي نصر الوائلي، وسمعه ابن الحبال بقراءته على ابن السراج عن أبي نصر.

ومن لطائف السند أيضًا: أنه يدخل في نوع من أنواع الحديث، وهو أن يأتي نَسَبُ رجل يُقرأ من آخره كما يُقْرأ من أوله لا يتغيَّر نطقًا ولا خطًا، لكن لم يذكره أحد في الأنواع، ولا أُفرِد بالتأليف فيما أداه إليَّ السماع، مع أن الحافظ أبا موسى المَدِيني صنَّف أنواعًا لطائفَ في الأسانيد منها: المتفِق من الأسماء على نَسَقٍ، ولم يعرِّج على هذا النوع الذي ذكرته، وقد لقَّبته: ذِكْر من له نَسَب يستقيم إذا انقلب، ووقع منه في هذا السند رجلان: أحدهما: أبو محمد ابن السرَّاج فهو جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر.

والثاني: الراوي عنه، وهو أبو طاهر الأصبهاني أحمد بن محمد بن أحمد.

وقد وقع لي عدَّةٌ صالحةٌ من هذا النوع، فمن المتقدمين: الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجُمَحي صحابي ابن صحابي، ولد بالحبشة، ومات أبوه بها مهاجرًا، وسعيد بن العاصي أبي أُحَيْحَة بن سعيد ابن العاصي بن أمية بن عبد شمسٍ الأموي المدني، كان من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم، وأَحدَ من كتب المصاحف لعثمان، كان يقال له: عُكَّة العَسَل، له صحبة وروايةٌ مرسلة، ولي الكوفةَ، وافتتح طَبَرستان، وقيل: وجرجان أيضًا، وولي المدينة زمن معاوية.

---

(١) تقدم التنبيه إلى أنه قال: حسن صحيح، وأنه ينبغي التقيُّد بنقل لفظ الترمذي.

ووقع لي من هذا أيضًا عدَّة من شيوخنا، منهم: محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الغُلْفُي، حدثنا عن العفيف إسحاق الآمدي، وأحمد بن الشِّحنة أبي طالب. ومنهم: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الحنفي ابن قاضي الحِصْن، حدثنا عن الحافظ المِزِّي وآخرين[١].

هذا بعض ما يتعلَّق بسند هذا الخبر.

وأما فوائد متنه: ١ ـ فمنها: أن أسماء الله الحسنى يُدْعى بها رَغَبًا ورَهَبًا وغير ذلك، والأبلغ في إجابة الدعاء بواحد من هذه الأسماء أن يكون الاسم المسئول به دالاً على السؤال، إما باشتقاق أو نحوه من غير مثال، كمن يَسأل في تدبير مصالحه رِفقًا بلا تكليف، فيقول يا بَرُّ يا لطيف[٢]، والشاهد لذلك من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، وهو يحتمل أمرين: إما أن يكون معناه الخبر، كلفظه، وإما أن يكون لفظُه لفظَ الخبر، ومعناه الدعاء، كقولهم: رضي الله عنه، رحمه الله، غفر الله له، ومعناه على هذا الوجه: الراحمون أسأل أن يرحمهم الرحمن.

٢ ـ ومن الفوائد أيضًا: قول سفيان: عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. فذكر الحديث.

وفيه لفظان من ألفاظ الأداء:

---

(١) وهذا فصل يتعذر استقصاؤه في الرواة والعلماء ونحوهم، ونظرة عَجْلى في فهارس كتب التراجم توقفك على بضع مئات من ذلك.

(٢) ومن الحماقة ما يسمع من بعض الداعين: اللهم أهلك الكافرين يا أرحم الراحمين!!.

أحدهما: «عن» وهي متصلة بإجماع أئمة النقل، على تورُّع رواتها عن التدليس، قاله الحاكم أبو عبد الله[(١)]. ولفظة «عن» هي أعلى من لفظة «قال» التي هي أقل عبارات الأداء مرتبةً، كما أن أعلى عبارات الأداء مرتبةً لفظة «سمعت»[(٢)].

والثاني: لفظة «أنَّ» وحكمُها حكم «عن» عند الجمهور، كما حكاه عنهم ابن عبد البر، وقال أبو بكر البَرْدِيجي: حرف «أن» محمول على الانقطاع حتى يتبيَّن السماع في ذلك الخبر بعينه من جهة أخرى. قال ابن عبد البر لما حكَى هذا: وعندي لا معنى لهذا. انتهى[(٣)].

وقول عبد الله بن عمرو: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، فذكر الحديث، قد جاء التصريح بالسماع من طريق أخرى، وهي قول عبد الله في بعض طرق الحديث: «وهذا أول حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خطبة الوداع»[(٤)]. وما حكاه ابن عبد البر عن الجمهور يُشْعِر أنه لا فرق بين «عن» و«أنَّ». وقد عقد الخطيب في كتاب

---

(١) في «معرفة علوم الحديث» أول النوع الحادي عشر ص٣٤.

(٢) «الكفاية» للخطيب ص٢٨٤ أعلى الصفحة. وانظر نكتة لطيفة للفرق بين «حدثنا» و«سمعت» ص٢٨٧ منه.

(٣) «التمهيد» لابن عبد البر ١ : ٢٦، وعلى هذا ابنُ الصلاح في مقدمته النوع الحادي عشر ـ المعضل، التفريع الثاني، وفي تحقيق الحافظ العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٦٨ ـ ٧١ أن التسوية بين (أن) و (عن) أمر متفق عليه بين أهل النقل، وأن ابن الموّاق سبقه إلى حكاية الاتفاق، لا كما يفيده قول ابن عبد البر: عند الجمهور، وانظر «النكت على ابن الصلاح» للحافظ ١ : ٥٩٠ فإنه زاد في تحرير المسألة.

(٤) هذا لا يصح، وانظر المجلس الأول ص٤٢ فما بعدها.

«الكفاية»[١] بابًا للفرق بين «أنَّ» و«عن» وروَى عن أبي بكر الخَلال قال: أخبرنا سليمان بن الأشعث قال: وسمعتُ أحمدَ قيل له: إن رجلاً قال: قال عروة: إنّ عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله. وعن عروة عن عائشة، سواءٌ؟ قال: كيف هذا سواء؟! ليس هذا سواءً.

وروى أبو بكر الخطيب مثل ذلك من طريق أيوب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن عمر رضي الله عنه، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أينامُ أحدُنا وهو جنب؟ قال: «نعم، لِيتوضَّأْ ثم لْيَنَمْ». ثم رواه من طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله أيَرقُد أحدُنا وهو جنب... الحديث.

فظاهر الطريق الأولى ـ فيما ذكره الخطيب ـ أنها من مسند عمر، والثانية أنها من مسند ابن عمر[٢] ـ فيما ذكره الخطيب ـ وقد أدخل الثانيةَ في مسند عمر محمدُ بنُ يحيى بن أبي عُمَر العَدَنيُّ في «مسنده» وفعله غيره[٣].

٣ ـ ومن فوائد متن هذا الحديث: أن الدعاء بالأسباب أبلغُ في الإجابة، كمن أراد الله أن يستره فليستُر مسلمًا[٤]، أو أن يَسُرَّه فليُدخِل

---

(١) صفحة ٤٠٦ ـ ٤٠٨، وسليمان بن الأشعث هو الإمام أبو داود صاحب «السنن». وتكلم العراقي في «التقييد والإيضاح» على المثالين المذكورين في الموضع الذي ذكرته قبل.

(٢) ويؤيده رواية النسائي في «الكبرى» ٥: ٣٣٣ (٩٠٦٢) من طريق نافع قال: أصاب ابنَ عمر جنابةٌ، فأتى عمرَ فذكر ذلك له، فأتى عمرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فاستأمره، فقال: «يتوضأ ويرقد». وانظر «فتح الباري» ١: ٣٩٤، و«عمدة القاري» ٣: ١٣٩، و«مسند الفاروق الفقهي» لابن كثير ١: ١٢٧.

(٣) انظر «تحفة الأشراف» ٨: ٦٧ (١٠٥٥٢).

(٤) هكذا كتب المصنف رحمه الله، والمراد واضح، لكن لعل الأولى في التعبير أن يقال: كمن أراد أن يستره الله..، أو: كمن أراد من الله أن يستره...

السرور على مسلم، أو يرحمَه الله فليرحمْ عباده، كما في هذا الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن» الحديث.

٤ ـ ومن فوائد الحديث: أن ظاهره يقتضي أن قوله «الراحمون يرحمهم الرحمن» كقوله «ارحموا أهلَ الأرض يرحمْكُم من في السماء» لأن معناهما واحد، وهو حصول الرحمة من الله لمن يرحم عباده، لكن لما ذكر الثاني بلفظ غير الأول حسُن التكرار مع إفادة المعنى، وقد يكون الأول لأحد القسمين من الراحمين، والثاني للآخر منهم، فأحَدُ القسمين مَن لم يبلغه النصُّ في ثواب الرحمة لخلق الله، فأوّلُ الحديثِ لهذا القسم، لأنه لا بدَّ لهم من الثواب وإن لم يعلموا النصَّ عليه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، والقسم الثاني مَن بلغهم النصُّ في ثواب الرحمة، فخُوطِبوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

ويَحتمِل أن الرحمة لما كانت تصدر من المؤمنين والكفار، والله لا يُضيع عملَ عاملٍ: أما الكفار فيجازيهم في الدنيا بحسناتهم حتى يَلْقَوُا الله وما لهم حسنة يُجْزَون بها، فأوّلُ الحديث يتناولهم، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لأن الرحمن ذو الرحمة الشاملة التي عمَّت المؤمن والكافر، والصالح والطالح في الدنيا، وآخر الحديث خاص بالمؤمنين. ولهذا ـ والله أعلم ـ خاطبهم بقوله: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

٥ ـ ومن فوائد الحديث: أن من سمعه وعمل به إيمانًا بالله واحتسابًا للثواب الموعود به فيه زكَّى الله عملَه، وبلَّغه من الثواب أملَه، وكان من أهل السنة التي وَعَد الله متَّبعها بالجنة، كما أن من ابتدع، وأعرض عن السنة وما اتبع: فقد دنا حتفُه، ورغِم بإعراضه أنفُه.

وقد أخبرنا جماعة من الشيوخ منهم: أم يوسف فاطمةُ ابنةُ المحتسِبِ

أبي عبد الله محمد، بقراءتي عليها، قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب البَيَاني[1]، قراءةً عليه ونحن نسمع، أخبرنا عبد الله بن عمر البغدادي إجازةً إن لم يكن سماعًا، أخبرنا أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي، أنشدنا الزاهد أبو عبد الله محمد بن أميرجه بن أشعث الهروي، أنشدنا أبو الحسن علي بن الحسين بن حمزة، أنشدنا السيد أبو الحسن المغرِبي لنفسه:

أَفِـقْ واطلـبْ لنفـسك مـستواها ... ودعْ عُـصَبًا قـد اتبعـتْ هواهـا

وســنةَ أحمــدَ المختــارِ فــالزمْ ... وعظِّمْهــا وعظِّــم مَــن رواهــا

وإنْ رغِمــتْ أنــوفٌ مــن أنــاسٍ ... فقــلْ يــا ربِّ لا تُــرْغِمْ ســواها

آخر المجلس ولله الحمد حمدًا كثيرًا دائمًا

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * * * *

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم نعمة بن حسن بن علي بن بيان الصالحي الحجار المولود قبل سنة ٦٢٤ والمتوفى سنة ٧٣٠، ألحق الأحفاد بالأجداد لكونه عُمِّر أكثر من مئة سنة مع التمتُّع بالقوى والحواس، ترجمه تلميذه الذهبي في «معجم شيوخه» ١: ١١٨ (١١٥)، وابن حجر في «الدرر الكامنة» ١: ١٤٢، ونسبته هنا (البياني) إغراب وإبعاد، ولولا أن ابن حجر ساق نسبه إلى جده (بيان) لما اتضح المراد، فإنه مشهور بالحجار الصالحي، أو بابن الشحنة، وله ذكر كثير في الأثبات والمشيَخات، وأخذ عنه كثيرون من الأئمة حبًّا في علوّ سنده، وإلا فهو أميٌّ لا يكتب ولا يقرأ إلا قليلاً من القرآن الكريم، وكان يُقرأ عليه، وحصل عليه هذا الإقبال الكبير من المحدثين الكبار والصغار خلال أربع وعشرين سنة آخر حياته، إذ ظهر سماعه لبعض الأجزاء الحديثية سنة ٧٠٦، ومما قرىء عليه في هذه السنوات: «صحيح» البخاري أكثر من سبعين مرة! رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ١٣ ـ

اللهم صلِّ على محمد وآله وصحبه وسلِّم ويسِّر

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآية الشريفة فيها معانٍ لطيفة، وأحكامٌ عالية منيفة، تقدم ذكر بعضها في المجالس الماضية، ونذكر الآن ما تيسر من المعاني الباقية، بعد ذكر مقدمة، هي كالمدخَل إلى ذلك معلِمة، وهي أن كل كلام مفيد إذا طَرَقَ السمع من قريب أو بعيد يحصُل به العلم.

والعلم يطلق لغةً واصطلاحًا على أمور، أولُها: الشعورُ، وهو أول مراتب العلم، فإذا شعَر الإنسان بشيء فقد علِم به، ومما يُطلَق العلم عليه: الإدراكُ، والتصوُّر، والحفظ، والتذكُّر، والذُّكْر، والفهم، والفقه، والدراية، واليقين، والذِّهن، والفِكْر، والحَدْس، والذكاء، والفطنة، والكَيْس، والرأي، والتبيُّن، والاستبصار، والإحاطة، والعقل، والحُسبان[1].

فكلٌّ من هذه الأمور يطلق العلم عليه، وإذا حصل العلم بكلام مفيد يتعلَّق النظر فيه بأطرافٍ من وجوه معانيه.

فمن أطرافه: بيان معاني ألفاظه المفردة من حيثُ المدلولُ، وهو علم اللغة كلفظة:

ـ «مَنَّ» المذكورةِ في الآية، فمعناها أحسن وأنعم، وقيل: أوسع في

(١) أكثرها إطلاقات مجازية، والفرق بين بعضها وبين العلم كبير أحيانًا.

العطاء وأعظم، وقيل: ابتدأ بالنوال قبل السؤال وأكرم.

و«منَّ» في غير هذا الموضع لها وجوه، منها: اعتدادُ المعطِي بصنيعته على المعطَى تقريعًا له، وبه فُسِّر قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبْطِلوا صَدَقَاتِكم بالمنِّ والأذى﴾.

ومنها: الطَلُّ الحلوُ، المشارُ إليه في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا عليكم المنَّ والسَّلْوى﴾.

ومنها: المنُّ: القطع والهدم، ومنه قوله تعالى: ﴿فلهم أجرٌ غيُر ممنون﴾ فسَّره جماعة بأنه غير مقطوع[(١)].

ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿إذ بعث﴾ فـ «بعث»: لها وجوه، منها: بمعنى أرسل، وبمعنى: أيقظ، قال الله عز وجل: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ أي: أيقظناهم، والبعث: النشور من القبور، ومنه قوله تعالى: ﴿والموتى يبعثهم الله﴾.

ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾ فالنفس تطلق ويراد بها أمور[(٢)].

ـ وكذلك: الآيات، والتزكية، والكتاب، والحكمة، كلٌّ له عدة وجوه في كلام العرب[(٣)].

ومن **الأطراف** التي يتعلق بها النظر في الكلام: حكمُ تركيب الألفاظ واختلافها على وَفْق كلام العرب، وهذا علم الإعراب، كرفع الاسم الشريف في قوله تعالى: ﴿لقد منّ اللهُ﴾ والجرّ في قوله تعالى: ﴿على

---

(١) تقدم في المجلس ١١ص٢٦٤ أنه من أجوبة ابن عباس رضي الله عنهما لنافع بن الأزرق الخارجي، وأنه قيل: معناه غير منقوص، وهو اختيار ابن جرير.

(٢) تقدم تعدادها في المجلس ١١ص٢٦٦.

(٣) تقدم الكلام عن هذه الكلمات الأربعة في المجلس ١١ من صفحة ٢٦٧ ـ ٢٧١.

المؤمنين﴾ والنصب في قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ واعتبار العوامل فيما ذُكر وألقابِها، وما في الآية من الأسماء والأفعال والحروف، والمعرب من ذلك والمبني.

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر في الكلام: معرفةُ ما تدلُّ عليه الألفاظ، وهو علم الأحكام، ومن أحكام الآية: إثباتُ النبواتِ وبعثةِ الرسل، ووجودُ الملائكة، ووجوبُ الشكر واستدعاؤه، وذكرُ النعم على سبيل التعريف لا على جهة التقريع والتعنيف، وغير ذلك مما يؤخذ من منطوق الآية ومفهومها.

ومن الأطراف أيضًا: اعتبارُ ضروب نظم الألفاظ التي أفادها التركيب، وهذا علم المعاني والبيان الذي هو أحد أقسام البلاغة التي هي: إيصالُ المعنى المقصود إلى القلب بأحسنِ ما يكون من اللفظ وأجودِه، وهي على وجوهٍ منها: البيانُ الذي من أقسامه الاعتبارُ، فإذا اعتبرنا قوله تعالى ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾: علمنا أنه أنعم عليهم وأحسن إليهم، ثم ننظرُ في معنى المنِّ على أحدِ وجوهه، فنعلم أنه سبحانه ابتدأهم بالإنعام بلا سؤال، ثم نعتبرُ وجوه إنعامه فنعلم أنها لا تحصى، كما جاء النصُّ بذلك في قوله تعالى: ﴿وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تحصوها﴾، وحينئذ يصير الفكر ملتفتًا إلى ذِكر ما منَّ الله به سبحانه على المؤمنين، فنسمع قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾، فيميل الفكر إلى هذا الرسول: ممن هو؟ فنجد قول الله عز وجل بيانًا لذلك: ﴿من أنفسهم﴾.

ثم نعتبر فائدة البعثة فنراها لجلب المنافع ودفع المضارِّ، وذلك مذكورٌ في هذه الآية الشريفة، فجلب المنافع في قوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وأما دفع المضار ففي قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾.

وإذا اعتبرنا قوله تعالى ﴿من قبلُ﴾: ظهر لنا أن الإيمان لم يحصل

للمؤمنين في الوجود الخارجي إلا من هذه البعثة، لقوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر في الكلام: اعتبار الوسائط بين القائل والناقل، وهذا علم الإسناد الذي هو من دين الإسلام، وبه حُفِظَت الشريعة، فلولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

ولا فرق بين الإسناد والسند عند الجمهور، وعند غيرهم: أن الإسناد رفع الحديث إلى قائله، وكأنه من أسند في الجبل: إذا صَعِد فيه وعلا على سفحه، والسند: الإخبار عن طريق المتن الذي من معانيه: ما صَلُبَ من الأرض وارتفع منها.

ويطلق على المتن: الخبر، والأثر، والحديث، فالجمهور يستعملون هذه الألفاظ بمعنى ما جاء من المروي مرفوعًا وغيرَ مرفوع، وقد فرق قوم بين الخبر والأثر، ففي اصطلاح الفقهاء الخراسانيين أن ما يُروَى عن الصحابة رضي الله عنهم يسمَّى بالأثر، والمرفوعَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم: بالخبر، كما حكاه عنهم من المتأخرين شيخ الإسلام أبو زكريا النووي وغيرُه[١].

وجاء عن آخرين تخصيصُ الخبر بما جاء غيرَ مرفوع، وإطلاقُ الحديث على المرفوع.

وجعل بعضهم بينهما عمومًا من وجه وخصوصًا من وجه آخر، فيطلق الحديث على الخبر، ولا يطلق الخبر على الحديث.

ومعنى الحديثِ لغةً في الأصل: ضدُّ القديم، ويطلق على الخبر قليلِه

---

(١) وأصل الحكاية لابن الصلاح في «مقدمته» الشهيرة آخر النوع السابع: الموقوف، فانظره فيه وفي «تقريب النووي» وغيره.

وكثيرِه، لأنه يحدُث شيئًا فشيئًا، فسمِّي حديثًا، وجمعه أحاديث، قال يحيى بن زياد الفرَّاء: نُرى أن واحد الأحاديث أُحدوثة، ثم جعلوه جمعًا للحديث، حكاه أبو نصر الجوهري(١).

وأما معنى الحديث اصطلاحًا: فالأقربُ أنه: نقلُ ما حَدَث من النبي صلى الله عليه وسلم قولاً له أو فعلاً، وبمعنى نَقْل ذلك الخبر والأثر، ولهذا استعملَ الجمهور الحديثَ والخبرَ والأثرَ بمعنى واحد.

وناقلُ ذلك: هو الوسائط التي اعتبارُها أحدُ الأطراف التي يتعلق بها النظر في الكلام.

وللوسائط شروط: أحدها: العدالة، بإجماع أهل العلم، كما حكاه أبو بكر الخطيب في «الكفاية» على أنه لا يقبل إلا خبر العدل(٢).

وأول شروط العدالة: الإسلام، وأجلُّ الأخبار أخبار الدِّين، ومعظمها الكتاب والسنة، وناقلوهما هم الوسائط.

ومأخذ ذلك من مفهوم هذه الآية الشريفة، لأنها وصلت إلينا مع جملة القرآن ـ ولله الحمد ـ بالإسناد الصحيح المتواتر المجمَع عليه بنقل الوسائط الثقات الضابطين، عن أمثالهم كذلك، حَتَّى إِلى النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم تلقَّى القرآنَ عن جبريل عليه الصلاة والسلام، عن رب العالمين عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾ وهي القرآن، تلقاه منه المؤمنون حين تلاه عليهم، وهم الصحابةُ خيرُ القرون، وأخذه عنهم التابعون، وهلمَّ جرًّا، حتى انتهى علم ذلك إلينا، وحصلت

---

(١) في «الصحاح» ١: ٢٧٨.

(٢) «الكفاية» ص٣٨.

بركاته لدينا، وفاضت أنواره علينا.

وأعلى الوسائط في ذلك: الصحابة رضي الله عنهم، وتعريفُ الصحابي فيه أقوالٌ، أجمعها: أن الصحابي مَن لقيَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في حياته، بعد المبعث، من المسلمين، ممن يعقل[1]، ثم مات مسلمًا.

وجميعُ الصحابة رضي الله عنهم عدولٌ، وهم على طبقات، من الأئمة مَن جعلهم خمسَ طبقات، كأبي عبد الله محمد بن سعد:

فالأولى: السابقون والبدْريون.

والثانية: أصحاب أُحُد وما بعدها من المشاهد.

والثالثة: أصحاب الخندق وما بعدها.

والرابعة: مُسْلِمة الفتح ومن بعدهم.

والخامسة: من لم يَغْزُ مع النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي عنهم وهم أطفال، منهم من له رؤية وبعضُ رواية، ومنهم من له رؤية فقط.

وجعلهم الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ثنتيْ عشْرة طبقة[2]:

أولها: من أسلم بمكة كأبي بكر والسابقين.

وآخرها: من له رؤية فقط[3].

---

(١) تقدم هذا التعريف في المجلس٢ ص٦٦، وتقدم التعليق على هذا القيد.

(٢) في «معرفة علوم الحديث» النوع السابع ص٢٢.

(٣) لفظ الحاكم: «صبيان وأطفال رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها، وعدادهم في الصحابة، منهم: السائب بن يزيد، وعبد الله ابن ثعلبة بن أبي صُعَير.. وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله»

=

والكلُّ يشملُهم اسم الصحبة، كما أن من لقيهم يقال لهم التابعون، ورتَّبهم مسلم بن الحجاج صاحب «الصحيح» على ثلاث طبقات على البلدان بعد ترتيب الصحابة(١).

فمن الطبقة الأولى من التابعين: كبارهم، وهم المُخَضْرَمون ـ بالخاء المعجمة على الصحيح وفتح الراء وحكي كسرها ـ واشتقاق هذا اللقب من قولهم: لحم مخضرَم ـ بفتح الراء ـ: لا يُدرى لحمُ ذكرٍ هو أم أنثى(٢).

وقيل: هو من الخَضْرَمة، وهي القطع، فكأن التابعي المخضرَم قُطِع عن أقرانه الذين لَقُوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فحصلت لهم الصحبة وفاتَه ذلك دونه، فالمخضرم: من أدرك الجاهلية والإسلام فلم يُسلِم إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو موسى محمد بن أبي بكر المَدِيني: فإن جماعة في أحياء

فأثبت لهم الرؤية ولم ينفِ الرواية. وعبارة المصنف تفيد نفي الرواية، مع أن أسماء من مثَّل بهم على ما يريد ـ وهم أربعة ـ ترجم لهم ابن حجر في «الإصابة» في القسم الأول، وهم من لهم رؤية ورواية، كما هو معروف، نعم لا أنفي الاختلاف في ذلك بين العلماء السابقين، كما هو واضح من كلام ابن حجر نفسه.

(١) في جزء خاص معروف باسم «الطبقات» وهو في عشرين أو ثلاث وعشرين ورقة، طبع في مجلدين كبيرين في ١٤٢٠ صفحة! وجعلهم رحمه الله على ثلاث طبقات، غالبًا.

(٢) «الصحاح» ٥: ١٩١٤ وغيره. وفي اشتقاقه وجوه أخرى، حكى منها في «لسان العرب» معنى الكثرة والسعة والجود، وتأويله في حقّ الرجل الذي هذا شأنه ما نقله ابن رَشيق في «العمدة» ١: ٢٣٤ عن الأخفش أنه قال: «يقال: ماء خِضْرِم: إذا تناهى في الكثرة والسعة، فمنه سمِّي الرجل الذي شهد الجاهلية والإسلام: مخضرمًا، كأنه استوفى الأمرين» ثم حكى القول المشهور فقال: «ويقال: أُذُن مخضرمة: إذا كانت مقطوعة، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام».

العرب كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا، فخَضْرَموا آذانَ إبلهم لتكون علامة لإسلامهم فلا يُغَار عليهم ولا يقاتَلون، فسمُّوا: مخضرِمين، وأصحاب الحديث يفتحون الراء. قاله في كتابه «التتمة»[١].

وقيل: المخضرم مَن أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يَرَه.

والقول الأول المشهور وعليه الجمهور: أن المخضرَم مَن أدرك الجاهلية والإسلام فلم يُسلِم إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

وقد ذكر مسلم بن الحجاج رحمة الله عليه المخضرَمين[٣] فبلغ بهم

---

(١) يريد: كتاب «التتمة لكتاب المعرفة» لابن منده، في معرفة الصحابة رضي الله عنهم، كما سيأتي ص٤٠٣، لا تتمة الغريبين لأبي عبيد الهروي.

(٢) وفي هذا الترجيح نظر طويل، ولم أره منقولاً صريحًا إلا عن الأصمعي، نقله عنه ابن قتيبة في كتابه «المعارف» ص٥٧٣. ويُشكل عليه ذكرهم أويسًا القَرَنيَّ في المخضرمين، وهو كان مسلمًا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، بل أثنى عليه ثناء عظيمًا فقال صلى الله عليه وسلم «إن خير التابعين أويس..» كما تراه في «صحيح» مسلم: أواخر كتاب الفضائل ٤: ١٩٦٨ (٢٢٤) وانظر الذي قبله وبعده.

نعم الذي رجَّحه العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٢٨٠ مطلق إسلام المخضرَم، سواء أكان إسلامه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ـ ولم يره ـ أم بعد وفاته عليه الصلاة والسلام. وهذا هو الذي ينضبط مع من ذكروهم من المخضرمين، فمثال الأول: أويس القَرَني ـ كما تقدم ـ ومثال الثاني: جُبير بن نُفير، قال العراقي: «أطلق المصنف ـ ابن الصلاح ـ ولم يقيِّده بحياته صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك أن مسلمًا رحمه الله تعالى عدَّ في المخضرمين جبير بن نفير، وإنما أسلم في خلافة أبي بكر. قاله أبو حسان الزيادي». لكن ذكر الإمام سبط ابن العجمي رحمه الله في «تذكرة الطالب المعلَم» جبير بن نفير هذا وقال: «أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم».

(٣) وكأن ذلك في غير كتابه «الطبقات» السابق الذكر، إما في جزء خاص، أو =

عشرين، وهم يزيدون على مئة وأربعين مخضرمًا، عُدّ منهم جماعة في الصحابة[١]، وهذه أسماؤهم مختصرة على حروف المعجم:

فائدة علَّقها في ورقة، وقف عليها الإمام الحاكم فنقلها في «معرفة علوم الحديث» ص٤٤ بتمامها، فذكروا أن لمسلم مؤلَّفًا مفرَدًا في المخضرمين. والله أعلم.

(١) حاصل عدد من ذكره المصنف /١٣٣/ مخضرمًا، والزيادة لم يذكرهم لترجيح جانب صحبتهم، مع أن فيهم من هو متفق على عدم صحبته، ولشيخ المصنف الإمام سبط ابن العجمي رسالة سماها «تذكرة الطالب المعلَم بمن قيل إنه مخضرم» ـ وهي مطبوعة ـ ذكر فيها /١٥١/ مخضرمًا، وعنده زيادة على المصنف: الأحنف بن قيس، وحسان بن عتاهية بن خزر، وسباع بن ثابت، والقاضي شُريح، وفراس الخزاعي، ومعمر بن كلاب. وذكر حابسًا اليماني، وعلبة بن زيد، ورجَّح صحبتهما. وكتابه «تذكرة الطالب» طبعه بحلب الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى عن نسختين: حلبية، مقروءة على المؤلف، ودمشقية بخط تلميذه نجم الدين بن فهد، وفي النسخة الدمشقية زيادة: عبد الله بن الحارث أخي القاضي شريح، ومالك بن الحارث الأشتر، وأسيد بن عمرو الدرمكي. ونقل الأستاذ الطباخ في تعليقاته على هذه الرسالة وعلى «التقييد والإيضاح» للعراقي ص٢٨٣ عن ابن حجر زيادة: شَبَثِ بن رِبْعي، وشعبة بن التوأم، ذكره الدارقطني في «المؤتلِف والمختلِف» ٣: ١٣٧٧ مع أن ابن حجر نفسه جعله في «الإصابة» ـ القسم الرابع ـ تابعيًّا، وقبله ابن أبي حاتم في «الجرح» ٤ (١٦٠٥).

قلت: وعند المصنف خمسة لم يذكرهم سبط ابن العجمي، وهم: ضبة بن مِحْصَن، وعمرو بن عبد الله الوادعي، ومالك بن أوس بن الحَدَثان، ومسعود بن الحكم الزُّرَقي، وأبو عامر بن عمرو الأصبحي. ويزاد على هؤلاء جميعًا: أحزاب بن أسيد السَّمَعي، وقيس بن عُبَاد الضُّبَعي، وأبو الأسود الدؤلي، انظر تراجمهم في «التقريب»، وعبد الرحمن بن مُرَيْح الخولاني ارتآه أحمد شاكر في تعليقاته على «المسند» ١٠: ١٠٦، ويقال فيه: عبد الله ـ وانظر تسرُّع صاحب «السلسلة الصحيحة» ٣: ٤٦٠! ـ وسعيد بن حَيْوَة الباهلي، انظر «الإصابة» ٣: ٩٦، ١٦٦، ١٨٠، وحُمران مولى عثمان بن عفان، انظر «المعارف» لابن قتيبة ص٤٣٥.

=

أسلم مولى عمر، الأسود بن هلال المحاربي، الأسود بن يزيد النخعي، أمية بن الأشْكَر الجندَعي، أوس بن ضَمْعَج الحضرمي، أوس ابن مَغْراء الفُريعي، أوسط البَجَلي، أُوَيسٌ القَرَني، بشير بن يزيد ـ على خلاف في اسمه واسم أبيه[١] ـ ثُمَامة بن حَزْن القُشَيري، جُبَير بن نُفَير الحضْرمي، جُبَير بن الحُوَيرث القرشي، جُشَيْش الديلمي[٢]، جَعْدة بن هانىء الحضرمي، جُفَينة الجُهَني، الحارث بن عبد كُلال اليَمَامي، حارث ابن كعب، حازم بن أبي حازم أخو قيس، حُجْر بن العَنْبَس، حَنْظل بن ضرار، خافر[٣] بن التَّوْأَم الحِمْيري، خالد بن عمير العَدَوي، دَغْفَل بن حنظلة النسَّابة، ذُؤَيب بن كُلَيب الخَوْلاني، ذو عمرو اليَمَانيُ، ذو الكَلاع اليمانيُ، رِبعي بن حِراش، ربيعة بن زُرارة، رُحَيل بن زهير الجعفي، رُفَيع أبو العالية الرِّياحي، الزبير بن عبد الله الكِلابي، زِرّ بن حُبيش، زُرعة بن سيف الحِمْيري، زهير بن خيثمة، زياد بن جهور، زيد بن وهب الجهني،

ويمكن أن يذكر معهم التنوخي رسول هرقل، وحديثه في «المسند» ٣: ٤٤١، وهو الذي ألغز فيه الزركشي ما ألغزه المصنف في كعب بن عدي الآتي بعد ثلاث صفحات.

وقد اعتمد سبط ابن العجمي في زياداته على «التجريد» للذهبي، ويمكننا بعد التحرير والبحث الاعتمادُ لاستيعاب معرفتهم على القسم الثالث من كل حرف من تراجم «الإصابة» لابن حجر، فإنه خصصه للمخضرمين الذين ذكروا بين الصحابة وليسوا كذلك.

(١) يستخلص من كتاب سبط ابن العجمي أن الصواب: بشير بن يزيد، وقيل فيه: بشير بن زيد، ويزيد بن بشير، وجعله السبط ترجمتين تبعًا للذهبي في «التجريد».

(٢) في «الإكمال» لابن ماكولا ٢: ١٥٢: «جشيش بن الديلمي».

(٣) كذا بخطه، وعند سبط ابن العجمي وابن حجر في «الإصابة» ٢: ١٥١ القسم الثالث: خُنَافِر.

سعد بن إياس أبو عمرو الشَّيباني، سِعْر الكناني، سعيد بن حَيْدَة القُشَيري، سعيد بن وهب الخَيْواني، سفيان الدُّؤَلي، سليم بن عامر، سُوَيد بن غَفَلَة، سيف بن ذي يَزَن والدُ زرعةَ المذكورُ قبلُ، سيف بن مالك الرُّعَيْني، شُبَيل بن عوف الأحمسي، شُتَير بن شكَل، شداد بن الأزمع، شُرَحبيل بن عبد كُلال، شربة بن عبد الله[1]، شَهْر بن باذام، الصُّبَيُّ بن مَعْبَد، صَعْصعة بن صُوحان، ضَبَّة بن مِحْصَن الغَنَوي، ضغاطر الأُسْقُفُّ، طَريح بن سعيد الثقفي، طُفَيل بن زيد[2]، عابس بن ربيعة، عبد خير بن يزيد الخَيْواني، عبد الله بن ثُوَب أبو مسلم الخولاني، عبد الله ابن خليفة الهَمْداني، عبد الله بن أبي رُهْم اليماني، عبد الله بن سَخْبرة أبو معمر، عبد الله بن سلَمة الهَمْداني ـ بفتح اللام من سلمة ـ، عبد الله بن سلِمة ـ بكسر اللام ـ المرادي، عبد الله بن عُكَيم الجُهَني، عبد الله بن عَمِيرة، عبد الله بن هانىء الكندي، عبد الله بن فَضَالة الليثي، عبد الرحمن ابن عُسَيلة أبو عبد الله الصُّنَابحي، عبد الرحمن بن غَنْم الأشعري، عبد الرحمن بن مَلّ أبو عثمان النَّهْدي، عبد الرحمن بن النعمان، عبد الرحمن بن يَرْبُوع، عبيد بن شَرِيم ـ وفي اسمه ونسبه خلاف[3] ـ

---

(١) كذا بخطه في اسمه ـ بالباء الموحدة ـ واسم أبيه، وفي «الإصابة» ٣: ٢٢٤: شَرْيَة بن عبيد بن قليب، وقال: «بفتح أوله، وسكون الراء، وفتح التحتانية».

(٢) قال السبط: «أتت عليه أيام عمر مئة وستون سنة، لكن سنده ساقط».

(٣) ترجمه الحافظ في «الإصابة» ٥: ١٠٢ ـ القسم الثالث ـ وسماه عبيد بن شَرِيَّة الجرهمي، وذكر أنه يقال فيه: عمير بن شرية، وأعاده فيمن اسمه عمير فقال ٥: ١٢٢: «تقدم في عبيد بن شبرمة» والذي تقدم: عبيد بن شرية، لا: بن شبرمة، ولا أستطيع الجزم بأنه تحريف، مع ما هو معلوم من حال طبعات هذا الكتاب! لأنه جاء عند سبط ابن العجمي أيضًا: عبيد بن شريم، وقيل: عمير بن شبرمة، فهل هذا توارد على التحريف المطبعي، أو أنه كذلك؟!.

عَبِيدة بن عمرو السَّلْماني، عديّ بن عمرو الطائي، عُقْبة بن النعمان العَتَكي، عُلْبة بن زيد، علقمة بن قيس النخعي، عمران بن مِلْحان أبو رجاء العُطَارِدي، عمر بن مالك الزهري، عمرو بن الأسود العَنْسي، عمرو بن ثُبَيٍّ، عمرو أخو أبي ثعلبة الخُشَني، عمرو بن سعد الهُذَلي، عمرو بن عبد الله الوادعي، عمرو بن ميمون الأَوْدي، عُمَير الهَمْداني، غُنَيم بن قيس المازني، فَنَّج اليماني، فيروزُ الوادعيُّ مولاهم، قَبيصة بن جابر، قيس بن أبي حازم، قيس بن عمرو أبو زيد، كعب بن عدي العِبادي[١]، كعب بن سُور، كعب الأحبار، كعب بن يسار بن ضِنَّة، لَهَب ابن الخندق[٢]، مالك بن أوس بن الحَدَثان[٣]، مالك بن عامر الوادعي، مالك بن عمير الحنفي، مُحْرِز القصاب، المختار بن أبي عبيد الكذاب، مركبوذ الفارسي، مُسْتَظِلّ بن حصين، مسروق بن الأجدع، مسروق بن الحارث، مسعود الثقفي، مسعود بن حِراش أخو رِبْعيّ، مسعود بن الحكم الزُّرَقي، مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، معاذ بن يزيد، مِعْضَد بن يزيد، مَعْرور بن سُوَيد، منظور بن زَبَّان، نَضْلة بن ماعز، النعمان بن بُزُرج، النعمان بن حميد، نُفَيع الصائغ، النَّمِر بن تَوْلَب، نَهار بن الحارث، هانىء المخزومي، هَوْذَة، يزيد بن الأسود، يزيد بن ضرار، يُسير بن عمرو، أبو أمية الشَّعْباني، أبو تميم الجَيْشَاني، أبو ذُؤَيب

---

(١) ترجمه الحافظ في القسم الأول في «الأصابة» ٥: ٣٠٥ وانظر ما سيأتي قريبًا.

(٢) هكذا جاءت بالقاف واضحة بخطه، وهو كذلك في المصادر الأخرى إلا «أسد الغابة» ٤: ٥٢٦ (٤٥٤٠) ففيه: الخندف، ومن عادة ابن الأثير رحمه الله أن يضبط مثله، لكنه لم يضبطه.

(٣) ذكره في «الإصابة» في القسم الأول ٦: ١٨، وقال في «تقريب التهذيب» (٦٤٢٦): «له رؤية».

الهُذَلي، أبو شداد الذِّماري، أبو شدادٍ آخَرُ، أبو صُفْرة والد المهلَّب، أبو عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عِنَبة الخَوْلاني، أبو عمرو السَّيباني اسمه زرعة، أبو فالج الأنْماري، ابن عبس[١]، ابن عفيف، أُنَيْسة النخعية، معاذة زوج الأعشى التي نَشَزَت عليه.

هذا ما تيسر مِن ذكر مَن عُدّ في المخضرمين.

ومن الغرائب في هذا الباب، ونذاكر به الأصحاب: أن مسلمًا من المسلمين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم سماعًا منه مشافهةً ورؤيةً له، ومع هذا فليست له صحبة؟!.

هذا هو كعب بن عدي بن حنظلة[٢] العِبادي الحِيري أحدُ وَفْد أهل الحِيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم[٣].

---

(١) إن كان هو صاحب الحديث الذي في «المسند» ٣: ٤٢٠، ٤: ٧٥: فالظاهر أنه صحابي، ذكر حديثه أحمد في «المسند» وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» ٦: ٣٤٢، وفي حديثه يقول ابن عبس: «.. فقدمنا مكة فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج».

(٢) «حنظلة» ثبت في نسب كعب عند ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤: ٤٨٢، وليس في «الإصابة» ـ القسم الأول ـ ٣: ٢٩٨، وهو نقله عن ابن يونس.

(٣) وسيأتي أنه تنوخيٌّ، وثمة تنوخيٌّ آخر، سَبَق الزركشيُّ المصنفَ، فألغز فيه ما ألغزه المصنف في هذا، وهذا التنوخي الآخر هو رسول هرقل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قدم عليه الصلاة والسلام تبوك، فبعث برسالته إلى هرقل مع دحية الكلبي، فقرأها على قومه فنخروا نخرة رجل واحد، فتألَّفهم وخاف على ملكه، ثم كتب كتابه وأرسله مع التنوخي هذا وقال له: «احفظ لي منه ثلاث خصال: انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليَّ بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل، وانظر في ظهره هل به شيء يَرِيبك» فرآها التنوخي من النبي صلى الله عليه وسلم كما يريد هرقل، ورجع إليه.

=

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن الذهبي، وآخرون مشافهةً بالإجازة، عن أبي نصر محمد[1] بن محمد بن أبي نصر الفارسي وأبي محمد القاسم بن المظفَّر الدمشقي قالا: أنبأنا أبو الوفاء محمود بن إبراهيم العبدي، أخبرنا أبو الخير محمد بن أحمد، قراءة عليه ونحن نسمع قال: أخبرنا أبو عَمرو عبد الوهاب بن محمد، أخبرنا

ثم إنه أسلم، وأقام بحمص، وعُمِّر حتى بلغ الفَنَد ـ الخرف ـ أو كاد، وكان جارًا لسعيد بن أبي راشد، فسأله سعيد عن حادثته هذه فقصَّها عليه، وأخرجها الإمام أحمد بسنده إلى سعيد ٣: ٤٤١، ثم أخرجها بنحوها ولده عبد الله ٤: ٧٤، ٧٥. وذكرها الهيثمي ٨: ٢٣٦ وساق لفظ أحمد وعزاه إلى عبد الله وأبي يعلى ووثق رجالهما.

وقوله «حتى بلغ الفند أو كاد»: في «المجمع»: حتى بلغ الفناء، وهو الهرم، ومنه قولهم للشيخ الكبير: الفاني، وفي «البداية» لابن كثير ٥: ١٥ من الطبعة الأولى، ٥: ١٤ من طبعة دار الكتب العلمية، و٤: ٢٧ من السيرة المفردة بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد: قد بلغ العقد أو قرب، وفي «دلائل» البيهقي ١: ٢٦٦: الفند، وأخشى أن يكون محققه تأثّر بما أمامه من طبعة «المسند» فترجم ما في المخطوطة التي أمامه منها. والله أعلم. وقد قال ابن كثير عن رواية أحمد: «حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد». وللتنوخي ذكر في «الإكمال» للحسيني ٥٧٩ (١٢٥٤)، وأعاد كلامه ابن حجر في «تعجيل المنفعة» ٣٥١ (١٤٧١)، وليس فيهما إلا أن سعيد بن أبي راشد يروي عنه، ومن الغفلة الفاحشة ما تجده في التعليق على «فتح المغيث» للسخاوي ١: ١٥٦ اعتماداً على تعليقة مضطربة في «تهذيب التهذيب» ٤: ٢٦!.

هذا، ولغز الزركشي رحمه الله في «النكت على ابن الصلاح»، وقد نقله عنه الأبياري في «نيل الأماني على مقدمة القسطلاني» ص٢٩.

(١) كذا بخطه هنا، مع أنه تكرر باسم: عمر، وهو الصواب، انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» ٣: ١٨٩.

والدي أبو عبد الله محمد بن إسحاق الحافظ[١]، أخبرنا أحمد بن مِهران الفارسي، أخبرنا عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عُفَير، عن أبيه.

قال محمد بن إسحاق أيضًا[١]: وأخبرنا عبد الرحمن بن أحمد، حدثني محمد بن موسى المصري، عن إبراهيم بن أبي داود أنه كان في كتاب عمرو بن الحارث بخطه: حدثني يزيد بن أبي حبيب، أن ناعمًا أبا عبد الله ـ هو ابن أُجَيل ـ حدثه، عن كعب بن عدي أنه قال: كان أبي أُسْقُفَّ الحِيرة، فلما بُعِث محمد صلى الله عليه وسلم قال: هل لكم أن يذهبَ نفرٌ منكم إلى هذا الرجل فيسمعوا من قوله، لا يموتُ غدًا فتقولون: لو أنا سمعنا من قوله، وقد كان على حق؟! فاختاروا أربعةً فبعثوهم، فقلت لأبي: ألا أَنطلقُ معهم؟ قال: ما تصنعُ؟ قلت: أنظر.

فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نجلس إليه إذا صلى الصبح ونسمع كلامَه والقرآنَ ولا يُنكِرنا أحدٌ، فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيرًا حتى مات صلى الله عليه وسلم. فقال الأربعة: لو كان أمره حقًّا لم يمتْ، انطلِقوا. فقلت لهم: كما أنتم حتى تعلموا من يقوم مكانه فينقطعَ هذا الأمر أو يتمَّ، فذهبوا ومكثتُ أنا لا مسلمًا ولا نصرانيًّا، فلما بَعَث أبو بكر رضي الله عنه جيشًا إلى اليمامة ذهبتُ معهم، فلما فرغوا من مسيلِمة ورجعوا مررت براهبٍ فَرَقيتُ إليه فدارستُه فقال لي: أنصرانيٌّ أنت؟ قلت: لا، قال: فيهوديٌّ أنت؟ قلت: لا، قال: ما بلغ علم احدا يقع هذا علمك[٢].

قال: فذكرت له محمدًا صلى الله عليه وسلم فقال: نعمْ هو مكتوب، قلت: فأرِنيه، فأخرج سِفْرًا ثم قال: ما اسمُك؟ قلت: كعب، قال: لا

---

(١) هو ابن منده.

(٢) لم تتضح لي هذه الجملة، والخبر في «أسد الغابة» ٤: ٤٨٢ إلا هذه الجملة.

أدري ما كعبٌ، أَرِني شِبْهه، قال: فنزلت فالتمستُ كعبًا[١] حتى وجدته، فجئت به فقلت له: هذا اسمي، قال: نعم. [قلت:] [٢] فأُريد أتعرّفُ صفتَه ونعتَه، ففتح فقرأتُ فعرفتُ صفةَ محمد ونعتَه، فوقع في قلبي الإيمان فآمنت حينئذ وأسلمت، فمررت على الحِيرة فعيّروني.

ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه فقدمت على عمر رضي الله عنه، فبعثني إلى المقوقس، وذكر بقية الحديث.

عبد الرحمن بن محمد شيخُ محمد بن إسحاق الحافظ: هو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى[٣].

ورواية شيخه الأول سعيد بن كثير بن عُفَير أدرجها ولم يبيِّن طريقه فيها، وهي ما قال سعيد بن عُفَير: حدثني عبد الحميد بن كعب بن علقمة بن كعب ابن عديّ التَّنُوخي، عن عمرو بن الحارث بن علقمة بن كعب بن عدي التنوخي، عن ناعم بن أُجَيْل، عن كعب بن عدي قال: أقبلت في وفد من أهل الحِيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم انصرفنا إلى الحِيرة، فلم نلبث أنْ جاءتنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتاب أصحابي وقالوا: لو كان نبيًّا لم يمت، فقلت: قد مات الأنبياء قبله، وثبتُّ على الإسلام، ثم خرجت أريد المدينة، وذكر بقية الحديث[٤].

---

(١) في «القاموس»: «الكعب: كل مَفْصِل للعظام، والعظم الناشز فوق القدم، والناشزان من جانبيهما».

(٢) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٣) المعروف بأبي سعيد بن يونس صاحب «تاريخ مصر» (٢٨١ ـ ٣٤٧)، إليه المرجع في معرفة المصريين والغرباء فيها والطارئين عليها، وجدُّه يونس هو ابن عبد الأعلى تلميذ الإمام الشافعي رحمهم الله تعالى.

(٤) رواه البيهقي في أواخر «الدلائل» ٧: ٢٧١، وذكره ابن كثير في «تاريخه» ٥: =

هذه الطريق فيها الدلالة على أن كعبًا له صحبة، وأنه أسلم على يدي النبي صلى الله عليه وسلم[١]. فالله أعلم.

* * * * *

١٧٨ من الطبعة الأولى و٤: ٥٥٤ من السيرة النبوية المفردة بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، وقال ابن كثير: «هذا أثر غريب، وفيه نبأ عجيب، وهو صحيح».

(١) وذكره الحافظ في القسم الأول من «الإصابة» وقال أواخر الترجمة: «كنت اعتمدت على قول ابن يونس وكتبته في المخضرمين، ثم رجح عندي ما في رواية ابن عُفَير فحوَّلته إلى هذا القسم الأول».

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ١٤ ـ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

الكلام في معاني القرآن هو أحد علومه المستنبطة من منطوقه ومفهومه، وأنواعُ علومِ القرآن كثيرةٌ، ترجع إلى أقسام ثلاثة خطيرة:

أحدها: معرفةُ تلاوته وإتقانُها مع تصحيح إعرابه وحسن أدائه.

والثاني: علم وجوه قراءاته وما صحَّ منها، كالسبعة المشهورة[١] وغيرها، وما لا تصحُّ، كالشاذّ وغيره.

والقسم الثالث: معرفةُ تفسيره واستنباطُ أحكامه ومعانيه، وبيانُ غريبه وحِكَمه وضروب نظمه وما فيه، وهذا القسم أجلُّ الأقسام، إذْ به تتضح شرائع الدين، من توحيد الله رب العالمين، ومعرفة الرسل الكرام، وبيان ما فيه من الأحكام والفَرْق بين الحلال والحرام، والترغيب في الخيرات، والترهيب من المخالفات، إلى غير ذلك مما لا يُستغنَى عن علمه، ولا يَسَعُ مسلمًا جهلُه مع وجود عقله وفهمه.

ومن هذا القسم الكلامُ على هؤلاء الآيات الشريفات.

---

(١) لعله يريد الشهرة بين الخاصة والعامة، وإلا فهي متواترة بالتعبير الاصطلاحي، ومثلها في التواتر ولا ريب: الثلاثة المتممة للعشرة، كما تقدم التنبيه إليه أول المجلس ١٢ ص٢٧٤.

فالمنُّ المشارُ إليه هو الإحسان، لأن المنَّ على وجوه، منها هذا، يقال: منَّ يَمُنُّ منًّا: إذا أحسن.

واختُلِف في المراد بالمؤمنين هنا فقيل: هم العرب، كما هو مرويٌّ عن علي بن أبي طالب وغيره(١).

وقيل: المراد المؤمنون مطلقًا، فهو عامّ.

والرسولُ المشار إليه هو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، لا خلاف في ذلك أعلمه.

وقوله ﴿من أنفسهم﴾ جمع نَفْس، والنفْس لها معانٍ، منها نفْس الإنسان وغيره، ومنها عينُ الشيء، ومنها العزَّة، ومنها العظمة، ومنها الهمَّة(٢).

فإن أُريد بالمؤمنين العربُ فمعنى ﴿من أنفسهم﴾: الولادة. قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ﴿من أنفسكم﴾(٣) قال: قد ولَدتموه يا معشر العرب.

وإن أريد بالمؤمنين كلُّهم: فيكون ـ كما قاله أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ـ: من أنفسهم بالإيمان والشفقة، لا بالنسب، كما يقول القائل: أنت نفسي. انتهى.

---

(١) سيأتي أول المجلس ٢٠ ص٤٠٥ تخريج المصنف له عن «تفسير» ابن مردويه ويَنقل هناك نصَّ علي رضي الله عنه.

(٢) ذكرها في «القاموس» وزاد عليها معاني أُخر، وانظر ما سبق ص٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٣) يريد الآية التي في آخر سورة التوبة ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم..﴾ والقول عزاه في «الدر المنثور» ٣: ٢٩٤ إلى ابن سعد، انظر «طبقاته» ١: ٢٤، ولابن عباس قول آخر نحو هذا ذكره في «الدر المنثور» قبل هذا القول، وعزاه إلى جماعة.

وقوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ معنى يتلو: يقرأ، يقال: تلوت القرآن إذا قرأتَه، كأنك أتبعت آيةً في إثر آيةٍ قراءة[١].

والمصدر التلاوة بالكسر ويقال: التُلاوة بالضم، لغتان.

والمراد بالآيات هنا ـ والله أعلم ـ القرآن.

ومعنى ﴿ويزكيهم﴾: أي يصلحهم، لأنهم بتلاوته القرآنَ عليهم أنصتوا له، فَزَكَوْا: صاروا صالحين لقبول ما يتلى عليهم فتعلَّموا ما أشار الله إليه بقوله تعالى: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ فتعلموهما علمًا وعملاً.

والكتاب: هو القرآن، والحكمة: لها معانٍ، منها: أن الحكمة ما يمنع من الجهل، ومنها: الإصابة في القول من غير نبوة، وأيضًا الحكمة: المواعظ والأمثال، فكل كلمة اشتملت على موعظة أو دعاء إلى مكْرُمة أو نهي عن قبيح فهي حكمة.

والحكمة أيضًا: العلم والفهم، وأيضًا القرآن، وأيضًا: تفسيره، وأيضًا: سنة النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً. وبهذا فسِّرت الحكمة هنا في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ أي: القرآن ﴿والحكمة﴾ أي: السنة.

روي عن ابن عباس وغير واحد، وحكاه الشافعي عمن يرضى من أهل العلم وقال به[٢].

وقوله تعالى: ﴿وإن كانوا﴾ أي: المؤمنون ﴿من قبلُ﴾ أي: من قبلِ بعثة هذا الرسول وهو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿لفي

---

(١) وفيه إشارة إلى لزوم مواصلة قراءة القرآن الكريم، لتكون القراءة الثانية تالية للأولى، لا متأخرة عنها.

(٢) «الرسالة» ٧٨ (٢٥٢).

ضلال﴾ وهو ضدُّ الهدى، وأشير به ـ والله أعلم ـ إلى الكفر الذي كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأصنام وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿مبين﴾ أي: ظاهرٍ لمن يعقله، كما أن جماعة ممن كان في الضلال قبل البعثة ظهر لهم ضلالهم من الإشراك فانتقلوا عنه إلى التوحيد، وبعضهم تحقَّق ضلاله وأنه ليس على شيء فأصرَّ عليه بعد الظهور. ﴿ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور﴾.

وآخرون من أهل الضلال استمروا فيه إلى البعثة فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ وهؤلاء الذين أحسن الله إليهم ودخلوا فيمن امتنّ عليهم بقوله تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾.

ووجوه المنِّ منَ الله تعالى في هذه الآية الشريفة كثيرةٌ:

١ ـ منها: بعثة هذا الرسول الذي هو سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٢ ـ ومنها: إحسانُ الله على المؤمنين المأخوذُ من قوله: ﴿إذ بعث فيهم﴾ ولم يقل: منهم، إشارة ـ والله أعلم ـ إلى رفع العذاب عنهم لقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

٣ ـ ومنها: قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾ فإن كان المراد الولادة فالنبي صلى الله عليه وسلم أتى بصلة الأرحام وأمر بها وحثَّ عليها، فلا بدّ من صلته لذوي رَحِمه، وقد حصل للمؤمنين منه صلى الله عليه وسلم من الإكرام والإنعام قولاً وفعلاً ما لا يحصيه إلا الله تعالى، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «من أحبَّ العربَ فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»[١].

---

(١) جزء من حديث ابن عمر رواه الطبراني في «الكبير» ١٢: ٤٥٥ (١٣٦٥٠)،
=

هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فمنه قوله في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلُّ سَبَب ونَسَب منقطعٌ يومَ القيامة إلا سببي ونسبي»[(١)].

والحاكم ٤: ٧٣، ٨٧، والبيهقي «الشُّعب» ٢: ١٣٩، ٢٢٩ (١٣٩٣، ١٦٠٦) = ٣: ٥٦٣ (١٣٣٠)، ٤: ٢٣٩ (١٤٩٣)، وفي «دلائل النبوة» له ١: ١٧١، ١٧٢، وغيرهم في كتب الضعفاء، وهو ضعيف، وفي إسناده محمد بن ذكوان، انظر ترجمته عند العقيلي ٤: ٣٦٥ (١٦١٨)، وابن عدي ٦: ٢٢٠٦، والذهبي في «الميزان» ٣: ٥٤٢ (٧٥٠٦)، و «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢٦١٧).

(١) هذا الحديث رواه أربعة من الصحابة: عمر، وابن عباس، وابن الزبير، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة رضي الله عنهم، وقد اشتهر عن عمر من بينهم، وبعض طرقه صحيح بانفراده.

أما حديث عمر: فقد رواه عنه ثمانية، منهم أربعة من الصحابة: الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهما، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعقبة بن عامر، ومن التابعين علي زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وأسلم مولى عمر، وعكرمة مولى ابن عباس.

١ـ فرواية الحسن بن علي عن عمر: أخرجها البيهقي في «الكبرى» ٧: ٦٤، ١١٤، وعزاها الحافظ في «التلخيص الحبير» ٣: ١٤٣ إلى ابن السكن في «صحاحه» من رواية ابن أبي مليكة، عن الحسن بن الحسن، عن أبيه، أن عمر خطب إلى علي ابنته أمَّ كلثوم...

وبهذا السند جاء في «مجمع البحرين» ٦: ١٦٢ (٣٥٣٨) لكن سقط منه قوله «عن أبيه» فبقي من رواية الحسن بن الحسن: أن عمر خطب إلى علي، وهو سَقَطٌ مطبعي. والله أعلم. وفي السند عندهم: سفيان بن وكيع بن الجراح، وهو ضعيف.

٢ـ ورواية عبد الله بن عمر عن أبيه: رواها الطبراني في «الكبير» ٣: ٤٥ (٢٦٣٤) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ١: ١٩٩ ـ وفيه يونس بن أبي يعفور، وهو صدوق يخطىء كثيراً ـ والبزار ـ «كشف الأستار» ٣: ١٥٢ (٢٤٥٥) ولم أره في أصله ـ وفيه عاصم بن عبيد الله، ضعفوه لسوء حفظه.

=

٣ـ ورواية جابر عن عمر: أخرجها الطبراني في «الكبير» ٣: ٤٥ (٢٦٣٥)، و«الأوسط» ـ كما في «مجمع الزوائد» ٩: ١٧٣، و «مجمع البحرين» ٦: ٣٣١ (٣٧٩٢) ـ وعنه أبو نعيم في «الحلية» ٧: ٣١٤، وقال في «مجمع الزوائد»: «رجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة» اعتماداً على توثيق ابن حبان له ٨: ١٨١، وهو كذلك.

٤ـ ورواية عقبة بن عامر عنه: أسندها الخطيب في «تاريخ بغداد» ٦: ١٨٢ في ترجمة إبراهيم بن مهران المروزي، وسكت عنه، ولم أر فيه جرحًا ولا تعديلاً.

٥ـ أما رواية علي زين العابدين عنه: فأخرجها الحاكم في «المستدرك» ٣: ١٧٢ وصححها، فتعقبه الذهبي بالانقطاع، أي: بين زين العابدين وعمر رضي الله عنهما، وعن الحاكم وغيره: البيهقي في «الكبرى» ٧: ٦٣ ـ ٦٤ وقال: مرسل حسن.

ويرى الدارقطني في «العلل» ٢: ١٨٩ (٢١١) أن ذكر علي زين العابدين في الإسناد شاذٌّ، والمحفوظ عدم ذكره؛ وكأن فيه نظرًا، لعدم انفراد ابن إسحاق بذلك.

٦ـ ورواية محمد الباقر عن عمر: أسندها سعيد بن منصور ١: ١٤٦ (٥٢٠)، وابن سعد ٨: ٤٦٣، وابن أبي عمر العَدَني، كما في «المطالب العالية» ٤: ١٧٧ (٤٢٥٨)، وهي أولى بالانقطاع من سابقتها.

٧ـ ورواية أسلم مولاه عنه: أسندها البزار في «مسنده» ١: ٣٩٧ (٥٧٤) من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، وأخرجها الطبراني في «الكبير» ٣: ٤٤ (٢٦٣٣)، ـ وعنه أبو نعيم في «الحلية» ٢: ٣٤ ـ من طريق الدراوردي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، ورجاله رجال الصحيح، كما في «المجمع» ٤: ٢٧٢. فهذه متابعة بين الدراوردي وعبد الله بن زيد. فقول البزار عقب الحديث: «لا نعلم أحدًا قال عن زيد بن أسلم، عن أبيه إلا عبد الله بن زيد وحده»: متعقَّب بما تراه.

٨ـ ورواية عكرمة: أخرجها عبد الرزاق في «مصنفه» ٦: ١٦٣ (١٠٣٥٤).

أما حديث ابن عباس: فرواه الطبراني ١١: ٢٤٣ (١١٦٢١)، والخطيب في «تاريخه» ١٠: ٢٧١، وقال الهيثمي عن إسناد الطبراني ٩: ١٧٣: «رجاله ثقات». وهكذا يقال في سند الخطيب.

وأما حديث ابن الزبير: فرواه الطبراني في «الأوسط» ـ «مجمع البحرين» ٧: ٢٢ (٣٩٦٣) ـ وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك.

=

وإن كان المراد بقوله ﴿من أنفسهم﴾: المؤمنين مطلقًا فلا يَعلم قدر ما حصل منه صلى الله عليه وسلم لأمته من النِّعم والألطاف والكرم إلا الله تعالى، فيا شَرَفهم بذلك! إذ هو صلى الله عليه وسلم روح المؤمنين وعزُّهم، والشفيق عليهم، والرؤف والرحيم بهم.

وفي الآخرة لمّا يوضع للأنبياء منابرُ من نور في عَرَصات القيامة فيجلسون عليها، ويبقى منبر النبي صلى الله عليه وسلم خاليًا لا يجلس عليه قائمًا منتصبًا بين يديْ ربه عز وجل، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيقول الله عز وجل: ما تريد أن أصنع بأمتك..» الحديث[1].

وأما حديث المِسْوَر بن مخرمة: فرواه أحمد ٤: ٣٢٣ ـ ومن طريقه الحاكمُ ٣: ١٥٨ وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقيُّ ٧: ٦٤ ـ ورواه عبد الله بن أحمد ٤: ٣٣٢ ـ وفي المطبوع جَعْله من رواية أحمد، وهو خطأ مطبعي ـ والطبراني ٢٠: ٢٥ (٣٠)، كلهم من طريق عبيد الله بن أبي رافع، عن المسور. وفي محمد بن عباد المكي، وأبي سعيد مولى بني هاشم كلام في حفظهما.

وهو عند الطبراني أيضًا ٢٠: ٢٧ (٣٣) من رواية أم بكر بنت المسور، عن أبيها. وقد ذكر الهيثمي في «المجمع» ٩: ١٧٣ ـ ١٧٤ هذه الرواية وقال: «فيه إبراهيم بن زكريا العَبْدَسي، ولم أعرفه» مع أنه من رجال «الكامل» لابن عدي ١: ٢٥٤، و«الميزان» ١: ٣١ (٩٠) و «اللسان» ١: ٥٨، وفيه جرح شديد. والعبدسي: نسبة إلى قرية تابعة لواسط، وتحرف إلى العبدي في طبعة «المعجم الكبير» وفي غيره فيصحح.

وهو من رواية أم بكر بنت المسور عن أبيها عند البيهقي ٧: ٦٤، وفي إسناده إسحاق بن محمد الفروي، وقد ساء حفظه لما كُفَّ بصره.

هذا، وقد عزا الحديثَ الحافظُ ابنُ حجر في «التلخيص الحبير» ٣: ١٤٣ إلى «زيادات عبد الله على مسند أبيه»، على أنه من حديث ابن عمر، فينظر.

(١) الحديث رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٦٠)، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ٢: ٥٩٨ (٣٥٠)، والطبراني في «الكبير» ١٠: ٣١٧ (١٠٧٧١)، =

٤ ـ ومن وجوه المنّ: تلاوةُ القرآن عليهم، وما في سماعه من اللفظ النبوي من الأجور.

٥ ـ ومنها: تزكيتُهم بالصلاح ظاهرًا وباطنًا.

٦ ـ ومنها: تعليمهم القرآنَ وما في ذلك من وجوه النعم، وكذلك تعليمُ السنة الشريفة، والطريقة العالية المنيفة.

٧ ـ ومنها: إنقاذهم من الضلال المبين. وكلٌّ ذلك من بعض النعم التي امتنَّ الله بها على المؤمنين، وهي في المؤمنين عامةً إلى يوم القيامة، فجميعُ ما نحن فيه من النعمِ والمنن ـ كالإيمان والقرآن ووجوه السنن وخيرات الدنيا والآخرة جزيلاً وقليلاً ـ من المنِّ الذي أشار الله إليه بقوله تعالى، وهو أصدق قِيلاً: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

٨ ـ ومن هذا المنّ المشارِ إليه في هذه الآيات: إيصالُ الكتاب والحكمة إلينا بالأسانيد المرويات، ومن إيصالِ الحكمةِ، الحديثُ الذي حُثّ فيه على الرحمة، الذي رَوَيناه فيما سبق، من طرق تسعِ مسلسلةٍ على نسق، وهذه طريق عاشرة، من طرقه المتصلة الفاخرة:

أخبرنا الشيخ المسنِد بقية ذوي الإسناد سليل الأمراء والأجناد

و«الأوسط» ـ «مجمع البحرين» ٨: ١١٩ (٤٨١٧) ـ، والحاكم ١: ٦٥ وقال: «صحيح الإسناد.. والحديث غريب في أخبار الشفاعة»، كلهم من حديث ابن عباس، وعندهم جميعًا في إسناده محمد بن ثابت البُناني وهو ضعيف. ولفظ الطبراني: «يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه ولا أقعد..» ولفظ ابن خزيمة والحاكم: «للأنبياء منابر من ذهب..».

وجواب النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ لربه سبحانه وتعالى: «فأقول: يا رب عجِّلْ حسابهم، فيدعى بهم فيحاسَبون..».

عبد الرحمن بن محمد التَّنْكِزِي بقراءتي عليه، وهو أول حديث سمعته منه بمنزلي من دمشق، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد المقرىء المفيد، وهو أول حديث سمعته منه وأنا حاضر، حدثنا الإمام أبو الحسين علي بن محمد ببعلبك، وأبو عمرو عثمان بن محمد بمكة، وهو أول حديث سمعته منهما، قالا:

أخبرنا أبو الحسن علي بن هبة الله الخطيب بالقاهرة، وهو أول حديث سمعناه منه، أخبرنا الإمام أحمد بن محمد الإسكندراني، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد اللغوي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الإمام عبيد الله بن سعيد البكري، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا حمزة بن عبد العزيز، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه بنيسابور، أخبرنا أحمد بن محمد البزاز، وهو أول حديث سمعته منه سنة ثلاثين وثلاث مئة، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

هذا حديث حسن، وقع لنا عاليًا، لكن من طرق غيرِ هذه الطريق من حيثُ العددُ بدرجة على هذه، وبدرجتين أيضًا، وهذا علوٌّ حسي، وهذه الطريق التي رَوَيناها علوُّها معنوي، لجلالة قدر رجالها ثقةً وعلمًا وحفظًا.

والحديث في «مسند» الإمام أحمد عن سفيان، لكنه غير مسلسل، كما أخرجه أبو داود في «سننه»، والترمذي في «جامعه» من طريق سفيان، وصححه الترمذي، لكن سفيان تفرد به عن شيخه عمرو بن دينار، وكذا تفرد به عمرو عن أبي قابوس، فهو من الأفراد ويعبَّر عنها بالآحاد، وبخبر

الواحد، وهو أحد أقسام الخبر.

لأن الخبر إما مقطوع بصدقه: كالمتواتر معنى أو لفظًا، وإما مقطوع بكذبه: كالمعلوم خلافُه ضرورةً أو استدلالاً أو نصًّا، وإما مظنونُ الصدق: لا يُقطَع بصدقه ولا يُجزم بكذبه، وهو خبر الواحد الذي ليس له راو غيره[١].

وعند الأصوليين خبر الواحد ما لم يبلغ حدّ التواتر، سواء رواه واحد أو اثنان فصاعدًا، وعلى هذا يدخل فيه المستفيض والمشهور، وذهب بعض الأئمة إلى أن خبر الواحد هو أحد القسمين الأوَّلين بالنسبة إلى نفس الأمر، فلا بدّ أن يكون خبر الواحد في نفسه صدقًا: فيكون من القسم الأول، أو كذبًا: فهو من القسم الثاني، لكن تقسيم الخبر إلى الثلاثة أقسامٍ بالنسبة إلينا.

وخبرُ الواحدِ الثقةِ معمولٌ به عند جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من المحدثين والفقهاء والأصوليين، وهو حجة من حجج الشرع يلزم العملُ به، ويفيد الظنَّ ولا يفيد العلم[٢]، وإن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل. قاله شيخ الإسلام أبو زكريا النووي[٣].

وقال مرة: وقد جاء الشرع بوجوب العمل به فوجب المصير إليه، وأما من قال بوجوب العلم به فهو مكابرٌ للحسّ، وكيف يحصُل العلم

(١) هذا تلخيص شديد لكلام الخطيب في أوائل كتابه «الكفاية» ص١٧.

(٢) أي: لا يفيد اليقين والجزم. والقولُ بإفادته العلم والجزم منسوب إلى بعض أهل الظاهر، وينسب إلى الإمام أحمد، ولا يصح، وليس عليه العمل والاعتماد عند علماء مذهبه. ومن يحاول إحياء هذا الشذوذ من المعاصرين فإنما يُقحم السنة في مخاطر. نسأل الله الهداية.

(٣) في «شرح مسلم» ١: ١٣١، ١٣٢.

واحتمالُ الغلطِ والوهم والكذب وغيرِ ذلك متطرِّقٌ إليه؟!.[١] انتهى.

وفيه التصريح بوجوب العمل بخبر الواحد الثقة، وعبّر بعضهم بالجواز وعليه ترجم البخاري رحمة الله عليه في «جامعه»: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق[٢].

وذكر أبو زكريا النووي رحمه الله أن القاعدة العظيمة التي ينبني عليها معظم أحكام الشرع وهو وجوب العمل بخبر الواحد[٣]، فينبغي الاهتمام بها والاعتناء بتحقيقها، وقد أطنب العلماء رحمهم الله في الاحتجاج لها وإيضاحها، وأفردها جماعة من السلف بالتصنيف، واعتنى بها أئمة المحدثين وأصول الفقه، وأول من بلغنا تصنيفه فيها الإمام الشافعي رحمه الله. انتهى[٤].

فلا يضرُّ تفرُّد سفيانَ بالحديث، ولا تفرد شيخه، فسفيانُ بن عيينة سفيانُ في العلم والجلالة والثقة والعدالة، وشيخه عمرو بن دينار أحد الأئمة النقاد الثقات الكبار، وقد تقدم[٥] أن سفيان قال مرة: حدثنا عمرو ابن دينار وكان ثقة ثقة ثقة ثقة، وحديثٌ أسمعه من عمرو أحبُّ إليّ من عشرينَ من غيره. انتهى.

وحديثه هذا رواه عن أبي قابوس ولا يعرف إلا بكنيته.

---

(١) في «شرح مسلم» ١: ١٣١، ١٣٢.

(٢) جاء هذا الباب أول كتاب أخبار الآحاد ١٣: ٢٣١، والإجازة معناها النفاذ وسَرَيَان المفعول.

(٣) كذا، ولو قال: هي وجوب..، لكان أولى.

(٤) «شرح صحيح مسلم» ١: ١٣٠ ـ ١٣١، وهو يشير إلى كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي رضي الله عنه.

(٥) صفحة ٢٨٣، وانظر التعليق هناك.

وقد أنبأنا المحقق أبو زكريا يحيى بن يوسف الزُّغَيبي أن الإمام أبا الحسن علي بن أيوب أخبره في يوم السبت ثالث عشر شوال سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، أخبرنا الإمام أبو محمد عبد الله بن مروان الفارقي وغيره قالوا: أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن النَّصْري[(١)] قال: وحدثني الثقة الحديثي أبو رَشِيْد بن أبي بكر قال: ذكر لي الحافظ أبو الفرج ثابت بن محمد المديني أن أبا قابوس اسمه المبرد، وجعل يتبجَّح به. قال أبو عمرو النصري: وليس هذا مما يركن إليه. انتهى.

وهو من موالي عبد الله بن عمرو بن العاص.

ومولاه عبد الله أسلم قبل أبيه، وكان اسمه العاصي كاسم جدِّه، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله[(٢)].

أما العاصي: فقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح[(٣)]: يقوله كثير من أهل الضبط حال الوصل بالياء جريًا على الجادّة، والمتداوَل المشهور حذف الياء، وهو مشكل على من استطرف من العربية ولم يُوغِل وربما أنكروه، ولا وجه لإنكاره، فإنه لغة لبعض العرب، شُبِّه فيها ما فيه الألف واللام بالمنوَّن، لما بينهما من التعاقب، وبها[(٤)] قرأ عدّة من القراء السبعة كما في

---

(١) هو الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى، كما تقدم أكثر من مرة، وهذا النص سيأتي ص٣٦٥، وانظر التعليق عليه، وضبط كنية شيخه: أبو رَشِيْد، من قلم المصنف.

(٢) «تاريخ» أبي زرعة الدمشقي ١: ٦٣٥ (١٨٤١).

(٣) غالب الظن أن هذا النقل عن الجزء الحديثي الذي كتبه ابن الصلاح رحمه الله في الحديث المسلسل بالأولية، وليس في «شرحه على صحيح مسلم» شيء.

(٤) أي: وبإثبات الياء مع أل التعريف، قرأ عدَّة من السبعة قوله تعالى: ﴿المتعالي﴾، وهي من الآية التاسعة من سورة الرعد، ولم أجد في كتب القراءات والتفسير نسبة هذه القراءة إلا لابن كثير المكي الذي هو أحد السبعة، وإلا ليعقوب
=

قوله: ﴿الكبيرُ المتعالِ﴾ وشبهِه. والله أعلم.

وما قاله ابن الصلاح يأباه كلام النووي فإنه قال: وأما العاصي فأكثر ما يأتي في كتب الحديث والفقه ونحوها بحذف الياء، وهي لغة، والفصيح الصحيح العاصي بإثبات الياء وقال: ولا اغترار بوجوده في كتب الحديث أو أكثرها بحذفها. والله أعلم(١).

وكلام ابن الصلاح أمتن وأبين.

هذا من بعض ما يتعلق بسند الحديث الذي هو الإخبار عن طريق المتن.

وأما فوائد متنه المستنبطة منه:

١ ـ فمنها: أنه كما الراحمون مَن في الأرض يرحمهم مَن في السماء مفيدُ لازمِه، وهو أن غير الراحمين لا يرحمهم الله، وقد جاءت الرواية مصرِّحةً بلازم الحديث، وذلك فيما روِّيناه من حديث أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن لم يَرحم مَن في

الحضرمي، وهو المقرىء الثامن. نعم، قال أبو حيان في «البحر» ٧: ٣٧٠: «وأثبت ابن كثير وأبو عمرو في روايةٍ ياء المتعال وقفًا ووصلاً، وهو الكثير في لسان العرب..» فهي رواية عن أبي عمرو بن العلاء أحد السبعة أيضًا.

ولاحظ قول أبي حيان «هو الكثير في لسان العرب» فالجمع بين أل والياء جائز ثابت في قراءات متواترة، وكثير في لسان العرب.

(١) هذا القول للنووي في «شرح صحيح مسلم» ١: ٧٧، لكنه قال رحمه الله في ٢: ١٦٤: «الفصيح في العاصي إثبات الياء، ويجوز حذفها، وهو الذي يستعمله معظم المحدثين أو كلُّهم». فجوَّز حذف الياء، مع أن قوله «الفصيح إثباتها» يفيد أن حذفها غير فصيح.

الأرض لم يَرحمه من في السماء»[١]، وأعمُّ منه حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي روِّيناه في «جامع الترمذي» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم»[٢].

٢ ـ ومن فوائد الحديث: الحثُّ على إغاثة اللهفان، وإعانة الحيران، وإفادة المستفيد، وإرفاد المستزيد، وحمل الكَلِّ، ونفع الكُل، والعفو عن القصاص بالجملة، والإحسان في القِتْلة، والمنع من المُثْلة، واستحباب تحديد[٣] آلة الذكاة لسرعة إزهاق الروح، ومواراتها حين إرادة الذبح عن المذبوح، وكفُّ الأذى عن جميع الأنواع، وصلة الأرحام حسبما ورد به السماع، وكل ذلك من الرحمة للخلق، التي أمر بها رسولُ الحقِّ.

٣ ـ ومن فوائد الحديث: أنه يدل على الرجاء، فهو من أحاديثه، لأن الله سبحانه وتعالى إذا كان يستجلب لعباده رحمة غيره كما أخبر عنه

---

(١) كأن الحديث بهذا الإسناد في «مسند» ابن أبي شيبة؟ وينظر «مصنَّفه» (٢٥٨٦٥ ـ ٢٥٨٦٧، ٢٥٨٧٢). وأقرب ما رأيته إليه إسنادًا ومتنًا هو ما في «المعجم الكبير» للطبراني ٢: ٣٥٦ (٢٥٠٢)، رواه من طريق مسدد، عن أبي الأحوص، به، لكن بلفظ: «ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء». وعنده برقم (٢٤٩٧) من وجه آخر عن جرير: «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء» قال المنذري في «الترغيب» ٣: ٢٠١ ـ ٢٠٢: «إسناده جيد قوي».

والحديث مروي عن جرير من وجوه كثيرة بنحوه، منها رواية مسلم ٤: ١٨٠٩ (٦٦) وغيره.

(٢) «سنن» الترمذي ٤: ٢٨٠ (١٩١١) وقال: حسن صحيح، لكن أبعد المصنف رحمه الله النُّجْعة في عزو الحديث إلى الترمذي فإنه في الصحيحين: البخاري ١٠: ٤٢٦ (٥٩٩٧)، ومسلم ٤: ١٨٠٨ (٢٣١٨)، وإسناد مسلم ومتنه مثل إسناد الترمذي ومتنه.

(٣) أي: إحدادها وجعلها حادَّة قاطعة بسرعة.

الصادق المصدوق بقوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن»: كيف لا يجود لهم برحمته سبحانه وتعالى.

٤ ـ ومن فوائده: أن جزاء الراحم من الله على المبالغة في الرحمة، لأن الراحم وصفٌ لا مبالغة فيه، والرحمن وصفٌ يدل على المبالغة في الرحمة، فكان معنى قوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن» أي: من رَحِم رُحِم أضعاف ما رَحِم، ثم الجزاء في الآخرة أضعافُ ذلك، لأن الراحم عنده من الرحمة جزء من الجزء الذي قُسم بين الخلق من مئة جزء من الرحمة التي يقسمها الله على عباده المؤمنين في الآخرة.

روِّينا من حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والإنسِ والبهائم والهَوَامّ. فَبِها يتعاطفون، وبها تعطف الوحش على ولدها؛ وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»(١).

---

(١) هذا اللفظ أقرب ما يكون لرواية مسلم ٤: ٢١٠٨ (١٩) لكن بغير هذا السند، أما السند: فنعم عند مسلم (١٨) وأحمد ٢: ٤٨٤، والترمذي ٥: ٥١٣ (٣٤٥١) ـ وقال: حسن صحيح ـ بلفظ: «خلق الله مئة رحمة، فوضع واحدة بين خلقه، وخَبَأ عنده مئةً إلا واحدةً». ورواه البخاري من وجه آخر ١١: ٣٠١ (٦٤٦٩). وانظر ص٤٢٦.

وفسَّر القرطبي ي «المفهم» ٧: ٨٤ كون الرحمة مئة جزء بـ «أن الله أظهر تقديره لذلك يوم أظهر تقدير السموات والأرض»، وهذا يُحتاج إليه إذا كان المراد بالمئة العدد المحدَّد، لا الكثرة، وأما على ما نقله الطيبي في «شرح المشكاة» ٥: ١٢٢ فلا حاجة إليه، ونصه: «قال التُّورْبِشْتي: رحمة الله تعالى غير متناهية، فلا يَعْتَوِرُها ـ أي: لا يدخل عليها ـ التجزئة والتقسيم، وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضرب للأمة مثلاً فيعرفوا التناسب بين الجزأين ويحيل لهم مثلاً فيفهموا به التفاوت بين
=

قال أيوب بن أبي تميمة السَّخْتِياني: إن رحمة واحدة قسمها سبحانه في دار الدنيا وأصابني منها الإسلام، إني لأرجو من تسع وتسعين رحمة ما هو أكثر من ذلك[١].

وكذلك قال سُليم بن عيسى[٢] أحد الأئمة القراء حين روى الحديث عن حمزة الزيات، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي هريرة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خلق الله مئة رحمة أنزل منها رحمة بين عباده، فَبِها يتراحمون وبها يتعاطفون، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ففضَّها على عباده» قال سليم: من رحمة واحدة أصابنا القرآن والإيمان وفَعَل وفَعَل، ألا نرجو نعمةً من أكثرَ من رحمة واحدة: الجنةَ؟!.

وقلت في معناه، أبياتًا ختامَ ما أمليناه، وهي:

إذا كان ربُّ الخلق أعطى عباده ... من الرحمة العظمى التي عمَّت الورى

فمن مئةٍ جزءًا تراحُمُ خلقِه ... به بينهم قسمًا قويمًا مسيَّرا

وأخَّر تسعًا بعد تسعين رحمةً ... ويُكْمِلُها يوم المعاد لتنشرا

القسطين...، ولم يُرد به تحديد ما قد جلَّ عن الحدّ، أو تعديد ما تجاوز العدّ».

ونقل ابن بطال في «شرحه» على البخاري ٩: ٢١٣ عن المهلَّب كلاماً فيه طول، ونقل الحافظ في «الفتح» ١٠: ٤٣٢ (٦٠٠٠) وقال: «حاصله: أن الرحمة رحمتان: رحمة من صفة الذات، وهي لا تتعدد، ورحمة من صفة الفعل، وهي المشار إليها هنا».

(١) ذكره البيهقي في «الشعب» ٢: ١٦ (١٠٣٩ مكرر) = ٣: ٢٥٤ (١٠٠٨).

(٢) هو تلميذ حمزة وشيخ خلف، وقد ذكره أول المجلس ٢ ص٥٩، والكلمة في «تاريخ بغداد» ٨: ٣٢٤، وثمة بعض أخبار سُليم.

ومن بعض ذاك الجزءِ توحيدُ ربِّنا أتانــا ودِنّــا خــيرَ ديــنٍ وأنــورا
فإنــا لنرجــو يــوم نلقــاه راحمًــا من التسع والتسعينَ أعلى وأكثرا

آخر المجلس ولله الحمد حمدًا كثيرًا دائمًا
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١٥ -

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران - آية ١٦٤].

الكلام على هذه الآية الشريفة من وجوه تقدم ذكر بعضها، وهي من علوم القرآن العظيم الذي لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، منها: علم أسباب نزوله، وقد صنَّف الأئمة فيه، فبعضهم أدخله ضمن تفسيره القرآنَ، وبعضهم أفرده بالتصنيف، وسببُ نزول القرآن بجملته هذا الرسولُ صلى الله عليه وسلم ببعثته.

وهذه الآيةُ الشريفةُ لها سببٌ في نزولها، وهو ظاهر، لكنه غامض، ولغموضه لم أرَ أحداً ذكره ممن صنف في أسباب نزول القرآن، ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري لم يذكره في كتابه «أسباب النزول».

والسببُ في نزولها: إعلامُ الله تعالى الأمةَ بإجابته دعوةَ إبراهيمَ الخليلِ عليه الصلاة والسلام، حيثُ قال فيما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فاستجاب الله تعالى هذه الدعوةَ، وبعث هذا الرسولَ كما دعا إبراهيمُ عليهما الصلاة والسلام، وأعلم الله تعالى هذه الأمة بإجابة الدعوة المشارِ إليها فقال تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ الآيةَ.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى إجابةِ هذه الدعوة الشريفة ـ قال فيما خرجه أبو القاسم الطبراني في «معجمه الكبير» من حديث أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ما كان بدءُ أمرِك؟ ـ فقال: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبشَّر بي عيسى، ورأتْ أمي أنه خرجَ منها نورٌ أضاءتْ له قصور الشام». وللحديث طرق خرَّجتها في كتابي «جامع الآثار»[١].

وفي الدعوةِ المشارِ إليها طلبُ التزكية بعد تعلُّم الكتاب والحكمة، وفي الإخبار عن الإجابة قدَّم التزكية قبل التعلُّم، وذلك ـ والله أعلم ـ أن متعلِّمي العلم على قسمين: صالحون وغير صالحين، والصالح يفيده التعليم، ويبعثه العلم على العمل أكثرَ من غيره، لصلاحه الذي كان متقدمًا على طلب العلم، ولما كان كذلك قُدّمت التزكية في هذه الآية قبلَ ذكر التعليم.

وفيه الإشارة ـ والله أعلم ـ إلى شرف هذه الأمة، ففي هذه الآية الشريفة حصولُ التزكية المطلوبة في آية الدعوة، ولكنها قبل التعلُّم ليكونَ أبلغَ في الفهم للعلم، وأسرعَ للعمل به. والله سبحانه أعلم بما أراد.

وكذلك في الآية الثالثة التي في سورة الجمعة: قدَّم الله تعالى الإخبار بالتزكية قبل التعلُّم فقال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

وفي آية الجمعة إشارةٌ إلى أن المؤمنين في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أنهم المؤمنون مطلقًا، لقوله تعالى في آية الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ والأميون صفةٌ لهذه الأمة وهم الذين

---

(١) وتقدم تخريجه أول المجلس السابق ١١ ص٢٥٠.

لا يكتبون، وقد صحَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنا أمةٌ أميةٌ لا نكتُبُ ولا نحسُبُ»[١].

واختلف في نسبتهم للأمية، فقيل: إلى الأم، لأن النساء غالبًا لا يكتبْن، ويَحتمِل أنهم نُسبوا إلى الأم لأنهم يَخرجون من بطون الأمهات[٢]، كما قال الله عز وجل: ﴿والله أخرجكُم من بطونِ أمهاتِكم لا تعلمون شيئًا، وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدة لعلكم تشكرون﴾.

فالأمي الباقي على أصل ولادة أمه له: لم يقرأ ولم يكتب.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري الزَّجَّاج: الأُميُّون الذين لا يكتبون، الذين هم على ما خُلقت عليه الأمة قبل تعليم الكتاب. قاله في كتابه «معاني القرآن»[٣] وذَكَر أنَ أول مَن تعلَّم الكتاب من العرب ثقيف[٤]، تعلموه من الأنبار، ولم يعرِّج الزجَّاج على غيره، لكنْ أولُ من خطَّ بالقلم مطلقًا من بني آدم إدريسُ النبي عليه الصلاة والسلام، فيما رَوَيناه في الحديث الطويل عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا، خرَّجه أحمد ابن حنبل في «مسنده» وأبو حاتم ابن حِبان في «صحيحه» وغيرهما[٥].

---

(١) رواه البخاري ٤: ١٢٦ (١٩١٣)، ومسلم ٢: ٧٦١ (١٥)، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) لعل الأولى أن يقول: نسبوا إلى الحال التي يخرجون عليها من بطون الأمهات.

(٣) ٥: ١٦٩.

(٤) أي: أهل الطائف «وذكر أهل الطائف أنهم تعلموا الكتابة من أهل الحِيرة وذكر أهل الحيرة أنهم تعلموا الكتابة من أهل الأنبار» هذا لفظ الزَّجَّاج، وصدَّره بقوله: «قيل..».

(٥) أصل الحديث في «المسند» ٥: ١٧٨ وغيره بإسناد ضعيف، وبعض جُمَله
=

وعلى قول ابن عباس وخلقٍ ـ وروي مرفوعًا ـ: «أول المخلوقات القلم خلقه الله تعالى فكتب بإذْنه في اللوح المحفوظ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة[(١)]».

تتقوّى، أما الجملة المرادة هنا فهي.. «وهو إدريس، وهو أول من خطّ بالقلم» رواها ابن حبان ٢: ٧٦ (٣٦١) وفي إسناده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني وقد وثقه ابن حبان ٨: ٧٩، وخرَّج حديثه في «صحيحه» كما ترى، ووثقه الطبراني في «معجمه الصغير» ١: ٢٧١ (٤٤٥، ٤٤٦) عند قول عائشة رضي الله عنها: لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء ما نرى لمنعهن المساجد، وقال صلى الله عليه وسلم: «القطع في ربع دينار فصاعدًا»، وكذبه أبو حاتم كما في «الجرح» ٢: ١٤٢ (٤٦٩)، وأبو زرعة كما في «ضعفاء» ابن الجوزي ١: ٥٩ (١٣٣)، والمنذري في خاتمة كتابه «الترغيب والترهيب» ٤: ٥٦٧.

وعلى كل: فعزو هذه الجملة إلى «المسند» غير سديد، وقد وقع هذا للسيوطي في «الأوائل» ١١٣ (٨٣٠)، وتبعه العجلوني في «كشف الخفاء» ١: ٢٦٧ (٨٣٤).

(١) الحديث رواه عبد الله بن عباس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم.

فحديث ابن عباس: رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» ١: ٥٠ (١٠٨)، وأبو يعلى ٣: ٧ (٢٣٢٥)، والطبراني في «الكبير» ١٢: ٦٨ (١٢٥٠٠)، وهو أول حديث في «أوائله»، والحاكم ـ مطولاً ـ ٢: ٤٥٤ وصحح إسناده على شرطهما ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٩: ٣.

وحديث عبادة بن الصامت: رواه الطيالسي ٧٩ (٥٧٧)، وابن أبي شيبة (٣٧٠٧٢)، وأحمد ٥: ٣١٧ من وجهين، وأبو داود (٤٦٦٨)، والترمذي ٤: ٣٩٨ (٢١٥٥) بقصته وقال: غريب، مع أنه كرره ٥: ٣٩٤ (٣٣١٩) ـ دون قصة ـ بالسند نفسه وقال: حسن غريب، وابن أبي عاصم ١: ٤٨ ـ ٥٠ (١٠٢ ـ ١٠٧). وإسناد الترمذي وأحد أسانيد ابن أبي عاصم من طريق الطيالسي.

ويحسن التنبيه إلى أن حديث ابن عباس عزاه الهيثمي ٧: ١٩٠ إلى البزار وقال: رجاله ثقات، ولم أره في «كشف الأستار»، ولا عزاه إليه الحافظ في «المطالب العالية» ٣: ٧٨ (٢٩٢٨) بل إلى أبي يعلى فقط.

=

وقد ذكر جمهورُ من صنف في الأوائل أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أول من كتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

أنبأنا أبو عبد الله محمد ابن الشرف محمد بن المحتسِب وآخرون، عن أبي الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحافظ، سماعًا في محرم سنة تسع وثلاثين وست مئة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني، في شوال سنة ثمان وتسعين وخمس مئة، أخبرنا أبو علي الحسين بن أحمد الحداد حضورًا، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد، حدثنا عمرو بن أبي الطاهر بن السَّرْح، حدثنا أبي، حدثنا موسى ابن عبد الرحمن الصنعاني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» سليمان عليه الصلاة والسلام[1].

وهذا من الأوائل التي هي من فنون الحديث، وقد عُنِي بجمعها جماعة من الحفاظ، منهم أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وأبو عَروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الحرَّاني، وأبو الفرج عبد الرحمن

ثم إن حديث عبادة عزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٦: ٢٥٠ إلى: «..الترمذي وصححه»، ويؤيده أن المزي في «التحفة» ٤: ٢٦١ (٥١١٩) نقل عنه قوله: حسن صحيح غريب. وينظر «فتح الباري» ٩: ٢٨٩ حول أول المخلوقات، و «البداية والنهاية» ١: ٦ ـ ٧، ويبدو من صنيع الإمام المحدث المؤرخ ابن الأثير في مقدمة تاريخه «الكامل» ١: ٦ أنه يقول بأولية خلق القلم.

(١) رواه الطبراني في كتابه «الأوائل» ١٤٧ (١٠٧٣) والسند المذكور له، وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، اتهمه ابن حبان بالوضع، انظر كتابه «المجروحين» ٢: ٢٤٢، وغيره.

ابن علي بن الجوزي، وغيرهم[١]. لكن لم يذكر واحد منهم في الأوائل المصنَّفة ما ترجمته: فلانٌ أول شيخ لقيه فلان فأخذ عنه، ولا: أن فلانًا أولُ من أخذ عنه فلان، ولا: هذا أول حديث سمعه فلان من فلان[٢].

ومن الثاني: ما قال أبو غسان مالك بن إسماعيل النَّهْديُّ سبطُ حماد ابن أبي سليمان: سمعت ابن عيينة يقول: أول من جاءني يطلب مني الحديث مِسْعَر.

وهذا فيه شرف لسفيان، لأن مسعرًا شيخُ سفيانَ الثوريِّ وسفيانَ بنِ عيينة وآخرين، وهذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر.

ومن الأخير ـ وهو أول حديث سمعه فلان من فلان ـ حديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لأنه مسلسل بقول كلٍّ من شيوخنا فمن فوقهم إلى سفيان عن شيخه: وهو أول حديث سمعته منه، ويقال لهذا الحديث: المسلسل بالأولية، وقد رَوَيناه من طُرُق عشرة، وهذه طريق حاديةَ عشْرةَ:

أخبرنا الشيخ المقرىء المحدِّث أبو المعالي عبد الله بن أبي إسحاق إبراهيم الزُّبيدي الفَرَضي، بقراءتي عليه وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا القاضي أبو العباس أحمد بن الجمال محمد بن أحمد الدمشقي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا الكمال أبو العباس أحمد بن أبي

---

(١) لم يذكر كتاب أبي هلال العسكري مع تقدم وفاته، ومما يذكر: «إقامة الدلائل على معرفة الأوائل» لابن حجر، وهو معروف، ذكره في «فتح الباري» ٦: ٣٩٠، وللسيوطي: «الوسائل في معرفة الأوائل» طبع مع كتاب الطبراني، وطبع قديمًا كتاب «الأوائل» لعلي دده البُوسْنَوي، وكانت وفاته سنة ١٠٠٧.

(٢) ولا: هذا أول حديث سمعته ببلد كذا، كما سيأتي في الصفحة الآتية في كلام ابن الصلاح.

الفتح بن محمود بن أبي الوحش الشيباني، سماعًا بجامع الكَرْك وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن عثمان النَّصْري[١]، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا الشيخ النبيه أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد الوهاب المعروف بابن المُعَزِّم الهمَذاني بها رحمه الله، وهو أول حديث سمعته منه وأول حديث سمعته بهمَذان، حدثنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد المعروف بابن الخيَّام من لفظه، وهو أول حديث سمعته منه حفظًا.

وبالإسناد إلى أبي عَمرو النَّصْري قال: وحدثنا الشيخ الأصيل أبو القاسم منصور بن عبد المنعم الفَراوي[٢]، وهو أول حديث سمعته منه إن شاء الله، حدثنا الإمام أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي، وهو أول حديث سمعته منه، قالا: حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزِّيادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد ابن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا

---

(١) هو الإمام ابن الصلاح رحمه الله، وشيخه ابن المُعزِّم انظر ترجمته في «التكملة» لتلميذه الإمام المنذري ٢: ٢٤٦ (١٢٣٦)، و«السِّيَر» ٢٢: ٢٠، وكانت وفاته سنة ٦٠٩، لا ٦٠٨.

(٢) نقل الإمام ابن الصلاح في «شرحه على صحيح مسلم» ص١٠٧ عن السمعاني في «أنسابه» ٤: ٣٥٦ أنه ضبط الفاء بالضم، ثم قال: «والشائع المعروف فتح الفاء، وهكذا ذكره لي شيخنا أبو القاسم الفراوي لما سألته عن ذلك»، واقتصر ياقوت على الفتح، ثم رأيت المصنف قال في «توضيح المشتبه» ٦: ٥٣: «جزم بالضم ابن السمعاني وغيره، وبالفتح آخرون، وهو الأكثر، فيما ذكره الصدر الحسن بن محمد البكري». ونحوه في «تكملة الإكمال» لابن نقطة ٤: ٥٥٠، وانظر ما سيأتي ص٣٣٥.

عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه ـ وعند ابن المُعَزِّم: من سفيان ـ عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو ـ وعند ابن المُعَزِّم: مولى لعبد الله ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وقال ابن المعزِّم: «أهلَ الأرض، يرحمكم من في السماء».

وأنبأناه أعلى من هذا بدرجة الحافظُ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المقدسي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن النَّصْري، وهو أول حديث سمعته منه، فذكره.

هذا حديث حسن خطير، رواه عن سفيان بن عيينة جمٌّ غفير، منهم عبد الرحمن بن بشر بن الحكم ـ كما تقدم ـ، وأبوه بشر بن الحكم، وأحمد بن حنبل، والحسين بن الحسن المروزي، وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وأبو بكر عبد الله بن أبي شيبة، ومحمد بن عباد المكي، ومحمد بن أبي عمر العَدَني، ومحمود بن آدم، ومسدَّد بن مُسَرْهَد، وهارون بن معروف.

وله طُرقٌ إلى كلٍّ من المذكورين وغيرهم، وله شاهدٌ عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وفي إسناده الذي رَوَينا الحديثَ به آنفًا: ما يدخل في قسم المؤتلِف والمختلِف أحدِ أنواع الحديث. فمن ذلك:

١ ـ الزُّبيدي، وهو بضم الزاي، وفتح الموحدة، يليها مثناة فوق ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، يليها ياء النسب؛ وهو نسبة إلى زُبيد الصغير، وهو منبِّه بن ربيعة بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن منبِّه، وهو زُبيد

الكبير ـ وإليه جماع زُبيد ـ بن صعْب بن سعدِ العشيرةِ بن مَذْحِج وهو مالك بن أُدَد[(١)].

وهذه النسبة تأتلف مع «الزَّبيدي» خطًّا، وتختلف معهُ نطقًا وضبطًا. فهذه بفتح الزاي، وكسر الموحدة، والباقي سواء، نسبة إلى زَبِيد، من أكبر بلاد اليمن.

٢ ـ ومن هذا القسم في الإسناد: أبو عمرو النَّصْري بنون مفتوحة، وصاد مهملة ساكنة، ثم راء مكسورة، يليها ياء النسب، وهو نسبة إلى جدّ له أعلى، فهو أبو عمرو عثمان بن أبي محمد عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نَصْر النصْري، وهو يأتلفُ مع «البصري» وضْعًا، ويختلف مع النُّطق سمعًا، فهذه النسبة بالموحدة، والباقي سواءٌ، نسبة إلى البصرة البلدِ المشهورِ بأرض العراق، وهي إحدى المدن الإسلامية لأنها مُصِّرت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبعَ عشْرةَ من الهجرة في قولٍ[(٢)]، قبل أن مُصِّرت الكوفة بسنة[(٣)].

---

(١) كأن المصنف ينقل كلام ابن الكلبي مباشرة، أو بواسطة السمعاني في «الأنساب» ٢: ١٣٥.

(٢) اعتمده السمعاني في «الأنساب» ١: ٣٦٣ (البصري) زاد: «وسكنها الناس سنة ثماني عشرة» ووصفها بأنها: «قبة الإسلام وخزانة العرب». لكن ذكر الطبري ٢: ٤٣٨ أنها بنيت سنة ١٤ ـ وعليه ياقوت عند كلامه عن البصرة ـ وعن سيف بن عمر أنها بنيت سنة ١٦. ومراد المصنف من قوله «إحدى المدن الإسلامية»: أنها بنيت في الإسلام، وهو واضح من تعليله: لأنها مصِّرت في خلافة عمر، وقد نقل السمعاني رحمه الله عن أحد شيوخه قوله: «لم يعبد الصنم قطٌ على أرضها».

(٣) في «تاريخ الطبري» ٢: ٤٧٧ أن الكوفة اختُطَّت سنة ١٧، وعن القاسم بن معن: أن الناس سكنوها آخر سنة ١٧، وعن غيره: أنهم سكنوها أول سنة ١٨.

وتناقض ياقوت ـ حسب المطبوع من «معجمه» ـ فقال: اختطت الكوفة سنة خطة

=

٣ ـ ومن هذا القسم في الإسناد: عبد الرحمن ابن المعزِّم الهمَذاني، ونسبته بالفتح محرّكًا وبالذال المعجمة إلى هَمَذان، إحدى بلاد عراق العجم في سفح أَرْوَنْد[١]، على خمسة عشر يومًا من بغداد، وهذه النسبة تأتلف مع الهَمْداني في الخطِّ وتختلف معه في الضبط، لأن هذه النسبة بالسكون والدال المهملة، نسبة إلى هَمْدان واسمه أَوْسلة بن مالك بن زيد ابن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كَهلان بن سبأ.

٤ ـ ومن هذا القسم في الإسناد الفُراوي بضم الفاء ـ على المشهور ـ[٢] وفتح الراء المخففة، يليها ألف، بعدها واو مكسورة لياء النسب، نسبة إلى بُلَيدة على ثَغْر خراسان قُرب الديلم مما يلي خُوارَزم يقال لها: رباط فُراوة، والعجم ينطقون بها فُراوُوه: بواوين الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، وهذه البُلَيدة بناها عبد الله بن طاهر أميرُ خراسان في خلافة المأمون.

وهذه النسبة تأتلف مع القَراوي كتابةً، وتختلف معه بتقييد أهل الإصابة[٣]، فإن هذه النسبة بالقاف المفتوحة، والباقي سواء، نسبة إلى قَراوا قريةٍ من قرى بيت المقدس[٤].

البصرة ١٧ من الهجرة ـ مع أنه أرَّخ سنة بناء البصرة: ١٤هـ، كما تقدم ـ وقيل: بعد البصرة بعام أو بعامين.

(١) هكذا صواب اسم البلد، راجع له ياقوت، وسبق قلم المصنف فكتبه باللام بدل الراء، لكن ضبطه كما ضبطته. قال ياقوت: هو: «جبل نَزِه خضِر نَضِر مطلّ على مدينة همذان..، وهم يعدّونه من أجلِّ مفاخر بلدهم».

(٢) بل انظر ما تقدم ص٣٣٢ وضبطُ الإمام الفراوي لها بالفتح أولى فإنها بلده.

(٣) هذا تأكيد من المصنف لضبط الفاء بالضم وتقدم ما فيه قبل أسطر، وفي ص٣٣٢.

(٤) في «معجم» ياقوت: «قراوى: قرية بالغَوْر من أرض الأردن..، وقرية من =

٥ ـ ومن هذا القسم في الإسناد: الزِّيادي، بزاي مكسورة، تليها مثناة تحت مفتوحة، ثم ألف، ثم دال مهملة مكسورة لياء النسب، نسبة إلى محلة بنيسابور يقال لها: ميدان زياد بن عبد الرحمن[1]، وهذه النسبة تأتلف مع الزَّبادي تسطيرًا، وتختلف معه نطقًا وتحريرًا، وهي بفتح الزاي، يليها موحدة مخفَّفة، والباقي سواءٌ، نسبة إلى بطن من ذي الكَلاع اسمه زَبَاد بن كعب بن حَجْر بن الأسود بن الكَلاع.

٦ ـ ومن هذا القسم في الإسناد: البزاز، بفتح الموحدة، وزايين، بينهما ألف، الأولى مشدَّدة، نسبة إلى عمل البَزِّ والتجارة فيه، وهذه النسبة تأتلف مع البزار نظرًا وشكلاً، وتختلف معه نطقًا وحلاً، وهذه بالراء آخره، نسبة إلى عمل دُهن بَزْر الكَتَّان وبيعه. والله أعلم.

وهذا من بعض فوائد إسناد الحديث الذي هو الإخبار عن طريق المتن.

وأما فوائد متنه: فكثيرة تقدَّم ذكر بعضها، ومما لم يُذْكَر:

١ ـ أن قوله صلى الله عليه وسلم «الراحمون يرحمهم الرحمن» إنْ كان معناه كلفظه ـ وهو الظاهر ـ فيكون إخبارًا أن الرحمن عزَّ وجلَّ يرحم الراحمين من عباده، ويَحتمِل أن معناه ـ وإن كان لفظُه لفظَ الخبر ـ الدعاءُ من النبي صلى الله عليه وسلم للراحمين، كما يقال: الله يغفر لفلان، وهذه إحدى مراتب ألفاظ الدعاء، وهي ثلاثٌ مرتَّبةٌ على الأفعال الثلاثة:

إحداها: بلفظ الطلب، كقوله: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة

أعمال نابلس يقال لها: قراوى بني حسان». فهما موضعان، ومع ذلك لم يذكره في كتابه «المشترك وضعًا والمفترق صقعًا».

(١) لذلك ينسب إليها: الميداني، ومنهم الميداني صاحب «مجمع الأمثال» المشهور. انظر «وفيات» ابن خلكان ١ : ١٤٨.

حسنةً وقِنَا عذابَ النار﴾.

والثانية: بلفظ الماضي، كقوله: غَفَر الله له، رحمه الله، رضي الله عنه.

والثالثة: بلفظ المستقبل، كقوله: يغفر الله له، ومنه الحديث على هذا الاحتمال: «الراحمون يرحمهم الرحمن».

والمراتب الثلاث جائزةٌ في الدعاء، وقد تعرَّض الإمام أبو العباس أحمد بن أبي العُلى إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يَلِّينَ الصُّنْهاجي المصري القَرَافي المالكي[1] في كتابه «الدعوات» إلى أن المرتبةَ الثانية أبلغُ من الأُخريين فقال:

الأدب الثامن: أن يكون الطلبُ بصيغة الماضي، فإن أصل الطلب أن يكون بصيغة الأمر، لكنْ ليس من لوازم الأمر حصولُ مأموره في الوجود؛ وأبلغُ من هذه الصيغة صيغةُ الخبر المستقبل؛ وأبلغ من هذه الصيغة صيغة الخبر الماضي؛ لأن الماضي شهد العِيان بوقوع متعلَّقه، بخلاف المستقبل، فكان التفاؤل بحصول المطلوب بهذه الصيغة أكثرَ. فقولنا لزيد: يُديم الله سعادتك، أبلغُ من قولنا: اللهم أدِمْ سعادتك، وقولُنا: أدام الله سعادتك، أبلغُ من قولنا: الله يديم سعادتك، وكان صلى الله عليه وسلم يحبُّ الفأل ويكره الطِّيَرة[2]، فيكون التفاؤل بلفظَيِ الخبر مطلوبًا شرعًا. انتهى.

---

(١) هو الإمام شهاب الدين القرافي المتوفَّى سنة ٦٨٤، المشهور بكتابه «الفروق» و «الذخيرة» و «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» وكلها طبعت. وكتابه الذي ينقل عنه المصنف سماه ابن فرحون في «الديباج المُذْهَب» ص٦٥: «المنجيات والموبقات في الأدعية، وما يجوز منها وما يكره وما يحرم».

(٢) هذا المعنى وارد كثيراً في كتب السنة، وهذا اللفظ أقرب الألفاظ لرواية =

وفي هذا نظر، لأن غالب الأدعية المأثورة بصيغة الطلب، فتكون هذه الصيغة أبلغَ وأكثر، لا كما قاله القرافي. والله أعلم.

٢ ـ ومن فوائد الحديث: أن لفظَ الصدر الأول من الحديث غيرُ لفظ الثاني، ومعناهما واحد، وهو أن من رَحِم يُرحَم، وهذا أحد الأقسام الثلاثة في باب اللفظ، وقد عَقَد سيبويهِ في «الكتاب»(١) بابًا لهذا فقال: «هذا باب اللفظ للمعاني. اعلمْ أن من كلامهم اختلافَ اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلافَ اللفظين والمعنى واحد، واتفاقَ اللفظين واختلافَ المعنيين. قال: فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو: جلس وذهب [واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب](٢) وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجَدتُ عليه ـ في الموجِدة ـ ووجَدتُ إذا أردتَ وُجدان الضالَّة. وأشباهُ ذلك كثير».

ولم يمثِّل سيبويهِ للقسم الآخَر من الثلاثة ـ وهو اختلاف اللفظين والمعنى واحد ـ وهو كقولك: ذراع، وساعد. ومن هذا القسمِ: الحديثُ، فلفظُ صدرِه ولفظُ عَجُزه مختلفان ومعناهما واحد: أن مَن رَحِم يُرحَم.

أحمد له ٢: ٣٣٢، وابن ماجه ٢: ١١٧٠ (٣٥٣٦)، وابن حبان ١٣: ٤٩٠ (٦١٢١)، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٢: ٢٢٣ (١٢٣٣): «إسناده صحيح، ورجاله ثقات». ولو قال: إسناده حسن لكان أولى، ففيه محمد بن عمرو بن علقمة وفي ضبطه كلام.

(١) ١: ٢٤.

(٢) زيادة من المصدر المذكور، وقد سقطت هذه الجملة من أصل المصنف من «كتاب سيبويه» لذلك استدرك عليه ما سيأتي، وتنبَّه لضرورة مراجعة الأصول أثناء النقل عنها أو أثناء تحقيق الكتب.

ويَحتمِل أن الرحمة لما كانت تصدر من المؤمنين والكفار، والله تعالى لا يضيع عمل عامل، أما المؤمنون فيجازيهم الله بثواب رحمتهم دنيا وآخرة، وأما الكفار فليس لهم في الآخرة من نصيبٍ، فيجازيهم الله بحسناتهم في الدنيا حتى يَلْقَوُا الله وما لهم حسنةٌ يجزوْن بها؛ فأولُ الحديث يتناولهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» فذكر (الرحمن) هنا لأن معناه ذو الرحمة الشاملة التي عمَّت المؤمنَ والكافرَ في الدنيا.

وآخرُ الحديث خاصٌّ بالمؤمنين، ولهذا خُوطِبوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء» ولم يقل: يرحمكم الرحمن[1]. والله أعلم.

٣ ـ ومن فوائد الحديث: الحثُّ على العمل بالعلم، ويؤخذُ هذا الحكم من قوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» فهذا إعلام للأمة من نبيها صلى الله عليه وسلم بأن الراحمين يرحمهم الرحمن، فحصل العلم بذلك، ثم حثَّهم على العمل به فقال: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء» فهذا وجهُ الحثِّ على العمل بالعلم من هذا الحديث، وهو من لطيف فوائده وما حواه. وقلت في معناه أبياتًا نختم بها ما أمليناه، وهي:

إذا سمعتَ حديثًا من أخي ثقـةٍ ... قيِّدْه خطًّا وضبطًا مـتقنَ الـسُّبُلِ
وإن يكن مسندًا في السمع أولُها ... مسلـسلاً عاليًـا ذا غايـةُ الأمـلِ
لأن من متنه تَـذكارَ رحمـة مـن ... هو الرحيمُ بنا الرحمانُ في الأزلِ

---

(١) لأن الاسم المناسب مع المؤمنين هو: الرحيم، كما قال عز وجل: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾. وقد تقدم بيان هذا من المصنف ص١٦١.

واعملْ بـه خالـصًا لله تـأتِ بـه إليك رحمتُه العظمى على عَجَلِ
من كان ذا عَمَلٍ بالعلم فهـو لـه جمالُ دينٍ ودنيا فـاعْنَ بالعمـلِ

آخر المجلس ولله الحمد حمدًا كثيرًا
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١٦ -

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

الكلام على هؤلاء الآياتِ، من عدَّة وجوه ظاهراتٍ وخفياتٍ، واستنباطُ معاني ذلك: بطريق الاعتبار الذي هو أحدُ أصناف البيان، والبيانُ أحدُ أقسام البلاغة، ولا فرق بين الصنف والقسم والنوع ونحوِها عند جمهور أئمة اللغة، وبعضُهم فرَّق بينها بفروق.

فالقسم: جزء من الشيء المقسوم، كدرهم من عشَرة دراهم. والصنف من الشيء: ما شاكل باقيَه، كالجَنِيب من التمر. والنوع من الشيء: ما قاربَ باقيَه في الشكل، كالأدهان المائعات أنواع. والجنس: ما شاكل غيره مشاكلةً ما، كالأقوات أجناس. والضَّرْب من الشيء: ما كان دونه كالرَّذَاذ من المطر(١). والشكل: ما شابه غيره وإن لم يكن من جنسه. والمِثْل: ما شابه الشيء من جنسه سواءً(٢). والنحْو: ما قاربه في المشابهة والقَدْر.

---

(١) في «القاموس»: هو «المطر الضعيف، أو الساكن الدائم الصغار القَطْر، كالغبار».

(٢) والأصل في معناه: المشابهة من جميع الوجوه، كما أفاده قوله «سواءً». وفي «الكليات» ص٨٥: «اعلم أن المِثْل المطلق للشيء هو ما يساويه في جميع أوصافه»، وبمعناه في «كشاف اصطلاحات الفنون» ٢: ١٣٤٢. لكن في الاستعمال قد يأتي بمعنى الشِّبْه، كما أفاده في «المصباح المنير» بقوله: «المثل: تستعمل على ثلاثة أوجه: بمعنى الشبيه؛ وبمعنى نفس الشيء وذاته؛ وزائدة» فأفاد أن هذا في الاستعمال، لا في أصل المعنى اللغوي. والله أعلم.

وظهور معاني ذلك إنما هو بالاعتبار الذي أشرنا إليه. واشتقاقه من: عَبَرتُ النهر، إذا سلكتَ من أحدِ شَطَّيه إلى الآخر، فاعتبرتَ عُمقه وما في قراره من سهوله أو غيرها بعبورك فيه.

وقيل: اشتقاقه من: عبَرتُ الدراهم، إذا عرفتَ وزنَ كلٍّ درهم منها، وهل هو جيد أو غيرُ جيد.

وقيل: من اعتبرتُ الكتاب، إذا قرأتَه في نفسك متدبِّرًا ما فيه لتفهم معناه، كما أشار إليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: إذا سمعتَ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فَارْعِها سمعَك، فإنه خيرٌ يأمرك به أو شرٌّ ينهاك عنه.

ومعنى الاعتبار يظهر من مثالٍ، وهو أن تسمع كلامَ مَنْ لم تَرَه يقول لآخرَ غائبٍ عن نظرك أيضًا: قمْ، فإذا اعتبرتَ كلمةَ «قم» علمتَ أن المأمور بالقيام لم يكنْ قائمًا، بل كان على حالة تخالف القيام، ثم تعتبر أن عاقلاً آمرًا لا يقول لمأمورٍ عاقلٍ «قم» إلا وثَمَّ للقيام معنىً، إما من جلب منفعة أو دفع مضرَّة، أو حالٍ توافق عقلَ الآمر والمأمور.

فإذا تقرر هذا: اعتبرنا الكلام من حيثُ هو فوجدناه يَشرُفُ من وجوه، منها: شرفُ قائله، وشرفُ المَقُولِ له، وشرفُ المقول فيه.

ومنها: بلوغُ الكلام نهايةَ الحسن وغايةَ البلاغة في أعلى مراتبها لفظًا ومعنىً.

وإذا اعتبرنا كلامَ الله القرآنَ: وجدناه كذلك، فلا أجلَّ ولا أعظمَ، ولا أمجدَ ولا أجود، ولا أكرم من قائله تعالى، وهو الله ربُّ العالمين وخالقُ الأنام.

والمَقُول له: هو نبينا محمد خيرُ الخلق وحبيبُ الحقِّ عليه أفضل الصلاة والسلام.

والمقولُ فيه: الشريعة المحمدية المطهَّرة الزكيَّة المشتمِلة على شريف الحكمة وسَنيِّ الأحكام.

وقد جمع الله تعالى في القرآن مع وَجَازة كَلِمِه، وإحكام نظمه، وقواعد علمه، وتناسب آياته، والتئام كلماته: أضعافَ ما في الكتب السابقة من الحِكَم والمواعظ والآيات، مع أنه معجزةٌ واحدة تحتوي على ألوف من المعجزات.

فهذا الاعتبار يُظْهِر شرفَ القرآن وأنه محتوٍ على علوم كثيرة. قال الله عز وجل: ﴿ما فرَّطْنا في الكتاب من شيء﴾.

ومأخذ علومه من وجوه: فباعتبار المراد من اللفظ: يُؤخذ ـ كما قدمناه قبلُ ـ من منطوقه أو مفهومه[١].

وباعتبار دلالة اللفظ على الطلب: يؤخذ من أوامره أو نواهيه، أو العامِّ المطلق، أو العامِّ المقيَّد ببعض صفاته، أو من الخاصّ.

وباعتبار كيفية الدلالة من خفَاء أو جَلاء: يؤخذ من مجملَه أو مبيَّنه.

وباعتبار الدلالة على ارتفاع حكمٍ وبقاء آخر: يؤخذ من ناسخه ومنسوخه[٢].

وإذا اعتبرنا علوم هذه الآياتِ وجدنا مأخذَها من هذه الوجوه.

فمن مفهوماتها باعتبار دلالة المفهوم[٣] التي اختُلِف فيها ـ كما قدمناه

---

(١) انظر بحث (المنطوق والمفهوم) في «جمع الجوامع» بشرح الجلال المحلي وحاشية العطار عليه ١: ٣٠٦ فما بعدها.

(٢) انظر أبحاث هذه الدلالات اللفظية في المصدر السابق حسب ترتيبها هنا: ١: ٤٦٤، ٤٩٦، ٢: ٣١، ٧٩، ٩٣، ١٠٠، ١٠٦.

(٣) أي: مفهوم الموافقة. انظر المصدر السابق ١: ٣١٨، ٣١٩، و «المستصفى» للغزالي ٢: ١٩٠ ـ ١٩١.

قبلُ[١] - هل هي دلالةٌ قياسية - كما هو المنقول عن الشافعي رحمه الله ورضي عنه وحُكي عن الأكثرين، فيما ذكره أبو القاسم عبد الكريم بن محمد ابن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن بن الحسين الرافعي رحمه الله -.

أو هي دلالة لفظية - كما ذهب إليه شيخ الشافعية أبو حامد أحمد بن أبي الطاهر محمد بن أحمد الإِسْفَراييني إمامُ أهل العراق، وذكر أنه الصحيح من المذهب؟ -.

فمن مفهوم الآيات: الإشارةُ إلى أقسام نِعَم الله تعالى، وهي - وإنْ كانت لا تحصى - فهي على ثلاثة أقسام كلُّها مأخوذٌ من هذه الآيات، فقسم أعيانٌ، وقسم أوصافٌ، وقسم معانٍ.

فمن الأعيان - وهو أجلُّها -: رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي منّ الله عز وجل ببعثته على المؤمنين، بل أنعم به على جميع المخلوقين، قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

ومن الأوصاف في هذه الآيات: نعمةُ الله على هذه الأمةِ أمةِ الإجابة حيثُ سمَّاهم المؤمنين، وخاطبهم في الكتاب المذكور في قوله تعالى ﴿ويعلِّمهم الكتاب﴾: بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾[٢].

وكذلك نعمتُه عليهم بالتزكية، من قوله تعالى: ﴿ويزكِّيهم﴾ فصارت الأمةُ به صالحين أمةً وسطًا عدولاً خِيارًا. قال الله عز وجل في الكتاب الذي علَّمهم إياه: ﴿كنتم خيرَ أمةٍ أُخرِجت للناس﴾.

ومن المعاني: علمُ الشريعة المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿ويعلِّمهم

---

(١) جاء هذا في مجلس فُقِد أولُه، فاضطررت إلى تأخيره، وانظر كلام المصنف وتخريج المسألة من مصادرها الأصولية صفحة ٢٧٦، ٤٨٩.

(٢) فمن نعم الله تعالى: أنه سمانا مؤمنين، ومنها: أنه أدخلنا تحت خطابه المشرِّف: يا أيها الذين آمنوا.

الكتاب والحكمة﴾.

ومن المعاني: عافيةُ المؤمنين من الكفر وتوابعِه، المشارِ إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وإنْ كانوا من قبلُ لَفي ضلال مبين﴾.

نعم، ومدارُ النِّعمِ على المؤمنين كلِّها على قطبين: نعمةٍ بالمسرَّة مقرونة، ونعمةٍ بالتطهير والتكفير مضمونة. وقد أشار إليهما أبو القاسم الجنيد بن محمد رحمة الله عليه فقال: لله عز وجل في السرَّاء نعمةُ التفضيل، وفي الضراء نعمة التطهير، فكنْ في السراء عبدًا شكورًا، وفي الضراء عبدًا صبورًا.

وما أشار إليه الجنيد رحمة الله عليه هو الإيمان.

رَوَى أبو منصور شَهْرَدار بن شِيرُويَهْ بن شَهْرَدار الهمَذَاني الدَّيلميُّ في «مسند الفردوس» من طريق يزيدَ الرَّقَاشي، عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «الإيمان نصفان: فنصفٌ في الصبر، ونصفٌ في الشكر». هذا ضعيف الإسناد، والمعروف غيرُ مرفوع، وهو من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ورُوِي أيضًا عن عامر بن شَراحِيل الشعبي قولَه[1].

فبين الشكرِ والصبرِ منازلُ الإيمانِ كلُّها، لأن العبد لا يخلو: إما أن يكون في نعمة، أو بلية، وعليه في كلٍّ فرضانِ، ففي النعمة: القيامُ بالشكرِ الحافظِ لها بالتقييد، والجالبِ لغيرها بالمزيد، والقيامُ بالصبرِ على سبب حفظها، والصبرِ عن ما يكون سببًا لزوالها.

وفي البلية: يلزمه الصبرُ عليها احتسابًا، والشكرُ لله عليها، فبالحقيقة بليَّةُ المؤمن إما تكون تطهيرًا و تكفيرًا، أو درجاتٍ وأجورًا.

---

(١) تقدم تخريج هذا القول مرفوعًا وموقوفًا ومقطوعًا صفحة ١٨٦.

فالقيامُ لله تعالى بالشكر والصبر لازمٌ في الحالتين، قال الله عز وجل: ﴿إنما يُوفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب﴾، وقال تعالى: ﴿وسَيَجزي الله الشاكرين﴾.

وإذا اعتبرنا نعمَ الله عز وجل المشارَ إليها بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ وعلِمنا أنها لا تُحصى، لورود النصِّ بذلك في قوله تعالى: ﴿وإن تَعُدُّوا نعمةَ الله لا تُحْصُوها﴾: يصيرُ الفكرُ ملتفِتًا إلى ذكر شيء من منِّ الله عز وجل على المؤمنين، فنعتبرُ الآية الشريفة فنجدُ مِن ذِكرِ المنِّ بعثةَ الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يميلُ الفكر إلى هذا الرسول: ممن هو؟ فنسمعُ قولَه تعالى: ﴿من أنفسهم﴾، ثم نعتبرُ ما فائدةُ البعثةِ؟ فنعلمُ أنها لجلب المنافع ودفعِ المضارِّ، فَيَسْمُو الفكرُ إلى ذكر بعض ذلك، فنسمع قولَه تعالى: ﴿يتلُو عليهم آياتِه ويزكِّيهم﴾ هذا من جلب المنافع. وقولَه تعالى: ﴿وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾ فَهِمنا أن الإيمان لم يحصل للمؤمنين المشارِ إليهم في الآية في الوجود الخارجي إلا من هذه البعثة.

وجلبُ المنافع ودفعُ المضارّ فيما يتعلَّق بأمور الدنيا وأمور الدين. فظهر بهذا الاعتبار أن النعمَ على قسمين: فنعمُ الله سبحانه وتعالى باعتبار وجوهها وصنوفها وسُبُوغها ظاهرًا وباطنًا، وتواترها ليلاً ونهارًا في كل حينٍ على جميع العالمين: لا توصفُ ولا تُعدُّ، ولا تُحصرُ ولا تحدُّ؛ وهي على ثلاثة أقسام باعتبار الأعيان، والأوصاف، والمعاني، كما تقدَّم بيانه.

وهي قسمان باعتبار جلب المنافع، ودفع المضارّ، وهي أيضًا قسمان باعتبار ما يتعلَّق بأمور الدنيا، وما يتعلَّق بأمور الدين.

ويرجع ذلك إلى قسمين أيضًا: نعمةِ المبدأ، والمعاد.

ولم يحصل العلم بذلك إلا من جهة هذا الرسول، وهو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي منّ الله عز وجل ببعثته على المؤمنين

وأرسله رحمةً للعالمين، وأنزل عليه كتابه الذي فيه ذكر المبدأ وما يتعلق به من أمور الدنيا، نحو قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين..﴾ الآية.

وقولِه تعالى: ﴿وأحلَّ الله البيع وحرَّم الربا﴾.

وما يتعلق بأمور الدين، كقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾.

وفي الكتاب ذكرُ المعادِ والحشرِ والنشر، والجزاء والقِصاص، والجنة والنار، وغير ذلك من أمور الآخرة.

والنعمُ في المبدأ و المعاد لا تُحصى، فبهذا الاعتبار أيضًا ترجع النعم إلى قسمين، كما تقدم، ثم باعتبار إيجاد الموجودات وخلْق الكائنات وما حصل بسبب ذلك هي نعمة واحدة أمُّ النعم وأصلُها، فكم تفرَّع منها من إنعام خاصّ وعامّ؟! وكم تشعَّب منها من أقسام لا يحصيها إلا المنعِم بها سبحانه وتعالى؟!.

ومن تأمل القرآن وتدبَّر ما ذُكر فيه من وجوه الامتنان والآلاء والإنعام: علِم ذلك علْم اليقين، وتحقَّق أن حمد الحامدين وشكر الشاكرين لا يبلغ الثناءَ كما ينبغي لرب العالمين، سبحانه ما أسبغَ إنعامَه وأوسعَ إفضالَه وإكرامه! وما ثَمَّ إلا الاعترافُ بالعجز والتقصير، عن شكر ربنا العلي الكبير.

وإلى هذا المقام أشار نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله في السجود والقنوت، مناجاةً لله الحيِّ الذي لا يموت: «لا أُحصِي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيت على نفسك».

أخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن المَرَاغي إذنًا عامًّا ـ وقرأته على أبي الحسن علي بن إسماعيل المؤذِّن وغيره، عنه سماعًا ـ أخبرنا علي بن

أحمد المقدسي، أخبرنا عمر بن محمد السَّلامي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن منصور، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ.

وأنبأنا يوسف بن عثمان العوفي وآخرون قالوا: أخبرنا أبو أحمد إبراهيم ابن محمد المكي كتابةً من مكة، أخبرنا عمٌّ أبي أبو يوسف يعقوب بن أبي بكر سماعًا، أخبرنا نصر بن أبي الفرج، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد العلوي النقيب، أخبرنا علي بن أحمد التُّسْتَري، قال هو والحافظ[١] ـ واللفظ له ـ أخبرنا القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا محمد بن أحمد بن عمرو أبو علي قال: حدثنا سليمان بن الأشعث[٢]، حدثنا محمد بن سليمان الأنباري، حدثنا عَبْدة، عن عُبَيد الله، عن محمد بن يحيى بن حَبّان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فَقَدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلة فَلَمَسْتُ المسجِدَ[٣] فإذا هو ساجد وقدماه منصوبتان يقول: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك».

تابعه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: أخبرنا عبدة بن سليمان، فذكره[٤].

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المذكور قبل ثلاثة أسطر.

(٢) «سنن» أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب في الدعاء في الركوع والسجود (٨٧٥).

(٣) ضبطوا الجيم بالفتح والكسر، قال العلامة عليٌّ القاري رحمه الله تعالى في «مرقاة المفاتيح» ٢: ٣٢١: «بفتح الجيم أي: في السجود، فهو مصدر ميمي، أو في الموضع الذي كان يصلي فيه في حجرته. وفي نسخة بكسر الجيم، وهو يحتمل مسجد البيت، بمعنى معبده، أو المسجد النبوي».

(٤) «مسند» إسحاق ٢: ٧٥ (١)، وعنه النسائي: كتاب الصلاة ـ باب نصب القدمين في السجود ١: ٢٣١ (٦٨٧) و ٤: ٤١٦ (٧٧٤٨).

هذا حديث صحيح، خرَّجه مسلم في «صحيحه»، وابن ماجه في «سننه» عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة، وخرَّجه النسائي عن محمد بن عبد الله بن المبارك المُخَرِّمي، ونُصَير بن الفرج، كلاهما عن أبي أسامة، عن عبيد الله بن عمر، به[١].

وجعله أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر في «أطرافه» من مسند أبي هريرة فوهِم[٢].

وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن التقي أحمد بن العزّ إذنًا مطلقًا ـ وقرأته على الثقة، عنه، سماعًا ـ وأخبرناه أبو اليسر أحمد بن عبد الله الأنصاري، وعبد الرحمن بن أحمد بن الموفَّق، وعمر بن محمد الملقِّن مشافهةً قالوا: أخبرنا علي بن أبي بكر الحرَّاني قالا: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد قراءةً عليه ونحن نسمع، أخبرنا حنبل أبو علي، أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد[٣] حدثني إبراهيم بن الحجاج الناجي، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عمرو الفَزَاري عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن علي

---

(١) «صحيح» مسلم: كتاب الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود ١: ٣٥٢ (٢٢٢)، وابن ماجه: كتاب الدعاء ـ باب ما تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢: ١٢٦٢ (٣٨٤١)، والنسائي في «الصغرى»: كتاب الطهارة ـ باب ترك الوضوء من مس الرجل امرأته بغير شهوة ١: ١٠٢ (١٦٩).

(٢) وسبق المصنفَ إلى توهيم ابن عساكر المزيُّ في «التحفة» ١٢: ٣٨٠ (١٧٨٠٧).

(٣) الحديث من «زوائد عبد الله» ١: ١٥٠، ورواه الإمام أحمد نفسه ١: ٩٦، ١١٨، كما سيأتي في كلام المصنف.

ابن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعوذ برضاك من سَخَطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصِي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك».

هذا حديث حسن من أفراد حماد بن سلمة، عن هشام بن عمرو الفَزَاري، وهشام ثقة ليس يروي عنه غيرُ حماد، فيما قاله يحيى بن معين[1]، وهو أقدمُ شيخٍ لحماد، فيما قاله أبو داود بعد أن خرَّج حديثه هذا في «سننه» عن موسى بن إسماعيل[2].

وخرجه الترمذي ـ مع تحسينه له وأنه من الأفراد ـ عن أحمد بن منيع، عن يزيد بن هارون[3].

وخرجه النسائي عن محمد بن عبد الله بن المبارك، عن سليمان بن حرب وهشام بن عبد الملك، وهو عند النسائي أيضًا عن إسحاق بن منصور، عن أبي الوليد هشام بن عبد الملك[4].

---

(١) ونحوه في آخر ترجمته التي في «التاريخ الكبير» للبخاري ٨: ١٩٦ (٢٦٨١) عن أبي جعفر الدارمي أحدِ نظراء أبي زرعة الرازي وأقرانه. وهشام ثقة، كما قاله المصنف، اعتمادًا على توثيق الأئمة المتقدمين، لا (مقبول) كما قاله ابن حجر في «التقريب» (٧٣٠٤)!.

(٢) كتاب الصلاة ـ باب القنوت في الوتر ٢: ١٣٤ (١٤٢٧).

(٣) كتاب الدعوات ـ باب في دعاء الوتر ٥: ٥٢٤ (٣٥٦٦) وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمة.

(٤) كتاب الوتر ـ ما يقول في آخر وتره ١: ٤٥٢ (١٤٤٤)، وكتاب النعوت ـ باب المعافاة والعقوبة ٤: ٤١٧ (٧٧٥٢). وطريق إسحاق بن منصور في: النعوت (٧٧٥٣).

وخرجه ابن ماجه عن أبي عُمر حفص بن عمرو، عن بهز بن أسد[١].
الخمسةُ عن حماد بن سلمة، به.

تابعهم شهاب بن مُعَمَّر بن يزيد بن بلال العَوَقي أبو الأزهر البلْخي، فيما علقه البخاري في «تاريخه الكبير» مختصرًا فقال[٢]: وقال شهاب: حدثنا حماد بن سلمة، فذكره بنحوه، وشهابٌ من شيوخ البخاري في كتاب «الأدب المفرد».

وحدَّث به الإمام أحمد في «مسنده»[٣] عن بَهْز بن أسد وأبي كامل ـ هو فُضَيل بن حسين الجَحْدري ـ، كلاهما عن حماد.

وحدَّث به أيضًا عن يزيد ـ هو ابن هارون ـ [٤] لكنه لم يسمِّ عليًّا بل قال: عن رجل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعوذُ برضاك من سَخَطك» وذكر الحديثَ.

ومن بعض معانيه: ما قال الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البُسْتي الخطابي: في هذا الكلام معنى لطيفٌ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قد استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سَخَطه، وبمعافاته من عقوبته. والرضى والسُّخْطُ ضِدَّان متقابِلان، وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة، فلما صار إلى ذِكْر مَنْ لا ضدَّ له ـ وهو الله سبحانه ـ استعاذ به منه لا غير.

ومعنى ذلك: الاستغفارُ من التقصير في بلوغ الواجب من حقِّ

---

(١) كتاب إقامة الصلاة ـ باب ما جاء في القنوت في الوتر ١: ٣٧٣ (١١٧٩).

(٢) في ترجمة هشام بن عمرو الفزاري ٨: ١٩٥ (٢٦٨١).

(٣) «المسند» ١: ١١٨.

(٤) رواية أحمد للحديث عن يزيد بن هارون هي في «المسند» ١: ٩٦، لكن فيه تسمية علي رضي الله عنه، فليحرر!.

عبادته والثناء عليه.

وقوله «لا أُحصِي ثناء عليك»: أي لا أُطِيقه ولا أَبلُغه[١].

وفيه: إثباتُ إضافة الخير والشر معًا إليه سبحانه. قاله في كتابه «معالم السنن»[٢].

وقال غيره: لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يستعيذَ من الأشياء بضدِّها، مثل أن تقول: وبحلمك من تعجيل عذابك، وبكذا من كذا، فلما كان التعدادُ يطولُ قال: «وأعوذ بك منك» أي: أعوذُ بما يصدُر منك من عفو ولطف، مما يصدُر منك من عقوبة ونقمة.

(١) ونقل كلام الخطابي بجملته النووي في «شرح مسلم» ٤: ٢٠٤ وزاد عليه في تفسير هذه الجملة فذكر معنى آخر لها، فقال: «وقال مالك رحمه الله تعالى: لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك». وقال الحافظ ابن حجر ـ كما في «النكت الوفية» للبقاعي ٤/ب رحمهما الله تعالى ـ: «أصل الإحصاء: أن العرب كانت إذا تفاخر منهم اثنان أخذوا حصًا، فكلما ذكر واحد منهم منقَبَةً لعشيرته أو نفسه ألقى حصاة، لأنهم كانوا غالبًا لا يكتبون ـ فإذا فرغوا المفاخرة عدوا الحصا، فمن كانت حصاه أكثر قَضَوْا له بالفخر والسؤْدد. قال البقاعي: قلت: ومنه قول الأعشى:

ولستَ بالأكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكاثر»

وأقول: هكذا جاء في الأصل المنقول عنه المقروء على مؤلفه الإمام البقاعي: الحصا بالألف الممدودة، مرتين، وفي الثالثة بالألف المقصورة، وهو جائز. انظر «جامع الدروس العربية» للغلاييني ٢: ١٦١، ويقول ابن الأنباري في آخر رسالته «عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء»: «كتابة الألف في اللفظ ألفًا في الخط هو الأصل، وكتابتها ياء هو الفرع».

(٢) «معالم السنن» ١: ٢١٤ من طبعة حلب، أو ١: ٥٤٧ من طبعة حمص مع «السنن» تحت رقم حديث (٨٧٩). ونحو هذا تجده في كتابه «شأن الدعاء» ص١٥٨.

وفسَّر الخطابي الإحصاءَ بالإطاقة له وبلوغه، كما تقدم.

وقوله صلى الله عليه وسلم «أنتَ كما أثنيتَ على نفسك»: فيه الاعترافُ بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه كما قال: لا يحصيه. وردَّ ثناءَه إلى الجملة دون تفصيل وإحصاء وتعيين، ووكَل ذلك إلى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً.

وكما أنه تبارك وتعالى لا نهايةَ لسلطانه وعظمته وتمجيده وعزته وجليلِ قدرته، فكذلك لا نهاية للثناء عليه، وكلُّ ثناء أُثنيَ به عليه ـ وإنْ كثُر وطال وبُولغ فيه ـ فقدرتُه تعالى أعظمُ ـ وسلطانُه أعزُّ، وأوصافه أكثر وأكبر، وفضلُه وإحسانُه أوسع وأسبغ.

ومما قلته في معناه، نجعله ختامًا لما ذكرناه وهو:

يـا ربِّ أنـت الله ربُّ الـورى	هَـدَيتَ أو أضـللت كـلٌّ إليـكْ
أنلـتَ كـلَّ الخلـق فـضلاً	كذا الإنفاقُ لا يَنْقُصُ ما في يديك
وكـلُّ وصـفِ حـسنٍ كامـل	صفاتُك الحسنى جـلالاً لـديك
أنـت كمـا أثنيـت حقًّـا علـى	نفـسك لا نحـصي ثنـاء عليـك

آخر المجلس ولله الحمد حمدًا كثيرًا

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١٧ -

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

تقدم(١) أن المنّ في كلام العرب له وجوه منها: الإحسان، وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أي: أحسن إليهم وأنعم بما ذكره عليهم. والمؤمنون: المصدِّقون، واحدهم مؤمن، وهو: مَن اعتقد بقلبه دينَ الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونَطَق بالشهادتين مع القدرة على النطق بهما، فهذا يُحكم بأنه من أهل القِبلة، ولا يخلَّد في النار، كما حكاه شيخ الإسلام أبو زكريا النووي عن اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين(٢).

ولا يُشترط في المؤمن الذي اعتقد بقلبه التوحيدَ ونطق بالشهادتين أن يقول مع ذلك حين يسلم: (وأنا بريءٌ من كل دِين يخالفُ دينَ الإسلام) إلا إذا كان من كفارٍ يعتقدون اختصاصَ رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى العرب، فهذا لا يحكم بإسلامه إذا نطق بالشهادتين...(٣).

---

(١) أول المجلس ٦ ص١٤٢ وغيره.

(٢) تقدم هذا والكلام الذي يليه أول المجلس ١٠ ص٢١٩، وتقدم تعليقًا تعقُّب ابن حجر المكي له.

(٣) الكلام غير متصل، وهنا نُقلةٌ من ٩٦/آ إلى ٩٦/ب.

ولا يقال إذا كان بُعث إلى الجن والإنس، فلمَ خُصّ بكونه من الإنس دون الجن؟ لأنا نقول: إن الله سبحانه وتعالى شرَّف نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنواع من الشرف لا يحصيها إلا اللهُ مانحهُ إياها، ومن وجوه شرَفه: أنْ جعله من الصنف الذي كرّمه، قال الله عز وجل: ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم﴾.

ومنها: أنه جعله سيدَهم، كما في ذلك الحديث الذي خرَّجه الترمذيُّ وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة..» الحديث[1].

بل أعمُّ من هذا: الحديثُ الذي رُوِّيناه في «مسند» الدارمي و «جامع» الترمذي ـ واللفظ له ـ وغيرِهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

(١) رواه الإمام أحمد أول مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ٣: ٢، والترمذي ٤: ٢٨٨ (٣١٤٨) وكرره ٤: ٥٤٨ (٣٦١٥)، وابن ماجه ٢: ١٤٤٠ (٤٣٠٨). وقال الترمذي في الطبعة التي أنقل عنها وهي التي ابتدأها الأستاذ أحمد محمد شاكر: حسن صحيح، ومثله في «فيض القدير» ٣: ٤٣، لكن في طبعة حمص للترمذي: حسن، فقط، ومثله في «تحفة الأشراف» ٣: ٤٦٨ (٤٣٦٧). وفي إسناده عندهم ابن جُدْعان، والترمذي يحسِّن له أحيانًا، ويحسن ويصحح له أحيانًا أخرى. انظر ما علقته على ترجمته في «الكاشف» (٣٩١٦).

على أن هذه الجملة الكريمة ثابتة في رواية غير أبي سعيد، ففي البخاري ٦: ٣٧١ (٣٣٤٠)، ومسلم ١: ١٨٤ (٣٢٧) من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة: «أنا سيد الناس يوم القيامة..».

وخَصَّ صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بالذكر مع أنه سيد الناس في الدنيا أيضًا «لظهور ذلك له يومئذ، حيث تكون الأنبياء كلهم تحت لوائه، ويبعثه الله المقام المحمود» قاله الحافظ في «الفتح» ٦: ٣٧٢.

ولئن كان في الدنيا منازع وجاحد، فإنه لا منازع ولا جاحد في ذلك اليوم العظيم، فهو (سيدنا) في الدنيا والآخرة.

جلس ناسٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال: فخرج، وذكر الحديث، وفي آخره قال: «وأنا أكرم الأولين والآخِرين ولا فخرَ»[1].

وقوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ فسَّر الجمهور (الآيات) هنا بالقرآن ثم أُعيد ذكره بالتعليم مقرونًا مع السنة في قوله تعالى: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ ليُعلَم أنه لا سبيل إلى معرفة الآيات التي هي القرآن إلا من قِبَل النبي صلى الله عليه وسلم بتعليمه إياه للمؤمنين. وتعليمُه على قسمين:

ـ تعليمُ تلاوته كما أُنزل، وهو المشار إليه بقوله تعالى ـ وهو أعلم ـ: ﴿يتلو عليهم آياته﴾.

والثاني: تعليمُ تفسيره ومعانيه التي يشملُها علم القرآن، وأُشير إليه ـ الله أعلم ـ بقوله تعالى: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة التي منها بيانُ ما في القرآن من الأحكام ونحوها إجمالاً وتفصيلاً.

ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا من قِبَل النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الله عز وجل: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ وهو عامٌّ في الصحابة ومَن بعدهم.

ولا طريقَ إلى معرفة الكتاب والسنة إلا بإخبار الصحابة، ولا إلى معرفة إخبار الصحابة إلا بما جاء عن التابعين، ولا وصولَ إلى ذلك إلا

---

(١) «سنن» الدارمي ١: ٣٩ (٤٧)، و «سنن» الترمذي ٥: ٥٤٨ (٣٦١٦) وقال: غريب، أي: ضعيف لضعف زمعة بن صالح الجَنَدي. لكن هذا المعنى ثابت بعموم فضائل وخصائص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبالشاهد الذي رواه الترمذي أيضًا ٥: ٥٤٦ (٣٦١٠) عن أنس مرفوعًا، وفي آخره: «وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» قال الترمذي: «حسن غريب» لكنه من رواية ليث بن أبي سُليم.

بالإسناد الذي هو من الدِّين، وهو من خصائص هذه الأمة[١]، فإن علم الدين هكذا أُدّيَ إلينا، فبلغنا بالإسناد درجةً بعد درجة حتى وصل علم ذلك إلينا، وحصلتْ بركاته لدينا، ولله الحمد.

وعلمُ الدين الذي اتصل، وحصل منه للمؤمنين ما حصل، هو علم الكتاب والسنة، أما علم الكتاب: فقال الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حَليم الحَلِيمي البخاري القاضي رحمه الله، قال[٢]: الإحاطة بعلم الكتاب كلِّه لم تكن إلا لمن أُنزل عليه صلى الله عليه وسلم، وأما الناس بعده فعلم الكتاب فيهم متفرِّق، ولا يُوجَد عند أحد منهم إلا بعضُه. وعلوم الكتاب كثيرة:

١ ـ منها: علم ألفاظه وما أريد به، وهذا هو الذي يقال له التفسير، ويدخل في هذا القسم ما اختُلِف فيه من القراءات ووجوهها.

٢ ـ ومنها: علم المكي والمدني منها، وأسباب التنزيل ومن نزل فيه، ومن نزل لأجله.

٣ ـ ومنها: علم المحاجّات فيه، فقد أودعه الله تعالى من البراهين والحجج ما إذا عُرفت حقَّ المعرفة لم يُحتج معها ولا وراءها إلى غيرها[٣].

---

(١) انظر لترسيخ هذا المعنى كتاب «الإسناد من الدين» لشيخنا العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، وفيه من طُرَف التحقيق وغُرَر الفوائد ما قلَّ نظيره في غيره.

(٢) «المنهاج» ٢: ١٨٧.

(٣) وقد كتب في بيان هذه البراهين وأساليبها شيخنا العلامة الأجل حافظ الكتاب والسنة الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى، كتابًا سماه «هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان»، وهو مطبوع في ٢٥٠ صفحة، يجد فيه القارىء ما يزيد قلبه إيمانًا ونورًا. ثم أتبعه بمجلد آخر سماه «هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم =

٤ ـ ومنها: علم الأحكامِ المبيَّنةِ فيه جملة وتفصيلاً، وتمييز الثابت منها والزائل.

٥ ـ ومنها: علم الأمثال المضروبة فيه، والوقوف على ما هي أمثالٌ له ودلائلُ عليه.

٦ ـ ومنها: علم الوعد والوعيد، والمدح والذم.

٧ ـ ومنها: علم القِصص وأنباء الأولين المذكورة للاعتبار بها وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتصبيره.

٨ ـ ومنها: علم ما جاء من الحثِّ على الاعتصام بالله تعالى، والالتجاء في النوائب إليه، والدلالة على وجوه الاحتراس من شياطين الإنس والجن.

٩ ـ ومنها: علم الإخبار بالعواقب، تبشيرًا للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتًا للمؤمنين.

١٠ ـ ومنها: علم إعجازه ومباينته في نظمه نظمَ الشعراء أو خطبَ الخطباء وبلاغة الكتَّاب البلغاء.

وما شيءٌ من هذه العلوم إلا ويوجدُ منه في السنة مثلُ ما يوجد في الكتاب، إلا الإعجازَ فإنه يَخُصُّ القرآنَ، وفيها ـ أي السنة ـ زياداتٌ كثيرة، لأن الله تعالى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم مبيِّنًا للكتاب ومعرِّفًا للناس منه ما لا يدركونه إلا بتبيانه، وأوحى إليه كثيرًا مما لا ذِكْر له في

والتفكر في الأكوان» طبعه في ٤٢٠ صفحة، تكلم عن عوالم السموات والنفس والروح ونحوها، وأتى بكل نفيس. جزاه الله خيرًا.

كما كتب قبله العلامة الفاضل أحمد حافظ هداية ـ أحد علماء الأزهر ـ كتابًا في ثلاث مجلدات سماه «الدين والعقل» أثنى عليه كبار علماء عصره وقرظوه له، منهم العلامة الكوثري والدِّجْوي وغيرهما، رحمهم الله تعالى، ولم أره.

الكتاب فبلّغه عنه، إلا أن ما ينتهى من سنته إلينا فقد تأتينا متواترة، وقد تأتينا مستفيضة غيرَ متواترة، وقد تأتينا من قِبَل الآحاد. قاله الحَلِيمي في كتابه «المنهاج».

وقال بعده[1]: ولا غِنىً بالمفتي عن دراية الأكثر الأظهر من عامّة ما وصفنا، فإنْ شذّ عنه بعد الطلب الحثيث والعناية الشديدة بعضٌ مما ذكرنا: فلا عليه، ولكنه لا يحلُّ له أن يعتمد ما يراه مثبَتًا في كتب العلماء ويشهدَ على أنه سنة حتى يسمعها ممن يرويها له، ويحدِّثه إياها بإسناد متصل منه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون نَقَلَتُها عدولاً.

انظروا إلى قول الحليمي رحمة الله عليه «لا يحل له» ما لازمُه! فقد ذهب الحليمي إلى أنه يحرمُ على مَن يعتمد حديثًا عملاً به أو استدلالاً ويسميه سنَّة، دون سماعه مِن عدل يرويه متصلاً عن مثله إلى منتهاه.

وحكى الحافظ أبو بكر محمد بن خَيْر بن عمر بن خليفة الأَمَوي ـ نسبة إلى بلد أَمَو ـ اللَّمْتُوني المتوفَّى سنة خمس وسبعين وخمس مئة بقرطبة، حكى في «بَرْنامجه»[2] الاتفاق على نحو ما قاله الحَلِيمي فقال:

---

(١) ٢ : ١٨٨.

(٢) المطبوع المعروف باسم «فهرست ابن خير» وكلامه الآتي تجده ص١٦ ـ ١٧، وقد وافقه الحافظُ العراقي من حيثُ الجملة في أول شرحه «طرح التثريب» ١ : ١٧، لكن لفظ الحليمي: لا يحل الاعتماد والشهادة، ولفظ ابن خير: لا يصح القول، أما العراقي فقال: غير سائغ.

وللزركشي رحمه الله كلام حول مذهب ابن خير هذا، فيما كتبه على مقدمة ابن الصلاح ٤٥/آ، ومما قاله: «ليس فيه اشتراط ذلك ـ أي أن يكون عند العامل بالحديث أو المحتج به رواية به ـ بل تحريم الجزم بنسبة القول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتحقق أنه روي في كتب الروايات». ففرّق بين العمل بالحديث، وبين روايته.

=

وقد اتفق العلماء رحمهم الله على أنه لا يصح لمسلم أن يقول: قال رسول لله صلى الله عليه وسلم كذا، حتى يكون عنده ذلك القول مرويًا ولو على أقلِّ وجوه الروايات.

فعلى هذا: لا يحلُّ لأحدٍ أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا حتى يسمعه بشرطه المذكور.

والأحاديث النبوية المتصلة برواية العدول على أقسام:

منها: غرائب الصحاح، وقد أفرده بالتصنيف الحافظ الضياء أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله[١].

ومنها: تفرُّد الثقة بحديث له شواهدُ، كالحديث الذي رُوِّيناه فيما مضى من إحدى عشْرة طريقًا، وهذه طريقٌ ثانيةَ عشْرةَ:

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الحاسب بقراءتي عليه، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن نحلة الدمشقي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا العماد أبو الحسن علي بن عبد العزيز السُّكَّري، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الحسن علي بن هبة الله اللَّخْمي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد

ثم إنه أفرد المسألة بجزء نقل عنه السيوطي في «البحر الذي زخر» ١٣٦/ب فما بعدها، كما أفرده من المعاصرين حافظ المغرب السيد محمد عبد الحي الكتاني بجزء أيضًا سماه «رفع الإصر ودفع الضيِّر، عن إجماع الحافظ أبي بكر بن خير» كما سُمي في ترجمته أول «فهرس الفهارس» ص٢٤، وسماه هو في الكتاب المذكور ١ : ٨٢ «رفع الضير» وقال: «انظر فيه بسط ما له وما عليه». ولم يطبع بعد.

(١) قال الحافظ في «النكت على ابن الصلاح» ١ : ٣٦٨: «في الصحيحين قدر مئتي حديث، قد جمعها الحافظ ضياء الدين المقدسي في جزء مفرد»، فهو في غرائب الصحيحين لا الصحاح مطلقاً. والله أعلم.

الحافظ، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا جعفر بن أحمد اللغوي، وهو أول حديث سمعته منه ببغداد، أخبرنا عبيد الله بن سعيد السِّجْزي بمكة، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز بنيسابور، هو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمْكم من في السماء».

وأنبأناه عاليًا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المقدسي، عن الحافظ أبي محمد عبد المؤمن بن خَلَف الدِّمياطي، أخبرنا أبو بكر محمد ابن الحسن بن عبد السلام، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد، وهو أول حديث سمعته منه، فذكره.

هذا حديثٌ حسنٌ عالٍ من أفراد الثقات، ولهذا ـ والله أعلم ـ صححه الترمذي في «جامعه» حين حدَّث به من غير تسلسل عن محمد ابن أبي عمر العَدَني، عن سفيان. تابعه أحمد بن حنبل في «مسنده»[(١)] وجماعة عن سفيان، عن عمرو بن دينار المكي التابعي الجليل. [وهو] [(٢)] روى عن عدَّة من الصحابة منهم ابن عباس، وجابر، وابن عمر، وابن عمرو، وأبو شُرَيح الخُزاعي.

---

(١) انظر تخريجه من هذه المصادر وغيرها في المجلس الأول. وقول المصنف «صححه الترمذي»: فيه تجوُّز، والأولى حكاية لفظ الترمذي: حسن صحيح. انظر ما كتبته ص١٥٨ من دراسات «الكاشف» للذهبي.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة مني.

وهذا غير عمرو بن دينار البصري قَهْرَمانِ آل الزبير الراوي عن سالم ابن عبد الله بن عمر، ضعيف[١].

وهما غير عمرو بن دينار الكوفي، يكنى أبا خَلْدة من شيوخ سيف بن عمر صاحب كتاب «الفتوح» و «الردة»[٢]، وهذا من المتفِق والمفترِق أحدِ أنواع الحديث، وقد أفرده غير واحد بالتصنيف، منهم الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، فجمع فيه كتابًا حافلاً.

وأمثلُ الثلاثةِ وأقدمُهم عمرو بن دينار المكي التابعي راوي هذا الحديث عن أبي قابوس.

وأبو قابوسَ في الكنى ثلاثة، لا رابع لهم فيما أعلم، إلا ما جاء في قول الراجز:

لقـد ولـدت أبـا قـابوسَ رَهْـوٌ ... أَتـومُ الفـرج حمـراءُ العِجـان

أما الثلاثة فصحابيٌّ مختلف فيه، وتابعي، وجاهليٌّ قبلهما، وهو أبو قابوس النعمان بن المنذر ملكُ الحِيرة، ذكره بهذه الكنية الخليل بن أحمد في كتاب «العين»[٣] ولم يذكُره من صنَّف في الكنى ممن وقفت على كناهم، كمسلم بن الحجاج صاحب «الصحيح»، والنسائي صاحب «السنن»، وأبي أحمد الحاكم، وابن منده، بل ولم[٤] يذكره الذهبي في كتابه «المقتنى»، وكأنهم لم يذكروه ـ والله أعلم ـ لأنه لا مدخل له في

---

(١) انظر أيضًا ص٢٨٣.

(٢) انظر ص٢٨٤.

(٣) وكذلك الطبري في «تاريخه» ١ : ٤٨٣، وابن الأثير في «الكامل» ١ : ٢٩٢، ولم أره في كتاب «العين» عن طريق النظر في فهارسه.

(٤) هذا تعبير شائع عند المتأخرين، وفيه دخول حرف عطف على مثله، ولا يصح عربية.

الرواة، وهو الذي عَنَاه النابغة في قوله:

وعيدُ أبي قابوسَ في غـير كُنْهِـه أتاني ودوني راكسٌ فالـضواجعُ[(١)]
فَبِـتُّ كـأني ســاورتْني ضـئيلة من الرَّقْش في أنيابها السُّمُّ ناقعُ[(٢)]
يُسَهَّد من نـوم العَـشاء سَـليمُها لِحَلْي النِّسا في يديـه قعـاقع[(٣)]
تَنَاذَرها الرَّاقُون من سوء سُـمِّها تطلِّقه طوراً، وطـوراً تُراجِـع[(٤)]

وأما أبو قابوس الصحابي: فاختلف في اسمه ونسبه[(٥)]، فقيل: اسمه مخارق، وهو الأكثر، وقيل أبو مخارق، وهو ابن سُليم عند الأكثر، ومنهم مسلم في «الكنى»[(٦)] لكنه ذكره في أفراد الكنى فقال: أبو قابوس مخارق بن سُليم عن عليّ، روى عنه ابنه مخارق. قال القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الكِناني: كذا في الكتاب: ابنهُ مخارق، وهو خطأ، ولعله من الناقل، قاله في كتابه «ترتيب كُنى مسلم».

وقيل في أبي قابوس هذا: مخارق بن عبد الله، نسبه هكذا ابن عبد البر في «الاستيعاب»، وتبعه الذهبي في «التجريد»، وقيل: مخارق بن عطية، قاله ابن منده في كتابه «الكنى» لكن لم ينسبه في كتابه «المعرفة في

(١) راكس: اسم وادٍ، والضواجع: من معانيها: الهضاب، ولعلها المرادة هنا.
(٢) الضئيلة: الحيَّة الدقيقة. والرَّقْش: اسم من أسامي الحيَّة.
(٣) سليمها: هذا من أسماء الأضداد، تستعمله العرب تفاؤلاً، والمراد: اللديغ.
(٤) تناذرها: أي: أنذر بعضهم بعضًا. والراقون: جمع راقٍ، وهو من يقرأ للمريض أو اللديغ.
(٥) انظر «الإصابة» القسم الأول: مخارق بن عبد الله، إلا أنه لم يذكر قول ابن منده: مخارق بن عطية.
(٦) «الكنى والأسماء» ٢: ٧٠٠ (٢٨٢١).

الصحابة»[1] فقال: مخارق أبو قابوس، عِداده في أهل الكوفة، ثم روى له ابن منده حديثين لم يُسَمَّ أبوه فيهما.

ولا يقال: إنه تابعي، لما تقدم عن مسلم قوله: مخارق بن سُليم، عن علي، وكذلك قاله غيره، لأنا نقول: لا تنفي روايتُه عن علي صحبتَه، فقد روى خلقٌ من الصحابة عن أمثالهم حتى عن التابعين، وكأنّ مسلمًا ومن تابعه رأوا حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإسناد إليه اضطرابٌ، وروايته عن علي ليس فيها كذلك، فعدلوا عن رواية الرفع إلى ذِكْر روايته عن علي، لِمَا ذكرناه، والله أعلم[2].

وأما أبو قابوس التابعي: فهو راوي الحديث الذي أسندناه، واسمه كنيته على الصحيح.

أنبأنا شيخنا المحدث العالم أبو زكريا يحيى بن يوسف الزُّغَيْبي رحمه الله، أن الإمام أبا الحسن علي بن أيوب أخبره في يوم السبت ثالث عشر شوال سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، أخبرنا الإمام أبو محمد عبد الله بن مروان الفارقي وغيرُه، قالوا: أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان بن

---

(١) الذي في «أسد الغابة» ٥: ١٢١ (٤٧٧٩): مخارق بن عبد الله الشيباني، ورمز لإخراج الثلاثة لترجمته: ابن عبد البر ٤: ١٤٦٤، وابن منده، وأبي نعيم ٥: ٢٦٣٥، ومثله في «التجريد» ٢: ٦٣ (٦٩٤)، لكن لا بدّ من التنبيه إلى أن لفظ ابن الأثير، وابن عبد البر، وأبي نعيم: مخارق، والد قابوس وكذلك لفظ ابن أبي حاتم في «الجرح» ٨ (١٦١٨)، وهذا لا يعني أنه كنيته: أبو قابوس، اما لفظ البخاري ٧ (١٧٧٩)، وابن حبان في «الثقات» ٥: ٤٤٤ فصريح في أن كنيته أبو قابوس، فالأمر في دائرة الاحتمال. والله أعلم.

(٢) وإدخال الحافظ ابن حجر لمخارق هذا في القسم الأول من «الإصابة» يؤيد دفاع المصنف.

عبد الرحمن النَّصْري قال[١]: وحدثني الثقة الحديثي أبو رَشِيد بن أبي بكر قال: ذكر لي الحافظ أبو الفرج ثابت بن محمد المديني أن أبا قابوس اسمه المبرد وجعل يتبجَّح به. قال أبو عمرو النَّصْري: وليس هذا مما يُركَن إليه. انتهى[٢].

وأبو قابوسَ غيرُ منصرف، واختلفوا في علَّة المنع، فالأكثر قالوا للعجمة والعلمية، وأما ما رواه أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري في كتابه «تهذيب اللغة»[٣] عن ابن الأعرابي أن القابوسَ الجميلُ الوجه الحسنُ

---

(١) هذا هوالإمام ابن الصلاح رحمه الله.

(٢) نقل الإمام سبط ابن العجمي رحمه الله في «حاشيته على الكاشف» (٦٧٨٤) هذه الفائدة دون عزو إلى كتابٍ من كتب ابن الصلاح، لكنه قال في كتابه «نهاية السول في رواة الستة الأصول»: «أبو قابوس، الفضل. انتهى. وذكر ابن الصلاح في «المسلسل بالأولية» أنه لا اسم له، إنما يعرف بكنيته. ثم قال: وحدثني الثقة الحديثي أبو رشيد..» إلى آخر كلامه المنقول هنا، ومعلوم أن لابن الصلاح رحمه الله جزءاً في المسلسل بالأولية في كراسين، ولم أره. على أن البخاري رحمه الله ترجم في «تاريخه الكبير» ٧: ١٩٤ (٨٦٢): «قابوس مولى عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن»، ثم قال في «الكنى» (٥٧٤): «أبو قابوس مولى عبد الله بن عمرو. حدثنا الحميدي، عن ابن عيينة، عن عمرو، سمع أبا قابوس، سمع ابن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن». فهل معنى هذا أن البخاري يرى أن اسمه قابوس، ويكنى أبا قابوس؟ أو أراد الإشارة إلى اختلاف الرواة فيه، فمنهم من سماه، ومنهم كناه؟ أو أن ذكره في الأسماء وَهْم؟، ومعلوم أن «كنى» البخاري خاصة بمن لم يعرف له اسم.

أما ابن أبي حاتم فذكره في الكنى فقط ٩: ٤٢٩ (٢١٢٣)، وكذلك ابن حبان في «الثقات» ٥: ٥٨٨.

(٣) ٨: ٤١٩.

اللون، فهذا لا ينفي عدمَ صرفه، فقد صحَّ أن قابوس من المعرَّب. قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد: فأما تسميتهم قابوس فهو اسم أعجمي: كاوس اسم ملك من ملوك العجم فأُعْرِب فقيل: قابوس، فوافق العربية. قاله في كتابه «جمهرة اللغة»[1]، وقال فيه: ومما أخذته العرب عن العجم من الأسماء قابوس، وهو بالفارسية: كاوس. انتهى.

ومن فوائد سند الحديث أيضًا: أنه فردٌ من وجهين هما قسمان من أقسام التفرد، فتارةً يأتي الحديث بسند لم يروه عن فلان إلا فلان، وهذا على صفاتٍ، و «معجم أبي القاسم الطبراني الأوسط» من هذا، وكذلك «الأفراد» لأبي الحسن الدارقطني، وهي في مئة جزء، جَمَع لها أبو عبد الله محمد بن طاهر المقدسي أطرافًا [2].

وتارةً يأتي الحديث فيقال مثلاً: تفرَّد به أهل البصرة، أو أهل الكوفة، أو يقال: هذه سُنَّة تفرَّد بها أهل بلد كذا، ولأبي داود صاحب «السنن» مصنف مفرد في ذلك سماه كتاب «التفرد» وذكر في «سننه» شيئًا يسيرًا من ذلك.

وتارةً يأتي التفرُّد في إسنادٍ فيه راوٍ عن آخر فيقال عنهما: فلان عن فلان، وتفرَّد عنه. أي:لم يبقَ مَن يروي عن ذلك الرجلِ من الموجودين

---

(١) «الجمهرة» ١: ٢٨٧، ٣: ٥٠٢، ونحوه في «الاشتقاق» له ص٣٦٦ وزاد: «فإن جعلت اشتقاقه من العربية فهو فاعول من القَبَس، والقَبَس الشهاب من النار، وفحل قَبِيس: سريع الإلقاح.. وأقبستُه علمًا إذا أفدتَه». فكأنه يحتمل العربية والصرف عنده.

(٢) رتبه على المسانيد، فذكر مسانيد العشرة المبشرين أولاً، ثم ألحقهم بالآخرين، وحُفِظ الترتيب، وفُقد الأصل إلا نزرًا يسيرًا منه، وطبع الترتيب سنة ١٤١٩ طبعة سقيمة جداً.

أحدٌ غيرُ ذلك الراوي، فتارة يأتي مطلقًا، وتارة مقيدًا ببلد ونحوه، وهذا القسم قد وقع من زمن الصحابة رضي الله عنهم، وهلُمَّ جرًّا، كأبي الطُّفَيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الكناني الليثي رضي الله عنه، آخرِ مَن بقي على وجه الأرض من الصحابة رضي الله عنهم[١]، وأبوه واثلة صحابي أيضًا، ولا يلتفت إلى مَن ادَّعى الصحبة بعد ذلك أو ادُّعيت له.

ومنه ما روى الخطيب البغدادي في «تاريخه»[٢] عن أبي إسحاقَ المستملي، عن محمد بن يوسف الفِرَبْري أنه كان يقول: سمع كتاب «الصحيح» لمحمد بن إسماعيل تسعون ألفَ رجل، فما بقيَ أحدٌ يروي عنه غيري.

وفي هذا نظر، فقد ذكر أبو العباس جعفر بن محمد المستغفِري في «تاريخ نسف»، والأميرُ أبو نصرٍ عليٌّ بن هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا[٣] وغيرُهما أن آخرَ مَنْ روى عن البخاري «صحيحه» أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البَزْدوي[٤] النسفي الدِّهقان المتوفَّى سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وهو ثقة، لكنْ ضعفت روايته من جهة صغره.

والوجهان من التفرُّد: في سند هذا الحديث، أحدهما: أن سفيان تفرد

---

(١) قال مسلم رحمه الله تعالى في «صحيحه» ٤: ١٨٢٠ (٩٨) = ١٥: ٩٣ بشرح النووي: «مات أبو الطفيل سنة مئة، وكان آخر من مات من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم». انظر التعليق على ترجمته في «الكاشف».

(٢) ٢: ٩.

(٣) في «الإكمال» ٨: ٧٣.

(٤) نسبة إلى بزدة، وبزدوة، لذا يقال فيه: البزدي والبزدوي، والواو واضحة بقلم المصنف. وانظر «توضيح المشتبه» له ١: ٤٥١، ٧: ٢٠٩، بل قال ابن نقطة في «التقييد» ٢: ٢٥٩ عن زيادتها: «هو الصحيح».

بروايةِ هذا الحديث عن شيخه عمرو، لم يروه عن عمرو غير سفيان، ولا عن أبي قابوسَ غير عمرو.

والوجه الآخر: أن سفيان تفرَّد مدةً في عصره بالرواية عن عمرِو بن دينار والزهريِّ وغيرهما، لم يبقَ على وجه الأرض مَن يروي عنهم غيره.

وإذا كان في الإسناد مثلُ ذلك يقع عاليًا في الغالب، وأكثرُ ما يقع في الإسناد من هذا النوع راوٍ أو اثنان، وقد وقع لنا بحمد الله تعالى حديث منا إلى الصحابي تفرَّد كلٌّ من رواته عمَّن فوقه بالرواية عنه، ويسمى المسلسلَ بالآخِرية، وإذا انتهينا إن شاء الله تعالى من الكلام على المسلسل بالأولية أملينا المسلسلَ بالآخِرية مع الكلام عليه إن شاء الله تعالى[1].

ولما حدَّث سفيان بهذا الحديث حين سمعه منه عبد الرحمن بن بشر كان قد تفرد بالرواية عن عمرو بن دينار وغيره، وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب العَبْدي النيسابوري مات في ثامنَ عشرَ شهرِ ربيعِ الآخر سنة ستين ومئتين، بعد وفاة شيخه سفيان بن عيينة باثنتين وستين سنة[2]،

---

(١) لعل هذا في المجالس الناقصةِ، وقد ذكر المسلسل بالآخرية شيخ مشايخنا العلامة المدقق الصالح الشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري الأيوبي اللكنوي المدني المتوفَّى سنة ١٣٦٤هـ رحمه الله تعالى، في كتابه «المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة» ص٢٠٨، وهو المسلسل برقم ١٩٩، وهو حديث أحمد ٢: ٤٤٢، والحسن بن عرفة في «جزئه» (٨٦) عن أبي هريرة مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى لا تنطح ذاتُ قرن جَمَّاءَ». وحسَّنه عدد من الأئمة الحفاظ منهم الذهبي والعلائي وابن كثير والعراقي، وانظر «تعجيل المنفعة» ص١٣٠ ترجمة الصلت. وهذا الحديث من ثلاثيات الإمام أحمد، ولم يذكره المحب إسماعيل بن عمر المقدسي صاحب الثلاثيات التي شرحها السَّفَّاريني. فليلاحظ.

(٢) انظر ترجمة عبد الرحمن في «تاريخ بغداد» ١٠: ٢٧١، ٢٧٢، و«تهذيب الكمال» ١٦: ٥٤٥، وفروعه. وقيل: كانت وفاته سنة ٢٦٢، حكاه المزي تبعًا لابن

=

فكأنه ـ والله أعلم ـ آخر من روى عن سفيان، وقد سمع هو وأبوه وجدُّه من سفيان.

قال إبراهيم بن أبي طالب: سمعت عبد الرحمن بن بشر بن الحكم يقول: حَمَلني أبي على عاتقه في مجلس سفيان بن عيينة فقال: يا معشر أصحاب الحديث أنا بشرُ بنُ الحكم بن حبيب النيسابوري، سمع أبي الحكمُ بنُ حبيب من سفيان بن عيينة، وقد سمعت أنا منه وحدثت عنه بخراسان، وهذا ابني عبد الرحمن قد سمع منه(١).

هذا بعض ما يتعلَّق بسند هذا الحديث غير ما تقدم.

ومن فوائد متنه: الإشارةُ إلى سَعَة رحمة الله تعالى المأخوذِ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» فالرحمن: اسم لله عزَّ وجلَّ من أسمائه الحسنى، ورد به الكتاب والسنة، واختَلَف الناس في تفسيره ومعناه، وهل هو مشتق من الرحمة أم لا، فمذهب الجمهور من الناس ـ على ما حكاه أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البُسْتي(٢) أنه مشتقٌّ من الرحمة مبنيٌّ على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها.

وقال أبو الحسن علي ابن سِيدَهْ في كتابه «المحكَم»(٣): ولفظ الرحمن بُنِي على فَعْلان، لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعتْ كلَّ شيء.

عساكر في «المعجم المشتمِل» (٥٢٦). وكذلك والده بشر من رجال «تهذيب الكمال» ٤: ١١٤ وفروعه. وهما مترجمان في «السِّيَر» ١٢: ٣٤٠، ٣٤٤.

(١) الخبر في «تاريخ بغداد» ١٠: ٢٧٢. وهذا ما يقولون فيه: أَلْحق الأحفاد بالأجداد.

(٢) في «شأن الدعاء» ص٣٦.

(٣) ٣: ٢٥٤.

وقال أبو الحسن أيضًا: ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة، لأن فَعْلان بناءٌ من أبنية المبالغة. انتهى.

ومن فوائد الحديث: أن الطلبَ من الله تعالى بالأفعال أبلغُ في الإجابة من الطلب بالأقوال، فمن طلب أن الله يستره فستر مسلمًا: ستره الله، ومن طلب التيسير عليه فيسَّر على معسرٍ: يسَّر الله عليه، وكذلك طلب الرحمةِ وغيرِها، فمن طلب الرحمة من الله تعالى بالقول، ليس كمن رحم عباد الله لكي يرحمه الله، هذا أبلغُ في استجلاب الرحمة لِمَا فيه من النفع المتعدِّي، بخلاف الطالبِ من الله الرحمةَ لنفسه بالقول، هذا نفعُه قاصرٌ، وذاك أبلغُ وأفضلُ.

ومن الفوائد: أن الدنيا عنوان الآخرة، وإذا كانت رحمةُ الله في الدنيا عمَّتِ المؤمنَ والكافرَ وجميعَ دوابِّ الأرواح، وحتى الجمادات، وهي جزء من مئة جزء من رحمة الله، وهذا الجزءُ انتشر في الخلْق وتنوَّع، وتأصَّل فيهم وتفرَّع، ومما حصل منه: بعثةُ الرسل عليهم الصلاة والسلام، والإسلامُ والقرآنُ وعلمُ الدين وفوائدُ الدنيا على كثرتها واختلافُ صنوفها، فكيف يكون الأمرُ في الآخرة إذا أُضيفتْ هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمةً مثلَها فصارت مئةً يرحم الله بها عباده المؤمنين يوم القيامة؟!.

ولهذا كان كثير من السلف ينظرون بعين البصيرة إلى ما يكون من الرحمة في الآخرة، فتنشرح صدورهم ويعظُم سرورهم مع ملازمتهم للعبادة والخدمة، ومحافظتهم على الخشية لله وتعظيم الحرمة، وشكرهم لله على ما سخَّر من هذه الرحمة.

وإذا نظرنا إلى نِعَم الدنيا ومحتوياتها، ونعيم الآخرة ودرجاتها، تحققنا عقلاً وشرعًا، وعلمنا نقلاً وسمعًا: أن الكلَّ من رحمة الله التي يرجوها كلُّ مسلم، بل كلُّ أحد. وهذا سيدُنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم سيدُ الخلق، وأتقاهم لله، وأشدهم له خشيةً يقول: «اللهم رحمتَك أرجو فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عينٍ»[١] ويقول صلى الله عليه وسلم: «لا يُدْخِلُ أحدًا الجنةَ عملُه» قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمَّدنيَ الله بمغفرة ورحمة» وفي روايةٍ «إلا أن يتغمَّدنيَ الله برحمته»[٢]، وفي حديث طويل رواه عثمان بن سعيد الدارمي، عن جابر مرفوعًا في آخره قال: إن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأشياء برحمة الله يا محمد»[٣].

---

(١) رواه أحمد ٥: ٤٢، وأبو داود (٥٠٤٩)، وآخره عند النسائي في «اليوم والليلة» ٦: ١٦٧ (١٠٤٨٧)، وعندهم جعفر بن ميمون، فيه كلام، وفي «التقريب» (٩٦١): «صدوق يخطئ»، فحديثه حسن.

(٢) الحديث من رواية أبي هريرة عند البخاري ١٠: ١٢٧ (٥٦٧٣) و١١: ٢٩٤ (٦٤٦٣)، ومسلم ٤: ٢١٦٩ (٧١ ـ ٧٨) بألفاظ متقاربة كثيرة.

(٣) هذه الجملة خاتمة حديث طويل مشهور، هو حديث العابد من بني إسرائيل، عبد الله خمس مئة عام، على رأس جبل في جزيرة، أنبت الله له بجانبه شجرة رمان تثمر كل يوم رمانة، وأخرج له عين ماء زلال يشرب منها، ثم قدَّر له الموت والحساب فأمر الله به إلى الجنة بفضله فقال: بل بعملي، فأمر الله الملائكة بمحاسبته على ما أنعم به عليه وما يقابلها من العبادة، فلم تعدل عبادته خمس مئة سنة نعمة البصر! فيأمر الله به إلى النار، فيستصرخ ويضرع.. ثم يُؤمر به إلى الجنة، فيقول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم تعليقًا على هذا الموقف: «إنما الأشياء برحمة الله يا محمد».

والحديث رواه الحاكم ٤: ٢٥٠ من طريقين إلى عبد الله بن صالح كاتب الليث، وإلى الليث نفسه، كلاهما عن سليمان بن هرم، عن ابن المنكدر، عن جابر. ورواه البيهقي في «الشُّعَب» ٤: ١٥٠ (٤٦٢٠) = ٨: ٤٩٩ (٤٣٠٠) من طريق واحدة إلى الليث، به. ورواه العقيلي من الطريقين أيضًا في «الضعفاء» ٢: ١٤٤ (٦٣٨).

أما الحاكم: فصححه، وتعقبه الذهبي فقال: «لا والله، وسليمان غير معتمد». وكذلك ضعفه العقيلي فقال عن سليمان بن هرم: «مجهول في الرواية، حديثه غير =

فرجاءُ الرحمة والاعتمادُ عليها مع لزوم العبادة والرجوع إليها: هي الطريقُ الأسلم، اتباعًا لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

وفي معنى رجاء الرحمة: ما أخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن المَرَاغي - مَرَاغة مصر لا مَرَاغة العراق[١] - إذنًا مطلقًا، وقرأته على الثقة عنه سماعًا، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد السَّعْدي، أخبرنا هبة الله بن الخضر بن طاوس، أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن محمد المِصِّيصِيُّ، حدثنا نظام المُلك الحسن بن علي الوزير، حدثنا أبو عدنان القرشي قال: أنشدنا القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي لنفسه[٢]:

محفوظ»، وقال في «الميزان» ٢: ٢٢٧ (٣٥٢٣): «لم يصح هذا».

أما البيهقي: فرواه ولم يعلق عليه بشيء، وكذلك المنذري في «الترغيب» ٣: ٤٠١ عزاه إلى الحاكم ونقل تصحيحه وسكت عنه، وابن حجر في «اللسان» ٣: ١٠٨ بعد أن نقل كلام الذهبي بطوله ختمه بنقل كلام الحاكم في الثناء على الليث بن سعد في أنه لا يروي عن المجهولين، ولفظ الحاكم: «حديث صحيح الإسناد، فإن سليمان ابن هرم العابد من زهاد أهل الشام، والليث بن سعد لا يروي عن المجهولين». وكلام العقيلي ليس على ظاهره الاصطلاحي، أعني: لا نقول عن سليمان إنه مجهول العين، فعند العقيلي نفسه رواية اثنين عنه: الليث وكاتبه، ولا يريد العقيلي من كلمة «حديثه غير محفوظ»: أنه شاذ أو منكر، فالحديث لم يرو من وجه آخر عن ثقة أعلى من سليمان لنحكم عليه بذلك. نعم، هو ضعيف عنده، لكن ما وجه ذلك؟.

(١) مراغة مصر صرح بها الحِميري في «الروض المِعْطار» ص٥٣٥، ومراغة العراق لعلها التي ذُكرت قبلها على أنها من أعمال الرقة، ولم يذكر ياقوت واحدة منهما في كتابيه «المعجم» و «المشترك وضعًا».

(٢) من فقهاء السادة الشافعية وتلامذة الإمام أبي حامد الإسفراييني، توفي سنة ٤٤٠، وله شعر كثير أورد منه ياقوت في «معجمه» ٦: ٢٧٢٧ نماذج كثيرة، وكلها غزلية أدبية، والبيتان المذكوران هنا يتناسبان مع ما قيل عن تعبده. ترجمته عند الذهبي في «السير» ١٧: ٢٧٥، والسبكي ٥: ٣٤٦، وياقوت.

لما عـدمتُ وسـيلةً أَلْقَـى بهـا ربّي تَقِي نفـسي شـديدَ عقابهـا
صـيَّرْت رحمتَـه لـديَّ وسـيلةً وكفى بها، وكفى بها، وكفى بها

آخر المجلس ولله الحمد حمدًا كثيرًا
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ١٨ ـ

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

الكلام على هذه الآيات من وجوه تقدَّم ذكر بعضها.

ومنها: النظر في حكم تركيبِ الألفاظِ واختلافِها المؤدِّي إلى أصل المعنى على وَفْق كلام العرب، ويخرج منه علمُ النحْو الذي يُفْهَم به مقاصد الكلام، وهو على أنواع، منها: معرفة الحروف المفردة، والمركَّبة، ومعانيها.

فالأول: كالألف والباء، وباقي حروف المعجم، ولكلٍّ منها معنى لغةً واصطلاحًا، كالباء اسم للحرف، وللنكاح، ويطلق على الرجل الكثير الجماع، وتارة تأتي للإلصاق، وتأتي للتعدية، وللاستعانة، ولمعانٍ أُخَر.

وأما الحرفُ المفرَد نفسُه فلا يمكن أن يلفظ به مفردًا.

قال إمام أهل البصرة سيبويه أبو بشرٍ عَمرو بن عثمان بن قَنْبَرٍ الحارثيُّ مولاهم البصريُّ في «الكتاب»[١]: قال الخليل ـ وسأل أصحابه ـ: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في: لك، والكاف التي في: منك[٢]، والباء التي في: ضرب؟ فقيل له: باءٌ وكافٌ. فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول كَهْ وبَهْ، فقلنا: لمَ ألحقت الهاء؟

---

(١) «كتاب سيبويه» ٣: ٣٢ تحت باب: هذا باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد.

(٢) في المصدر المذكور: مالك.

فقال: رأيتهم قالوا: عِهْ، فألحقوا الهاء حتى صيَّروها يُستطاع الكلام بها، لأنه لا يُلفظُ بحرف، فإن وصلتَ قلتَ: كَ واعلم، وبَ يا فتى[١]، كما تقول: عِ يا فتى، فهذه طريقةُ كل حرف كان متحركًا، وقد يجوز أن تكون الألف هاهنا بمنزلة الهاء، لقربها منها وشَبَهها بها، فتقول: بأْ، وكأْ، كما تقول: أنا.

فتلخَّص من قول الخليل بن أحمد أن النطق بالحرف الواحد له ثلاثةُ وجوه، أحدها: وصلُ هاء السكْت به، مثل (بَهْ) في النطق بحرف الباء من: ضرب.

والثاني: وصل الكلام به مثل: بَ يا فتى.

والثالث: وصله بألف مثل: بأْ، بلا مدّ. والله أعلم.

وليس في الآية من الحروف المفردة سوى الواو العاطفة، ومعناها لغة: الجَمَل الذي له سَنَامان. والأصحُّ أن الواو العاطفة لمطلق الجمع، لا تدل على ترتيب ولا معيَّة، وقيل: تفيد الترتيب، وقيل: هي للمعية[٢].

ومن الحروف ذوات التركيب مع غيرها مما هو مذكور في هذه الآية الشريفة: اللامُ في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾، وفي قوله تعالى:﴿وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾.

ومعنى اللام في اللغة: اسم للحرف، ويطلق اسمًا للشجر إذا استوى واستقام أيامَ الربيع، واللام أيضًا اسم للسهم لكنه بلغة الحبشة، وهو أيضًا اسم لشخص الإنسان.

---

(١) في المصدر المنقول منه: كَ و بَ فاعلم يا فتى.

(٢) انظر «مغني اللبيب» ٢٥٤: ٢ وغيره من كتب النحو، ومن كتب اللغة والأصول وكتب الخلاف، وانظر فصلاً ممتعًا هو من طُرَف قريحة الإمام البصير السهيلي رحمه الله تعالى كَتَبه في «نتائج الفكر» ص٢٦٦ ـ ٢٧٥.

وجميعُ اللامات في كلام العرب منها ما يكون مفتوحًا، ومنها ما يكون مكسورًا. ومن الأول: اللامان في هذه الآية، فقوله تعالى: ﴿لقد﴾ هي لام الابتداء، وهي لام التأكيد أيضًا، وكذلك اللام في قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ معناها التأكيد.

وتجيء اللام في الكلام لِمَعانٍ، منها: بمعنى الملك المعيَّن، كقوله تعالى: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾، وتأتي بمعنى مِلك المنافع، نحو قولهم: عِمارة الدار لزيد، وبمعنى ملك التصرُّف نحو: خُذْ طرف الحبل لآخُذَ طَرَفَه. وتسمى في هذه المعاني: لام الاختصاص[١].

ولها معان أخر. وهذا على مذهب الكوفيين في مجيء اللام لهذه المعاني، وأما حُذّاق البصريين فمذهبهم أن اللام على بابها ثم يضمِّنون الفعل ما يصلُح معها، ويَرَوْن التجوُّز في الفعل أسهل من الحرف.

ومن معاني حروف الآية: أن معنى ﴿وإنْ كانوا﴾ أي: وقد كانوا، جاء تفسيرها بذلك عن ثابت بن يعقوب المقرىء، حدثني الهُذَيل بن حبيب أبو صالح الأَزْدي، عن مقاتل بن سليمان قال في قوله تعالى: ﴿وإنْ﴾ يعني: وقد[٢] ﴿كانوا من قبل﴾ أن يُبْعث محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي: بيِّن، وهو الشرك.

---

(١) فالفرق بين لام الملك ولام الاختصاص: أن اللام إذا دخلت على من يتصور منه الملك: قيل لها لام الملك، وإذا دخلت على من لا يتصور منه ذلك قيل لها: لام الاختصاص.

(٢) قلت: مقاتل بن سليمان هذا توفي سنة ١٥٠، وقد كذبوه، لكن لا علاقة بين كذبه وتفسيره (إن) بـ (قد)، وقد نَسَب ابن هشام في «المغني» ١: ٢٦ إلى قُطْرُب أنه هو الذي فسَّر (إنْ) بـ (قد) وذلك في قوله تعالى ﴿فذكِّر إن نفعت الذكرى﴾، وكانت وفاة قطرب سنة ٢٠٦. ولم يتعقبه ابن هشام، مع أنه حكى ـ مع حكايته هذا القول ـ عن الكوفيين تفسير إنْ بـ إذْ، وتعقَّبهم كثيرًا.

ومن وجوه الكلام على الآية: النظرُ في تصرُّف معاني الألفاظ، ويقال له في فنِّ البلاغة: التصريفُ البياني الذي ذكره أبو علي الحسن بن يحيى ابن نصر الجُرْجاني في كتابه «ضروب نظم القرآن»[1]، وأبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا الرازي صاحب «مجمل اللغة» في كتابه «فيما ترجع إليه علوم الإسلام من الفهم والإفهام» وغيرُهما، فذكروا من أصناف البيان: التصريف، وهو القليل من اللفظ يعرف من المعاني بزيادة، فتارة يكون تصريف المعنى في الدّلالات المختلِفة، وتارة يكون التصريف تصريف المعنى في المعاني المختلِفة.

فالأول: كقصة موسى عليه الصلاة والسلام ذُكرت في القرآن في غيرِ ما موضعٍ، من ذلك في سورة الأعراف، والشعراء، وطه، لوجوهٍ من الحكمة،

منها: التصرُّف في البلاغة من غيرِ نقصانٍ عن أعلى مرتبتها.

ومنها: تمكينُ العبرة والموعظة.

ومنها: ظهور الحِجاج على الكفار بالدلالات المختلفة في المعنى الواحد[2]. فهذه الآية الشريفة ذُكرت في ثلاث سُوَر من القرآن: في البقرة، وآل عمران، والجمعة.

وفي البقرة ذُكرتْ مرتين في آيةِ الدعوة الإبراهيمية: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً﴾، والآية الأخرى قوله تعالى: ﴿كما أرسلْنا فيكم رسولاً منكم يتلُو عليكم آياتِنا ويُزكِّيكم ويعلِّمكم الكتابَ والحكمة، ويُعلِّمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكُركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾.

---

(١) انظر المجلس ١١ ص٢٥٩.

(٢) انظر شيئًا من حِكَم تكرار بعض القِصص القرآنية في «التقرير في التكرير» ص٩٥ ـ ١٠٥ للعلامة الشيخ محمد أبي الخير ابن عابدين رحمه الله تعالى.

ففي كل موضع من هذه المواضع الأربعة ذُكرت بمعناها لدلالات مختلفة. والله أعلم.

والثاني من قسميْ تصريف البيان: تصريفُ المعنى في المعاني المختلِفة، فقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ دلّ معناه على زمنٍ مضى.

وقوله تعالى: ﴿بلِ اللهُ يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ لفظُه لفظُ الحال.

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبطِلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذى﴾ فالمنُّ هنا: اعتدادُ المعطِي بصنيعته على المُعطَى تقريعًا له.

وقال الله عز وجل: ﴿وأنزلْنا عليكم المنَّ والسلوى﴾ فالمنُّ هنا: الطَّلُّ الحلوُ الذي ينزِل على الأشجار والأحجار، فينعقد كالحلوى فَيُجْتَنى ويُؤكَل.

وقوله تعالى: ﴿فلهم أجرٌ غير ممنون﴾ فسّره جماعة بأنه غير مقطوع، والمنُّ في أحد وجوهه: القطع والهدم.

وللمنِّ معانٍ أُخَر، ومدارها على مادة مَنَنَ ثلاثة أحرف، بل هي حرفان[1] وتحتهما هذه المعاني، فهذا من تصريف المعنى في المعاني المختلفة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿بعث﴾ ومعناه هنا ـ والله أعلم ـ أرسل.

ويقال بعثه: أيقظه من نومه. قال الله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾.

والبعث أيضًا: النشور من القبور، قال الله عز وجل: ﴿والموتى يبعثهم

---

(١) في الكتابة.

الله﴾، وقال تعالى: ﴿وأنَّ الله يبعث من في القبور﴾.

وللعرب التصريفُ الكثيرُ في معاني الكلمة الواحدة، لكنْ تارة يذكرونها بلفظها الواحد لعدَّة معانٍ، وتارة يتصرفون في اللفظ لاختلاف المعنى، فيقولون مثلاً: بعث فلانٌ ويريدون: أرسل، ويقولون: انبعث فلان ويريدون: مضى متتابعًا إلى جهة قَصْده في خير أو شر.

ويقولون: كَسَب مالاً، وكسب غيرَه مالاً، يستعملونه لازمًا ومتعدِّيًا[(١)]، ومَن قال: أَكْسَبه ـ فعدَّاه بالهمزة أو التضعيف ـ: فقد أخطأ[(٢)]، وكَسَب واكتسب: معناهما واحد، وذكر بعضهم[(٣)] أن كَسَب يستعمل في الخير، واكتسب في الشر.

حكى الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن أبي محمد البغدادي ابن النجار في «تاريخ بغداد» عن أبي شجاع محمد بن عبد الحق المؤدِّب قال: تذاكَرْنا الفرق بين الكسْب والاكتساب، وأن الكسب في الخير والاكتساب في الشر، لقوله تعالى: ﴿لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكتسبتْ﴾. فأخبرني بعدُ شخصٌ أنه رأى الوزير ابن هُبيرة[(٤)] في المنام قال: فقلت يا

---

(١) يريد أن يقول: يستعملونه متعديًا لمفعول واحد ولمفعولين، فكتب هذا.

(٢) إن أراد تعديته إلى المفعول الأول، أما إن أراد تعديته بذلك إلى المفعول الثاني فجائز، وعند ابن الأعرابي أن كسب تتعدى بنفسها إلى مفعولين. انظر «شرح القاموس» و «اللسان».

(٣) هو الزمخشري في «أساس البلاغة» ذلك لأن الكسب متلائم مع الفطرة فلا يحتاج العامل إلى تكلُّف، والاكتساب في الشر المتنافر مع الفطرة، فيحتاج إلى تكلف، لذلك جيء بزيادة التاء معها. انظر كلام الإمام ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» ٢: ٥٤٤، وما كتبته في شرح الأحاديث القدسية ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٤) رحمه الله تعالى، صاحب الكتاب المطبوع قديمًا باسم «الإفصاح عن معاني الصحاح»، وأصله ليس كذلك. انظر ترجمته العالية النفيسة في «ذيل طبقات الحنابلة»

=

سيدي ما فعل الله بك؟ فأنشدني:

قد سُئلنا عن مثلها فأجبنا ... بعد ما حال حالُنا وحُجِبنا

فوجدنا مضاعَفًا ما كَسَبْنا ... ووجدنا ممحَّصًا ما اكتسبنا[1]

ومن الحروف المركبة في هذه الآية: «قد» في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ و«قد» في كلام العرب تأتي على ضربين:

أحدهما: اسم فعل، وتكون مرادفةً لـ: حسْبُ، وهي مبنية على السكون يقال: قَدْ زيدٍ درهمٌ، وربما أُعربت فيقال: قدُ زيدٍ درهم، كما يقال: حسبُ زيدٍ درهم، ويقال: قَدِي. أي: حسبي، وتُزاد فيها النون محافظةً على السكون، فيقال: قَدْني.

وتأتي أيضًا اسمَ فعل مرادفةً لـ: يكفي، يقال: قدْ زيدًا درهمٌ، أي: يكفيه، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم للكفار حين كان يسمع تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «قدْ قدْ»[2] أي: كفى كفى.

والضرب الثاني: أن «قد» تكون حرفًا، قال الخليل بن أحمد: «وقد»

لابن رجب ١: ٢٥١ ـ ٢٨٩، وص٢٥٢ من أجل اسم الكتاب.

ومما يجب أن يذكر لهذا الإمام أنه صاحب الرأي الأول في تطهير مصر من دولة العبيديين، أشار بذلك على نور الدين الشهيد، فسيَّر إليها أسد الدين شِيركُوه، حتى تم ذلك، والحمد لله. على ما ذكره ابن رجب ص٢٥٨.

(١) الرؤيا والبيتان ـ دون ما يتعلق بالفائدة اللغوية ـ مذكوران في «ذيل طبقات الحنابلة» ١: ٢٨٨، وفي السند اختلاف، وسمي الرائي أبا القاسم السلاحي. ومعنى «ممحَّصًا» هنا: مغفورًا. والشطر الأول عنده وعند ابن خلكان ٦: ٢٤٢:

قد سئلنا عن حالنا فأجبنا

(٢) «صحيح مسلم»: آخر الباب الثالث من كتاب الحج ٢: ٨٤٣ (٢٢).

حرف يُوجَبُ به الشيء، قاله في كتاب «العين»[١].

وتأتي «قد» التي هي حرف: للتوقُّع وتقريب زمن الفعل[٢]، ولا يليها بعدها إلا الفعلُ مُظْهَرًا غيرَ مغيَّرٍ عن حاله التي كان عليها قبل دخول «قد» عليه، ولا يُفْصَلُ بينها وبين الفعل بغيره[٣]، وتارة يليها الفعل المستقبل، كقوله تعالى: ﴿قد يعلمُ الله المعوِّقين منكم﴾[٤].

وتارة يليها الفعل الماضي، كقوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾. ودخول اللام عليها هنا للتأكيد، تحقيقًا لوقوع المنّ من الله تعالى على المؤمنين.

و«قد» هذه من الحروف المبنية، لها من مجاري أواخرِ الكَلِم الوقفُ، وهذه المجاري ثمانيةٌ على أربعة أضرب: رفع وضم، ونصب وفتح، وجر وكسر، وجزم ووقف.

هكذا ذكرها سيبويه في «الكتاب»[٥] ثمانيةً على أربعة أضرب، جعل

---

(١) كتاب «العين» ٥: ١٦.

(٢) وذلك مع الفعل المضارع، ومجيؤها معه لهذا المعنى كثير، وقد ذكره الخليل أيضًا في الموضع السابق، وقد تأتي معه وتفيد التقليل، كالآية الآتية. وانظر لزامًا تفصيل ابن هشام لهذه الوجوه.

(٣) إلا بالقسم، كما قال ابن هشام في «المغني» ١: ١٧١، وذكر شاهدين لذلك، وجعل المالقي ذلك في «رصف المباني» ص٤٥٦ ضرورة.

(٤) قال الراغب الأصفهاني في «مفرداته»: «إذا دخل (قد) على المستقبل من الفعل فذلك الفعل يكون في حالة دون حالة، نحو: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذًا﴾. أي: قد يتسللون أحيانًا فيما علم الله». فخلاصته: أن (قد) داخلة على المعلوم لا على علم الله، وقد قال رحمه الله قبل قليل: «لا يصح أن تستعمل في أوصاف الله تعالى الذاتية فيقال: قد كان الله عليمًا حكيمًا..» إلى آخر كلامه.

(٥) «الكتاب» ١: ١٣ وما بعدها.

ذلك للفرق بين ما يتغيَّر إعرابه ويزول عنه من رفع ونصب وجر وجزم، كالأسماء المتمكِّنة والأفعال المضارِعة لأسماء الفاعِلين، وبين ما لا يزولُ عنه ما بُنِي عليه من ضم وفتح وكسر ووقف من الأسماء غير المتمكِّنة، ومن الأفعال الثلاثة ـ لكنْ لا ضمَّ في الفعل سوى المضارع ـ ومن الحروف التي ليستْ إلا لمعنى، ومنها «قد».

وهي مبنية على الوقف لا يزول عنها، كما نطقتْ بها العرب وجاءت في القرآن كذلك في غيرِ ما موضع، ومنه في هذه الآية الشريفة، قال الله عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾.

هذا بعض ما يتعلَّق من الكلام ببعض الحروف الواقعة في هذه الآية الشريفة، وهو أحد وجوه الكلام عليها.

ومن وجوه الكلام: النظرُ فيما دلَّت عليه الألفاظُ، وهو علم الأحكام، ومن أحكام هذه الآية الشريفة:

ـ أن الله عز وجل رفَع مقام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنْ وضعه من دِينه موضعَ الإبانة عنه ما أراد سبحانه بكتابه عامًّا وخاصًّا، وفرضًا وندبًا، وإباحةً ووقتًا وعددًا، فقال الله عز وجل: ﴿وأنزلْنا إليك الذِّكْرَ لتبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكَّرون﴾، وجعل سبحانه للنبي صلى الله عليه وسلم أن يسنَّ مما ليس فيه نصُّ كتابٍ[1]، وهذا أحد الأحكام التي

---

(١) هذا على المشهور: أنه يوجد في السنة من الأحكام ما ليس في القرآن الكريم، ومنهم من قال: لا يوجد في السنة شيء إلا وقد دلَّ عليه القرآن دلالة قريبة أو عامة إجمالية، كقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. وعلى هذا فالخلاف لفظي، والمسألة طويلة مشهورة.

ومما جاء عن الأئمة المتقدمين ـ وله صلة بهذا ـ قول الإمام البخاري رضي الله عنه: «لست أروي حديثًا من حديث الصحابة والتابعين ـ يعني: من الموقوفات ـ إلا =

في هذه الآية الشريفة ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وهما: القرآن المعظَّم، والسنة التي شرعها النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ ومن أحكام هذه الآية المستنبطة منها: أن فيها أدلةَ الشريعة التي هي أصولُها، وهي: الكتاب والسنة والإجماع.

فمأخذُ الكتابِ والسنةِ: من قوله تعالى ﴿ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ فالكتاب: القرآن، والحكمة: السنة.

ومأخذ الإجماع: من مفهوم قوله تعالى ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ والمؤمنون هنا هم أمةُ النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا أجمعوا بعده على أمرٍ لم يأتِ فيه نصٌّ لم تَجُزْ مخالفتهم، كما ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ومَنْ يُشَاقِقِ الرسولَ من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتَّبعْ غيرَ سبيل المؤمنين﴾ وهم الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾. والرسول المذكور في قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المذكور في هذه الآية ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

وأيضًا: يؤخذ الإجماع من مفهوم قوله تعالى ﴿ويزكِّيهم﴾ لأن الأمة حصلتْ لهم التزكية، وأشير إليها في آياتٍ، منها قوله تعالى: ﴿كنتم خيرَ أمة أخرجت للناس﴾ ومنها قوله تعالى ﴿وكذلك جعلْناكم أمة وسطًا﴾ أي: عدولاً خيارًا، واتفاقُ عدولِ الأمةِ بعد النبي صلى الله عليه وسلم في كل عصر: إجماعٌ.

وهذه الثلاثة ـ الكتاب والسنة والإجماع ـ هي الأدلة فقط عند إمام

ولي في ذلك أصل، أحفظ حفظًا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم». أسنده إليه الخطيب في «تاريخه» ٢: ٢٤ ـ ٢٥، وما بين المعترضتين من «مقدمة فتح الباري» ص٤٨٧.

الحرمين أبي المعالي عبد الله بن محمد بن يوسف الجُوَيني رحمة الله عليه، لأن الأدلة عنده لا تتناول إلا القطعيَّ، فلا يكون الدليل إلا قطعيًّا، والإجماع حجته قطعية عند الأكثرين، لكنْ إمام الحرمين جعل القياس ـ لذي هو في المصطلح: مساواةُ فرعٍ لأصلٍ في علةٍ جامعة ـ داخلاً مع الثلاثة في الاحتجاج، لقيام القاطع على العمل به[١].

وكذلك أبو حامد الغزالي عنده أيضًا الأدلةُ الثلاثةُ فقط، وجعل القياس داخلاً من وجه غيرِ الوجهِ السابقِ، لأنه من طُرُق الاستثمار، فإنه دلالةٌ من حيثُ معقولُ اللفظ، كما أن العموم والخصوص دلالةٌ من حيثُ صيغتُه[٢].

وأهل الإجماع مختلَف فيهم، فأحد الأقوال في الإجماع: أنه إجماعُ مَن كانوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم من أمةِ إجابته في أيٍّ عصر كان، على أيٍّ أمرٍ كان، من إثبات أو نفي أو حكم شرعي أو عقلي أو لغوي.

وقيل: إجماع المجتهدين مطلقًا من الأمة على ما تقدَّم، فلا اعتبار بإجماع العوامٍّ وِفاقًا ولا خلافًا.

وقيل: الإجماعُ إجماعُ الصحابة فقط، كما حكاه أبو محمد ابن حزم عن مذهب داود بن علي وأصحابه[٣].

والقول الثاني هو الراجح، وقد قال به الأكثرون[٤].

---

(١) وسماه: القياس الشرعي، انظر كتابه «البرهان» ٢: ٤٩٠، ٥١٤.

(٢) يدل على ذلك أنه عَنْوَن باب القياس في «المستصفى» ٢: ٢٢٨ بقوله «الفن الثالث في كيفية استثمار الأحكام من الألفاظ والاقتباس من معقول الألفاظ بطريق القياس».

(٣) سبق قلم المصنف فكتب: وأصحابهم.

(٤) ذكرت كتب الأصول هذه الأقوال الثلاثة، والثاني هو الراجح، لكن ظاهر
=

وأدلةُ القول الأول كثيرةٌ، منها: حثُّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على لزوم الجماعة، وترغيبُه في ذلك، كحديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها، فربَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيه، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يَغِلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تُحيط مِن ورائهم»[(١)].

ومنه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

كلام الإمام الغزالي في «المستصفى» ١: ١٨١ أن الأول يَؤُول إلى الثاني، وهو قد عرَّف الإجماع بأنه اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأدخل العامة والخاصة، ثم أورد على نفسه: هل يتصور دخول العوام في الإجماع، وأجاب بأن العوام متفقون على أن الحق مع ما أجمع عليه الخواص. وأطال في تقريره.

أما ما حكاه ابن حزم عن داود وكثير من أصحابه: فهو في «الأحكام» ١: ٥٥٣، وناقشهم فيه.

(١) رواه الترمذي من حديث ابن مسعود هكذا مجموعًا في كتاب العلم ـ باب الحث على تبليغ السماع ٥: ٣٤ (٢٦٥٨) وسكت عنه لكنه صحيح، وروى قبله مباشرة الجملة الأولى منه فقط وقال: حسن صحيح. والحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الخيف بمنى، ولذلك رواه عنه كثيرون نحو ثلاثين صحابيًّا، كما في «تدريب الراوي» ٢: ١٧٩، لكن الذين ذكرهم في «الأزهار المتناثرة» وتبعه الزبيدي في «اللآلئ المتناثرة» ص١٦١ بلغوا ستة عشر صحابيًّا، وزاد عليهم السيد الكتاني في «نظم المتناثر» ص٢٥ ثلاثة.

ونقل الحافظ في «موافقة الخُبْرِ الخبَر» ١: ٣٦٣ عن ابن منده أنه أوصلهم إلى أربعة وعشرين صحابيًّا، قال الحافظ: «وقد تتبعت طرقه فوقع لي أكثرها، وزيادة ستة، فأقتصر هنا على القوي» وذكره من رواية ابن مسعود، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وأنس، وأبي قِرْصافة. وانظر تخريج رواية خمسة عشر صحابيًّا في التعليق على «صحيح» ابن حبان ١: ٢٦٨ (٦٦) و٢: ٤٥٤ (٦٨٠).

وسلم: «ألا فمن سَرَّه بَحبَحة الجنة فَلْيَلزمِ الجماعة، فإن الشيطان مع الفَذِّ، وهو من الاثنين أبعدُ»(١).

ومنه حديث معاويةَ بن أبي سفيان وغيرِه رضي الله عنهم مرفوعًا: «لا تزال طائفة من أمتي قائمةً بأمر الله لا يضرُّهم مَن خذلهم ـ أو خالفهم ـ حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»(٢).

قال الشافعي رضي الله عنه في «الرسالة» بعد أن ذكر لزوم الجماعة، فقال(٣): فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريمِ والطاعةِ فيهما، فمن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم

---

(١) هذا جزء من حديث يرويه سيدنا عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أوله: «أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..» وفي بعض الروايات: «أوصيكم بأصحابي» وفي بعضها: «استوصوا بأصحابي» وغير ذلك، وقد رواه أئمة كثيرون، منهم الإمام الشافعي في «الرسالة» ٤٧٤ (١٣١٥) والجملة التي ذكرها المصنف من روايته، ورواه أيضًا الإمام أحمد ١: ١٨، ٢٦، والترمذي في كتاب الفتن ـ باب لزوم الجماعة ٤: ٤٠٤ (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح غريب.

وبحبحة الجنة: وسطها، وهي كناية عن التمكن فيها والتوسع. والفذ: الواحد المنفرد.

(٢) رواه من حديث معاوية رضي الله عنه البخاري في مواضع من «صحيحه» أولها: كتاب العلم ـ باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ١: ١٦٤ (٧١)، ومسلم في كتاب الإمارة ـ باب قوله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة..» ٣: ١٥٢٤ (١٧٤، ١٧٥)، ورواه مسلم قبله وبعده عن صحابة آخرين، والحديث من مشهور الأحاديث المتواترة، وأفرده عدد من المحدثين بالتأليف، وقد ذكر له السيوطي في «الأزهار المتناثرة» أحد عشر صحابيًا، وزاد الزَّبيدي في «لقط اللآلئ المتناثرة» ص٦٨ واحدًا، وأوصلهم الكتاني ص٩٣ إلى ستة عشر صحابيًّا.

(٣) «الرسالة» ٤٥٧ (١٣١٩، ١٣٢٠).

التي أُمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفُرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافةً غفلة عن معنى كتاب الله ولا سنةٍ ولا قياسٍ إن شاء الله تعالى. انتهى قول الشافعي.

وقد استَدلَّ بأقوى دليل على الإجماع من كتاب الله عز وجل، وهو قوله تعالى: ﴿ومن يُشَاقق الرسولَ من بعدِ ما تبيَّن له الهدى ويَتَّبِعْ غيرَ سبيل المؤمنين نولِّه ما تولَّى ونُصْلِهِ جهنمَ وساءتْ مصيرًا﴾.

أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المقدسي، عن فاطمة ابنة سليمان الأنصارية، أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي إذنًا، أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ سماعًا، أخبرنا محمد بن إسماعيل الفارسي، أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد ابن الحسين الخُسْروجِردي[1]، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عبد الله الزبير بن عبد الواحد الحافظ الأسَدَاباذي، سمعت أبا سعيد محمد ابن عُقيل الفاريابي يقول: قال المزني ـ أو الربيع ـ:

كنا يومًا عند الشافعي بين الظهر والعصر عند الصحْن في الصفَّة، والشافعي قد استند ـ إما قال إلى أسطوانة، وإما قال إلى غيرها ـ إذْ جاء شيخ عليه جبَّة صوف، وعمامة صوف، وإزار صوف، وفي يده عُكَّاز قال: فقام الشافعي وسوَّى عليه ثيابه واستوى جالسًا، قال: وسلم الشيخ وجلس، وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبةً له، إذ قال له الشيخ: أَسأَلُ؟

(١) هو الإمام البيهقي، والقصة في كتابه «المدخل إلى السنن الكبرى» كما عزاها إليه الجلال السيوطي في «مفتاح الجنة» ص٤٠، وليست في القسم المطبوع منه. وقد أشار الفخر الرازي رحمه الله إلى هذا الاستدلال في «مناقب الشافعي» له ص١٥٦، وفي «تفسيره» ١١ : ٤٣ وعلَّق على توجيه الاستدلال بالآية تعليقًا خفيفًا، وأحال على كتابه «المحصول» للاستيفاء فانظره ٤ : ٣٥ ـ ٦٦.

قال: سل. قال: أَيْشٍ الحجَّةُ في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله. قال: وماذا؟ قال: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة. قال: من أين قلتَ: اتفاقُ الأمةِ من كتاب الله؟[١] قال: فتدبَّر الشافعي ساعةً! فقال للشافعي: قد أجَّلتك ثلاثة أيام ولياليَها، فإن جئتَ بحجةٍ من كتاب الله في الاتفاق، وإلا تُبْ إلى الله عز وجل.

قال: فتغيَّر لون الشافعي، ثم إنه ذهب فلم يخرج ثلاثة أيام ولياليَهن، قال فخرج إلينا اليومَ الثالث في ذلك الوقت ـ يعني: بين الظهر والعصر ـ وقد انتفخ وجهُه ويداه ورجلاه وهو مِسْقام، فجلس قال: فلم يكن بأسرعَ أنْ جاء الشيخ، فسلَّم فجلس فقال: حاجتي!

فقال الشافعي: نعم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل: ﴿ومن يُشَاقِقِ الرسولَ من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبعْ غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولَّى ونُصْلِه جهنم وساءتْ مصيرًا﴾ لا يُصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرضٌ. فقال: صدقتَ، وقام وذهب.

قال الفاريابي: قال المزني ـ أو الربيع ـ: قال الشافعي: فلما ذهب الرجل قرأتُ القرآن في كل يوم وليلة ثلاثَ مراتٍ حتى وقفتُ عليه. يعني على دليل الإجماع.

هذا من بعض أحكام القرآن وعجائبه وفوائده وغرائبه. وطريقُ استنباط ذلك للاتِّعاظ: الاعتبارُ بمدلولات الألفاظ.

وكذلك الحكمةُ المشارُ إليها في الآية الشريفة، وهي سنة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، فيستنبط من الحديث الواحد مع إيجازه عدَّةٌ من الأحكام، كيف لا وقد أُعطِي قائلُه صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكَلِم،

(١) يريد: أين الدليل من كتاب الله على أن اتفاق الأمة وإجماعهم حجة في دين الله.

وخُصَّ ببدائع الحِكَم[1].

أخبرنا الخطيبان المتفقان أيضًا في الكنية والاسم واسم الأبِ والجدِّ: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المصري، قدم علينا دمشق، بقراءتي عليه بها بمسجد العادلية الكبرى، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن كامل، بقراءتي عليه ببلد حَبْرون، وآخرون، قالوا: أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد الخطيب قراءةً عليه ونحن نسمع، قال الثاني: وأنا حاضر، أخبرنا عبد اللطيف بن أبي محمد النُّمَيري سماعًا، أخبرنا عبد المنعم بن أبي نصر التاجر، أخبرنا علي بن أحمد العمري، أخبرنا محمد بن محمد البزاز، أخبرنا إسماعيل المِلْحي، أخبرنا الحسن

---

(١) ولهذا شواهد بلغ بعضها حدَّ العَجَب وغاية الاستغراب!.

١ ـ منها: حديث ذي اليدين، الذي تكلم عليه العلائي في مجلد سماه «نظم الفرائد». طبع!.

٢ ـ ومنها: حديث البراء بن عازب: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع، تكلم عليه ابن دقيق العيد في «شرح الإلمام» بثلاث عشرة مسألة وأربع مئة مسألة (٤١٣).

٣ ـ ومنها: حديث المجامعِ أهلَه في شهر رمضان، تكلَّم عليه عز الدين ابن خَضِر الهكَّاري المتوفى سنة ٧٢٧ في مجلدين جمع فيهما ألف فائدة وفائدة. انظر «البداية والنهاية» لابن كثير ١٤: ١٣٦، و «فتح الباري» ٤: ١٧٣ آخر كلامه على حديث (١٩٣٧).

٤ ـ ومنها: حديث «يا أبا عمير ما فعل النغير» جمع فوائده أبو العباس ابن القاصِّ الطبري في جزء مفرد ـ طبع ـ ذكر ما فيه من وجوه الفقه وفنون الأدب ستين وجهًا، لخصها ابن حجر في «الفتح» ١٠: ٥٨٤ عند شرحه للحديث (٦٢٠٣)، ونقَّحها وزاد عليها. وفي «التراتيب الإدارية» ٢: ١٥٠ أن بعضهم أوصلها إلى نحو ٢٥٠ فائدة، وبعضهم إلى نحو ٣٠٠ فائدة، وأن ابن الصباغ أملى في درسه بمكناسة على هذا الحديث ٤٠٠ فائدة، وكان آخر دروسه بها.

العبدي[١]، حدثنا هُشَيم بن بَشِير، عن عبد الرحمن بن إسحاق القرشي، عن أبي بُرْدة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُعطيت فواتحَ الكَلِم وخواتمه وجوامعه» فقلت: يا رسول الله علِّمنا مما علَّمك الله، فعلَّمَنا التشهد في الصلاة.

هذا الحديث على شرط مسلم، لأن عبد الرحمن بن إسحاق القرشي انفرد مسلم بإخراج حديثه دون البخاري، لأن عبد الرحمن هذا عند البخاري ليس ممن يُعتمَد على حفظه وقال: «ربما وهم» فيما ذكره في «تاريخه»[٢] وللحديث علّة وهي مجيئه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا[٣].

---

(١) هو الحسن بن عرفة العبدي، والحديث في «جزئه» المشهور ٥٩ (٣٣) وصرَّح بأن عبد الرحمن بن إسحاق هو القرشي، كما هنا، ونقله ابن رجب في مقدمة كتابه «جامع العلوم والحكم» لكن روى الحديثَ ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠١٥، ٣٢٣٩٣)، وأبو يعلى ٦: ٣٨٤ (٧٢٠٢)، كلاهما من طريق هشيم، به، ولم ينسبا عبد الرحمن قرشيًّا أو واسطيًّا، إنما قال الهيثمي في «المجمع» ٨: ٢٦٣: «رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وهو ضعيف» فاجتهد من عنده بنسبته واسطيًّا ـ وتوبع ـ وعمدته أن المزي ذكر في «تهذيبه» رواية هشيم عن الواسطي في ترجمتيهما، ولم يذكر ذلك بينه وبين القرشي، لكن إذا ذُكر هذا في الإسناد تعيَّن المصير إليه، والمزي ـ وغيره ـ لم يستوعب، كما بيَّنتُه في دراسات الكاشف للذهبي ص٥٩. وقد يكون المزي نَسَبه (الكوفي) اجتهاداً منه وقد يكون اعتماداً على نسبته في الإسناد، فإن كان الاحتمال الأول فتكون لهشيم رواية عن القرشي فقط، وإن كان الثاني فتكون لهشيم رواية عن الاثنين، ويتعذر التمييز بينهما.

وعلى كل: فليصحح هذا عند الهيثمي ومتابعيه، فالمراد به القرشي المدني الذي قال عنه الحافظ في «تقريب التهذيب» (٣٨٠٠): «صدوق رمي بالقدر».

(٢) «التاريخ الكبير» ٥: ٢٥٨ (٨٣٤).

(٣) قلت: في جعل هذه الرواية الموقوفة علةً في الرواية المرفوعة: نظر، ذلك =

أنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء السُّلمي قراءةً عليه وأنا أسمع، في ذي القَعدة سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة، بالجامع المظفَّري من سَفح قاسيون، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد التَّيْمي، أخبرنا عبد المعز بن محمد، أخبرنا تميم بن أبي سعيد، أخبرنا علي بن محمد الحاكم، أخبرنا محمد بن أحمد الزَّوْزَني، أخبرنا محمد بن حِبَّان التميمي(١)، حدثنا أحمد

أن السلف رضي الله عنهم كانوا يتوقَّون كثيرًا الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيتكلمون بالأمر على أنه من كلامهم لا يرفعونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إلا إذا احتاجوا إلى ذلك، لذلك تجد الحديث الواحد يروى عن الصحابي نفسه مرفوعًا وموقوفًا، وتجده يروى عن صحابي مرفوعًا، وعن غيره موقوفًا، وليس هذا من باب الاضطراب والاختلاف، إلا إذا كان أحد الرواة سيء الحفظ والضبط فإن المحدثين يلجؤون إلى ذلك.

وقد روى الدارمي في أوائل «سننه» ١: ٩٤ تحت باب: من هاب الفتيا مخافة السقط، أن الشعبي سئل عن حديث فحدَّث به، فقيل له: إنه يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا، على من دون النبي صلى الله عليه وسلم أحبُّ إلينا، فإن كان فيه زيادة ونقصان كان على من دون النبي صلى الله عليه وسلم. ثم أسند نحوه عن إبراهيم النخعي.

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه «الفروسية» ص٢١٨ آخر كلامه على حديث يدلُّ على جواز المحلِّل في رهان المسابقة: «وقُصارى ما يُعلَّل به: الوقف على سعيد ابن المسيَّب، وهذا ليس بعلة، فقد يكون الحديث عند الراوي مرفوعًا، ثم يفتي به من قوله، فينقَل عنه موقوفًا، فلا تناقض بين الروايتين». قال هذا على لسان غيره، وفي ص٢٨٢ لما وصل إلى مناقشة هذه الفكرة لم يردَّها بل قال: «يجب قبولها في موطن، ويجب ردّها في موضع، ويتوقف فيها في موضع».

على أن هذا الذي يقوله ابن مسعود رضي الله عنه «أُوتي فواتح..» هذا إخبار عن إيتاء، وهو أمر مغيَّب، فالكلام فيه لا يكون إلا عن توقيف.

(١) هو ابن حبان صاحب «الصحيح» والحديث في «الإحسان» ١٤: ٣١١
=

ابن عبد الله بحرّان، حدثنا النُّفَيلي، حدثنا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاقَ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم أُوتي فواتح الكلام وخواتمه ـ أو جوامع الخير وخواتمه ـ وإنا كنَّا لا نَدري ما نقولُ إذا جلسنا في الصلاة حتى علَّمنا، فقال: «قولوا: التحيات لله...» وذكر الحديث.

وله[1] شاهد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا محمدٌ النبيُّ الأميُّ، لا نبيَّ بعدي، أُوتِيتُ جوامع الكَلِم وخواتمه، وعُلِّمتُ [كم] خزَنَةُ النار، وحَمَلَةُ العرش».

وخرَّج الدارقطني في «سننه» من حديث زكريا بن عطية، حدثنا سعيد ابن خالد، حدثني محمد بن عثمان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُوتيتُ جوامع الكَلِم، واختُصِرَ ليَ الحديثُ اختصارًا»[2].

(٦٤٠٢)، وانظر منه ٥: ٢٨١ (١٩٥١). والحديث في «المسند» أيضًا ١: ٤٠٨، ٤٣٧، والنسائي في «الصغرى» ٢: ٢٣٨ (١١٦٣)، وابن ماجه ١: ٦٠٩ (١٨٩٢).

(١) أي لحديث موسى، وهذا الشاهد رواه الإمام أحمد ٢: ١٧٢، ٢١٢ من وجهين فيهما ابن لهيعة، وفيه ضعف.

(٢) «سنن» الدارقطني ٤: ١٤٤ (٨). وزكريا بن عطية قال فيه أبو حاتم في «الجرح» ٣ (٢٧٠٧): «منكر الحديث»، وسعيد بن خالد هو الخزاعي ضعَّفوه، انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» وفروعه. فقول العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ٢: ٣٦٧ تحت باب بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم من كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة من «الإحياء»، قوله عن إسناد الدارقطني «جيد»: في محل النظر، لكن روى الحديث عبد الرزاق ٦: ١١٢ و١١: ١١١ ـ ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ٣٠٧ (٥٢٠٢) = ٩: ٤١٧ (٤٨٣٧) ـ عن أبي قلابة، عن عمر، وهو منقطع بينهما، وهو أيضًا جزء من حديث عند أبي يعلى، ذكره الهيثمي في «المجمع» ١: ١٧٣ من =

وصحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بُعثتُ بجوامع الكَلِم، ونُصِرتُ بالرُّعْب...» الحديث[١].

فُسِّر جوامع الكلم بالقرآن[٢]، لإيجازه واحتوائه على علومٍ لا

رواية عُمر، و١٨٢ من رواية خالد بن عُرْفُطة، وضعَّفه بعبد الرحمن بن إسحاق الواسطي السابق قريبًا، فهو بهذه الشواهد يتقوّى.

وكونه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم هذا ثابت بأحاديث في الصحيحين معًا، وفي مسلم وحده، وغيرهما، وانظر الحديث الآتي.

(١) رواه البخاري في مواضع من «صحيحه» أولها: كتاب الجهاد ـ باب قوله صلى الله عليه وسلم: نصرت بالرعب ٦: ١٢٨ (٢٩٧٧)، ومسلم: أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١: ٣٧١ ـ ٣٧٢ (٦ ـ ٨) عن أبي هريرة مرفوعًا، ولأبي هريرة حديث آخر عند مسلم (٥) أوله «فُضِّلت على الأنبياء بستّ: أُعطيت جوامع الكلم..».

(٢) أما هنا فنعم، بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم «بُعثت»، وأرى الاقتصار عليه، أما في قوله «أوتيت» و «أعطيت» فيمكن تفسيره بالمعنى الأعم: القرآن الكريم، والبلاغة والإيجاز في أحاديثه الشريفة، وإن كنت لم أر من ميَّز هكذا، وقد نقل النووي في «شرح مسلم» ٥: ٥ عن أبي عبيد القاسم تفسير جوامع الكلم بالقرآن، ومثله قاله الأزهري في «تهذيب اللغة» ١: ٤٠٢، وألحقَ به النووي ـ الموضع المذكور ـ وابن حجر في «الفتح» ٦: ١٢٨، ١٣: ٢٤٧ السنة الشريفة، وقد قال الزهري ـ على ما جزم به ابن حجر وصوَّبه في «الفتح» ١٢: ٤٠١، ١٣: ٢٤٧ ـ: بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك». وفي ١٣: ٢٤٨ ذكر أمثلة على ذلك، ثم ذكر ضابطًا لمعرفة جوامع الكلم.

وينظر «شرح الزرقاني على المواهب» ٥: ٢٦١، و«شرح الزبيدي على الإحياء» ٧: ١١٢، و «نهاية» ابن الأثير.

أما معنى «فواتح الكلم»: ففي «النهاية» مادة (ف ت ح): «أخبر أنه أوتي مفاتيح الكلم، وهو ما يسَّر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني،
=

تحصى، وفنونٍ من البلاغة لا تُستقصَى.

وفي حديثِ هندِ بن أبي هالةَ رضي الله عنه، في وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ويتكلم بجوامع الكلم فَصْلاً، لا فُضَولَ فيه ولا تقصير»[١] فُسّر هذا بأنه الكلامُ الموجَز المفيدُ المحكَم.

وبدائع الحكم، ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت، ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون، سهُل عليه الوصول إليه».

وفي هذا (الكلم) الذي أوتيه: الخيرُ كلُّه، فلذا قال: أوتي فواتح الكلام وخواتمه، أو: جوامع الخير وخواتمه، وهو كناية عن الخير كله من أوله إلى آخره. وقد قال العلامة السندي في «حاشيته على سنن النسائي» عند حديث ابن مسعود الذي تقدم تخريجه منه: «إن محمداً صلى الله عليه وسلم عُلِّم فواتح الخير وخواتمه» قال: «فواتح الخير وخواتمه: كناية عن تمام الخير» ثم قال في الصفحة التالية تعليقًا على كلمة ابن مسعود: «علَّمنا نبي الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم» قال السندي: «أي: من جوامع الكلم للخيرات».

وكلمة ابن مسعود هذه: علَّمنا نبي الله جوامع الكلم: من الأدلة الدالة على أن محمداً صلى الله عليه وسلم أُوتي جوامع الكلم بالمعنى الأعم: القرآنَ وغيره، فإنه هنا علَّم أمته التشهد الذي هو من جوامع الكلم. وكلام المصنف هنا يشير إلى هذا.

(١) حديث هند بن أبي هالة الطويل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابن سعد في «طبقاته» ١ : ٤٢٢، وفرَّقه الإمام الترمذي في عدة أبواب من كتابه «الشمائل المحمدية» أولها الحديث السابع منه، ورواه الطبراني في «معجمه الكبير» ٢٢: ١٥٥ (٤١٤)، وعنه أبو نعيم في «الدلائل» ٢: ٦٢٧ (٥٦٥)، ورواه البيهقي في «الدلائل» أيضًا ١: ٢٨٥ من أكثر من وجه، وفي «الشعب» ٢: ١٥٤ (١٤٣٠) = ٤: ٣١ (١٣٦٢)، ثم البغوي في «الأنوار في شمائل النبي المختار صلى الله عليه وسلم» ١: ٣٤٣ (٤٥٧) و «شرح السنة» له ١٣: ٢٦٩ (٣٧٠٥)، وعياض في «الشفا» ١: ١٩٨ من طريق الترمذي وغيره، وذكر كلٌّ جملة منه تحت بابها المناسب ابنُ الجوزي في «الوفا» ١: ٣٩١ فما بعد.

ومدار طرقه على: جُميع بن عمير ـ أو عمر ـ العجلي، وهو ضعيف، وشيخه، =

وفي «مسند» الإمام أحمد ـ وأصلُه مخرَّج في الصحيحِ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَسْرُدُ سَرْدكم هذا، كان يتكلَّم بكلام يُبيِّنه، فَصْلاً، يحفظُه من يسمعُه[1].

وفي قولِ عائشة رضي الله عنها «يتكلم بكلام يبيِّنه» إشارةٌ إلى إحدى حالاته صلى الله عليه وسلم وهو أنه يُبيِّن كلامه بمعانيه، حين يتكلَّم به ويلقيه، ومن أحواله أنه كان يُسألُ عن كلامه إذا أشكلَ فيبيِّنه لسامعيه.

ومن الأول: ما أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن هبة الله القَيْسي الصِّقِلِّي[2] قراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن أبي طالب البَيَاني[3] محمد بن عمر الأصبهاني سماعًا قالا: أخبرنا عبد اللطيف بن محمد كتابةً من بغداد، أخبرنا أبو المعالي أحمد بن عبد الغني سماعًا، أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد الخياط، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا

وشيخ شيخه مجهولان.

أو على: الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، الذي اتهمه الذهبي في «الميزان» ١: ٥٢١ (١٩٤٣) بالوضع، ووافقه ابن حجر في «اللسان». وقال الهيثمي في «المجمع» ٨: ٢٧٨ عن رواية الطبراني «فيه من لم يسم» مع أن فيه جُميعًا أيضًا. نعم، الحديث متداول بالقبول بين العلماء.

(١) رواه أحمد ٦: ٢٥٧، والبخاري آخر حديث في باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب المناقب ٦: ٥٦٧ (٣٥٦٨)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أبي هريرة ٤: ١٩٤٠ (١٦٠)، كلهم من طريق ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة.

(٢) هكذا ضبطها ياقوت، وعند السمعاني ـ وتابعه ابن خلكان ٣: ٢١٥، وابن الأثير والسيوطي ـ: الصَّقَلِّي، وتقدم ص٢٢٢.

(٣) تقدم في المجلس ١٢ صفحة ٢٩١ التنبيه إلى أنه أبو العباس الصالحي الحجار، نُسب إلى جدٍّ له اسمه: بيان.

محمد بن أحمد الصواف، أخبرنا بِشر بن موسى، حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سفيان، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، أخبرني محمد بن إبراهيم التَّيْمي، أنه سمع علقمة بن وقَّاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر يُخبر ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانتْ هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبِها أو امرأةٍ ينكِحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١].

حديث صحيح متفق على صحته وثبوته، لكنه من الأفراد بالنسبة إلى أوائل الإسناد، ومتواتر بالنسبة إلى الأواخر، فهو من يحيى بن سعيد الأنصاري إلى عمر رضي الله عنه من الأفراد، لم يصحَّ أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم غيرُ عمر، ولا عن عمر غيرُ علقمة، ولا عن علقمة غير التَّيْمي، ولا عن التيميِّ غيرُ الأنصاري. هذا التفرُّد في الإسناد.

وأما بقيته فهو متواتر، فقد رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري خلقٌ بلغ بهم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده ثلاث مئة رجلٍ وأربعين رجلاً[٢].

---

(١) الحديث من أشهر أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إن لم يكن أشهرها، والمصنف ساقه من طريق الحميدي، وهو في «مسنده» ١: ١٦ (٢٨). ويكاد لا يخلو كتاب مسند من كتب السنة إلا والحديث فيه، حتى مالك في «الموطأ» وِفاقًا لابن دحية، وخلافًا للحافظ ابن حجر ـ رحمهما الله تعالى ـ في «التلخيص الحبير» ١: ٥٥، انظر «الموطأ» رواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني آخر باب النوادر، أواخر الكتاب ٣٤١ (٩٨٣)، وهو في شرحه «التعليق الممجَّد» ٣: ٥١٣ (٩٨٢)، وهو أيضًا في «البيان والتحصيل» شرح العتبية ١٨: ٤٢٠.

(٢) وذلك في كتابه «المستخرج من كتب الناس للتذكرة، والمستطرف من =

وحكى أبو موسى المَدِيني[١]، عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري أنه قال: كتبتُ هذا الحديث عن سبع مئة نَفْس من أصحاب يحيى بن سعيد ـ يعني: الأنصاري ـ.

فمن الأنصاري إلينا هو متواتر، وما هذا سبيلُه في التواتر والإفراد هل يُعدّ متواترًا أو فردًا؟ هذا محل نظرٍ، والظاهر أن الحكم لأول الإسناد[٢]. والله أعلم.

وأما القسم الثاني من الأحاديث النبوية فمنه: ما أنبأنا الحافظ أبو بكر

أحوال الناس للمعرفة» كما في «نصب الراية» للزيلعي ١: ٣٠٢، قال: «وذكر ثلاث مئة وثلاثين رجلاً كلهم رووه عن يحيى بن سعيد، يطول ذكرهم».

وقد نقل الذهبي في «السِّيَر» ٥: ٤٧٦ سَرْد ابن منده لهم، وعددتُهم فبلغوا ٣٣٦ رجلاً.

(١) عن بعض مشايخه، عن أبي إسماعيل الأنصاري، وليس عنه مباشرة. وعلق عليه ابن حجر في «الفتح»: «قلت: وأنا أستبعد صحة هذا، فقد تتبعت طرقه من الروايات المشهورة والأجزاء المنثورة منذ طلبت الحديث إلى وقتي هذا فما قدرت على تكميل المئة». وقال في «التلخيص الحبير»: «مررت على أكثر من ثلاثة آلاف جزء، فما استطعت أن أكمل له سبعين طريقًا!». وعلى كلٍّ فإن تعداد ابن منده جاوز بكثير جدًّا ما وقف عليه ابن حجر، وهو أقل من نصف دعوى أبي إسماعيل الأنصاري.

ووراء هذا كله: عبرةٌ! كم فات المتأخرَ مما وصل إلى المتقدم، ولذلك كان المتقدم أشدَّ أدبًا ووقوفًا عند حدِّه من المتأخر!! لكن هذا الذي فات من الطرق لا من المتون، والكلام طويل.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «شرح النخبة» ص٣٢ عند كلامه على المتواتر: «الأقل في هذا العلم يقضي على الأكثر». وجاء قوله هذا على سبيل تقرير قاعدة. فاستظهار المصنف هنا أن يحكم له بالغرابة من باب التلطف في الترجيح ـ والله أعلم ـ إذ الواقع أنه غريب فرد.

محمد بن عبد الله ابن المحبّ، أخبرتْنا زينب ابنة أحمد الكماليَّة بقراءتي عليها في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحِجة سنة ست وثلاثين وسبع مئة، أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ إجازةً، أخبرنا أبو محمود أسعد ابن أحمد بن حامد الثقفيُّ وأبو سعيد خليل بن أبي الرجاء الراراني وأبو المحاسن محمد بن الحسن التاجر سماعًا قالوا: أخبرنا أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحيم قال: قُرِىء على أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حَيَّان في سنة ثمان وستين وثلاث مئة فأقرَّ به وأنا أسمع، حدثنا أحمد بن عبدان بن سِنان، حدثنا إسماعيل بن مسعود، حدثنا أحمد بن المِنْهال السَّرْخَسي قال:

مَرّ بخارجةَ بن مُصعب رجلٌ ممن يطلب الأشعار، فدعاه خارجةُ فقال له: لمَ لا تطلب الحديث؟ قال: أُمِرتُ بطلب الغريب، قال: إن في الحديث من الغريب أكثرَ مما في الأشعار، هاتِ أغربَ ما عندك.

فقال: رأيت الهُبْنُقَ ذا اللَّعْوتين، غَدَا كالعَمَلَّس، في حِضْنه رؤوس العُنَاظِب كالعُنْجُد.

فقال خارجة: أما قولك: رأيت الهُبْنُق: فالهُبْنُق الغلام المدرك قبل أن تخرج لحيته.

ذا اللَّعوتين: يعني الكَلْبتين.

العَمَلَّس: الذئب.

في حِضنه رؤوس العُنَاظِب: الجراد الذكَر.

كالعُنْجُد: الزبيب.

فقال خارجة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس على النَّخَّة والكُسْعة والجَبْهَة صدقة» فما هو؟ فلم يعرفها. فقال: إن الكُسْعة جماعة

العجاجيل من البقر. والنَّخَّة: جماعة الحمير. والجبهة: جماعة الخيل[١].

ومن الباب: ما أنبأنا أبو هريرة عبد الرحمن بن محمد ابن الذهبي وآخرون، عن علي بن محمود بن عبد اللطيف السُّلمي، أخبرنا أبو الخطاب عمر بن الحسن الحافظ كتابةً، أخبرنا أبو القاسم خلف بن عبد الملك القاضي إذنًا، أخبرنا يونس بن محمد بن مُغيث، عن جدِّه مُغيث بن محمد، عن جده يونس بن عبد الله قال: حدثنا عباس بن عمرو الصِّقِلِّي الوراق، عن ثابت بن قاسم بن ثابت، عن جدِّه ثابت بن قاسم[٢]،

---

(١) القصة يرويها المصنف من طريق أبي الشيخ ابن حيان، كما هو واضح من سياق السند، ولم يتيسَّر لي الوقوف عليها في مصدر آخر، والحديث الذي ذكره خارجة آخر القصة رواه بهذه الكلمات الثلاثة ـ النخة، والكسعة، والجبهة ـ البيهقي في «سننه» ٤: ١١٨ من حديث أبي هريرة، وعبد الرحمن بن سمرة، وضعَّف الطريقين. ثم أشار إلى رواية أبي داود له في «المراسيل» (١١٤) بإسناد صحيح إلى كثير بن زياد، عن الحسن البصري مرسلاً.

ثم ذكر أن أبا عبيد رواه في «غريب الحديث» ١: ٧ بإسناده إلى كثير بن زياد هذا، ورفعه، ولم يذكر الحسن، كما رواه من وجه آخر فيه جويبر، عن الضحاك، وجويبر ضعيف جدًّا.

وقد روى لفظ «.. ولا في الجبهة صدقة» فقط: ابنُ حبان في «المجروحين» ١: ٣٧٥، والدارقطني في «سننه» ٢: ٩٤ (١) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢: ٤٩٨ ـ وفي السند أكثر من راو ضعيف.

وتجد بعض اختلاف في تفسير هذه الكلمات عما ذكره خارجة بن مصعب.

(٢) هذا هو ثابت بن قاسم السَّرَقُسْطي الإمام في الحديث واللغة، وكتابه «الدلائل» في غريب الحديث مشهور مفقود إلا قطعة منه، طُبعت، وهذا الحديث منه، وهو في «تاريخ جرجان» ص١٨٨ ترجمة (٢٥٥) لكن من طريق محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب الزبيري، عن محمد بن عبد الرحمن. وعزاه إلى السرقسطيٍّ السخاويُّ في «المقاصد الحسنة» ٢٩ (٤٥) وقال عن إسناده: «واهٍ». وكذلك ضعَّفوا
=

حدثنا علي بن عَبْدَك، حدثنا العباس بن عيسى، حدثنا يعقوب بن عبد الوهاب الزُّبيري، حدثني محمد بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن جده قال: قال رجل من بني سُلَيم للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله الرجلُ يُدالِك أهله؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم إذا كان مُلْفَجًا» قال: فقال له أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ما قال لك وما قلتَ له؟ قال: «قال لي: الرجلُ يُماطِل أهلَه؟ قال: فقلت: نعم إذا كان مُفْلسًا»، قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله طِفْتُ في العرب وسمعتُ فصحاءَهم فما سمعت أفصح منك! فمَنْ أدَّبك؟ قال: «أدَّبني ربِّي، ونشأتُ في بني سعد».

وجاءت هذه اللفظة «أدبني ربي» في حديث طِهْفَة بن أبي زُهير النَّهْدي، ويقال طُهَيَة، ويقال ابن زهير، الذي رُوي من طَريقٍ عن عمران ابن حُصَين رضي الله عنهما[1] قال: لما قدمتْ وفودُ العرب على النبي

الشاهد من الحديث ـ أدَّبني ربي ـ وصححوا معناه، قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع فتاويه» ١٨ : ٣٧٥: «المعنى صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت»، وتبعه الزركشي في كتابه «التذكرة» ص١٦٠، وإن قال السيوطي في «الدرر المنتثرة» ٣١ (٨): «صححه أبو الفضل ابن ناصر»! يريد: ابن ناصر السَّلامي شيخ ابن الجوزي، لا ابن ناصر الدين الدمشقي المصنف.

وروى صدرَ الحديث موقوفًا على الحسن البصري: أبو سعيد السيرافي في «أخبار النحْويين البصريين» ص٩٠ بسنده إلى أبي زيد الأنصاري «أنه قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أيُدالك الرجل امرأتَه! قال: لا بأس إذا كان مُلْفَجًا» ثم فسَّر الملفَج بالمفلس، والمدالكة بالمماطلة. وقد علَّقه أبو عبيد في «غريب الحديث» ٤: ٤٥٩ على الحسن كذلك. والملفَج ـ بفتح الفاء ـ قال في «القاموس» عن هذا الضبط: نادر.

(١) انظر الحديث بطوله في «شرح المواهب» ٤ : ١٦٢ وما بعدها، وأما رواية علي رضي الله عنه، المشار إليها بعد قليل، فهي في «العلل المتناهية» ١ : ١٨٤ =

صلى الله عليه وسلم قام طِهْفة بن أبي زهير النَّهْدي فقال: أتيناك يا رسول الله من غَوْرَيْ تِهامة، على أكوار المَيْس، تَرْتَمي بنا العِيس.. الحديثَ بطوله، وفيه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم باركْ لهم في مَحْضِها ومَخْضِها ومَذْقها وفِرْقها، وابعثْ راعيَها في الدَّثْر، بيانع الثمر، وافجُرْ لهم الثَّمَد، وبارك لهم في المال والولد»[١].

وفي الحديث: فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا رسول الله نراك تُكَلِّم وفود العرب بما لا نفهمُ أكثرَه ونحن بنو أبٍ واحد؟! فقال: «أدَّبني ربي فأحسن تأديبي ورُبِّيت في بني سعد».

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد البَلَوي: حدثني عُمارة بن زيد الأنصاري، من الأوس من ساكني تَيماء، حدثني إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، حدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن زَبَّان بن قَسْوَر الكُلَفِي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بوادي الشَّوْحط[٢]، ومعه رجل دونه في هَدْيه وسَمْته، إذا كلَّم رجلٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطال: أومأ إليه أنِ

---

(٢٨٤) و «الوفا بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم» ٢: ٤٨٩ طبعة الدكتور مصطفى عبد الواحد، أو صفحة ٧٦٧ طبعة دار الكتب العلمية. والحديث لا يصح، فيه ضعفاء ومجهولون ومتهم.

(١) الأكوار: الرِّحال، جمع كَوْر. المَيْس: شجر صُلب يعمل منه أكوار الإبل. المَحْض: اللبن الخالص. والمَخْض: اللبن الذي أُخِذ زُبده. والمذق: اللبن المخلوط بالماء. والفِرْق: مكيال يكال به اللبن. والدثر: الأرض المخصبة. الثَّمَد: الماء القليل. انظر المصادر الثلاثة السابقة إلا «الفِرق» فمن «النهاية».

(٢) الشَّوْحط: قال في «النهاية»: «ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القِسِيّ، والواو زائدة» فالشوحط هنا صفة للوادي وليس اسمًا له ليبحث عنه في «معجم البلدان» ونحوه! والضبط من قلم المصنف.

اقتصدْ، وإذا كلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، سمَّعه وفهَّمه قولَ النبي صلى الله عليه وسلم، فقلتُ لبعض أصحابه: من هذا؟ قالوا: هذا صاحبه الأخصُّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فكلَّمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن لُوبًا ـ يعني: نَحْلاً ـ كان في عَيْلَم له طِرْمٌ وشَرْوٌ، فجاء رجل فضرب ميتين فأنتج حيًّا وكفَّنه بالثُّمام، فَنُحِس، فطار اللُّوب هاربًا، ودلَّى مِشْواره في العَيْلم، فاشتار العسلَ فمضى به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملعون ملعون من سرق شَرْوَ قوم فأضرَّ بهم، أفلا تَبِعتُم أثَره، وعرفتم خبره؟!» قال: قلت: يا رسول الله إنه دخل في قوم لهم مَنَعة، وهم جيرتنا من هُذَيل! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرِدْ نهر الجنة، وإن سَعَته كما بين اللَّقيقة والسَّحيقة، يَتَسَبْسَبُ جَرْيًا بعسلٍ صافٍ ما تقيَّأه لُوبٌ ولا مَجَّه نُوب»[١].

الكُلَفي هذا مختلَف في اسمه، فقيل زَبَّار ـ بالزاي المفتوحة ثم موحدة مشددة وبعد الألف راء ـ وقيل كذلك لكن آخره نون، وبه جزم الدارقطني، وقال عن حديثه: منكر الإسناد[٢]، ثم قال: حدثنا الحسن بن

---

(١) اللوب: النحل العِطاش. والعيلم: البئر الكثيرة الماء. والطرم: الشَّهْد. والشِّرْو: العسل. الثمام: نبت ضعيف يستعمل لسدِّ ثقوب البيت. فنُحِس: هكذا بقلم المصنف وضبطه. المِشوار: آلة جني العسل. اشتار العسل: جَنَاه. اللقيقة والسحيقة: هكذا بقلم المصنف وضبطه أيضًا والظاهر أنهما اسما مكانٍ. يتسبسب: يجري. والنوب: النحل ـ أي: مطلقًا، أما اللوب فالعطاش منه ـ.

وقوله: «ما تقيأه لوب ولا مجّه نوب» يُذكِّر بقول القائل:

تقول: هذا مُجاج النحل تمدحه، ... وإن تَشأ قلتَ: ذا قيءُ الزنابير!
مدحًا وذمًّا وما جاوزتَ وصفهما ... والحقُّ قد يعتريه سوءُ تعبير

(٢) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني ٢: ١٠٨٤. وكلمة «منكر» هنا في حكم الموضوع، بقرينة ما سيأتي، لا أنه مخالفة الضعيف للقوي كما يبدو من كلام المصنف!.

رَشِيق بمصر، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن جرير الهَمْداني، حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد البَلَوي، فذكره بطوله.

تابعه أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد الحضرمي الحافظ، فرواه عن الحسن بن رَشيق لكنه قال: زبار ـ بالراء ـ كما قاله عبد الغني بن سعيد المصري[1]، وهو ابن قَسْور وقيل ابن قيسور، ذكره في الصحابة أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني في كتابه «التتمة لكتاب المعرفة» تأليف أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده فاستدركه عليه، واختصر حديثه هذا.

وهذا الحديث وإن كان إسناده منكرًا ففصاحة النبي صلى الله عليه وسلم لا تُنكَر، وبلاغة قوله لا تُجهل، وحِكَم أحاديثه لا تحصى، ومعاني جوامع كَلِمه لا تستقصى، مع التأييد الإلهي، والمدد الرباني، والعصمة التي ذكرت في القرآن تصريحًا، فقال تعالى: ﴿وما يَنطِق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحَى﴾. فهذا[2] وأمثاله من الأخبار، مما يدلُّ(٢) على بلاغة نبينا المختار، الذي ما يَنطِق عن الهوى صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم وعظَّم. وقلت في معنى ذلك:

---

(١) في «المؤتلف والمختلف» ص٦٠، وقال عن الحديث: «موضوع لا يعرف إلا من حديث عبد الله بن محمد البلوي، وهو كذاب» وقد نقل الذهبي في «الميزان» ٢: ٤٩١ (٤٥٥٨) عن الدارقطني نفسه أنه قال في البلوي «يضع الحديث»، وكذَّبه أيضًا ابن الجوزي في «العلل المتناهية» آخر كلامه على حديث علي رضي الله عنه السابق، لأنه من رواية البلوي أيضًا. وقال الحافظ في «اللسان» ٣: ٣٣٨: «هو صاحب رحلة الشافعي طوَّلها ونمَّقها، وغالب ما أورده فيها مختلق».

(٢) إن كان يريد الاستدلال بالحديث فقط: ففي التعبير بـ «يدل» تجوُّز لا يخفى، إذ كيف يستدل بخبر موضوع!! وإن كان يريد الاستدلال بما أشار إليه مع الحديث: فنعم.

بلاغـةُ القـول مـن المـصطفى ... في كـل فـنّ نورهـا يُـشرقُ

مقالُـه فـصلٌ ومـن فـضله ... عـن الهـوى نُـزِّه مـا يَنطِـقُ

فمـا أتـى فيمـا مـضى مثلُـه ... كـلا ولا يـأتي ولا يُخلَـقُ

صـلاةُ ربي زاكيًـا نَـشْرُها ... عليـه يُطـوى فائحًـا يَعبَـقُ

وتـشملُ الآلَ وأصـحابَه ... ومـن بهـم في هـديهم يُلْحَـقُ

آخر الإملاء ولله الحمد حمدًا كثيرًا

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا دائمًا

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ١٩ ـ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

أخبر الله تعالى بما منَّ به وتفضَّل، وتكرَّم به على عباده المؤمنين وتطوَّل، وأكَّد الإخبار باللام، تأكيدًا لشأن هذا الإعلام، فقال تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾.

ومعنى ﴿منّ﴾ ـ والله أعلم بما أراد ـ أي: أحسن وأنعم، والمنان ـ في أحد معنييْه ـ الذي يبدأُ بالنَّوال قبل السؤال، ويجود بالعطاء قبل الدعاء.

والمؤمنون: هذه الأمة، في قولٍ. والرسول: هو بلا خلاف نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

خرَّج أبو بكر بن مَرْدُوْيَهْ في «تفسيره» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ قال: وكنتم أنتم المؤمنون[1]، وكان محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) وضع المصنف رحمه الله فوقها ضبة (صـ) إشعارًا بأنها كذلك نُقلت، وأن فيها وقفة، وهو كذلك، إذ الفصيح أن يقال: المؤمنين، على أنها خبر كان، وبه ورد القرآن الكريم كثيرًا، كقوله عز وجل: ﴿.. كنت أنت الرقيب عليهم﴾ و﴿إن تَرَنِ أنا أقلَّ منك مالاً وولدًا﴾ ويجوز جعل الضمير (أنتم) مبتدأ آخر، والمؤمنون خبره، والجملة خبر كان. ومعلوم أن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى من الوجه الذي يحتاج إلى تقدير. وانظر ص٤٧٨.

هو الرسول إليكم.

وخرج أيضًا عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ قالت: من العرب[١].

وحكى الإمام الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن بعضهم أن لفظ الآية عامٌّ ومعناها خاصٌّ في العرب، لأنه ليس حيٌّ من أحياء العرب إلا وقد ولَدَه صلى الله عليه وسلم ولهم فيه نسبٌ إلا بني تَغْلِب، فإن الله سبحانه طهَّره منهم، لما فيهم من دَنَس النصرانية، إذْ ثبتوا عليها، وبيانُ هذا التأويل قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾.

وقال الآخرون: أراد به المؤمنين كلَّهم. ومعنى قوله: ﴿من أنفسهم﴾: بالإيمان والشفقة لا بالنسب، كما يقول القائل: أنت نفسي، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾. قاله الثعلبي في «تفسيره».

وقوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياتِه﴾ يتلو من التِّلاوة ـ بكسر المثناة فوق وضمِّها، لغتان ـ وهي: إتْباع بعضِ القرآن بعضَه قراءةً، والآياتُ هنا فسِّرت بالقرآن.

ومعنى ﴿يزكيهم﴾: يصلحهم فيصيرون صالحين متقين. ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ يعني: القرآن، ﴿والحكمة﴾ يعني: السنة، كما تقدم القول في المجلس الأول[٢] عن مجاهد عن ابن عباس، وحكاه الشافعي عن من يرضى من أهل العلم: أن ﴿الحكمة﴾ السنة.

---

(١) ورواه عنها البيهقي في «شعب الإيمان» ٢: ٢٣٢ (١٦١٥) = ٤: ٢٤٦ (١٥٠١)، و «مناقب الشافعي» له ١: ٣٢.

(٢) أي: السابق، انظر ص٣١١، وليس في المجلس الأول ترتيبًا وواقعًا شيء.

والسنة: هي أقوالُ النبي صلى الله عليه وسلم وأفعالُه وتقريرُه على أمرٍ اطَّلع عليه، وزِيدَ على ذلك: ما إذا سَلِم من الاعتراض.

وقوله تعالى: ﴿وإنْ كانوا﴾ أي المؤمنون الذين منَّ الله عليهم ﴿من قبلُ﴾ أي: من قبلِ أن يَبعثَ رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿لفي ضلالٍ﴾ الضلال: ضدُّ الرشاد والهدى، وقوله ﴿مبين﴾ أي بيِّن ظاهر، حتى إن كثيرًا من المشركين قبل البِعْثة كانوا يعلَمون أنهم ليسوا على شيء.

فأيُّ منّة أعظمُ من منّة الله علينا، ببعثة نبيٍّ الرحمة إلينا، ومجيئِه بالقرآن المعظَّم، وتشريعِه الأحكام به وبسنته صلى الله عليه وسلم.

وهذا من بعض أنواع الرحمة التي رَحِم الله بها هذه الأمة. قال الله عز وجل: ﴿ورحمتي وسعتْ كلَّ شيء، فسأكتبها للذين يتَّقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتَّبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونَه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويُحِلُّ لهم الطيباتِ، ويحرِّم عليهم الخبائثَ، ويضعُ عنهم إِصْرهم والأغلال التي كانتْ عليهم، فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النورَ الذي أُنزلَ معه، أولئك هم المفلحون﴾.

١ ـ وهذا أحدُ وجوه شكر النعم.

٢ ـ ومن وجوهه: الثناءُ على الله تعالى وحمدُه باللسان، جمعًا بين الاعتقاد بالجَنان والنطق باللسان.

٣ ـ ومنها: لزوم طاعة المنعِم سبحانه، والكفُّ عما نهى عنه، لأنه لا مقابلة للنعم إلا بتعظيم المنعم، ولا يحصُل تعظيم العبد له إلا بطاعته فيما أمر ونهى.

٤ ـ ومنها: الخوفُ من زوال النِّعَم بمعصية المنعِم، والسعيُ في الأسباب التي تُدِيمها.

٥ ـ ومنها: الشكر بالفعل بعد الشكر بالقول، كالإنفاق في سبيل الله ووجوه البر.

٦ ـ ومن وجوه الشكر للنعم: تركُ الأَشَرِ والبَطَرِ والتفاخرِ بها والتكاثر والتكبُّر.

٧ ـ ومنها: التحديث بها لا على وجه الزُّهُوِّ والافتخار، بل إظهاراً لنعمة الله عليه، وثناءً على المنعِم سبحانه بفضله وما ساقه إليه.

٨ ـ نَعَم، وفي ذكر نِعَم الله: الاستدلالُ بها على وجوده وعلمه وحكمته ووحدانيته، كما أُشير إليه في هذه الآية الشريفة بذكْر هذه النعمة العظيمة التي هي أجلُّ أمهات النعم الستِّ التي رويناها عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: النعمُ ستٌّ: أولُها: الإسلام، والثاني: القرآن كلام الله، والثالث: محمد رسول الله، والرابعة: السَّتر، والخامسة: العافية، والسادسة: الغنى عن الناس.

وقد تقدم[1] ذكر هذا الأثر وأبياتي التي نظمتها في معناه:

نَعـــــمُ الله لهـــــا مَــــدَدٌ ... إنْ رمتَ الحصرْ فلـن تجـدا
فيهـــا نعــــمٌ أمّـــاتٌ لهـــا ... رَويــتْ أثـراً سـتًّا عــدداً[2]
منـها الإسـلامُ، كـذا القـرآ ... نَ كـلام الله اعْظِـم رَشَــداً
ورســــولُ الله فبعثتـــــه ... جلّـت وحَلَـتْ عيشًا رغـداً

---

(١) لم أر شيئًا فيما بقي وحُفظ من هذه المجالس. وانظر المقدمة ص١١.

(٢) «أُمّات لها»: أي أمهات وأصول، قال في «المصباح المنير»: «كثُر في الناس ـ أي العقلاء ـ: أمهات، وفي غير الناس: أُمّات». فاستعمال أمهات لغير العقلاء قليل، وليس خطأ.

والسَّتر لنا خاصًّا وكذا ... في عافية دِينًا جسدًا
والاستغناء بخالقنا ... فالحمدُ له حقًّا أبدًا

ولم يذكر فيما مضى أن النِّعم كلَّها اجتمعتْ لهذه الأمة من نعمة واحدة من الستِّ، وهي نعمة الله علينا ببعثة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي قال الله عز وجل مذكِّرًا ذلك: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

١ ـ أما نعمة الإسلام: فقد حصلتْ بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فلولاه ما كنا مسلمين، ولا علِمنا شرائعَ الدين ولا وجوهَ الأحكام.

٢ ـ وكذلك نعمة الله بالقرآن.

٣ ـ ونعمته بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام. وهذه الثلاثُ مذكوراتٌ في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أثبتَ لهم الإسلام. ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ دخلت في هذا نعمته سبحانه بمحمد صلى الله عليه وسلم. ﴿من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾ فدخلت نعمة الله بالقرآن.

٤ ـ وأما نعمته بالسَّتر قد حصلتْ أيضًا بمحمد صلى الله عليه وسلم، عامًّا وخاصًّا، دنيا وآخرة،. فمن العموم[١]: أن الله تعالى جعل هذه الأمة آخر الأمم، فلا أمةَ بعدها تقفُ على ذنوبِ بعضِ هذه الأمة، ولا على انتقام الله عاجلاً من بعضِ مَن استحق العقوبة منهم، وأيُّ سَترٍ أعظمُ من هذا لهذه الأمة بين الأمم؟!.

ومن السَّتر الخاصِّ: دَرْء الحدود بالشبهات، وجَرَيان الشريعة على

---

(١) أي: من الستر العام.

الظاهر. قال الله عز وجل: ﴿وعلى المولود له رِزْقُهن وكِسْوتُهن بالمعروف﴾ ولم يقل: وعلى الآباء، لأن المولودَ له صادقٌ على الآباء وعلى من ولد على فراشه ولم يكن منه جاهلاً ذلك، فيعطَى حكمَ الولد للصُّلب فلهذا ـ والله أعلم ـ عَدَل عن ذكر الآباء إلى قوله تعالى: ﴿وعلى المولود له﴾ لأن الدِّين مبنيٌّ على الظاهر، والله يتولَّى السرائر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الولد للفراش»[1].

والأحاديثُ في الأمر بالسَّتر على عورات المؤمنين كثيرةٌ، كقوله صلى الله عليه وسلم: «ومَنْ سَتَر مسلمًا ستره الله»[2] الحديثَ، فبالنبي صلى الله عليه وسلم حصلتْ نعمة الله بالستر.

٥ ـ وأما نعمة الله بالعافية: فقد حصلت لهذه الأمة:

ـ منها: أنهم عُوفوا مما أصاب قبلهم من الأمم.

ـ ومنها: أن الله لا يُهْلِكُهم بسَنَةٍ عامة.

---

(١) هذا معنى دقيق طريف مستنبط من الآية الكريمة، وهو من نوادر هذا الكتاب، ولم أره بهذا الوضوح والتقرير والربط بين الآية والحديث عند من رجعت إلى تفاسيرهم، إلا أن للإمام الفخر الرازي رحمه الله كلامًا قد يكون المصنف استفاده منه وزاد عليه، فينظر منه ٦: ١٢٨..

أما تخريج الحديث، فهو في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: البخاري ١٢: ١٢٧ (٦٨١٨)، ومسلم ٢: ١٠٨١ (٣٧)، ورواه صحابة آخرون، حتى عدوه في المتواتر، انظر «لقط اللآلئ المتناثرة» للزبيدي ص٢٠٢، و «نظم المتناثر» للسيد الكتاني ص ١٠٥.

(٢) الحديث جزء من الحديث المشهور: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه..»، وهو في «صحيح» البخاري ٥: ٩٧ (٢٤٤٢)، ومسلم ٤: ١٩٩٦ (٥٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما. وبمعناه عند مسلم أيضًا ٤: ٢٠٠٢، ٢٠٧٤ (٧٢، ٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ـ ومنها: أن الله لا يسلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم فيستبيحَ بَيْضَتهم[١].

إلى غير ذلك مما عوفوا به.

وربما تُسْتَنبط عافية الأمة بوجود النبي صلى الله عليه وسلم فيهم من قوله تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ ولم يقل منهم، كما صرَّح في الآية الأخرى ﴿وما كان الله لِيُعَذِّبَهم وأنتَ فيهم﴾.

قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أنزل الله تعالى عليه ﴿وما كان الله لِيُعذبَهم وأنت فيهم، وما كان الله مُعَذِّبَهم وهم يستغفرون﴾ قال: «قد أنزل الله عليَّ أمانَيْنِ لأمتي: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذِّبَهم وهم يستغفرون﴾ فإذا مضيتُ تركتُ فيكم الاستغفار»[٢] إلى غير ذلك من صنوف العافية حسًّا ومعنى، وكلُّ ذلك حصل ببعثة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم.

٦ ـ وأما الغنى عن الناس: فقد حصل للأمة عامًّا وخاصًّا.

ـ فمن العموم: ما أحلَّه الله لهم من الغنائم التي حُرِّمت على مَن كان قبلهم، وما أُبيح لهم مما حُظِر على غيرهم، وما ساقه الله إليهم من

---

(١) هذا والذي قبله مستفاد من الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الفتن ٤: ٢٢١٥ (١٩، ٢٠) عن ثوبان مرفوعًا: «إن الله زَوَى لي الأرض.. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم..» والبيضة: موضع السلطان ومركز الدعوة. وانظر شرح الحديث في «الأحاديث القدسية» التي جمعتها وشرحتها ص١٣١.

(٢) رواه الترمذي في تفسير سورة الأنفال ٥: ٢٥٢ (٣٠٨٢) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا وضعَّفه، ـ وأوله: أنزل الله عليَّ.. ـ وورد موقوفًا على بعض الصحابة، انظر «إتحاف السادة المتقين» ٨: ٦٠٥. والحديث وإن كان ضعيفًا ـ لكنه يلفت إلى معنى صحيح في الآية الكريمة، ففيها أمانان لنا، وإن كنا لا نجزم بنسبة هذا القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

الفتوحات والغنائم على يَدَي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومَن بعدهم من المقاتلين، لتكون كلمة الله هي العليا.

ومنها: ما شَرَع لهم من المكاسب ووجوه التجارات وأصناف الزراعات، وأنواع الأسباب في الأرض، وإرفاق بعضهم ببعض.

- ومن الخصوص: ما فرضه الله من الزكَوات في أموال الأغنياء لمن كان محتاجًا إليها من الأصناف المباحة لهم أخذُ الزكاة، فأغناهم الله بذلك حتى قيل[1]: لو أُخرِجت الزكاة كما شُرِعت وصَدَق آخِذوها لم يوجَدْ فقير ولا مسكين.

ومنها: ما جعله الله في قلوب خيار أمته من الغنى والرضى والاستغناء بالله عز وجل عمن سواه، حسبما دلَّهم النبي صلى الله عليه وسلم وأرشدهم إليه بقوله صلى الله عليه وسلم في أحاديثَ منها: «ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، ولكن الغِنَى غنى النفس»[2]. ومنها: «ومن يَستعففْ يُعِفَّه الله، ومن يَسْتغنِ يُغْنِه الله»[3].

---

(١) رُوي مرفوعًا بإسناد لا بأس به، وموقوفًا على علي رضي الله عنه: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يَسَعُ فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعَرُوا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابًا شديدًا، ويعذبهم عذابًا أليمًا». انظر «الترغيب» للمنذري ١: ٥٣٨، و «مجمع الزوائد» ٣: ٦٢.

(٢) رواه البخاري في الرقاق ـ باب الغنى غنى النفس ١١: ٢٧١ (٦٤٤٦)، ومسلم في الزكاة ـ باب ليس الغنى عن كثرة العرض ٢: ٧٢٦ (١٢٠) وغيرهما، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) هذه جملة من حديث، رويت عن ثلاثة من الصحابة: أبي سعيد الخدري رواه عنه البخاري في الزكاة ـ باب الاستعفاف عن المسألة ٣: ٣٣٥ (١٤٦٩)، وأعاده في الرقاق ـ باب الصبر عن محارم الله ١١: ٣٠٣ (٦٤٧٠)، ومسلم في الزكاة ـ باب فضل التعفف والصبر ٢: ٧٢٩ (١٢٤). وحكيم بن حزام وأبي هريرة، رواه عنهما:
=

فقد حصلتْ للأمة نعمة الغنى حسًّا ومعنىً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فجميع الخلق مغمورون بهذه النعمة العظيمة التي ذكَّرنا الله تعالى إياها بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ الآية.

وفي التذكير بالنعم الاستدلالُ على الله عز وجل، كما تقدم، فَبِها يُستدل على **وجوده** سبحانه، لأنا إذا أنعمنا النظر في بعض نِعَم الله ـ ومنها ما أشير إليه في هذه الآية ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ ـ ظهر لنا الدليل القطعي الذي لا ريبَ فيه، وقام البرهانُ الجليُّ الذي لا شك يعتريه، بوجود المنعِم، وهو الله سبحانه، وأنه **قادر** فمن قدرته حصولُ ما أنعم به وتفضَّل، ووصولُ ما منَّ به وتطوَّل.

وفي إيصال النعم إلى أربابها والأرزاق، وما قدَّره الله تعالى من العطاء والإرفاق: إشارةٌ إلى أن الله عز وجل قد أحاط بكل شيء **علمًا**، فأوصل من نعمه إلى كل حيّ قِسْمًا، وفي ترتيب الأرزاق والنعم، وتقديرها بين الأمم: دلالةٌ على **حكمة** الله فيما قَسَم.

وفي تصرُّف الله في مخلوقاته وتدبيره أمرَ مكوَّناته أعظمُ دليل على أنه سبحانه **واحدٌ** لا شريك له ولا عَدِيل، وفردٌ لا ثانيَ له ولا شبيه ولا مثيل.

فنعم الله دالة على وجوده، وقدرته، وعلمه، وحكمته، ووحدانيته، وهذا من بعض أسرار الذكْر الحكيم المستنبط دليلاً من قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

وهذا الرسول قد تقدم أنه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله للعالمين رحمة، وأتم به على المؤمنين النعمة، وجعله نبي الرحمة والمراحم، وهو الذي أَمَر أمتَه المرحومةَ بالتعاطف والتراحم، في

البخاري في الزكاة ـ باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٣: ٢٩٥ (١٤٢٧، ١٤٢٨).

أحاديثَ مسنَدةٍ مرضية، ومنها الحديث المسلسل بالأولية، الذي رَوَيناه فيما تقدَّم من اثنتيْ عَشْرةَ طريقًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه طريقٌ ثالثةَ عشْرة.

أخبرنا الشيخ المسند الكبير المحدِّث الأصيل، شهاب الدين أبو هريرة عبد الرحمن ابن الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله ابن الذهبي بقراءتي عليه بكَفْر بَطْنا، وهو أول حديث سمعته منه يومئذ بمنزله، أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن محمد أبي نصر الفارسي، أنبأنا الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين أبو عبد الله وأبو نصر عُمر بن محمد بن عبد الله السُّهْرَوَرْدي.

وأخبرنا أبو المعالي عبد الله بن المسند أبي إسحاق السِّنْجاري بقراءتي عليه، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الثناء محمود بن خليفة العَقِيلي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن أبي القاسم عبد الله بن عمر المصري، وهو أول حديث سمعته منه.

وأنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المقدسي، عن أبي عبد الله محمد ابن أبي القاسم المذكور قال: أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام شهاب الدين أبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله السُّهْروردي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا الإمام عمِّي شيخُ الإسلام ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عَمُّويَه عبد الله، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحّامي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزِّيادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد ابن بلال، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة،

وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

الكلام على هذا الحديث من وجوه ترجع إلى أمرين، أحدهما يتعلق بالسند، والثاني بالمتن.

فالأول: السند ـ ويقال الإسناد ـ هذا مذهب الجمهور أنه لا فرق بينهما، وقيل: السندُ الإخبارُ عن طريق المتن. والإسناد: رفع الحديث إلى قائله.

وأصل السند في اللغة: الارتفاع، وغالب أنواع علوم الحديث تتعلق بالسند الذي تفرَّدت به هذه الأمة الشريفة، فهو من خصائصها، وهو من دين الإسلام، كما:

أخبرنا عدَّة من الشيوخ منهم البهاء أبو محمد رسلان بن أحمد الطرائفي قال: أخبرنا عمر بن محمد بن عمر الفارسي في آخرين قالوا: أخبرنا إبراهيم بن عمر، أخبرنا منصور بن عبد المنعم، أخبرنا محمد بن الفضل، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنا مسلم قال[١]: وحدثني محمد بن عبد الله بن قُهْزَاذَ من أهل مرو، سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

---

(١) في مقدمة «صحيحه» ١: ١٥، ورواها غيره، وانظر كتاب شيخنا العلامة المدقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى «الإسناد من الدين» وخاصة ص٥٢ فما بعدها، ومنه استفدت ما يأتي في التعليقتين التاليتين.

تابعه أبو الموجه محمد بن عمرو[1] قال: حدثنا عبدان قال: سمعت عبد الله بن المبارك رحمه الله، فذكره.

ورواه علي بن الحسن بن شقيق[2]، سمعت عبد الله بن المبارك يقول: الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال الناس ما شاؤا.

فمن فوائد سند الحديث أنه يدخل في أنواعٍ من علوم الحديث:

١ ـ منها الصحيح، لأن الترمذي صححه في «جامعه»[3] لكنه في آخر مراتب الصحيح التي هي أعلى مراتب الحسن، وإسناده كلُّهم ثقات وهم من رجال الصحيح غير أبي قابوسَ، وقد قصُرت درجته عن ثقات الصحيح وارتفعت عن مرتبة الضعفاء، لكونه وثِّق فحسُن حديثه لذلك، وبهذا يدخل أيضًا في نوع الحسن.

٢ ـ ومما يدخل فيه أيضًا من الأنواع: الأفرادُ، لتفرُّد سفيانَ به عن شيخه عمرو، وتفرُّد عمرو به عن أبي قابوس.

٣ ـ ومنها: المسلسل، وهو من أحد أقسامه الأربعة، لأنه مقطوعُ

---

(١) عند الحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص٦، والخطيب في «الكفاية» ص٣٩٣، و «شرف أصحاب الحديث» ص٤١، ولابن قُهْزاذ متابعون آخرون غير أبي الموجِّه، منهم محمد بن علي بن الحسن بن دينار، عند الترمذي في «العلل» آخر «السنن» ٥: ٦٩٥، والخطيب في «الجامع» ٢: ٣١٦ ـ طبعة الدكتور عجاج الخطيب ـ ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رِزْمة عند ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ١: ١٦، والحسين بن الفرج، عند ابن حبان في «المجروحين» ١: ٢٦، والحسين بن الحسن المروزي، عند ابن عبد البر في «التمهيد» ١: ٥٦.

(٢) كما في «الجرح والتعديل» ١: ١٦، و«المحدِّث الفاصل» ص٢٠٩.

(٣) تقدم أن الترمذي قال عنه: حسن صحيح، وهذا القول منه ـ أحيانًا، لا دائمًا ـ دون قوله: صحيح. ولبيان المسألةِ مكانٌ غير هذا، ويمكن مراجعة ذلك في كتب علوم الحديث المطوَّلة، مثل «التدريب» وغيره.

الأول من التسلسل، على الصحيح المشهور.

وفيه تسلسل من وجه آخر، يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

٤ ـ ومنها: المعَلّ، ولا يقال: من شرط الصحيح والحسن أن لا يكون فيه علة وهذا الحديث معلٌّ، لأنا نقول: العللُ التي جاءت في هذا الحديث غيرُ قادحة فيه، وإذا لم تقدح العلةُ لا تأثير لها، والعللُ التي جاءت في هذا الحديث من وجوهٍ، منها: اختلافٌ وقع في سنده لكنه خطأ، فجميعُ طرق الحديث التي وقعتْ لنا: عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس.

ووقع لنا من طريق أبي حامدٍ محمد بن هارونَ الحضرميِّ، حدثنا الحسن بن داود، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن دينار، عن قابوس، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

فقوله «عن قابوس»: يخالف الروايةَ الأولى المتفقَ عليها من جميع طرقه: عن أبي قابوس، وهذه الصواب، ورواية الحسن بن داود خطأ، وهو ابن داود بن محمد بن المنكدر، قال البخاري: يتكلمون فيه.

وقد جاء كرواية المنكدري هذا من طريق عبد الله بن سبعون القيرواني، عن عبيد الله بن سعيد الوائلي، بسنده إلى عمرو بن دينار قال فيه: عن قابوس، كرواية المنكدري. قال أبو القاسم بن عساكر: ولعل أبا محمد بن سبعون لما حدَّث به من حفظه وهَم فيه. انتهى

وفيه كلام غير ذلك ذكرته في كتابي «نفحات الأخيار».

٥ ـ ومن العلل في الحديث: المقلوب، فهذا الحديث من جميع طرقه التي وقعت لنا من رواية سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوس، عن عبد الله ابن عمرو.

ورُوِّيناه من طريق أبي العباس محمد بن يونس بن موسى الكُدَيْمي القرشي الشامي البصري أحدِ الأعلام المتروكين، عن الحميدي، عن سفيان، فذكره إلا أنه قال بدل «عبد الله بن عمرو»: عن عبد الله بن عباس، فانقلبت عليه، لرُعْب حصل لديه، فيما أعلم، والله أعلم(١).

وكان شيخ الإسلام وحافظ الأعلام قاضي القضاة أبو الفضل ابن حجر أمتع الله بوجوده أوقفني على كتاب صنَّفه في المقلوب، فلما حضر الدرس هنا أول يوم(٢)، ورويت في الدرس حديث الكُدَيمي هذا فقال لي: هذا مما كنا فيه من المقلوب.

٦ ـ ومن العلل في الحديث: تعارضُ الرفع والوقف، وقد اختُلِف في الحكم في تعارض الوصل والإرسال، أو الرفع والوقف. فعلى الصحيح المختار الذي عليه الفقهاء والمحققون من المحدثين وأصحاب الأصول أن الحكم لمن وَصَل أو رَفَع إذا كان ثقة، لأن ذلك زيادةُ ثقة: على من لم يروها فتقبل(٣).

وهذا الحديث رواه أبو أحمد بِشْر بن مَطَر الواسطي، عن سفيان بن عيينة، فذكره موقوفًا على عبد الله بن عَمرو قولَه، والحكم لمن رفع الحديث لوجوهٍ:

---

(١) تقدم في المجلس الأول ص٤٥ ـ ٤٦.

(٢) المجلس الأول ص٣٧.

(٣) هذا ما قرره ابن الصلاح في مقدمته، وتوبع عليه فاشتهر، لكن الذي حققه الحافظ ابن حجر فيما كتبه على «مقدمة ابن الصلاح» ٢: ٦٠٣ ـ ٦١٣، ثم عاد إليه ثانية في النوع السادس عشر: معرفة زيادات الثقات ٢: ٦٨٦، وفيما كتبه في «شرح نخبته» ص٥٩ ـ ٦٢ ـ من حاشية «لقط الدرر» ـ غيره، وخلاصة ذلك: أن المرحلة الأولى في المسألة: البحثُ والنظرُ في ترجيح الرفع وغيره، والوصل وغيره، فإن ترجح أحدها قلنا به، وإن لم يترجح لجأنا إلى القول المشهور: زيادة الثقة مقبولة.

ـ منها: أنها زيادة ثقة فتقبل.

ـ ومنها: أن الذي وقفه واحد والذي رفعه جماعة.

ـ ومنها: أن حال من وقفه وهو بشر بن مطر لا يُقاوِمُ حالَ من رفعه من أصحاب سفيان كأحمد بن حنبل، ومسدَّد بن مُسَرْهَد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأضرابِهم.

وثَمَّ وجوه أُخَر من العلل في هذا الحديث تقدم ذكرها، كالمزيد في متصل الأسانيد وغير ذلك، لكنْ جميع ما أُعِلَّ به الحديثُ غيرُ قادح فيه، لما بيناه، والله أعلم.

٧ ـ ويدخل الحديث في نوع معرفة الأسماء والكنى، لأن في سنده أبا قابوس، واسمه كنيته على الصحيح، وتقدم(١) أن أبا قابوسَ ثلاثةٌ، وربما يكون لهم رابع، وهو ما جاء في قول الراجز:

لقدْ ولَدتْ أبا قابوسَ رَهْوٌ ... أَتُومُ الفرج حمراءُ العِجانِ(٢)

الرَّهو: الواسعة عند الجماع، والأَتُوم: المفضاة، والعِجان: ما بين الدبُر والصَّفَنِ الذي هو وعاء الخُصيتين.

٨ ـ ويدخل الحديثُ في نوعِ المتابعات والشواهد، فقد روِّينا الحديث من طريقٍ متابعٍ لأبي قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو، في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل وعبدِ بن حُميد، كلاهما روياه عن يزيد ـ هو ابن هارون ـ أخبرنا حَرِيزٌ، حدثنا حِبَّانُ الشَّرْعَبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فذكره بمعناه مع زيادة(٣).

---

(١) المجلس ١٧ ص٣٦٢.

(٢) البيت في «لسان العرب» مادة (ر هـ و) «لشاعرٍ» وفيه: لوؤم بدل: أتوم.

(٣) تقدم تخريجه ص٤٣ ـ ٤٤.

وأما الشواهد: فللحديث شاهدٌ من حديث جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم[(١)].

---

(١) حديث أبي بكر رضي الله عنه: رواه ابن عدي في «الكامل» ٣: ٩٠١، ٦: ٢٢٨٩ من طريق خالد بن عمرو، عن الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الصنابحي - في الموضع الأول - وعن أبي الخير اليَزَني - في الموضع الثاني - عن أبي بكر رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «إن الله يقول: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي». وكلا الوجهين مختلق مصنوع عند ابن عدي.

ورواه أبو القاسم التيمي في «الترغيب والترهيب» ٢: ٦٤٧ (١٥٥٤) بمثل الطريق الثانية. وهو في «الفردوس» ٥: ٢٥٢ (٨١٠٣) وإسناده كإسناد التيمي، كما يستفاد من التعليق عليه.

ولأبي بكر حديث آخر، ذكره السيوطي في «الجامع الكبير» ١: ٧٨٤، وهو في «كنز العمال» ٣: ١٦٦ وعزاه إلى مصادر، منها «الحلية» و «شعب الإيمان» ولم أره فيهما - حسب فهارسهما - وإلى الطبسي في «الترغيب»، وتحرف الطبسي في مصوَّرة «الجامع» إلى: الطيبي، وفي مطبوعة «الكنز» إلى الطيالسي، وتوقع ناشر «المجلس الأول من أمالي المصنف» ص١٧٤ أن الطيبي محرفة عن التيمي، فنقلها وأثبتها: «الأصبهاني في الترغيب» فازدوج عليه الخطأ، والصواب: الطبسي، فكتاب الطبسي من مصادر السيوطيِّ نفسه في كتابه هذا «الجامع» وفي «اللآلئ المصنوعة» ١: ٢٢١، ٢٢٢.

وحديث عمر رضي الله عنه: لعله ما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٤٨ (٩٩) أن عمر استعمل رجلاً، فقال العامل: إن لي كذا وكذا من الولد ما قبَّلت واحداً منهم، فزعم عمر - أو قال عمر -: إن الله عز وجل لا يرحم من عباده إلا أبرهم». ونحوه في «مصنف» عبد الرزاق ١١: ٢٩٩ (٢٠٥٩٠) وتابعه أبو معاوية عند هناد بن السَّري في «الزهد» ٣: ٢٠٤ (١٣٥٣) وفيه: أن عمر نزعه من الوِلاية بعد أن كلَّفه بها. ومن وجه آخر عند وكيع في «الزهد» أيضًا ٣: ٨١٤ (٥٠٢). وهو موقوف عندهم جميعًا، ولفظ «الأدب المفرد» أقواها في إفادة الرفع.

وحديث علي رضي الله عنه: كأنه رواه الحاكم في «المستدرك» ٤: ٣٢١ عنه =

٩ ـ ويدخل الحديث في معرفة العالي والنازل: لأن فيه العلوَّ الحسيَّ، لقلَّةِ عدد رجاله في الطريق الأولى، والتحويلِ في الطريق الثانية. وأما النزول في الحديث: فهو في طريقه المتصلةِ الإسنادِ بالسماع.

١٠ ـ ويدخل في المتفق والمفترق: كعمرو بن دينار ثلاثة، وتقدم[١].

١١ ـ ويدخل في المؤتلف والمختلف: كالعَقيلي شيخِ شيخِنا، بفتح أوله، نسبة إلى جده الأعلى عَقيل، وإليه ينسب بنو عَقيل الخِيَميُّون[٢] بدمشق، وتشتبه هذه النسبة بالعُقيلي ـ بالضم مصغَّرًا ـ وهم كثيرون.

١٢ ـ ومنها: معرفة الموالي، فقد وقع في هذا السند ثلاثةٌ من الموالي على نَسَق، فسفيان بن عيينة: جدُّه أبو عمران، واسمه ميمون، مولى لبني هلال. وشيخه عمرو والده دينارٌ، مولىً، واختُلِف في مواليه، فقيل: هو مولى بني جُمَح، وقيل: مولى بني مخزوم، وقيل: مولى باذان عاملِ كسرى على اليمن. وشيخ عمرو أبو قابوسَ المكيُّ، مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي.

ويدخل هذا في المسلسل بالموالي، فيكون تسلسله من وجهين؛ ولأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني مصنَّفٌ في مسلسل الأسماء[٣].

مرفوعًا. وأوله: «يا علي اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبُهم فإن اللعنة تنزل عليهم..» وهذا هو محل الشاهد منه، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واستدرك عليه الذهبي بقوله: «الأصبغ واهٍ، وحِبان ـ بن علي ـ ضعفوه».

(١) انظر صفحة ٣٦٢.

(٢) نَقَط في الأصل الخاء، وبقية النقط والضبط مني، والله أعلم بصوابه.

(٣) هو جزء لطيف سماه «نزهة الألفاظ» مطبوع في ١٢٨ صفحة مع مقدماته وفهارسه.

١٣ ـ ومنها أنه يدخل في النوع الذي ذكرته[١]، وبذلك الاسم لقبته، وهو (ذكر من له نسب، يستقيم إذا انقلب)، وقد وقع منه في إسناد هذا الحديثِ شيخ مشايخنا أبو نصر عمر بن محمد بن عمر أبي نصر الفارسي.

١٤ ـ ومنها: معرفة الأسماء المحوَّلة إلى غيرها، ولأبي المظفر يوسف ابن محمد بن مسعود بن محمد السُّرَّمَرِّي رحمه الله مؤلَّف في ذلك[٢]، ويظهر هذا النوع من ترجمة صحابيٍّ الحديث، وهو عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، كان اسمه كاسم جده: العاصي، فلما أسلم ـ كان إسلامه قبل أبيه ـ حوّل النبيُّ صلى الله عليه وسلم اسمه فسماه عبد الله[٣].

وأبوه وأمه رَيْطة بنت منبِّه بن الحجاج صحابيان أيضًا، قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ أهلُ البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله»[٤] رضي الله عنهم. ولم يكن بين عبد الله وأبيه عَمرو في السن سوى إحدى عشْرة سنة، وقيل اثنتي عشْرة سنة.

توفِّي عبد الله رضي الله عنه سنة ثلاث ـ وقيل سنة ثمانٍ ـ وستين، وقيل سنة ثلاث وسبعين بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر، وقيل بفِلَسطين، وهو أحد المكثرين من الصحابة، ومَنْ جمع بين القرآن

---

(١) فيما تقدم صفحة ٢٨٦.

(٢) المذكور من علماء الحنابلة، توفي بدمشق سنة ٧٧٦ عن ثمانين سنة، فهو من شيوخ شيوخ المصنف، وكان مكثرًا من التأليف، ولم أقف على اسم كتابه في هذا الموضوع. انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» ٤ : ٤٧٣، و «إنباء الغمر» ١ : ١٥٠ وغيرهما. وانظر صفحة ٤٤٤.

(٣) تقدم تخريجه عن «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ١ : ٦٣٥ (١٨٤١).

(٤) تقدم تخريجه صفحة ٢٨٤.

والتوراة حفظًا[١].

هذا من بعض ما يتعلق بسند الحديث.

وأما ما يتعلق بمتنه ـ والمتن في اللغة: ما صلُب من الأرض وارتفع، ويقال الظهر من الفرس والدواب. وفي المصطلح: المتن: ما انتهى إليه السند من الكلام ـ:

١ ـ فمن فوائد متن الحديث: أن الجزاء من الله تعالى عاجلاً وآجلاً، يكون من جنس ما كان ابنُ آدم به عاملاً، لقوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن».

٢ ـ ومنها: الإشارة إلى أن الجزاء على الأعمال، يكون أعظمَ مما يخطر في البال، لذكر اسم الرحمن تبارك وتعالى في سياقِ قوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لأن الرحمن على أحد الأقوال في تفسير معناه أنه ذو الرحمة التي لا غاية بعدها.

---

(١) كأن المصنف رحمه الله يعتمد على ما رواه أحمد ٢: ٢٢٢ عن عبد الله نفسه قال: رأيت فيما يرى النائم لكأن في إحدى إصبعيَّ سمنًا وفي الأخرى عسلاً، فأنا ألعَقُهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «تقرأ الكتابين التوراةَ والفرقانَ» فكان يقرؤهما.

وقد ذكر الذهبي رحمه الله هذا الحديث في «السيَر» ٣: ٨٦ فساق سند أحمد به وعلَّق عليه: «ابن لهيعة ضعيف الحديث. وهذا خبر منكر، ولا يُشرع لأحد بعد نزول القرآن أن يقرأ التوراة ولا أن يحفظها، لكونها مبدَّلة محرفة منسوخة العمل، وقد اختلط فيها الحق بالباطل، فلتُجتنب... فأما ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لعبد الله أن يقوم ليلة بالقرآن، وبالتوراة ليلة: فكذب موضوع قبَّح الله من افتراه، وقيل: بل عبد الله هنا هو ابن سلام، وقيل إذنه في القيام بها أن يكررِ على الماضي، لا أنه يقرأ بها في تهجده». وانظر «السير» ٢: ٤١٩ ترجمة عبد الله بن سلام رضي الله عنه فله كلام نحو هذا.

٣ ـ ومنها: أن في أسماء الله الحسنى ما هو خاصٌّ في التسمية، خاص في المعنى، كالاسم الأعظم الذي هو الله.

ومنها ما هو عامٌّ في التسمية خاصٌّ في المعنى، كالرحيم عام في التسمية[1] قال الله عز وجل في وصف نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿بالمؤمنين رؤف رحيم﴾، وتقول العرب: كنْ بي رحيمًا.

وخصوص هذا الاسم في المعنى يظهر مما رُوي عن عكرمة وغيره أن الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمئة رحمة، إشارة إلى رحمة الرحيم في الآخرة، وهي هناك خاصة بالموحِّدين، بخلاف رحمته في الدنيا الدالِّ عليها اسم الرحمن، فإنها عامةٌ في الدنيا للمؤمن وغيره.

ومن أسماء الله تعالى ما هو خاص في التسمية عام في المعنى، كالرحمن، وهو الذي عمَّتْ رحمته في الدنيا جميع خلقه، فهذا العموم، وأما الخصوص فإن الرحمن لم يُسَمَّ به أحد غير الله، ولا يَرِدُ عليه ما رُوِي

---

(١) ويؤيده قول ابن جرير في «تفسيره» ١: ٥٨: «لله جل ذكره أسماء قد حرم على خلقه أن يتسموا بها، خصَّ بها نفسه دونهم، وذلك مثل: الله، الرحمن، الخالق، وأسماء أباح لهم أن يسمي بعضهم بعضًا بها، وذلك كالرحيم، والسميع، والبصير، والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء».

أما ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١: ١٣ (١٧) بإسنادٍ فيه زيد بن الحباب أن الحسن البصري قال: «الرحيم: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى»: فيمكن أن يكون هذا من أوهام زيد، وإن لم يكن من روايته عن الثوري، أراد أن يقول: الرحمن، فقال: الرحيم، وسبق اللسان أو الذهن من هذا الاسم إلى هذا قريب جدًّا.

ويؤيده ما سيأتي عن ابن عباس، وما رواه ابن جرير ١: ٥٩ عن الحسن نفسه أنه قال: «الرحمن اسم ممنوع» ولم يقل: الرحيم اسم ممنوع. وليس في إسناده وقفة، والله أعلم.

أن مسيلِمة كان يسمَّى رحمان اليمامة، فهذا ـ إنْ صح ـ لم يسمَّ به مسيلِمة إلا مقيَّدًا باليمامة لا مطلقًا.

وقد رَوَى إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿هل تَعْلَمُ له سَمِيًّا؟﴾ قال: لم يُسَم أحد الرحمنَ غيرُه سبحانه وتعالى[١].

وهذه الثلاثة[٢] ذكرها جماعة ممن تكلَّم في معاني أسماء الله الحسنى، ولم يتعرَّضوا لقسم رابع، وهو العموم في التسمية والعموم في المعنى[٣]. ومع هذا لا بد من اعتقادنا اعتقادًا يقينيًّا قطعيًّا لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، ولا تشبيه يفسده ولا تعطيل يجحده: أن الله سبحانه وتعالى ـ وله المثل الأعلى ـ لا تشبه ذاتُه ذواتِ المخلوقين، ولا صفاته صفات المحدَثين، تقدس وتعالى عن الشبيه والمثيل والنظير ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

وفي قولِ عكرمةَ وغيرِه: الرحمن برحمة واحدة ـ يعني: في الدنيا ـ والرحيم بمئة رحمة ـ يعني: في الآخرة ـ بشارة عظيمة للمؤمنين. وفي معناه قال شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي رحمه الله: قال العلماء: لأنه إذا

---

(١) رواه الحاكم ٢: ٣٧٥ وصححه ووافقه الذهبي، ورواه عنه البيهقي في «الشُّعَب» ١: ١٤٣ (١٢٣) = ١: ٣٦٩ (١٢٢)، وفي «الأسماء والصفات» ص٧٢.

(٢) أي: الأقسام الثلاثة لأسماء الله الحسنى، وهي: ما كان خاصًّا في التسمية والمعنى (الله)، وعامًّا في التسمية خاصًّا في المعنى (الرحيم)، وخاصًّا في التسمية عامًّا في المعنى (الرحمن).

(٣) مثل اسمه تعالى الرزاق، فإن الرَّزق يطلق على غيره تعالى مجازًا، كما قال سبحانه ﴿فارزقوهم منه﴾ ورزقه سبحانه يعم جميع مخلوقاته. وكذا الأسماء الكريمة التي تقدمت في كلام ابن جرير: السميع، البصير، الكريم.

حصل للإنسان من رحمةٍ واحدةٍ في هذه الدارِ المبنيةِ على الأكدار: الإسلامُ والقرآنُ والصلاةُ والرحمةُ في قلبه وغيرُ ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظنُّ بمئةِ رحمةٍ في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء. والله أعلم. قاله في «شرح صحيح مسلم»[١].

ولي أبياتٌ في معناه، نختم بها ما أمليناه، وفيها من صناعة البديع المُعْلَم، نوعٌ يسمى (التزام ما لا يلزم) ويسمى أيضًا (الإعنات) وهو: أن الناظم أو الناثر يُعنِتُ نفسه في التزامِ رِدْفٍ أو دخيلٍ أو حرفٍ مخصوصٍ قبل حرف الرَّوِيّ، فيصير بذلك للقوافي طُلاوة، وللأسجاع حلاوة، وفي كتاب الله تعالى كثير من هذا النوع، كقوله عز وجل: ﴿فأما اليتيمَ فلا تَقْهَر وأما السائل فلا تَنْهَر﴾. وكان قد أُولِع الناس بهذا النوع في أشعارهم، فنظم فيه أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ديوانًا وقفتُ منه على مجلد لكن فيه بلايا من الاعتقاد الخبيث، نسأل الله السلامة والعافية[٢].

---

(١) «شرح صحيح مسلم» ١٧ : ٦٨، في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» رواه البخاري في كتاب الأدب ـ باب جعل الله الرحمة في مئة جزء ١٠ : ٤٣١ (٦٠٠٠)، ومسلم في كتاب التوبة ـ باب في سعة رحمة الله ٤ : ٢١٠٨ (١٧)، ورواه مسلم بعده من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، وأبيات المصنف الآتية نظم لمعنى الحديث. وهل (المئة) يراد بها العدد المحدَّد، أو الكثرة؟ انظر صفحة ٣٢٣.

(٢) الخلاف في عقيدة أبي العلاء المعري أشهر من أن يكتب فيه هنا، وانظر الترجمة المطوَّلة التي كتبها له العلامة المؤرخ الأديب الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى، في كتابه «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» ٤ : ٧٨ ـ ١٧٢. وديوانه المشار إليه هو «لزوم ما لا يلزم» مطبوع محقق.

والأبياتُ الموعودُ بإنشادها التزمتُ فيها حرف الفاء بعد حرف التأسيسِ الذي هو ألفٌ ساكنة لا تَختلف، وقبل حرف الرويِّ المقدَّم على حرف الإطلاق الذي يكون به الوصل لمدّ الصوت والترنُّم، فقلت:

مـن رحمـة الله أتـتْ رحمـةٌ | فعمَّـت المـؤمنَ والكـافرا
وكـلَّ ذي روح ومنـها الـتي | ترفعُ عـن مولودهـا الحـافِرا
وأعظـمُ الرحمـة توحيـدُنا | لله، نرجـوه لنـا غـافرًا
وفـضلُ دنيانـا فمنـها أتـى | مؤلَّفًـا لـيس يُـرى نـافرًا
مـن رحمـةٍ واحـدةٍ كـلُّ ذا | سـبحان مـن أطلعـه سـافرًا
لكنَّ في الأخرى لنـا رحمـةٌ | نرجو بهـا الخـير غـدًا وافـرًا
ينـالُ كـلٌّ جنـةً خالـدًا | فيهـا مقيمًـا بـالمُنى ظـافرًا

آخر المجلس ولله الحمد حمدًا كثيرًا

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٢٠ -

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]. [آل عمران آية ١٦٤].

إذا تدبرنا قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ الآية، وجدنا له وجوهًا من التفسير والتأويل تقدَّم ذكر بعضها، والآن نذكر وجهًا واحدًا يتعلَّق بالمعاني والبيان، وهو أحد وجوهِ العربية ومذاهبِ اللغة، التي بمعرفتها يُعْقَل عن الله عز وجل كتابُه وما استودعه من حِكَمه وآياته، وَحُجَجه المنيرة وبراهينه القاطعة ومواعظه الشافية، وبها يُفهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم أخبارُه المؤدِّية لأمره ونهيه، وآثارُه الموصلة إلى سنته وهديه. وبمعرفة ذلك يتسعُ المرء في منطقه، فإنْ قال أفصح، وإن احتجَّ أوضح، وإن كتب أبلغ، وإن خطب أعجب، قاله بنحوه أبو علي الحسن ابن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النَّحْوي في كتابه «المنطق»[2]، وليس هو بالمنطق الذي يذكره أهلُ الكلام وبعضُ الأصوليين، وإنما هو منطق العربية من فنون الكلام وأجناسه وحدوده ومعانيه.

والكلام في المعاني منه أقسامُ البلاغة الواقعة في القرآن على أعلى مراتبها، فمما يتعلق بالآية الشريفة التي تلوناها من ذلك:

---

(١) البسملة والآية زدتهما هنا، جريًا على عادة المصنف. وأما أول المجلس فغير موجود، ولم أر بأسًا بهذه البداية فتركت الكلام على حاله.

(٢) انظر صفحة ٤٧٦.

١ ـ **الإيجاز** وهو: بيانُ المعنى بأقلِّ ما يمكن من الكلام.

وقيل: الإيجاز: إظهارُ الكثير من المعاني بلفظ يسير.

وقيل: هو تهذيبُ الكلام بما يحسُن به البيان، وقيل غير ذلك.

والإيجاز على وجهين: حذف، وقصر.

فالحذف: إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالةِ غيرِها من الحال أو فحوى الكلام، وهو كثير في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: من قبل بَعْثِ هذا الرسول فيهم، أو تلاوتِه القرآنَ عليهم، أو التزكيةِ لهم، أو تعليم الكتاب والسنة، والله أعلم بما أراد.

ومن الحذف نوع يقال له: حذف الأجوبة، وهو أبلغُ من ذِكْرِها، وفي القرآن منه كثير، كقوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنًا سُيِّرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى﴾ أي: لكان هذا القرآن. والله أعلم بما أراد.

وأما القصرُ أحدُ وجهي الإيجاز: فهو أغمضُ من الحذف، كقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ ولا يفهم من القصر التقصير، فإن القصر بلاغة، والتقصير عِيٌّ، فالقَصْر ما يُقتَصَرُ عليه ويُكتَفى به، يقال: كان ذلك قَصْرِي وقُصاراي. والتقصير: التواني في الشيء فلا يُوصِلُ إلى الغرض.

ومن أقسام البلاغة: ٢ ـ **الإطناب** وهو داخلٌ في الإيجاز من وجه، لأنه إذا ظهرت الفائدة بما يُستحسن فهو إيجاز لِخفَّته على النفس، قاله أبو الحسن الرُّمَّاني[1].

والفرق بين الإطناب والتطويل ـ الذي ليس من البلاغة وهو عِيٌّ ـ

---

(١) ينظر كتابه «النكت في إعجاز القرآن» ص٧٣ المطبوع مع رسالتي الخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الإعجاز.

يظهر من مثال ضَرَبه أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرُّمَّاني في «النكت في إعجاز القرآن»(١) فصاحبُ التطويل كسالكٍ طريقًا بعيدًا جهلاً منه بالطريق القريب، وصاحبُ الإطناب كمن سلك طريقًا بعيدًا لما فيه من النُّزَه الكثيرة والفوائد العظيمة، فيحصل له في الطريق إلى غرضه من الفائدة على نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب.

ووجه الإطناب ظاهر في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ الآية.

ومن أقسام البلاغة: **٣ ـ الاستعارة**، وهي التي تُوجِب بلاغةً ببيانٍ لا تنوبُ منابه الحقيقة، ولا بدَّ لكل استعارة من حقيقة، ومن معنى مشتركٍ بين المستعارِ منه والمستعارِ له، فلا بُدّ من بيانٍ لا يُفهم بالحقيقة. فقوله تعالى: ﴿لقد من الله﴾ حقيقةُ منَّ: أحسن وأنعم، والإحسانُ قد يكون بسؤال وقد يكون بلا سؤال، والمنّ هو الإحسان ابتداءً بلا سؤال، فعلى هذا: (منّ) أبلغُ من الحقيقة الذي هو (أحسن)، والمعنى المشترَكُ بينهما: إيصالُ النفع إلى المُنعَمِ عليه، إلا أن الإيصال ابتداءً كمفهوم (منّ) أبلغ. والله أعلم.

ومن أقسام البلاغة: **٤ ـ الفواصل**، وهي الأسجاع والقوافي. فالفواصل: حروفٌ متشاكلة في المقاطع تُوجِب حُسنَ إفهام المعاني، وهي على وجهين:

أحدهما: على الحروف المتجانسة، ومنه قوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾.

---

(١) ص٧٢ ـ ٧٣.

والوجه الثاني: على الحروف المتقاربة، ومثَّلوه بقوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ فالميم والنون متقاربان.

ومن أقسام البلاغة: ٥ ـ **حسن البيان**، وأعلى مراتبه ما جَمَع أسبابَ الحسن في العبارة، ثم تعديل النظم، حتى يحسُن في السمع ويسهُل في النطق وتتقبَّله النفس، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقُّه من المرتبة.

ولا يخفى ما في قول الله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ الآية من حسن البيان على أعلى مراتبه.

ومن أقسام البلاغة: ٦ ـ **التصريف**، وهو أحد أصناف البيان، وليس المرادُ التصريفَ الذي هو الكلام على أسماء وأفعال يكون فيها أحد حروف العلة التي هي عند الجمهور ثلاثة: الياء والواو والألف، إلى غير ذلك من أحكامه، هذا عند أئمة العربية أحدُ ضربي التصريف.

وأما الضرب الثاني: فهو المراد هنا، وهذا التصريف أحد أصناف البيان التي ذكرها أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجُرْجاني في كتابه «ضروب نظم القرآن» وأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازيُّ صاحب «المُجمَل» في كتابه «فيما تَرجع إليه علوم الإسلام من الفهم والإفهام» وغيرُهما، فذكروا من أصناف البيان (التصريف) وهو: القليل من اللفظ يعرف من المعاني بزيادة تقع في البناء الأول، وهو على قسمين:

تصريف المعنى في الدلالات المختلِفة، كقصة موسى عليه الصلاة والسلام، ذُكرت في القرآن في سورة الأعراف، وفي سورة الشعراء، وفي سورة طه، وغيرِها من السور، لوجوه من الحكمة:

منها: التصريفُ في البلاغة من غير نقصانٍ عن أعلى مرتبتها.

ومنها: تمكينُ العبرة والموعظة.

ومنها: ظهورُ الحِجاج على الكفار بالدلالات المختلِفة في المعنى الواحد.

وهذه الآية الشريفة ذُكرت أيضًا في غيرِ سورةِ آل عمران: في سورة الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

وذُكرت أيضًا في الدعوة الإبراهيمية التي في سورة البقرة: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

وآيةُ آل عمران ذُكرتْ تعريفًا لبعض نِعَمِ الله على المؤمنين وحثًّا لهم على شكرها، وتعريفًا لإجابة الدعوة الإبراهيمية التي ذُكرت في سورة البقرة، وآية الجمعة ذُكرت بعد ذِكْر تسبيح الله وتمجيده وتقديسه، وذِكْر عدَّةٍ من أسمائه، تعظيمًا لشأن هذا الرسول المبعوث صلى الله عليه وسلم، فاختلفت الدلالات في المعنى الواحد.

والقسم الثاني: تصريف المعنى في المعاني المختلِفة، وهو عَقْدُها به على جهة المعاقبة، فقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ يدلُّ على زمنٍ قد مضى.

وقوله تعالى: ﴿بل الله يمنُّ عليكم أنْ هَدَاكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ لفظُه لفظُ الحال.

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذى﴾ المنُّ المنهيُّ عنه هنا: أن يعتدَّ بصنيعته على المعطَى فيمنُّ بها عليه.

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوى﴾ المنُّ هنا الطلُّ الحلوُ ينزل على الأشجار والأحجار، فيكون كالصمغ يُجْتَنى منه ويُؤكل.

وقوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ فسره جماعة أنه غير مقطوع، فالمنُّ في اللغة على أحد وجوهه: القطع والهدم.

فهذه المعاني مدارها على مادة (م ن ن) وهي ثلاثة أحرف، بل حرفان أحدهما مكرر، وتحتها هذه المعاني.

ومن أصناف البيان: ٧ ـ الإعراب، وله وجهتان في العربية إحداهما: الفرق بين المعاني: كالفاعل والمفعول، فقوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ دلَّ بهذا الإعراب على أن الباعثَ هو الله، والرسولَ هو المبعوث، وكذلك ما بعده من الفرق بين التالي والمتلوِّ ونحوهما.

فلو غُيِّر الإعراب ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ لتحوَّل المعنى.

وقد روي أن رجلاً كان ممن يرى رأْي شَبيبٍ الخارجيِّ يقال له: الشيباني جِيء به أسيرًا إلى عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: ألستَ القائل:

فمنا سُويدٌ والبَطِيْنُ وقَعْنَب ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فقال له: لم أقل هكذا وإنما قلت:

ومنا ـ أميرَ المؤمنين ـ شبيبُ

فعفا عنه عبد الملك[1].

والجهة الأخرى التي للإعراب: الإتباعُ في قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ هذا فاعلُه معلوم من مفعوله، إلا أنه أتبع الفعل فيه، فلو قلت زيدٌ الماءَ، كان بعضُ الكلام معربًا وبعضُه غيرَ معرب، فإذا أتبعتَه: شرب

---

(١) الخبر في «عيونِ الأخبار» لابن قتيبة ٢: ١٧١، و «وَفَيات» ابن خلكان ٢: ٤٥٦، و «السِّيَر» للذهبي ٤: ١٧٤. والشيباني: هو أبو المنهال عِتبان بن شَراحيل بن شَريك الشيباني الحَروري. والبيت يروى في بعض المصادر بلفظ: فمنا حُصَين..، والمعروف: سويد. والخوارج معروفون بشجاعتهم وعنفهم، وهو هنا يجبن ويتوارى!.

فقلتَ: شرب زيد الماء، صار الكلام كلُّه معربًا.

ومن أصناف البيان: ٨ ـ **النظم**، وهو التئام الكلام مع الذي قبله أو بعده، فيحكم له بحكمه، فقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ بُيّن في هذا أن الحكمةَ ـ وهي هنا السنة النبوية ـ حكمها في التعليم حكم الكتاب، لانتظامها في الذِّكر والتئامهما في الكلام.

ومن ضروب النظم في الآية: حسنُ نظمها في التئامها بما قبلها وبعدها، وتمكُّن كل كلمة في موضعها.

ولا يَرِد على هذا ما في آية الدعوة الإبراهيمية التي فيها تقديم التعليم على التزكية، وهي قوله تعالى إخبارًا: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم﴾، لأن إجابة الله هذه الدعوة قد حصلتْ: من البعثة، وتلاوة الآيات، وتعليم الكتاب والحكمة، والتزكية.

لكن قُدّمت التزكية على التعليم في آية الإجابة، وهي هذه الآية: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ لأنه لما كان متعلِّمو[1] العلم على قسمين: صالحين وغير صالحين، والصالح: يفيد فيه التعليم ويبعثه العلم على العمل أكثرَ من غيره، لصلاحه الذي هو التزكية الذي كان متقدِّمًا على طلب العلم ـ فقدِّمت التزكية قبل التعليم هنا لفوائد، منها ما ذُكِرَ؛ والله أعلم بما أراد. فظهر بهذا في الآية تمكُّن نظم قوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾ قبل قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

ومن أصناف البيان: ٩ ـ **الاعتبار**، واختلفوا في اشتقاقه فقيل: هو من

---

(١) كتب قلمه رحمه الله: متعلِّمي.

عُبور النهر من أحدِ شَطَّيه إلى الآخر.

وقيل: هو من: عَبَرتُ الدراهم، إذا عرفتَ وزن كلٍّ درهم منها.

وقيل: من اعتبرتُ الكتاب إذا قرأتَه في نفسك من غير نطق متدبِّرًا ما فيه.

وصورةُ الاعتبار: مثلُ ما رويَ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا سمعتَ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فارْعِها سمعَك فإنه خير يأمرك به، أو شرٌّ ينهاك عنه.

ومثَّلوا للاعتبار: أن تسمعَ كلام مَن لم تَرَهُ يقول لآخرَ غائبٍ عن نظرك أيضًا: قمْ. فإذا اعتبرتَ هذا الأمر علمتَ أن المأمور بالقيام لم يكن قائمًا، بل كان على حالة تخالف القيام، ثم تعتبر أن عاقلاً آمرًا لا يقول لمأمورٍ عاقل قمْ إلا وثَمَّ معنىً للقيام من جلبِ منفعة، أو دفعِ مضرَّة، أو حالٍ توافق عقلَ الآمر والمأمور.

فإذا اعتبرنا قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ علمنا أنه أنعم عليهم، ثم ننظرُ في وجوه إنعامه فنراها لا تحصى، ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾، فيصير الفكر ملتفتًا إلى ذكر ما منّ الله به سبحانه على المؤمنين، فسمعنا قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ فمالَ الفكر إلى هذا الرسول ممن هو؟ فقال سبحانه وتعالى: من أنفسهم، فاعتبرنا فائدةَ البعثةِ فعلمنا أنه ما بعثه في المؤمنين إلا لجلْب منافعَ لهم، ودفْع مضارَّ عنهم، فتشوَّفْنا إلى ذِكر بعض ذلك فقال سبحانه: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ الآية، فهذا من جلب المنافع. وقولُه تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: فأنقذهم منه، فهذا من دفع المضارّ.

وإذا اعتبرنا قوله تعالى ﴿من قبل﴾ ظهر أن الإيمان لم يحصل للمؤمنين في الوجود الخارجي إلا من هذه البعثة، لقوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

وهذه الأربعة: التصريف: وهو في الكلمة، والإعراب: وهو في الخبر، والنظم: وهو في القصة، والاعتبار: وهو معيار الثلاثة، هذه الأربعة هي أقسام البيان في الكلام.

وزاد أبو الحسين أحمد بن فارس على الأربعة أربعةً أُخَر يكون بها أيضًا الفهم والإفهام وهي: الخطُّ، والعَقْد، والإشارة، والنِّصْبة.

وحكى هذه الأربعةَ أبو المطهَّر محمد بن داود النحْوي في شرحه رسالة أبي الحسن علي بن عيسى بن علي الرُّمَّاني في «النكت في إعجاز القرآن».

١٠ ـ **أما الخط**: فهو ثلاثة أنواع منها: ما أشير إليه في الحديث: أن نبيًّا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان يخطُّ، فمن وافق خطَّه فذاك[1].

---

(١) هذا جزء من حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه الذي رواه مسلم في كتاب المساجد ١: ٣٨١ ـ ٣٨٢ (٣٣) وفي كتاب السلام ٣: ١٧٤٩ (١٢١).

وهذا النبي قيل إنه إدريس عليه الصلاة والسلام، وكأن من قاله استأنس بما رواه ابن حبان ٢: ٧٨ (٣٦١) عن أبي ذر مرفوعًا، في حديثه الطويل الذي تقدم تخريجه في المجلس الثاني ص٦١، وفيه: «.. وهو أول من خطَّ بالقلم» لكن إسناده ساقط شبه موضوع، وهو ـ إن صح ـ يبعد الاعتماد عليه لأنه يقول: أول من خطَّ بالقلم، أما هذا الخط الوارد هنا فهو علم الرمل، لذلك بوَّب عليه النووي ـ في «صحيح» مسلم ـ: باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

وقد نقل الخطابي في «غريب الحديث» ١: ٦٤٨ عن ابن الأعرابي كيفية استعمالهم للخط فقال: «يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي ـ وهو زاجر الطير، أو هنا: ضارب الرمل ـ فيعطيه حُلوانًا» ـ وهو جُعْله ـ فيقول له: اقعد حتى أخطَّ لك، قال: وبين يدي الحازي غلام معه ميل، ثم يأتي إلى أرض رِخْوة فيخط خطوطًا كثيرة بالعجلة، لئلا يلحقها العدُّ، قال: ثم يرجع فيمحو على مَهَل خطين خطين، فإن بقي منها خطان فهما علامة النجاح، فكانت العرب تسمي ذينك الخطين: ابني عيان، =

وهذا من الأحكام في الواقعات بخطوط يعرفها أهلها، وقد ذهب علم هذا الخط، كما جزم به أبو الحسين ابن فارس وغيره.

والثاني: خطُّ المهموم والحزين على الأرض، كقول الشاعر:

أخطُّ وأمحو كلَّ شيء خططتُه ... بكفيَّ والغِزلانُ حولي رُتَّعُ

ويروى: والغِربان حوليَ وقَّعُ.

والخط الثالث: الكتابة التي تُقرأ ويَتَداولها الكتّاب، سواءٌ كانت بعربية أو غيرها، وأُشير إلى هذا الخطِّ في هذه الآية الشريفة بقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ والكتاب هو المكتوب، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عدَّة من الكتَّاب، منهم الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم[1]، فكان إذا نزل شيء من القرآن يأمرهم بكتابته ووضْع كلِّ آية أو سورة مكانها[2].

١١ ـ وأما العَقْد: فهو عَقْد الحاسب بيده عددًا يُفهَم بصورة عقده، ويُعقد باليد من واحد إلى ما لا نهاية له[3]. ومنه الحديث في التسبيح:

فيقول الحازي: ابني عيان أسرِعا البيان! وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة».

أما معنى الحديث: فقد قال النووي رحمه الله ٥ : ٢٣: «الصحيح أن معناه: من وافق خطَّه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح، والمقصود أنه حرام لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم «فمن وافق خطه فذاك» ولم يقل: هو حرام، بغير تعليق على الموافقة، لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي صلى الله عليه وسلم على حرمة ذاك النبي، مع بيان الحكم في حقنا..، فحصل من مجموع كلام العلماء فيه: الاتفاق على النهي عنه الآن».

(١) انظر ما تقدم ص١٧٥.

(٢) انظر أيضًا ما تقدم ص١٧٤.

(٣) وهذا ما يسمى بحساب اليد، أو حساب العقود، وفي «صحيح» البخاري =

«واعْقِدْنَ عليه بالأنامل فإنهن مسئولاتٌ مستَنْطَقاتٌ»[(١)] لكن ليس هذا من وجوه البيان صريحًا في القرآن، مع ذكر العدّ وعقود بعضه في القرآن.

نعم، إن أريد بالعقْد ارتباطُ الكلام والتئام بعضه ببعض وعدمُ تنافره، فهو داخل حينئذ في ضروب نظم القرآن.

١٢ ـ وأما الإشارة: فهي الإيماء بما يدلُّ على المقصود، وهي على قسمين: إشارة بجارحة كالعين واليد والرأس، ومنه قوله تعالى في قصة مريم عليها الصلاة والسلام: ﴿فأشارت إليه﴾.

وربما دلَّت الإشارة بالجارحة إلى معانٍ كثيرة، لكنه بعيد، ومنه قول الشاعر[(٢)]:

٦: ٣٨٢ (٣٣٤٧) أنه صلى الله عليه وسلم عقد تسعين حين قال: «فتح الله من رَدْم يأجوج ومأجوج مثلَ هذه. وعقد بيده تسعين». وعَقْد التسعين يكون بوضع رأس الإصبع المسبِّحة فوق رأس الإبهام. فهذه الدائرة تعني رقم (٩٠). وللعلماء عدة رسائل في ذلك منها منظومة في ستين بيتًا لتقي الدين علي بن عبد العزيز المغربي سماها «لوح الحفظ» وشرحها ابن شعبان، وكانا قد طُبِعا في بعض المجلات، وأعاد طبعهما الأخ السيد بسام الجابي سنة ١٤٠١ في «دار البصائر» في رسالة لطيفة.

(١) رواه عن يُسَيرة بنت ياسر رضي الله عنها ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦١٨٦)، ـ وعنه وعن غيره الطبراني «الكبير» ٢٥: ٧٤ (١٨١) ـ وأحمد ٦: ٣٧١، وعبد بن حميد ٤٥٤ (١٥٧٥)، وعن ابن أبي شيبة أبو يعلى ـ وليس في «مسنده» المطبوع ـ وعن أبي يعلى: ابن حبان ٣: ١٢٢ (٨٤٢)، كما رواه أبو داود (١٤٩٦)، والترمذي ٥: ٥٣٣ (٣٥٨٣)، والحاكم ١: ٥٤٧، وليس في المطبوع منه كلام له عليه، وفي «تلخيصه» للذهبي قال: «صحيح»، وحسَّنه النووي في أوائل «الأذكار» (١٧)، وابن حجر في «أماليه» ١: ٨٤.

(٢) اشتهر أن هذين البيتين لشاعر لم يسمِّه، مطلعهما:

أومتْ بعينيها من الهودج

=

أومـــتْ بعينيهـــا مـــن الهـــودجِ ... لـــولاكَ هـــذا العـــامَ لم أَحجُـــجِ
أنـــتَ إلى مكـــةَ أخـــرجتَني ... حقًّـــا، ولـــولا أنـــت لم أخـــرجِ

وقد لا يبعد هذا الاحتمال: أن هذه المرأة أومأتْ بعينيها مخاطبةً لربها الذي قدَّر لها الحج وأخرجها إليه، وهو سبحانه ﴿يعلم السر وأخفى﴾، ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾. ثم صرَّحت بعد ذلك فحدَّثت بلسانِ قالِها ما كانت أومأت إليه بلسان حالِها، فنظمه الشاعر على الحال الأول. والله أعلم.

والقسم الثاني من الإشارة: نوعٌ يسمى الوحي والإشارة، وهو أن يجيء كلام قليل المباني كثير المعاني يشير إليها وينبِّه عليها، ومن هذا قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ فيه إشارة إلى البعثة، وذكرُها يستدعي معاني، منها: البعثة كيف كانت، ومتى كانت، وأين كانت، وبما كانت أولاً، وما كان من دلائلها قبلُ وبعدُ، وأولُ شيء نزل من القرآن، وكيف

واحتَمَل أن هذه المرأة كانت مخاطبة لربها سبحانه بهذين البيتين.

وأقول: اشتهر أن هذين البيتين لعمر بن أبي ربيعة، وهو ـ كما وصفه ابن خلكان أول ترجمته ٤: ٤٣٦ ـ «كثير الغزل والنوادر والوقائع والمُجون والخلاعة»، ثم قال آخر الترجمة: «كان الحسن البصري رضي الله عنه إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر رضي الله عنه، يقول: أيُّ حقّ رُفع، وأيّ باطل وُضع؟!».

فمثل هذا الشاعر لا يؤوّل كلامه بهذا التأويل، على أن في ثبوتهما عن عمر بن أبي ربيعة وقفة، فإنهما مذكوران في صلب «ديوانه» ص٨٠ من طبعة دار صادر، أما «ديوانه» الذي طبعه الأستاذ الشيخ محيي الدين عبد الحميد رحمه الله، فإنه ذكرهما في ملحقات الديوان ص ٤٨٧ التي ذكر فيها ما عثر عليه في كتب الأدب منسوبًا إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في أصل ديوانه. والله أعلم.

كانت الدعوة قبل الإذن في القتال، وبعده، وكيف كان نزول الكتاب، وذِكْر أول من آمنَ وأجاب، وما يتعلَّق بكل فصل من ذلك إجمالاً وتفصيلاً، وإلى كلٍ هذا تحتملُ الإشارة بقوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾[1].

١٣ ـ وأما النِّصبة ـ وهي بكسر النون كالنُّصُب ـ وهو: ما يُنصب من حجر أو خشب يكون علَمًا دالاً على شيء، لكنْ معنى النِّصبة في البيان: الحالةُ الدالةُ بغير نُطق على أمور، ومثَّلها بعضهم بخلق السموات والأرض، والبرّ والبحر، والنجم والشجر، الدالٍّ ذلك بوجوده على أنّ له صانعًا متقنًا ومدبِّرًا حكيمًا، وهو الله جل ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا.

ووجه هذا في القرآن ظاهر، مع ما ورد في الحديث في صفة القرآن أن الله سبحانه جعله حجة قائمة وعَلَمًا منصوبًا.

والعَلَم: ما يُهتدَى به، ويَدلُّ على جلب المنافع ودفع المضارِّ.

والقرآنُ ـ جلَّ منزِّله ـ المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ جَمَعَ الله فيه مع وَجازة الكَلِم أضعافَ ما في الكتب السابقة من الحِكَم، أنزله بكل خير آمرًا، وعن كل شرٍّ زاجرًا، هدايةً لمن تمسَّك به، وحجةً قائمة لمن استنصر به، وهو أكبرُ معجزاتِ هذا الرسولِ المبعوثِ به حجةً قاطعة ودليلاً، المشارِ إليه بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾، وكانت رسالته رحمة عامة للخلق أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

نعم، ويُلتفتُ من قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ إلى قوله

---

(١) سيفصل المصنف القول في هذا القسم الثاني في صفحة ٤٤٦ فما بعد.

تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ومِن شرطِ الأخ أنه ينبغي أن يكون مشفقًا على أخيه، رحيمًا به مع ما ورد به أمرُ المؤمنين بالتراحم في عدة أحاديث نبوية، منها الحديث المسلسل بالأولية، الذي رَوَينا من ثلاثَ عشْرةَ طريقًا، وهذه طريقٌ رابعةَ عشْرةَ تالية لما تقدم، متصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا الإمام المفيد أبو محمد عبد الله بن إبراهيم البَعْلي بقراءتي عليه بمنزله، وهو أول حديث سمعته منه يومئذ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الخطيب المِزِّي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا التاج أبو العباس أحمد بن أبي العُلا، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد التيمي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الوهاب الهمَذاني إمام جامع هَمَذان بها، وأبو الفتوح محمد بن محمد بن الجنيد الصوفي بأَصْبَهان، وهو أول حديث سمعتُه منهما متفرِّقين، قال الأول: أخبرنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد، وهو أول حديث سمعته من لفظه، وقال الثاني: أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشَّحَّامي، وهو أول حديث سمعته منه، قالا: أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري، وهو أول حديث سمعناه منه، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزِّيادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد البلالي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». لفظ عبد الكريم بن محمد.

وقال ابن الجنيد في روايته: «فارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

هذا حديث فَرْد من الحسان، وقد صححه الترمذي في «جامعه» بعد روايته إياه من غير تسلسل من طريق سفيان.

ولا يقال: كيف حُكم له بالصحة أو بالحسن، وفي إسناده زاهر الشَّحَّامي وقد ترك الروايةَ عنه غيرُ واحد من الحفاظ، وتجاسر آخرون، فيما ذكره الذهبي في «الميزان»؟[1].

لأنا نقول: إن زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن يوسف المستَمْلي الشَّحَّامي «كان مسنِدَ نيسابور صحيحَ السماع»[2] وله مؤلفات في الحديث، وضَعْفه لم يكن من قِبَل الحديث، إنما ضُعّف لإخلاله بالصلاة، لا من جهة سماعه وروايته[3]. ومع هذا فلم ينفرد برواية

---

(١) لفظه في «ميزان الاعتدال» ٢: ٦٤ (٢٨٢١): «ترك الرواية عنه غير واحد من الحفاظ تورعًا، وكابر وتجاسر آخرون». وانظر لزامًا «المنتظم» لابن الجوزي ١٧: ٣٣٦، و «المستفاد من ذيل تاريخ ابن النجار» لابن أيبك ص٢٣٤، و «لسان الميزان» ٢: ٤٧٠، ففيهما اعتذاره بالمرض، وأنه كان صدوقًا من أعيان الشهود.

(٢) هذا من كلام الذهبي.

(٣) وهذا الجواب يحتاج إلى تتمة، بأن نقول: إن الأحاديث المروية من طريقه إنما تروى من كتاب منقول مروي بالسماع، مشهور أو متواتر عن مؤلفه، كحديثنا هذا، فالشحامي هذا إنما ورد اسمه في إسناد كتاب لم تتوقف صحته وصحة ما فيه على هذا الرجل، فإنه، إن كان في إسناده: فالأسانيد الأخرى الكثيرة المستفيضة موجودة متداولة، ولهذا وصفه الذهبي في جملته السابقة: صحيح السماع، فالعمدة في أسانيد الكتب صحة سماع ناقليها، لنطمئن إلى ضبطهم لما ينقلونه، ولا يتوقف الأمر على عدالتهم، كما هو الشأن في الرواة السابقين، نعم، إن توفر الأمران: العدالة، وصحة السماع، كان أولى وأفضل، وإن انضم إلى ذلك العلمُ ـ بأن كان

=

هذا الحديثِ عن أبي صالح، بل تابعه جمٌّ غفير قَرَنًا به أحدَهم وهو أبو منصور عبد الكريم بن محمد الذي يقال له ابن الخيام، وممن تابعهما ولد أبي صالح: وهو إسماعيل بن أبي صالح أحمدَ بنِ عبد الملك، وطَرِيف بن محمد بن عبد العزيز النيسابوري، وأبو الوفاء علي بن يزيد بن علي بن أحمد بن شَهْرَيار الزَّعْفراني، وأبو جعفر محمد بن الحسن بن محمد الهمذاني، ومحمد بن الفضل الفُراوي، وأبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد القُشَيري.

وأيضًا فالحديث قد استفاض عن سفيان بن عيينة فلا يؤثر جرح زاهرٍ الشَّحَّامي أحدِ رواة هذا الحديث فيه، لما تقدم. والله أعلم.

فكم من حديث صحيح إسنادًا ومتنًا كأحاديث الصحيحين؟! وكم من حديث ضعيف من الطرفين؟! وكم من حديث موضوع من المرويات بإسناد جيد كله ثقات؟! وكم من حديث صحيح جاء بسندٍ كذبُه صريح؟! وهذا والذي قبله من فعل السرَّاق من ضعفاء المحدثين، ولي في ذلك مصنفٌ ذكرتُ فيه السرَّاق على الحروف مرتبين[1].

وربما جاء المتن صحيحًا أو حسنًا، وفي إسناده أحد الضعفاء معلَنًا، كهذا الحديث الذي رَوَيناه بإسنادين أحدهما فيه ضعيف، لكن لا تأثير لضعفه لما بيناه.

ومن فوائد سنده: معرفة المغيَّر من الأسماء، ووَسَمْتُه بـ: الأنباء

الكتاب مرويًّا من طريق عالم أو علماء ـ كان أولى بكثير.

وقول المصنف الآتي «الحديث استفاض عن سفيان بن عيينة»: يشير إلى هذا المعنى.

(١) سماه الأستاذ الزِّركلي في «الأعلام» ٦: ٢٣٧: «السُّرَّاق والمتكلَّم فيهم من الرواة».

المُسَيَّرة في الأسماء المغيَّرة، وللعلامة الحافظ أبي المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السُّرَّمَرِّي(١) مصنَّفٌ في ذلك.

ووجه هذا النوع في الحديث أن صحابيَّه وهو عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما كان اسمه العاصي، كاسم جده، فلما أسلم ـ كان إسلامه قبل أبيه ـ سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، فاشتهر بهذا الاسم ونُسي اسمه الأول(٢).

ومن النوادر: أن عبد الله بينه وبين أبيه عَمرو في الميلاد إحدى عشْرةَ سنة أو اثنتي عشْرةَ سنة.

وكان عبد الله أحد العبَّاد المجتهدين والعلماء المكثِرين، جَمَع بين القرآن والتوراة حفظًا(٣)، توفي سنة ثلاث وستين، وقيل سنة ثمان وستين، وقيل سنة ثلاث وسبعين بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر، وقيل بفلسطين. رحمه الله ورضي عنه.

ويدخل هذا الحديثُ في نوع الموافقات والأبدال، وهو: أن يَروي حديثًا هو في كتاب من الكتب المشهورة من غير طريقه، إلى شيخ من شيوخ مصنِّف الكتاب، فتقع الموافقة مع المصنِّف في شيخه مع علوٍّ طريق الراوي على الطريق إلى المصنف، وقد تأتي الموافقة بلا علو، وتأتي مع نزول، والكل يسمى موافقة(٤).

---

(١) المتوفَّى سنة ٧٧٦ عن ثمانين سنة، ولم أقف على اسم كتابه، وانظر التعليق على صفحة ٤٢٢، ويزاد على مصادر ترجمته «لحظ الألحاظ» ص١٦٠.

(٢) تقدم تخريجه عن «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ١ : ٦٣٥ (١٨٤١).

(٣) تقدم هذا في كلام المصنف ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ فانظره مع التعليق والاستدراك عليه من كلام الذهبي.

(٤) انظر معنى الموافقة والبدل فيما تقدم تعليقاً ص١٤٧ من كلام الحافظ ابن حجر.

وتارة تكون الموافقة في شيخ شيخ المصنف مع العلو، ومع غيره أيضًا، وتُسمَّى بدلاً.

وهذا الحديث خرّجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن سفيان.

ورواه أبو داود في «سننه» عن مسدَّد وأبي بكر بن أبي شيبة، والترمذي في «جامعه» عن محمد بن أبي عُمر العَدَني، ثلاثتهم عن سفيان، فوقع لنا موافقة لأحمد، وبدلاً لأبي داود والترمذي.

هذا من بعضِ الأنواعِ التي يدخلُ فيها إسناد هذا الحديث ـ الذي هو الإخبار عن طريق المتن ـ غيرِ ما تقدم.

وأما فوائد المتن ـ الذي هو: ما انتهى إليه السند من الكلام ـ فكثيرة تقدم ذكر بعضها.. [(١)] .

* * * * *

(١) بعد هذه الكلمة ثلاث كلمات طُمست لرطوبة أصابت الحبر، وانقطع الكلام بعدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٢١ ـ

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

تقدم الكلام على هذه الآيات الشريفات من وجوه، منها وجهٌ واحد ذكرناه في الدرس الماضي، فيما يتعلق بالمعاني والبيان، وذكرنا أن في هذه الآية من فنون البلاغة: الإيجازَ والإطنابَ، والاستعارةَ، والفواصلَ، وحسنَ البيان، والتصريف، والإعراب، والنظم، والاعتبار، والخطَّ، والعَقْد، والإشارة، والنِّصْبة[١].

والآن نتكلم على فن واحد من فنون البلاغة التي اشتمل القرآن عليها على أعلى مراتب فنونها، وهذا الفن الواحد الذي نشير إليه الآن هو أحد قسمي الإشارة، وهو الذي يسميه أهل النقد والبلاغة: بالوحي والإشارة، وهو أن يجيء كلام قليل المباني يشير إلى كثير من المعاني، ينبه عليها ويرشد إليها، ويسمى اللطائف والإشارات[٢]، فمنها المتعلِّق بهذه الآيات عدَّة منها:

١ ـ ثناء الله تعالى على نفسه بإظهار اسمه الأعظم في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ ولم يقلْ سبحانه لقد مننتُ، فذكر الله تعالى

---

(١) انظر ذلك في صفحة ٤٢٨ ـ ٤٤٠.

(٢) وفي المجلس ٢٣ الآتي ص ٤٧٩ ما هو جديد على ما هنا.

المنّ باسمه المُظْهَر دون المضمَر، لعظم شأن هذه المنة التي بينّا فيما تقدم أنها أمُّ النعم كلِّها، وهي بَعْثه سبحانه هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن في هذه البعثة ومتعلقاتها أعظمَ دليلٍ على توحيد الله تعالى وحكمته وقدرته ونفوذ أمره وعِظَم سلطانه.

ففي قوله تعالى ﴿لقد منّ الله﴾: ثناؤه سبحانه على نفسه بالإلهية والحمد، والتعظيم والتقديس والمجد، الذي هو من بعض المعاني التي يدلُّ عليها اسم الله.

ودليل ما أُشير إليه بقوله ﴿لقد منّ الله﴾ من الثناء والتمجيد والتنزيه والتقديس لله عز وجل: ما ذكره الله ظاهراً قبل ذِكْر هذه النعمة في سورة الجمعة فقال تعالى: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

٢ ـ ومن الإشارات المفهومات من هذه الآيات: شكرُ الناس على اصطناع المعروف، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له»[١].

ووجه هذا في الآية الشريفة من جهتين:

---

(١) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مواضع من مسند ابن عمر منها ٢: ٦٨، و أبو داود (١٦٦٩، ٥٠٦٨)، والنسائي ٢: ٤٣ (٢٣٤٨)، وابن حبان ٨: ١٩٩ (٣٤٠٨)، والحاكم ١: ٤١٢، ٢: ٦٣ ـ ٦٤، وصححه على شرطهما، وكذلك صححه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ١: ٢٢٣ في باب وظائف القابض من كتاب الزكاة. ورواه الطبراني في «الكبير» ٣: ٢١٨ (٣١٨٩) حديثًا مستقلاً عن الحكم بن عمير الثمالي بإسناد ضعيف، وانظر «مجمع الزوائد» ٨: ١٨١، و «شعب الإيمان» ٦: ٥١٥.

إحداهما: ما قدَّمناه من معاني الآية وأحكامها، أن فيها الحثَّ على شكر الله تعالى على نِعَمه، لأن فيها تذكير الله المؤمنينَ بمنّه عليهم وإحسانِه ابتداءً إليهم، ومن لازم التذكير معرفةُ النعم ومعرفةُ من أنعم بها، فيجب شكره عليها.

وشكر الله تعالى على وجوه تقدم ذكر بعضها، ومما لم يتقدم: أن من وجوه شكر الله شكرَ الناس، فقد صحّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ الله».

وله شاهد عن أبي سعيد الخدري، والنعمان بنَ بشير، والأشعث بن قيس رضي الله عنهم(١).

---

(١) حديث أبي هريرة رواه أحمد في مواضع، أولها ٢: ٢٥٨، والترمذي ٤: ٢٩٨ (١٩٥٤) وقال: حسن صحيح ـ ولفظه عند المزي في «تحفة الأشراف» ١٠: ٣٢٢ (١٤٣٦٨): صحيح، فقط ـ وأبو داود (٤٧٧٨).

وحديث أبي سعيد: رواه أحمد أيضًا ٣: ٣٢، ٧٤، والترمذي ٤: ٢٩٩ (١٩٥٥) وقال: حسن صحيح، ولفظه في «التحفة» ٣: ٤٢٣ (٤٢٣٥): حسن، فقط.

وحديث النعمان بن بشير: تقدم تخريجه مطولاً صفحة ١٨٥.

وحديث الأشعث بن قيس: رواه أحمد ٥: ٢١١، ٢١٢ من ثلاثة وجوه، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في «المجمع» ٨: ١٨٠، ورواه الطبراني في «الكبير» ١: ٢٣٦ (٦٤٨) والبيهقي في «الشعب» ٦: ٥١٧ (٩١٢٠) = ١٦: ١٢٧ (٨٦٩٩)، وإسنادهما كإسناد أحمد الثاني.

وروي من حديث جرير بن عبد الله: رواه الطبراني في «الكبير» ٢: ٣٥٦ (٢٥٠١)، قال الهيثمي ٨: ١٨١: «رجاله رجال الصحيح».

ويزاد: أنه روي من حديث أسامة بن زيد: رواه الطبراني أيضًا ١: ١٧١ (٤٢٥)، والبيهقي في «الشعب» ٦: ٥١٦ (٩١١٨) = ١٦: ١٢٤ (٨٦٩٧)، وفيه عبد المنعم بن نعيم، ضعيف.

ومن حديث أسامة بن عمير الهذلي، رواه الطبراني كذلك ١: ١٩٥ (٥١٩)، قال =

والجهة الثانية لاستنباط شكر الناس من هذه الآية: أن ما فيها من المنن والإنعام كان بسبب دعوة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيثُ قال: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فاستجاب الله هذه الدعوة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: ما كان بدءُ أمرك؟ فقال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشَّر بي عيسى، ورأتْ أمي أنه خرج منها نور أضاءتْ له قصور الشام» خرجه الطبرانيُّ في «معجمه الكبير» وغيرُه[1].

وقد أُمرنا بمكافأة من أحسن، ومنهم سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي أحسن بهذه الدعوة العظيمة، فأُمرنا بمكافأته ـ تلويحًا، وإن لم يكن صريحًا ـ في ذلك الحديث الآتي ذكره إن شاء الله تعالى بالصلاةِ على إبراهيم، وآل إبراهيم، والدعاءِ لهم بالبركة مشروعًا (؟) لنا في صلواتنا.

ومن لطائف هذه الجهة الثانية: أن من أَحسن قولاً أو فعلاً، لا بدَّ له من الجزاء كما ورد نقلاً، قال الله عز وجل في محكم القرآن: ﴿هل جزاء الإحسانِ إلا الإحسانُ﴾ وقال تعالى: ﴿إنا لا نُضيع أجرَ مَن أحسنَ عَمَلاً﴾.

وهذه النعمة العظيمة، بهذه البعثة العميمة، كانت بسبب دعوة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وهي قوله: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم

الهيثمي ٨: ١٨١: «فيه من لم أعرفهم».

قلت: بل فيه يحيى بن أبي زكريا الغساني، ضعيف، وفيه عباد بن سعيد، عن مبشر حفيد أسامة الهذلي، وقد قال الذهبي في «الميزان» ٢: ٣٦٦ (٤١١٧) عن عباد: لا شيء، ووافقه ابن حجر في «اللسان» ٣: ٢٢٩، ثم اتهم آخر الترجمة مبشراً بحديث منكر.

(١) انظر تخريجه فيما تقدم ص٢٥٠.

يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فلما أحسن إبراهيم عليه السلام بهذا الدعاء، جازاه الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم بعظيم من الجزاء، وهو الصلاة والدعاء في كل صلاة بالبركة عليه وعلى آله، كما صح في الحديث المتفق عليه لثقة رجاله، من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيَني كعبُ بن عُجْرة رضي الله عنه فقال لي: ألا أُهدي لك هديةً سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم! فقلت: بلى، فأهدِها لي، قال: سألْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاةُ عليكم أهلَ البيت؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وله شاهد من حديث أبي حُميد الساعدي، وأبي مسعود الأنصاري، وغيرهما رضي الله عنهم[(١)].

---

(١) حديث كعب بن عُجرة رواه أصحاب الكتب الستة: البخاري ١١: ١٥٢ (٦٣٥٧)، ومسلم ١: ٣٠٥ (٦٦)، وأبو داود (٩٦٨)، والترمذي ٢: ٣٥٢ (٤٨٣)، والنسائي ١: ٣٨٢ (١٢١٢)، وابن ماجه ١: ٢٩٣ (٩٠٤)، وغيرهم، وانظر «القول البديع» للسخاوي ص٥٣ فما بعدها.

وأما حديث أبي حميد الساعدي: فرواه عنه البخاري ٦: ٤٠٧ (٣٣٦٩) و ١١: ١٦٩ (٦٣٦٠)، ومسلم ١: ٣٠٦ (٦٩)، وأبو داود (٩٧١)، والنسائي ١: ٣٨٤ (١٢١٧)، ثم في «عمل اليوم والليلة» ٦: ٢٠ (٩٨٨٧)، وفي التفسير ٦: ٣٤١ (١١١٦٨)، وابن ماجه ١: ٢٩٢ (٩٠٣).

وأما حديث أبي مسعود الأنصاري: فروراه مسلم ١: ٣٠٥ (٤٠٥)، وأبو داود (٩٧٢، ٩٧٣)، والترمذي ٥: ٣٣٤ (٣٢٢٠) وقال: حسن صحيح، والنسائي ١: ٣٨١ (١٢٠٨، ١٢٠٩) و ٦: ١٧، ٤٣٦ (٩٨٧٦ ـ ٩٨٧٨، ١١٤٢٣).

=

وهذا الجزاء الذي هو الصلاة والبركة لا ينقطع مَدَده، ولا ينتهي عَدَده، كما أن هذه البعثة المحمدية التي دعا بها إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لا تحول ولا تزول، ولا تنفَد خيراتها ما بقيت الدنيا، ولا تنقطع بركاتها في الآخرة.

ولو لم يكن من جزاء المحسِن إلا الثناء عليه لكان كافيًا.

رَوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنة هَرِم بن سِنان المُرِّي: ما وهَبَ أبوكِ لزهير؟ فقالت: أعطاه مالاً وأثاثًا أفناه الدهر! فقال عمر: لكنّ ما أعطاكُمُوه لا يفنيه الدهر[1]. يعني مدحَ زهيرِ بن أبي سلمى هَرِمَ بنَ سنان وثناءَه عليه، الذي منه قوله في قصيدته التي أولها:

غشيتَ ديارًا بالبقيع فثَهْمَدِ ... دَوانٍ قد أقْوَيْنَ من أم معبدِ

فلو كان حمدٌ يُخلِد الناسَ لم تَمتْ ... ولكنَّ حمدَ الناس ليس بِمُخْلِدِ

ورواه غير هؤلاء الثلاثة: أبو هريرة، عند أبي داود (٩٧٤).

وأبو سعيد الخدري، عند النسائي ١: ٣٨٣ (١٢١٦)، وابن ماجه ١: ٢٩٢ (٩٠٣).

وزيد بن خارجة، عند النسائي ١: ٣٨٣ (١٢١٥)، ٦: ١٨ (٩٨٧٩).

وطلحة بن عبيد الله، عند النسائي أيضًا ١: ٣٨٣ (١٢١٣، ١٢١٤) و٦: ١٨ (٩٨٨٠).

وابن مسعود، وحديثه عند الحاكم ١: ٢٦٩، وعنه البيهقي ٢: ٣٧٩، وفيه ضعيف، وآخر مبهم.

ولما رواه النسائي من طريق عبد الرحمن بن بشر، عن أبي مسعود، ذكر أنه روي عن عبد الرحمن بن بشر نفسه مرسلاً، وساق إسناده ٦: ١٨ (٩٨٧٩).

وروي أيضًا عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم. انظر ذلك في «القول البديع».

(١) الخبر في «الكامل» للمبرِّد ١: ٤٨٥.

ولكــنَّ منــه باقيــاتٍ وراثــةً فــأورِثْ بنيـك بعـضَهـا وتـزوَّدِ
تَــزَوَّدْ إلى يــوم الممــات فإنــه ـ ولو كرهتْه النفْس ـ آخرُ موعِدِ[1]

وهذا معنى ما أشار إليه عمر رضي الله عنه من الثناء.

وقد امتدح نُصَيبٌ عبد الله بنَ جعفر بن أبي طالب فأمر له بخيل وإبل وأثاث ودنانير ودراهم! فقال له رجل: أَمِثلُ هذا الأسود يُعطى مثلَ هذا المال؟! فقال عبد الله رضي الله عنه: إن كان أسود فإن شِعره لأَبيض، وإن ثناءه لعربي، ولقد استحقَّ بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ثيابًا تَبلى، ومالاً يَفنى ومطايا تُنْضَى، وأعطانا مدحًا يُروى، وثناءً يبقى؟![2].

وقد ذكرت العرب معنى ذلك في أشعارها فقال بعضهم:

---

(١) البيت الأول هو مطلع القصيدة، والثلاثة بعده خاتمة القصيدة، وهي في ستة وأربعين بيتًا، وهي القصيدة الرابعة عشرة في «ديوانه» بشرح أبي العباس ثعلب ص١٦٦ ـ ١٧٥، وأثبتُّ الأبيات كما هي بخط المصنف، وإن كان في البيت الأول خاصة مغايرتان هامتان، فلفظه في الديوان:

غـشيت الـديار بـالبقيع فثمهـد دوارسَ قـد أَقْـوَيْن مـن أم معبـد

(٢) الخبر في «الكامل» أيضًا ٢: ٦٩٧. ونُصَيب هو أبو مِحْجَن نُصَيب بن رَبَاح، الشاعر الفحل، المتوفى سنة ١٠٨، وتنسَّك وترك التغزل آخر حياته. انظر ترجمته في «الأعلام» ٨: ٣١ ومصادره الكثيرة، ويزاد عليها: «طبقات فحول الشعراء» للجمحي ٢: ٦٧٥، و «سير أعلام النبلاء» ٥: ٢٦٦ وهي ترجمة مختصرة جدًّا.

وله ذكر عرضًا عند ابن خلكان ٦: ٨٨، لكنه قال: «كنيته أبو الحَجْناء وقيل أبو محجن» وهو سهو وانتقال ذهن إلى نُصيب الأصغر مولى المهدي العباسي، فإنه هو الذي يكنى أبا الحجناء، وأما هذا فأبو محجن. وانظر ترجمتهما عند ابن شاكر الكتبي في «فوَات الوَفَيات» ٤: ١٩٧، ٢٠١.

فـأثنُوا علينـا ـ لا أبـا لأبـيكمُ ـ   بأفعالنا، إن الثناء هو المجـدُ[(١)]

وقد استحسنوا في معناه قول أبي الطيب المتنبي:

ذِكْرُ الفتى عُمْرُه الثاني، وحاجتُـه   ما قَاتَه، وفضولُ العيش أشـغال

لكني أقول: في هذا البيت نظر وإن كان في الظاهر بديعًا بليغًا، ولهذا استحسنوه، ووجه النظر في قوله «ذكر الفتى عمره الثاني» لأن ذكر الإنسان إما يكونُ بخير، أو بضدِّه، أو بهما، كأنْ يُذْكَر بمدحِ خصلةٍ فيه حسنةٍ، ويذمّ بأخرى فيه قبيحة، فإذا قيل: فلان له ذِكر، أو قيل: ذِكْرُ فلان، كان فيه إبهام، فالذكْر يُطلق ويراد به معانٍ، منها: الحفظ، والشرف، والصوت، وجَرْيُ الشيء على اللسان، فقولُ المتنبي في البيت «ذكر الفتى عمره الثاني» يحتمِل حفظه وشرفه وصوته وما جرى على لسانه وغير ذلك من وجوه معاني الذكْر، ففيه إبهام، فلو قال: صِيتُ الفتى عمره الثاني: لكان أبينَ، وفي البلاغة أقوى وأمتنَ، يقال: رجل له صيت: إذا كان عاليَ الذِّكْر، يقال: ذهب صيته في الناس.

٣ ـ ومن الإشارات المفهومات من هذه الآيات: الحثُّ على سماع تلاوة القرآن، لأن سماع تلاوته أحدُ وجوه الامتنان، لقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾.

وإذا كان هذا من منَّة الله على المؤمن فيجبُ عليه شكرُها، ومن وجوه شكرها: تعاهدُها ورعايتُها، فظهر بهذا أن في الآية الحثَّ على سماع تلاوة القرآن.

٤ ـ نعم، وفي سماع تلاوة الآيات: الإشارةُ إلى الحثِّ على الجلوسِ

---

(١) رواية «الكامل» له ١ : ٤٨٥ : «هو الخلد» وهو أنسب بالمقام، ونسبه محققه إلى الحادرة، وأن رواية البيت في ديوانه: بإحساننا، ويروى: بأحسابنا. لا: بأفعالنا.

إلى العلماء سماعًا، والاجتماعِ بهم استفادةً وانتفاعًا، لأنه لا يكون سماع التلاوة وتعلُّم الكتاب والحكمة إلا بالجلوس إلى العلماء، والاستماع منهم، والانتفاع بهم، والأخذ عنهم، ومجالسهم هي المجالسُ التي يصيبُ أصحابَها نفحاتُها، وتعود على أهلها بركاتها، وقد جاء الكتاب والسنة بالحثّ على ذلك، ومنه قول الله عز وجل: ﴿فلولا نَفَرَ من كل فرقة منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما جلس قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

ولقد مُدحت في الجاهلية والإسلام، مجالسُ أُولي الفهم والإفهام، وذوي التذكير والأحكام، كما تقدَّم بعض ذلك.

ومما جاء في معناه في الجاهلية: قول جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبِ بن عبد مناف بن زُهْرة:

وإذا أتيتَ جماعةً في مجلس ... فاخترْ مجالسَهم ولمَّا تقعدِ

ودعِ الغُواةَ الجاهلين وجهلَهم ... وإلى الذين يذكِّرونك فاعمِدِ

٥ ـ وفي هذه الآيات من الإشارات أيضًا: أن علم الدين هو الكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

---

(١) هذا جزء من الحديث المشهور الذي رواه مسلم ٤: ٢٠٧٤ (٣٨) والترمذي ٥: ١٧٩ (٢٩٤٥) وابن ماجه ١: ٨٢ (٢٢٥)، وأوله: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كُرَب الدنيا..» وفي لفظ المصنف بعض مغايرة، وانظر رقم (٣٩) عند مسلم أيضًا، ورواه أبو داود (١٤٥٠) مقتصرًا على القدر الذي ذكره المصنف مع المغايرة في بعض الألفاظ أيضًا.

فسَّر ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أن الحكمة هنا هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وحكاه الشافعي رضي الله عنه عن سماعه لذلك ممن يرضَى من أهل العلم وقال به.

فلو كان قدرٌ زائد على الكتاب والسنة لأَمَر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بتعليمه للأمة، والعلمُ إذا أُطلِق إنما يُراد به علم الدِّين.

٦ ـ نعم، وفي قول الله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ الحثُّ على طلب العلم من الكتاب والسنة[1]، لقول الله تعالى: ﴿ما فرَّطْنا في الكتاب من شيء﴾ وقولِه تعالى: ﴿ونزلْنا عليك الكتابَ تِبيانًا لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾ وقولِه تعالى: ﴿هذا بيانٌ للناس وهدىً وموعظةٌ للمتقين﴾.

ورُوي عن العِرْباض بن ساريةَ رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد تَركتكم على مثلِ البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يَزِيغ بعدي عنها إلا هالك»[2].

وهذا المشارُ إليه هو علم الدين كما تقدم، والمقدارُ الذي يجب طلبُه

---

(١) لكن على سَنَن قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذِّكْر﴾ وعلى وَفْق كلام المصنف السابق رقم ٤.

(٢) وهذا جزء من حديث العرباض بن سارية المشهور «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين..»، وهو في «سنن» أبي داود (٤٥٩٩)، والترمذي ٥: ٤٣ (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه ١: ١٥ (٤٢) وغيره كثير، وممن صححه البزار، كما نقله عنه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ٢: ١٨٢. إلا أن هذه الجملة جاءت في روايةٍ لابن ماجه (٤٣)، و «المسند» ٤: ١٢٦، والطبراني «الكبير» ١٨: ٢٤٧ (٦١٩). ويشهد لها حديث أبي الدرداء عند ابن ماجه أيضًا ١: ٤ (٥) وابن أبي عاصم في «السنة» ١: ٢٦ (٤٧) وفيه «.. وايمُ الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء».

من العلم وتحصيلُه: ما تقعُ به الكفاية للعمل، وإفتاءُ من لا علم عنده فيما ينزلُ به وينُوبه.

٧ ـ ومن الإشارات في هذه الآيات أيضًا: استحبابُ التعليم مجانًا بغير أجرة[١]، ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وقد علّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأمته: جليلَه ودقيقه، وصريحه ومفهومه، وجُمَلَهُ وتفاصيله، لامتثال قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسولُ بلِّغْ ما أُنزِل إليك من ربك﴾ والذي أنزله إليه: القرآن، وكذلك السنة، بدليل قوله تعالى: ﴿وما يَنطِق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يُوحَى﴾ ومع ذلك فقد عُلِم علمًا يقينيًّا قطعيًّا أن النبي صلى الله عليه وسلم علَّم ذلك كلَّه من غير أخذ أجرة على ذلك، ولا على شيء منه.

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي»[٢] وكان من سنته التعليمُ بغير أجرة، كما ذكرناه، فيستحبُّ التعليم كذلك.

والتعليم عامّ في القرآن والسنة، لكن الإجارة على تعليم القرآن صحيحةٌ، وأخذ الأجرة عليه جائزة، لما صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «أحقُّ ما أخذتم عليه أجرًا كتابُ الله»[٣] فتصح الإجارة على

---

(١) قال أبو العالية: «عَلِّم مجانًا كما عُلِّمتَ مجانًا». وله قصة طريفة تجدها في «تهذيب الكمال» ٣٠: ٢٤٩ وغيره.

(٢) هذه الجملة جزء من حديث العِرباض السابق، فانظر تخريجه.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ١٠: ١٩٨ (٥٧٣٧)، وابن حبان ١١: ٥٤٦ (٥١٤٦)، وغيرهما، وهو مما انفرد به البخاري عن بقية أصحاب الستة. وعلَّقه البخاري أيضًا في «صحيحه» في كتاب الإجارة ٤: ٤٥٢ وتكلم شراحه في مسألة الإجارة هناك، وتجد ذلك في كتب الفقه، وفي النوع الثالث والعشرين ـ المسألة الثانية عشرة ـ من مقدمة ابن الصلاح وشروحها.

تعليم القرآن وإن كان عبادةً تجب لها نية كالحجِّ ومسائلَ معروفةٍ، فإن كل أحد لا يختص بوجوب تعليم القرآن، وإن كان نشرُ القرآن وإشاعتُه من فروض الكفايات.

ومن الأئمة مَن منعَ مِن أخذ الأجرة على القرآن مطلقًا، ومنهم مَن جوّز الأخذ بغير اشتراط: إن أُعطِي قَبِل وإن لم يُعطَ لا يُطالب، ومنهم من فرَّق بين المحتاج وغيره.

وأما الإجارةُ وأخذُ الأجرة على التحديث وتدريس العلم: لا يجوز[١]، لأن نشرَ العلم وتعليمَه فرضُ كفاية كالجهاد، وفيه تفصيلٌ أشار إليه الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حَليم الحَليمي البخاري القاضي فقال[٢]: ولا يجوز لمن كانت عنده أخبارٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُئل عنها أن يمتنعَ من روايتها ليُعطَى عليها مالاً، لأنه يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أداه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمته، ومعلوم أن الله تعالى لم يكن أطلق له أخذ أجر من أمته على ما يبلِّغهم إياه عن ربهم عز وجل، فلذلك لا يَنْطَلِقُ لأحد من المؤدِّين عنه.

وقال أيضًا[٣]: وإذا حضر العالم ليُسمَع منه الحديث فأذن في القراءة عليه فقالوا «نريد لفظك»: كان له أن لا يتكلَّف القراءة بنفسه إلا بعوض، وإنما يحرم العوض إذا لم يُخرِج ما عنده فيقرؤوا عليه إلا بعوض، فأما إذا أخرجه وأمر بالقراءة عليه فكُلِّف أن يقرأ: فهذا شُغْل زائد على التبليغ والأداء، فله أن لا يفعله بغير عوض، فإن لم يوجَد أحدٌ يقرأ عليه ووجب

---

(١) هكذا بدون الفاء في جواب أما. وانظر آخر المجلس الأول ص٤٦.

(٢) في «شعب الإيمان» له ٢: ٢٠٥.

(٣) ٢: ٢٠٦.

عليه أن يَرويَ بلفظه فلا عِوض له، وإن أُعطي لم يجز له أخذُه.

وذكر الحَليمي أيضًا[١] أن الطلبة إذا أرادوا من الشيخ ما يَطُول به المجلس وينقطعُ به عن السعي على نفسه وعياله: جاز أن يأخذ على إدمانه الجلوس وتفريغِه نفسَه لهم ما يعطونه ما لم يكن سرَفًا، والسَرَف أن يطالبهم بأكثرَ مما كان يعود عليه من سعيه لو لم يجلس لهم. والله أعلم. انتهى قول الحليمي رحمه الله.

٨ ـ ومن الإشارات في الآيات: بيانُ المبهماتِ المفهوماتِ منها، لأن الكتاب المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ معلومٌ ـ نقلاً متواترًا، ويقينًا قطعيًّا متوافرًا ـ نزولُه على هذا الرسول المشار إليه، وهو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فالذي نزل به عليه روح القُدُس جبريل عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين نَزَلَ به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذِرين﴾ وقوله تعالى: ﴿قل نزَّله روح القُدُس من ربك بالحق ليثبتَ الذين آمنوا...﴾ الآية، فظهر بهذا المبهَمُ المفهومُ والمبهَمُ المنطوق.

٩ ـ نعم، وفي هذا إثباتُ وجودِ الملائكة، ومنهم الروح الأمين الذي نزل بهذا الكتاب على خاتم النبيين صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

١٠ ـ وفي الآية: الإشارةُ إلى الردّ على منكري النبوات من الفلاسفة والبراهمة وغيرهم، فإن من العقائد الواجبة شرعًا وعقلاً الإيمانَ بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فمن وجوبه شرعًا ما ورد في الكتاب والسنة، ففي الكتاب آياتٌ كثيرة منها: قولُه تعالى: ﴿آمنَ الرسولُ بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله..﴾ الآية.

---

(١) ٢: ٢٠٧.

ومنها: قولُه تعالى في هذه الآية: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً﴾ وهذا الرسول بالإجماع هو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو خاتم النبيين، قال الله عز وجل: ﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتَمَ النبيين﴾ فإذا كان هذا الرسول الذي منّ الله علينا ببعثته هو خاتَمَ النبيين فعُلم بالتواتر علمًا قطعيًّا بعثة النبيين الذي نبينا هو خاتمهم كما قال الله عز وجل، فوجب الإيمان بهم عليهم الصلاة والسلام.

ومن الوارد في السنة: قولُ النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الحديث في البنيان وموضع اللَّبِنة قال: «وأنا خاتم النبيين»[1].

وكذلك مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم: «لا نبي بعدي»[2]، ولهذا الحديث طُرُق، لكن بعض الوضاعين من السُّرّاق المولَّدين ـ وهو محمد ابن سعيد الدمشقيُّ المصلوبُ على الزندقة ـ سرَق هذا الحديث ورواه بزيادة في آخره عن حميد، عن أنس مرفوعًا: لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله. وقد حكم الحاكم أبو عبد الله بوضع هذه الزيادة في الحديث[3]، وتأوَّلها بعضهم على تقدير الصحة ـ وأنَّى لها الصحة ـ أنها محمولة على رؤيا

(١) رواه البخاري ٦: ٥٥٨ (٣٥٣٤، ٣٥٣٥) عن جابر، وعن أبي هريرة، كما رواه مسلم عنهما ٤: ١٧٩٠، ١٧٩١ (٢٣، ٢٠، ٢٢)، ورواه مسلم (بعد٢٢) وأحمد ٣: ٩ عن أبي سعيد الخدري.

(٢) هذه الجملة وردت ضمن أحاديث متعددة مختلفة، كما وردت مع جملة «أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»، وهي من قسم المتواتر. كما ذكره السيد الكتاني رحمه الله تعالى في «نظم المتناثر» ص١٣٢، بل هي جملة من حديث متواتر أيضًا، هو قوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» كما تجده في ص١٢٥ من الكتاب المذكور.

(٣) في «المدخل في أصول الحديث» ص١٨ من طبعة حلب.

المؤمن لأنها جزء من أجزاء النبوة ولم يبقَ بعد النبي صلى الله عليه وسلم من المبشِّرات غيرها. وهذا تأويل بعيد[(١)].

وتأولها بعضهم ـ لو صحت ـ على مجيء عيسى عليه الصلاة والسلام حين ينزل من السماء آخر الزمان بعد خروج الدجال.

وهذا بعيد أيضًا، لكنه أقرب في التأويل من الأول، مع الاعتقاد الجازم أنه لا نبي بعد نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام يأتي بشريعة غير شريعته، بل إذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام يقتدي بإمام هذه الأمة في الصلاة، ويَحمِل الناس على هذه الشريعة المحمدية ولا يقبل من أحد غيرها، كما صحت الأحاديث بذلك[(٢)].

---

(١) قلت: روى مالك في «الموطأ» من حديث عطاء بن يسار مرسلاً ـ وهو موصول عند البخاري ١٢ : ٣٧٥ (٦٩٩٠) ـ أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لن يبقى بعدي من النبوة إلا المبشرات» ـ الرؤيا الصالحة ـ قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٥ : ٥٥ : «فيه: أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم، وهو تفسير قوله عليه السلام: لا نبوة بعدي إلا ما شاء الله، وهو حديث يروى من حديث المغيرة بن شعبة، فإن صح كان معنى الاستثناء فيه: الرؤيا الصالحةَ، على ما في الحديث وما كان مثله، وحسبك بقول الله عز وجل: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ وقوله عليه السلام: «أنا العاقب الذي لا نبي بعدي». ونحوه باختصار قاله في ١ : ٣١٤.

فهذا تأويل قريب ذُكر مع رواية: لا نبوة بعدي، وإن كانْ تعقبه ابن الملقن ـ انظر «تنزيه الشريعة» ١ : ٣٢١ ـ أما مع رواية «لا نبي بعدي»: فلا، وينظر حال حديث المغيرة؟. ثم أشار ابن عبد البر إلى أن أبا جعفر الطبري ذكر أقوالاً أخرى لتأويل هذه الجملة، وكأنه في كتابه الكبير الذي طبع قسم منه «تهذيب الآثار»؟ ولعل التأويل الآتي من جملة ذلك؟ والله أعلم.

(٢) وقد قرَّر هذا المعنى الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في جزء له مطبوع ضمن «الحاوي» ٢ : ١٥٥ ـ ١٦٧ سماه «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام».

وعلى هذا يحمل ذلك الحديث الذي رواه خالد بن يزيد بن أسد القَسْري ـ وفيه كلام ـ قال: حدثني محمد بن إبراهيم الإمام، عن أبي جعفر المنصور، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن تَهلك أمة أنا أولُها والمسيح آخرها»[١]، وذلك أن المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل ينصر المؤمنين ويكشف عنهم ـ بإذن الله ـ ما هم فيه من البلاء، والجَهد والجوع والغلاء، ويقتل عدوَّهم من الدجال، ويأجوج ومأجوج بهلاكهم، فتعيش هذه الأمة بعد تلك الشدة بخير عظيم، تُخرِج الأرض البركات، وتَنزِل عليهم الخيرات، فلن تَهلِك هذه الأمة وهذا حال آخرها[٢].

وأما حال أولها: فبُعث فيهم هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم الآيات، وزكّاهم، وعلّمهم الكتاب والحكمة، وكانوا من قبلِ ذلك في ضلال مبين، وعلى شَفَا حفرةٍ من النار فأنقذهم من ذلك بإرشادهم إلى توحيد الله رب العالمين، وتعليمهم ما ذُكر من شرائعِ الدين، وكان

(١) الحديث رواه أبو نعيم في «أخبار المهدي» والحاكم في «تاريخ نيسابور» وابن عساكر في «تاريخ دمشق» كما في «كنز العمال» ١٤: ٢٦٦، ٢٦٩ (٣٨٦٧١، ٣٨٦٨٢) بزيادة «والمهدي في أوسطها»، ورواه الحاكم في «تاريخ نيسابور» أيضًا عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، كما في مصورة مخطوطة «الجامع الكبير» ١: ٦٣١، و«الحاوي» ٢: ١٥٦ كلاهما للسيوطي، وفي «كنز العمال» ١٤: ٣٣٧ (٣٨٨٥٨) عزوه إلى (ك ـ عن ابن عُمَر) يعني: أنه في «المستدرك» من رواية ابن عمر بن الخطاب! وهما خطآن من مئات الأخطاء الواقعة في هذا المصدر الجامع!.

وخالد بن يزيد القَسْري مترجم في «الميزان» ١: ٦٤٧ (٢٤٧٨).

(٢) انظر لذلك كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للعلامة محمد أنور الكشميري، بتحقيق شيخنا وعمدتنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمهما الله تعالى، ففيه الغَناء.

بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا. ومن رأفته بهم ورحمته إياهم ما أَمَرهم به ونهاهم عنه تحصيلاً لهم ما لا يعبَّر عنه من الأجور، وتحصينًا لهم من العذاب وأنواع من الشرور.

ومن أوامره التي هي من شُعَب الإيمان: قوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» الحديثَ. وهذا الحديث قد رَوَيناه فيما سبق من أربعَ عشْرةَ طريقًا من الطرق، وهذه طريقٌ خامسةَ عشْرةَ، وهذه طريق المصريين.

سمعت شيخنا شيخ الإسلام وفقيه الدنيا خاتمة المجتهدين سراج الدين أبا حفص عمر بن أبي الفتح رَسلان بن نَصير بن صالح بن أحمد بن عبد الحق بن مسافِر العَسْقَلاني الأصل البُلْقِيني رحمة الله عليه، فيما حدثناه من لفظه وحفظه بجامع دمشق، وأخبرنا الإمام العلامة قاضي القضاة أبو المعالي محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم السُّلَمي الشافعي، بقراءتي عليه بدار السنة الظاهرية بدمشق، والإمام الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود الأَذْرَعي المصري، بقراءتي عليه بمسجد المدرسة العادلية الكبرى من دمشق، وغيرُهم، وهو أول حديث سمعته منهم مطلقًا، قالوا:

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم البكري المصري، قال كل منهم: وهو أول حديث سمعته منه، زاد شيخ الإسلام فقال: وأخبرنا أيضًا أبو العباس أحمد بن كَشْتُغدي ابن الصيرفي المعزي، وهو أول حديث سمعته منه، قالا أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصَّيْقَل الحراني، وهو أول حديث سمعناه منه، حدثنا الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البكري، وهو أول حديث سمعناه من لفظه وذلك في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخمس مئة، أخبرنا الإمام أبو سعد إسماعيل ابن أبي

صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الصمد النيسابوري، وهو أول حديث سمعناه منه، أخبرنا والدي أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي الحافظ، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزِّيَادي، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء».

قال عبد الرحمن بن بشر: هذا أول حديث سمعته من سفيان بن عيينة، وقال أبو حامد بن بلال: هذا أول حديث سمعته من عبد الرحمن بن بشر، وقال أبو طاهر الزيادي: هذا أول حديث سمعته من أبي حامد بن بلال، وقال أبو صالح المؤذن: هذا أول حديث سمعته من الأستاذ أبي طاهر الزيادي رحمة الله عليه.

هذا الحديث[(١)] له ألقاب بحسب الوجوه التي رَوَيناه منها، فهو حديث صحيح، حسن[(٢)]، فرد، مسلسل من وجهين[(٣)]، معلٌ من وجوه، مختلَف في إسناده من وجوه، مرفوع، موقوف من وجه، منقطع على قول

(١) ابتداء من هذا المقطع إلى كلامه عن المعنعن تكرر من المصنف باللفظ ـ تقريبًا ـ في الورقة ١٠٧ ـ ١٠٨ وهي من الأوراق المشوشة غير المتكاملة، وسأشير إلى ما سأستفيده منها.

(٢) تقدم شيء من هذا ص٤٤٢، وانظر ما سيأتي ص٤٨٤.

(٣) عبارته في ١٠٧/أ أوضح، قال: «ومسلسل بالأولية مقطوع التسلسل، وموصول التسلسل من غير انقطاع، كما رويناه».

مرجوح، معنعن.

وكل هذه الأنواع تقدم بعض الكلام عليها، ونزيد كلامًا على النوع الأخير وهو المعنعَن. ففي إسناد هذا الحديث: قول سفيان بن عيينة: عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فسياقه هكذا بالعنعنة لا يظهر فيه صفة التحمل هل هو سماعٌ من لفظ الراوي؟ أو قراءة عليه؟ أو سماع وهو يُقرأ عليه؟ أو مناولة؟ أو إجازة؟ أو كتابة؟ أو وِجادة؟، فالمعنعَنُ ـ والحالةُ هذه ـ مختلَفٌ في حكمه، فذهب بعضهم إلى أنه من قَبيل المرسل والمنقطع حتى يتبين اتصاله بغيره.

وهذا قول مرجوح ليس العمل عليه، بل الصحيح الذي قال به الجماهير من الأئمة وعليه العمل: أنه متصل الإسناد بشرطِ سلامةِ المعنعِنِ الثقةِ من التدليس وثبوتِ لقائه لمن روى عنه، وزاد أبو المظفَّر عبد الرحيم[١]... في «مسنده» وفَعَله غيره. والله أعلم.

ومن فوائد متن الحديث: أن من أنواع الرحمةِ المرتَّبِ عليها الثوابُ الرحمةَ بالفعل، كمن هو في يَسَار من الدنيا فيرى مسلمًا محتاجًا، فهذا لا تكفي رحمته للفقير ورقَّته عليه بقلبه، حتى يرحمه بالعطية من يَسَاره: إن لم يُسَاوِهِ: فمن الفضل، أو من الفرض الواجب عليه كالزكاة، فهذا من الرحمة بالفعل.

وكثيرٌ من ذوي اليَسَار يَرِقُّ بقلبه على الفقير إذا رآه، وهو قادر على إزالة ضرره بشيء من الدنيا يعطيه، لكن يمنعه البخل من ذلك.

وبعضُ الحمقى من الفقراء وغيرهم تراه يُكْرِم هذا البخيلَ لماله، رجاءَ

(١) هنا انقطع الكلام بين ٦٠/أ و٦٠/ب، ومذهب أبي المظفَّر السمعاني هو اشتراط طول الصحبة بين الراويين، فضلاً عن ثبوت اللقاء، كما سيأتي في كلام المصنف في ص٤٨٤.

أن يصيب من ماله، والغنيُّ البخيلُ يحبُّ أن يُكْرَم لماله ويُعظَّم من غير أن ينفع أحدًا ممن يكرمه! وكلٌّ منهما مذموم.

وقلت في معناه، ما نختم به ما أمليناه وهو:

خَلْـق مـن النـاس في يَسَار ... لكـنّ بالبخـل في غرامـهْ[1]

من قـال منـهم ألا اكرِمـوني ... للمـال قولـوا ولا كرامـهْ

إكـرامُ ذي المـال مـع إيـاس ... للنفـع داءٌ بـلا سـلامهْ

آخر المجلس ولله الحمد

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا

* * * * *

(١) الغرام: العذاب والهلاك.

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٢٢ -

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]. [آل عمران - آية ١٦٤].

....كفر[٢] نعمة الله عليه، والنعمة إذا كُفِرت نَفَرت وزالت، وقلّ أن ترجع كما كانت.

وقد أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن النقَّاش بقراءتي عليه[٣]، أخبرنا أحمد ابن البَيَاني المقدَّم سماعًا، أخبرنا عبد اللطيف بن محمد البغدادي كتابة، أخبرنا محمد بن عبد الباقي قراءة عليه وأنا أسمع، أنشدنا

---

(١) البسملة والآية الكريمة أضفتهما ليتناسب هذا المجلس مع المجالس الأخرى، وانظر المقدمة ص٢٥.

(٢) هكذا جاء بدء الكلام في الأوراق غير المرتبة.

(٣) ابن النقاش هذا: أرى أنه إبراهيم بن محمد بن صِدِّيق (٧١٩ هـ - ٨٠٦ هـ). قال السخاوي في «الضوء اللامع» ١ : ١٤٧ : يعرف: «بابن الرسام، وهي صنعة أبيه، وربما قيل لصاحب الترجمة: الرسام». والرسام والنقاش شيء واحد.وانظر تأكيد هذا فيما سيأتي أول ص ٤٩١ من المجلس ٢٥.

وشيخه أحمد ابن البَيَاني: كَتَبه البياني دون نقط ولا ضبط، وأرى أنه البَيَاني، وهو أبو العباس أحمد بن أبي طالب الصالحي الحجار، وقد نَسَبه المصنف ص٢٩١ البياني نسبة إلى جدّ له: بيان. وقد ذكر السخاوي أن مما سمعه ابن صديق على الحجار: «البخاري، و«مسند» الدارمي، وعَبْد، و«فضائل» القرآن لأبي عبيد، وأكثر النسائي، وغيرها من الكتب الكبار، وجزء أبي الجهم». وهذا الصنيع من المصنف من الإغراب في تسمية الشيوخ.

محمد بن فتوح بن عبد الله، قال: وأنشدني والدي رحمه الله فيما لقَّننيه أيام الصِّبا:

مَن قابل النعمةَ من ربه بواجبِ الشكرِ له دامتِ
وكافرُ النعمة مسلوبُها وقلّ ما ترجعُ إنْ زالتِ

وأما مأخذ الأمر والنهي من الآية فمن مفهومها أيضًا من مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم قيل لنا في حقه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وفي قوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ فالكتاب وهو القرآن، والحكمة وهي السنة مشحونان بالأوامر والنواهي.

وأما العام المطلق في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾ فهو عام في كلِّ ما تحصُل به التزكية.

وأما العام المقيَّد في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ فهو عام في كل مؤمن، لكنه قُيِّد بهذه الأمة لقوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾.

وأما الخاصُّ في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾ والمراد ـ والله أعلم ـ العرب على أحد الأقوال، قال محمد بن سعد في كتابه «الطبقات»[1]: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم﴾ قال: قد ولَدتموه يا معشر العرب.

---

(١) ١ : ٢١، وهشام وأبوه متروكان متهمان. الأب في إسناد أبي نعيم الآتي.

ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «دلائل النبوة»[١] من طريق محمد ابن السائب، ولفظه قال: ليس من العرب قبيلةٌ إلا وَلَدَت رسول الله صلى الله عليه وسلم: مُضَرِيُّها، وربيعيُّها، ويمانيْها.

وأما المجمَل في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ فيه إجمال واحتمال لأن يكون قبل بعثة الرسول المشار إليه صلى الله عليه وسلم، أو قبل تلاوته الآيات عليهم، أو قبل التزكية لهم، أو قبل تعليمهم الكتاب والحكمة، أو قبل هدايتهم للإيمان[٢].

وأما المبيَّن في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ هذا بيانٌ للمنّ الذي امتنّ الله تعالى به على المؤمنين.

وأما الناسخ: فمن مفهوم قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ وقد اتفق المفسرون ووقع الإجماع عليه أن الرسول هنا هو نبينا خاتم الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله الهاشمي عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد نَسَخ الله تعالى ببعثته جميع الملل قبله إلا ما اتفقت عليه جميع الشرائع من توحيدِ الله عز وجل وأصولِه وبعضِ الأحكام، كما هو معروف.

وكلُّ موحِّد لله عز وجل مؤمن به، والمؤمنون وقع ذكرهم في القرآن عامًّا وخاصًّا ومطلقًا ومقيدًا، فمن العام: قول الله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾.

ومن الخاص: قوله عز وجل: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشِداءُ على الكفار رحماءُ بينهم﴾.

ومن المقيَّد: قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وَجِلَتْ

---

(١) لم أره في مختصره المطبوع.

(٢) والاحتمال الأول أوضحها.

قلوبُهم وإذا تُليت عليهم آياتُه زادتهم إيمانًا، وعلى ربهم يتوكلون﴾.

ومن المطلق: قوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ الآية.

أَطلق ذكر المؤمنين هنا ـ وإن كان خاصًّا بهذه الأمة ـ ولم يُقيّد بوصف ليشمل أقسامَها الثلاثةَ المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطَفَيْنا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصِد، ومنهم سابق بالخيرات﴾ وهؤلاء كلُّهم مؤمنون، وهم هذه الأمة المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

فالظالم لنفسه هو: العاصي بترك مأمور أو ارتكاب محظور.

والمقتصد: المؤدِّي للواجبات التارك للمحرمات.

والسابق بالخيرات: المتقرِّب إلى الله بما يستطيع من واجب ومستحب، التارك للمحرمات والمكروهات.

وهذان القسمان داخلان في قول الله عز وجل: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

وأما القسم الثالث ـ وهو الظالم لنفسه ـ معه من الإيمان والحسنات ما يقتضي الثوابَ عليه، ومعه من المعاصي والسيئات ما يقتضي العقاب عليه، ولا تخرجه معصيته من دائرة الإسلام، هذا مذهب جميع الصحابة وتابعيهم بإحسان وأهل السنة والجماعة القائلين: بأنه لا يخلَّد في النار من كان في قلبه مثقالُ ذرة من إيمان.

وقد جاء أن هذه الأقسام الثلاثة كلَّهم في الجنة.

أنبأنا أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد الملقن، أخبرتنا أم عبد الله زينب ابنة أحمد المقدسية سماعًا، أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي، أخبرنا جدي لأمي أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ قراءة عليه وأنا

أسمع، أخبرنا نصر بن أحمد الغازي بقراءتي عليه ببغداد، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله، أخبرنا الحسين بن إسماعيل القاضي، حدثنا العباس البَحْراني، حدثنا أبو داود وعبد الصمد قالا: حدثنا شعبة، عن الوليد بن العَيزار، عن رجل من ثقيف، عن رجل من كِنانة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا: فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات﴾ قال: «كلهم في الجنة» وقال أحدهما: أو قال: «بمنزلة واحدة»[1].

ولهذا الحديث شاهد عن أبي الدرداء رضي الله عنه، فيما خرَّجه الحاكم في «مستدركه» من طريق إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير، حدثني الأعمش، عن رجل قد سماه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل: ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ قال: «السابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسَب حسابًا يسيرًا

---

(١) الحديث يرويه المصنف من طريق أبي داود الطيالسي، وهو في «مسنده» ٢٩٦ (٢٢٣٦)، و «المسند» ٣: ٧٨، والترمذي في تفسير سورة فاطر ٥: ٣٣٨ (٣٢٢٥) وقال: «غريب» على ما في الطبعة التي أعزو إليها، لكن في طبعة حمص برقم (٣٢٢٣) و «تحفة الأشراف» ٣: ٥٠٢ (٤٤٤٦): «حسن غريب»، مع أن في السند رجلين مبهمين كما ترى!.

ثم إن قوله «وقال أحدهما»: يفيد أن القائل أبو داود، أو عبد الصمد، لكن لم أر عند من رواه ما يفيد أو يؤيد ذلك، إنما عندهم: «كلهم في الجنة، أو كلهم بمنزلة واحدة» قال شعبة أحدهما. أي: قال شعبة إحدى هاتين الجملتين، والشك منه. وهذا الشك جاء عند الطيالسي فقط ـ ومن طريقه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٧) ـ وعند أحمد والترمذي بواو العطف.

ثم يدخل الجنة»[١].

ففي هذا وما قبله أنه من مات مؤمنًا بالله عز وجل على توحيده فهو مقطوع له بالجنة.

وقد قُطع بالجنة لأقوام معيَّنين ومبهَمين، حسبما جاء النص بذلك، منهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد ذكرتُ حديثهم ببعض طرقه مع الكلام عليه في كتابي «الأربعين حديثًا المتباينة الأسانيد والمتون»[٢].

---

(١) «المستدرك» ٢: ٤٢٦ وأشار إلى أن شيخ الأعمش سُمي في بعض الطرق أبا ثابت، ووصف في بعضها الآخر بأنه رجل من ثقيف، وقال: «إذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلاً». وانظر «الكنى» للبخاري ١٧ (١٣٧).

(٢) ولم يطبع بعد، وحديث العشرة المبشرين بالجنة: «أبو بكر في الجنة، وعمر الجنة، وعثمان في الجنة،..» وذكر عليًّا، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبا عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد. رضي الله عنهم. رواه سعيد بن زيد نفسه، وعبد الرحمن بن عوف أيضًا.

أما حديث سعيد فرواه الترمذي ٥: ٦٠٦ (٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» ٥: ٥٦ (٨١٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» ٢: ٦٠٣ (١٤٣٠) وذكر العشرة جميعًا، ونَقَل الزَّبيدي في «شرح الإحياء» ٩: ٢٨٠ عن الترمذي أنه قال فيه: «حسن صحيح» ولم أر ذلك فيه إنما هي متابعة للعراقي في «تخريج الإحياء» ٤: ١٩٧، لكن العراقي لم يذكر لفظًا كما فَعَل الزبيدي، بل أشار إشارة إلى حديث سعيد بن زيد، وهو يريد الحديث الآتي الذي رواه سعيد وليس فيه ذكر أبي عبيدة. وحَصَل لغيره أيضًا تداخل في تخريج حديث سعيد وابن عوف، فليتنبَّه له.

وأما حديث ابن عوف: فرواه الترمذي أيضًا (٣٧٤٧) وأحمد ١: ١٩٣، ونقل الترمذي عن البخاري رجحان حديث سعيد على حديث ابن عوف.

ولسعيد بن زيد رضي الله عنهم جميعًا ـ حديث آخر ذكر فيه العشرة إلا أبا عبيدة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاشرهم. جاء ذلك في مناسبة وقوفهم على حراء ـ أو أُحُد ـ وفي رواياتٍ عدة جاء ذلك دون هذه المناسبة. انظر «المسند» ١: =

وممن قُطع لهم بالجنة أهلُ الشجرة الذين بايعوا تحتها بيعةَ الرضوان.

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن الذهبي الدمشقي بقراءتي عليه بجامع كَفْربطنا من الغُوطة، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمر البالسي بقراءتي عليه بزاوية جدِّه من سفح قاسيون، وأبو الحسن علي، وأم محمد زينب ولدا الأمير فخر الدين عثمان بن محمد بن الشمس لولو الحلبي بقراءتي عليهم بجامع بيت لِهْيا، وأم عبد الله زينب ابنة الإمام العلامة أبي محمد عبد الله ابن الإمام أبي أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانية بقراءتي عليها بمنزلها جوار المدرسة القَيْمَرية داخل دمشق قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد ابن الشِّحنة أبي طالب الدَّيْرمُقْرِني قراءة عليه، قال علي وابنة تيمية: ونحن حاضران، وقال الباقون: ونحن نسمع، زاد أبو هريرة فقال: وأخبرنا عيسى بن عبد الرحمن السِّمسار الصالحي قراءةً عليه وأنا حاضر، وأبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسيان إجازة قالوا ـ سوى ابن عبد الدائم ـ: أخبرنا أبو المنجَّا عبد الله ابن عمر الحَرِيمي سماعًا، وقال الحاكم أيضًا وابن عبد الدائم: أخبرنا الحسين بن المبارك الزَّبيدي قراءة عليه ـ قال الحاكم: وأنا حاضر، وقال ابن عبد الدائم: وأنا أسمع ـ قالا:

أخبرنا عبد الأول بن عيسى السِّجْزي، أخبرنا محمد بن أبي مسعود

---

١٨٧ ـ ١٨٩، وأبا داود (٤٦١٦، ٤٧١٧)، والترمذي ٥: ٦٠٩ (٣٧٥٧)، والنسائي في «الكبرى» مواضع متعددة، أولها ٥: ٥٥ (٨١٩٠)، وابن ماجه ١: ١٤٨ (١٣٣)، وانظر الحديث (٣٠) من «مسند عمر بن عبد العزيز» للباغندي. ورواه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» ـ «مجمع البحرين» ٦: ٣١٢ (٣٧٥٩) ـ من حديث ابن عمر، وإسناده حسن.

الفارسي، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الهروي، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا العلاء بن موسى البغدادي، أخبرنا الليث بن سعد المصري، عن أبي الزبير المكي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة النار». خرَّجه أبو داود والترمذي والنسائي للَّيث، وهو حديث حسن صحيح فيما ذكره الترمذي، وفي «صحيح» مسلم معناه من طريق الليث[1].

وللحديث علةٌ غير مؤثِّرة، وهي رواية جابر رضي الله عنه للحديث عن أم مبشِّر الصحابية زوجِ زيد بن حارثة رضي الله عنهم. خرَّجه مسلم في «صحيحه» والنسائي في «سننه» واللفظ لمسلم من حديث حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشِّر رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها: «لا يدخل النارَ إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهَرها، فقالت حفصة: ﴿وإنْ منكم إلا واردُها﴾؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجِّي الذين اتقوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا﴾».

ورواه أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى المَوْصِلي من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن لا يدخل النارَ إن شاء الله أحدٌ شهد بدرًا والحديبية» وذكر الحديث بنحوه[2].

---

(١) تقدم تخريجه ص٧٠ من هذا الوجه ومن الوجه الآتي.

(٢) ٦ : ٢٩٩ (٧٠٠٩) من طبعة دار القبلة = ١٢ : ٤٧٢ (٧٠٤٤) من طبعة دار المأمون بدمشق.

وفيه لطيفة وهي: رواية ثلاثة من الصحابة على نَسَق، وفي روايتنا الأولى لطيفة في إسناده وهي تباينُ رجاله بالنسبة إلى الأوطان، وفي الحديث من أنواعه: المزيد في متصل الأسانيد، وهو على أقسام بيَّنها الحافظ الخطيب البغدادي في مصنَّف خاص بهذا النوع. والله أعلم.

وقد نظمتُ العشَرة المشهودَ لهم بالجنة في بيت واحد قبله آخرُ تعريفًا للثاني فقلت:

وعشرةٍ خيرِ صحبٍ بالجنان أتى ... وعدُ النبي لهم نصًّا بلا خَلَلِ
عَتيقُ عثمانُ عامرْ طلحةٌ عُمَرُ الـز ... بيرُ سعدٌ سعيدٌ وابن عوف عَلِي

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٢٣ ـ

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآيات الشريفات تبرَّكنا بتلاوتها أول التدريس، وهي من جوامع الكَلِم لاحتوائها على كل معنىً نفيس، والكلام عليها من وجوه كثيرة، لأن كل كلام مفيد منثور إذا طَرَق السمع يتعلَّق النظر فيه بأطراف من وجوه معاني الكلام، منها في بيان معاني ألفاظه المفردة، وهو علم اللغة، كالمنّ في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ فالمنُّ هنا: الإحسان والإنعام، ومن أسماء الله تعالى، المنان وهو من أبنية المبالغة، ومعناه: المنعِم، وقيل: الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، وقيل: الكثير العطاء العظيم المواهب.

فإنه سبحانه من بعض عطائه: أنه أعطى الحياة والعقل والمنطق بعد أن شقَّ السمع والبصر، وصوَّر فأحسن الصُّوَر، ورزق من الطيبات، وهَدَى إلى الإسلام، وأنعم بما لا يحصى من الإنعام الخاصّ والعام، وذكَّر الله عباده بنعمه خصوصًا وعمومًا.

قال بعض السلف: المنّ من الله تعالى هو التعريف، والمن من العباد هو التعنيف، وهذان وجهان من معنى المنّ، وله معانٍ أُخَر.

ومن الأطراف التي يتعلق بها: النظر حكم تركيب الألفاظ واختلافها على وَفْق كلام العرب، وهذا هو علم الإعراب، الذي به تُفهم المقاصد والوسائل، ويتميَّز به المفعول من الفاعل، ويُعقل معنى الكلام.

وقد صنَّف فيه خلق من الأعلام ما بين إيجاز، ووسط، وإطناب، وأجلُّه في الأقدمين مصنَّف سيبويه «الكتاب»، وفي المتأخرين من مؤلَّفات الأعيان «التسهيل» لابن مالك، وشرحه لأبي حيّان. ويطلق على هذا الفن ألقابٌ منها: النحو، واشتقاقه من: نَحَوْتُ الشيء أنحوه إذا قصدتَه، وكل شيء أَمَمْتَه فقد نحوتَهُ، ومنه اشتقاق النحو في الكلام، كأنه قَصْدُ الصواب. قاله ابن دُريد في «الجمهرة».

ومن ألقاب هذا العلم: العربية، والإعراب، ومنها: المنطق.

ولم أر من وَسَمَه بهذا سوى الإمام أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحْوي، له كتاب في النحو سماه «المنطق»[1] وليس بالمنطق المبنيِّ على الكلام في الحدّ ونوعه، والقياس البرهاني ونوعه،

(١) وكانت وفاته سنة ٣٧٧، لكن لم أر من ذكر له هذا الكتاب، إنما ذكر القِفطي في «إنباه الرواة» ٢: ٢٩٦ اسم هذا الكتاب في ترجمة عصريّ الفارسي وشبيهه في بدعة الاعتزال، وهو أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني المتوفى سنة ٣٨٤.

على أن أبا علي الفارسي وأبا الحسن الرماني سُبقا بتسمية كتابٍ في النحو بـ «المنطق»، فقد ذكر ياقوت في «معجم الأدباء» ٣: ١٣٦٢ في ترجمة أبي زيد الأنصاري سعيد بن أوس المولود سنة ١١٦ والمتوفى سنة ٢١٥ أن له كتاب «المنطق». ولكلثوم بن عمرو العتابي كتاب «المنطق»، وكانت وفاته سنة ٢٢٠، ولابن السِّكِّيت المتوفى سنة ٢٤٤ كتابه المشهور «إصلاح المنطق»، ولابن سعد الكاتب القُطْرُبُلِّي المتوفى سنة ٣٥٠ ـ أو في حدودها ـ كتاب المنطق ذكره له ياقوت ١: ٢٦٤، ولأبي أحمد العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ كتاب بهذا الاسم، ذكره له ابن خلكان ٢: ٨٤.

وهذه كلها في تقويم اللسان، لغة ونحواً. والله أعلم.

أما كتاب «المنطق» للنظَّام الزنديق المشهور المتستِّر بالاعتزال، المتوفى سنة ٢٣١، الذي ذكره له ابن النديم ص٢٠٦: فذاك ككتاب إرَسطاليس غالبًا. والله أعلم.

ويَقسِم العلم إلى تصوُّر أوتصديق، وكلٌّ منهما: إما بديهي[١] أو نظري، إلى غير ذلك من قواعده التي يعتمدها أهل الجدل والكلام، ولا طائل تحته والسلام!.

ومن نظمي في ذمّه:

علـم الكـلام بـلاؤه متعـدِّد ... منـه الأئمـةُ حـذّروا يـا مُتّقـي

وبلاؤه من منطـقٍ صَـدَق الـذي ... قال: الـبلاء موكَّـل بـالمنطق[٢]

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر: الاعتبار في مَثَار المقال، وهو علم أسباب الكلام، ومن وجوه علوم القرآن: أسبابُ نزوله، وهذه الآية الشريفة لها سبب في نزولها، وهو ظاهر، لكنه غامض، ولغموضه لم أر أحدًا ذكره ممن صنف في أسباب نزول القرآن، كأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري لم يذكر في مصنَّفه لنزول هذه الآية سببًا، والسبب في نزولها ـ والله أعلم ـ: إعلام الله تعالى الأمةَ بإجابته دعوة خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، في حبيبه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، حيث قال فيما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فأَعلَم الله المؤمنين بهذه الدعوة في هذه الآية، وبإجابته لها في الآية الأخرى بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر: كشفُ المكتوم من فحوى

---

(١) لو قال بَدَهي لكان أولى، إذِ النسبة إلى فَعِيلة فَعَلي، كما تقول: مدينة مَدَني، وبَجيلة بَجَلي.

(٢) تقدم هذا وتخريجه في المجلس٣ ص٩٠.

المنطوق والمفهوم، وهو علم المبهمات من الأسماء والقضيَّاتِ.

وفي هذه الآية الشريفة عدَّة من ذلك تقدَّم بعض الكلام عليها، فمنه قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ هذا الرسول الذي جاء ذكره هنا منكّرًا مبهماً جاء معرَّفًا مصرَّحًا به في غيرِ ما آيةٍ من القرآن، مع تعريف المؤمنين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداءُ على الكفار رُحَماءُ بينهم﴾ الآية.

وجاء في الآثار مثلُ ذلك، خرّج الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في «تفسيره المسند» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ قال: وكنتم أنتم المؤمنين[1]، وكان محمد صلى الله عليه وسلم هو الرسولَ إليكم.

ومن مبهمات القضايا في الآية في قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾. قال ثابت بن يعقوب المقرئ: حدثني الهذيل بن حبيب أبو صالح الأزدي، عن مقاتل بن سليمان قال في قوله تعالى: ﴿وإن﴾ يعني: وقد ﴿كانوا من قبل﴾ أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي بيّن وهو الشرك.

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر: اعتبار ضروب نظم الألفاظ التي أفادها التركيب، وهو علم المعاني والبيان، وهو أحد وجوه العربية، وهو فن جليل بمعرفته يُعقَل عن الله عز وجل كتابُه وعن نبيه صلى الله عليه وسلم أحاديثه، وبمعرفته يتَّسع المرء في منطقه، فإن تكلم أفصح، وإن احتجَّ أوضح، وإن كَتَب أبلغ، وإن خطب أعجب، والمعاني والبيان أحد أقسام البلاغة التي هي إيصال المعنى المقصود إلى القلب بأحسن ما يكون

---

(١) انظر صفحة ٤٠٥.

من اللفظ وأجوده، فلو كان الكلام يُفهم المعنى بلفظ غير محكم لم يكن بليغًا، وكذلك لو كان اللفظ محكمًا جيدًا والمعنى غير طائل، لا يعدُّ في البلاغة.

والبلاغة على ثلاث مراتب: عليا ووسطى ودنيا، والكلام إذا اجتمع فيه الفصاحة والجزالة والنظم كان كامل البلاغة، وأعلاها بلاغةُ القرآن لاجتماع هذه الثلاثة فيه.

فالفصاحة: دلالة اللفظ على المعنى مع الإفصاح والإيضاح. والجزالة: دلالة اللفظ على المعنى مع قلة حروف الكلم وتناسب مخارجها والاختصار. والنظمُ: ترتيب الألفاظ وارتباط بعضها ببعض مع تناسب الكلمات وتوازن الحركات والسكتات، والدلالة على المعنى المراد، وهذا كله في القرآن مع أسلوبه العجيب الذي لم يعهد نظيره ونظمه الغريب الذي لم يسمع لكلامٍ غيره تحريرُه ولا تحبيرُه، ولهذا عَجَزَ البلغاء كافة والفصحاء عامة عن الإتيان بسورة من مثله، وانقطعوا عن المعارضة بحديث من شكله، مع تحدّيهم وتوفُّر دواعيهم إلى المعارضة، ولم يقع ذلك منهم، ولا جاء شيء مثله عنهم.

قال الله عز وجل: ﴿وإنْ كنتم في ريبٍ مما نزَّلنا على عبدنا فأْتوا بسورةٍ من مثله وادْعُوا شهداءَكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا، فاتقوا النار﴾ الآية.

وفي هذه الآية معجزةٌ من وجه آخر، وهي الإخبار عن نفي فعلهم الإتيانَ بسورة من مثله، فكان كما أخبر سبحانه، وقد قال عز وجل: ﴿قلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا﴾. فوقع التحدِّي من الله عز وجل على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشرِ سورٍ ﴿قل فأتوا بعشرِ سورٍ مثلِه مفترياتٍ﴾ أو بسورة واحدة. وهو أدنى التحدي عند الجمهور.

وقيل: وقع التحدي بآية واحدة لقوله تعالى: ﴿فليأتوا بحديثٍ مثلِه﴾ فلم يأتوا بشيء من ذلك، تعجيزًا من الله تعالى لهم عن ذلك، كما عجز المُفحَم عن نظم الشعر، مع اعتراف بعض فصحائهم وهو الوليد بن المغيرة المخزومي لما سمع أوائل (حم) [1] فقال: إن فيه حلاوة، وعليه طُلاوة، وإن أعلاه لمُغْدِق، وإن أسفله لمعرِق، وإنه ليعلو ولا يُعلَى، وما أراه بكلام البشر.

وقد عدَّ جماعة من المعتزلة وغيرهم في وجوه إعجاز القرآن الصَّرْفة، لكنهم اختلفوا فمنهم من قال: صُرفوا عن القدرة على أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك، ومنهم من قال: صُرفوا عن التعرض له، قال علي بن عيسى بن علي الرُّماني ـ وكان معتزليًّا ـ في كتابه «النكت في إعجاز القرآن»: وأما الصَّرْفة: فهو صرف الهِمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صَرْف الهمّة عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلَّت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول.

---

(١) سورة فصلت، وكلام المصنف رحمه الله مركّب من خبرين: خبرِ من سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أول سورة فصلت، وهو عتبة بن ربيعة، وأجاب قريشًا بغير هذا الجواب، لكن مع الإعجاب بالذي سمع، وخبره مشهور في كتب السير، وعزاه في «الدر المنثور» ٥ : ٣٥٨ إلى عدد من كتب السنة.

وخبرِ من قال القول الذي ذكره المصنف، وهو الوليد بن المغيرة، لكن قال ذلك حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه شيئًا من القرآن ـ غير مسمى ـ فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل..، فأنزل الله تعالى في الوليد: ﴿ذَرْني ومن خلقت وحيدًا..﴾ وهو مشهور في كتب السير أيضًا، انظر مثلاً «سيرة» ابن هشام ١ : ٣٠٢، وهو في «المستدرك» ٢ : ٥٠٦ من حديث عكرمة عن ابن عباس، وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، ورواه ابن جرير ٢٩ : ١٥٦ وغيره عن عكرمة مرسلاً.

وما قاله الرُّماني ـ ومن نحا نحوه من اعتقاد الصَّرفة أنها من وجوه الإعجاز ـ فاسد، كما أشار إليه الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري القرطبي، وعلَّل فساده بأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف على أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز يخرج القرآن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع. قاله القرطبي في «تفسيره»[١].

*****

(١) ١ : ٧٥، ثم نقل ص٧٦ كلام ابن عطية في «التحرير الوجيز» ١ : ٣٨، وانظر «إعجاز القرآن» للباقلاني ص٢٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٢٤ -

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١). [آل عمران - آية ١٦٤].

وقد حصل للمؤمنين المشار إليهم في هذه الآية بالمِنَّة والنعمة الثناءُ العظيم، من الله الكريم، في الذكر الحكيم، بقوله تعالى: ﴿كنتم خيرَ أمة أخرجتْ للناس﴾ وبقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله، والذين معه أشِداءُ على الكفار رحماء بينهم﴾ الآية.

ووُصِفت هذه الأمة بأنها أمة مرحومة(٢) مع ما أُمروا به من التراحُم الذي منه الحديثُ الذي رَوَيناه من طرق عديدة في الدروس الماضية، ومن طرقه التي لم نذكرها في الدروس هنا(٣) ما:

أَخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عبد الله المجاور بطيبة، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أبو العباس أحمد ابن محمد المعَري المنعوت بالبدر، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أحمد بن أبي الفتح الشيباني، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم النَّصْري، وهو أول حديث سمعته منه قال:

---

(١) البسملة والآية الكريمة أضفتهما ليتناسب هذا المجلس مع المجالس الأخرى.

(٢) انظر المجلس العاشر صفحة ٢٢٢ تعليقًا.

(٣) بل تقدم هذا الوجه بلفظه الآتي في المجلس الأول ص٤٢، مع التنبيه إلى عدم صحته.

وأخبرنا أبو محمد عبد البر بن الحافظ أبي العلاء الهَمَذاني بها، حدثنا والدي الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار، حدثنا أبو جعفر محمد ابن الحسن بن محمد الحافظ، حدثنا أبو صالح المؤذِّن وهو أحمد بن عبد الملك، أخبرنا أبو سعْد عبد الرحمن بن حمدان الشاهد، حدثنا أبو نصر محمد ابن طاهر الوَزيري الأديب، حدثنا أبو حامد البزاز ـ يعني: أحمد بن محمد بن بلال ـ حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء».

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: هذا أول حديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم بعد خطبة الوداع، وقال أبو قابوسَ: هذا أول حديث رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بالشام، وقال عمرو بن دينار: هذا أول حديث رواه لنا أبو قابوسَ، وقال ابن عيينة: هذا أول حديث أملاه علينا عمرو بن دينار، وقال عبد الرحمن بن بِشر: هذا أول حديث سمعته من سفيان، وقال أبو حامد: هذا أول حديث سمعناه من عبد الرحمن، وقال أبو نصر الوزيريُّ: هذا أول حديث سمعناه من أبي حامد، وقال أبو سعْد: هذا أول حديث سمعته من أبي نصر، وقال أبو صالح: هذا أول حديث سمعته من أبي سعد في رجوعي إلى نيسابور سنة اثنتين وثلاثين، يعني: وأربع مئة، وقال أبو جعفر الحافظ: وهذا أول حديث سمعته من أبي صالح، وقال الحافظ أبو العلاء: وهذا أول حديث سمعته من أبي جعفر، قال ابنه أبو محمد عبد البر: وهو أول حديث سمعناه من أبي من لفظه، قال أبو عمرو النَّصْري: وهذا أول حديث سمعته من أبي محمد عبد البر.

وأنبأنا به عاليًا جدًّا جماعةٌ من شيوخنا، منهم: أبو عبد الله محمد بن

محمد بن عبد الله الصالحيُّ[١]، عن يحيى بن محمد بن سعد وغيره، أخبرنا أبو صالح نصر بن الحافظ أبي محمدٍ عبد الرزاق بن الشيخ العارف وليِّ الله أبي محمدٍ عبد القادر الجِيلِيِّ كتابةً. وزاد شيخنا الصالحيُّ فقال: وأنبأنا الحافظ الكبير أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التُّونيُّ[٢]، أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي عبد الله الأَزَجيُّ إجازةً إن لم يكن سماعًا، قالا جميعًا: عن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن العطار الهمَذاني، فذكره.

هذا الحديث له ألقاب بحسب طُرُقه التي رَوَيناها منه، فهو حديث صحيح، وحسن، وضعيف الإسناد من وجه، وفرد، ومعلٌّ من وجوه، ومرفوع، وموقوف من وجه، ومسلسل بالأولية: مقطوعُ التسلسل، وموصول التسلسل من غير انقطاع، كما رويناه، ومعنعن، لقول سفيان فيه عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو.

فسياقه هكذا معنعنًا لا يَظْهَر فيه صفةُ التحمل: هل كان سماعًا من لفظ الراوي، أو عرضًا عليه، أو مناولة، أو إجازة مشافهةً أو كتابة، أو وجادةً؟ فالحديث المعنعَنُ إسنادُه ـ والحالة ما ذُكِر ـ مختلَف في حكمه، فقيل: هو كالمرسل والمنقطع حتى يتبين اتصاله من وجه آخر، وهذا قول مرجوح، فالصحيح وعليه جماهير الأئمة: أنه متصل الإسناد بشرط سلامةِ المعنعِنِ الثقةِ من التدليس، وثبوتِ لقائه لمن رَوَى عنه.

واشترط أبو المظفَّر عبد الرحيم ابن السمعاني مع ثبوت اللقاء طولَ الصحبة بين الراويين.

---

(١) ومنهم أبو هريرة ابن الإمام الذهبي، كما تقدم صفحة ٤٢.

(٢) هو الإمام الحافظ الدمياطي.

واشترط أبو عمرٍو عثمان بن سعيد الدانيُّ معرفةَ المعنعِن بالرواية عمن روى عنه.

واقتصر مسلم صاحب الصحيح على المعاصرة ولم يشترط ثبوت اللقاء[١].

وإذا تقرر هذا ونظرنا فيمن عنعَن هذا الحديثَ وجدناه سفيان بن عيينة وقد اجتمعت فيه الشروطُ التي تَحكم لما رواه بالاتصال، ولا يقال إن سفيان عُدَّ في المدلسين فبهذا فُقِد فيه شرط السلامة من التدليس، لأنا نقول: إن التدليس على أنواعٍ تَرجع إلى قسمين:

أحدهما: تدليس السماع.

والثاني: تدليس الشيوخ والأماكن.

ومن ذلك ما هو مؤثِّر في الحديث قدحًا، ومنه ما لا يؤثر، كالتدليس المبيَّن وهو: الذي إذا سُئل عنه راويه بيَّنه، وعليه يُحمَل ما في الصحيحين من رواية المدلسين، كهُشَيم بن بَشِير[٢] وغيره.

ومن هذا الذي هو غير مؤثِّر تدليسُ سفيان بن عيينة، فروايته لهذا الحديث بالعنعنة لا تضرُّ، مع أنه قد رُوي عنه من طريقٍ بلفظ التحديث

---

(١) نعم لم يشترط مسلم ثبوت اللقاء، لكنه لم يقتصر على المعاصرة أيضًا، بل اشترط مع المعاصرة إمكان اللقاء بين الراوي وشيخه، كما هو صريح كلامه رحمه الله في مقدمة «صحيحه» ص٢٩، ومن التساهل المخلّ حكاية مذهب مسلم على الوجه الذي حكاه المصنف، إذ لو عُدم إمكان اللقي بينهما: لكان منقطعًا عند مسلم. وقد حصل هذا الخلل في حكاية مذهب مسلم للنووي وابن حجر على إمامتهما رحمهما الله تعالى، وذلك في مقدمة «شرح صحيح مسلم» ١ : ١٤، و «شرح النخبة» ص٥٢.

(٢) في التمثيل بهُشَيم نظر، راجع ما تقدم ص١٠١، أما ابن عيينة فنعم، انظر ص١٣٨.

قال فيها سفيان: حدثنا عمرو بن دينار. وسفيانُ كان أجلَّ من أن يدلِّس تدليسًا يؤثِّر قدحًا.

وهو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمرانَ ميمونٍ الهلاليُّ مولاهم، الكوفي الأصل، المكيُّ الدار، عالم الحجاز، وكان أعورَ العين، أدرك ستةً وثمانين تابعيًّا، وتفرد مدَّة عن الزهريِّ وعمروِ بن دينار، في آخرين، ولد بالكوفة في النصف من شعبان سنة سبع ومئة، ثم نقله أبوه إلى مكة، ثم دخل الكوفة وقد ناهز عشرين سنة، فقال الإمام أبو حنيفة لأصحابه: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار. فجاء الناس إليه يسألونه عن عمرو بن دينار. قال ابن عيينة: فأولُ من صيَّرني محدثًا أبو حنيفة، فذاكرته.

وقد رُوي أن أولَ من أخذ عن سفيان من أهل الكوفة مِسْعَرُ بن كِدام، توفي مِسعر سنة خمس وخمسين ومئة، قبل وفاة سفيان بثلاث وأربعين سنة، توفي سفيان سنة ثمان وتسعين ومئة بمكة، ودفن بالحَجون وقبره ظاهر يزار، حجَّ سبعين حجةً، وله مناقبُ ومآثرٌ جمَّة، وحِكَم ومواعظ، وآداب ونوادر.

وكان إذا جلس أصحابه إليه لسماع الحديث قال: اسمعوا ما أقول لكم! لو أن رجلاً أصاب مال أخيه فجاء به بعد موته إلى ورثته، لرأينا أن ذلك كفارة، ولو أن رجلاً أصاب من عِرْض رجل فتورَّع عنه بعد موته فجاء إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فجعلوه في حلّ ما كان في حلّ، فعِرْض المؤمن أشدُّ من ماله، افهموا ما يقال لكم! هو خير لكم من سماع الحديث![1].

---

(١) الخبر في «الحلية» لأبي نعيم ٧: ٢٧٨، وعنده في ص٢٧٥ عن سفيان نفسه: «الغيبة أشدُّ من الدَّين، الدَّين يُقْضى، والغيبة لا تُقضى!».

وقال أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني[١]: حدثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، حدثنا محمد بن صالح بن الوليد، حدثنا أبو حفص عمرو بن علي قال: كنا عند سفيان بن عيينة فجاءته جاريته فقالت: مولاي! فلانٌ الصيرفيُّ يقرئك السلام، قالت: ويقول لك: بعث إليّ إنسان بعشرة آلاف درهم فقال: ادفعها إلى سفيان بن عيينة وهي عندي. فأخذ منها سفيان ثلاثةَ آلاف درهم وبقيت عنده سبعة آلاف، فجاء ابنُ أخيه عمرانُ ذات يوم مع جماعة يخطب إليه ابنته قال: مرحبًا بابن أخي جاء يطلب أخته إلاّ أن الله عز وجل قد أحلَّها له، ثم قال:

اقرأ عشر آياتٍ من كتاب الله عز وجل. فلم يحسن! فقال: هاتِ ثلاثة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلم يحسن! فقال: هاتِ ثلاثة أبياتِ شعر من شعر العرب. فلم يحسن! فقال: لا تحسنُ آياتٍ من كتاب الله تعالى، ولا حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبياتَ شعر، اذهبْ إلى فلان الصيرفي فخذ منه أربعة آلاف درهم وتزوَّج مَن شئت.

وبقي عند الصيرفي ثلاثة آلاف درهم، فمرَّ به الصيرفيُّ يومًا فقال: ألا تبعثُ إلى بقيّة المال من يأخذه ـ قال أبو حفص: وقد كان الصيرفي قَضَى له حاجة ـ فقال: هو لك، فقال الرجل: لا حاجة لي بها وأنا عنها غني، فقال: ابن أخيك اليتيم، ادفعْها إليه ولا تراجعني فيه.

ومن نوادره الدالة على ورعه وتقواه، ونختم بذكر ذلك ما أمليناه، قال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي الثُّمَالي ـ وهو المبرِّد، بكسر الراء على الصحيح ـ قال[٢]: حُدّثت من غير وجه أن سفيان

---

(١) لم أر الخبر في «الحلية» في ترجمة سفيان بن عيينة. والله أعلم.

(٢) في «الكامل» ٢: ٨١٤، ويحيى بن جامع الآتي، صواب اسمه: إسماعيل بن =

ابن عيينة قال لجلسائه يومًا: إني أرى جارَنا هذا السَّهميَّ قد أَثْرَى وانفسحتْ له النعمة، وصار ذا جاه عند الأمراء، ووافدًا إلى الخلفاء، فممَّ ذلك؟ ـ يعني: يحيى بن جامع ـ فقال له جلساؤه: إنه يصير إلى الخليفة فيتغنَّى له، فقال سفيان: فيقول ماذا؟ فقال أحد جلسائه: فيقول:

أَطـوفُ نهـاري مـع الطائفيـــ ـنَ وأرفعُ مـن مئـزريَ المُـسْبَلِ

فقال سفيان: ما أحسنَ والله ما قال! فقال الرجل:

وأســهرُ ليلــي مــع العاكفيـــ ـنَ وأتلو مـن المحكَـم المـنزلِ

فقال: حسنٌ والله جميل! قال: إنّ بعد هذا شيئًا، قال سفيان: وما هو؟ قال:

عسى فارجُ الكرب عن يوسـفٍ يَـسَخّرُ لي ربَّـةَ المَحْمِـل

فزَوى سفيان وجهه وأومأ بيده: أنْ كُفَّ وقال: حلالاً حلالاً.

* * * * *

جامع، على ما نبه إليه محققه.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٢٥ ـ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[(١)]. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

... على ارتفاع الأحكام وبقائها.

فهذا بعض وجوه مأخذ علوم القرآن منه، وأصلها المنطوق والمفهوم، فالمنطوق ما دل على اللفظ بغير واسطة في محل النطق: تارة يكون نصًّا، والنص اصطلاحًا: ما رُفع في بيانه إلى أقصى غايته، وهو ما استقلَّ بنفسه بنصه.

وتارة يكون ظاهرًا وهو: ما احتمل أمرين أحدهما أقوى من الآخر.

وأما المفهوم: فهو ما دلَّ عليه اللفظ في محل السكوت، ودلالته مختلف فيها: هل هي قياسية أو لفظية؟ والأول منقول عن الشافعي، وذكر الشيخ أبو حامد الإسفراييني أن دلالته [لفظية] وأنه الصحيح من المذهب[(٢)].

---

(١) البسملة والآية الكريمة أضفتهما ليتناسب هذا المجلس مع المجالس الأخرى. وهكذا جاءت البداية في الورقة الأولى منه، وبداية الكلام مكررة مع ما تقدم صفحة ٢٧٦.

(٢) انظر المسألة في كتب أصول الشافعية: «التبصرة» ص٢٢٧ مع التعليق، و«شرح اللمع» ١: ٣٥٦، ٤٢٤ كلها للإمام الشيرازي، و«البرهان» للجويني ١: ٢٩٨، ٢: ٥١١، و«المستصفى» ٢: ١٩٠، و«البحر المحيط» للزركشي ٤: ١٠، وفيه حكاية قول الإمام أبي حامد.

فقوله تعالى: ﴿فلا تقلْ لهما أُفٍّ﴾ [(١)] فمنطوقه تحريم التأفف، ومفهومه: تحريم الضرب والسبِّ ونحوه.

فالتأفيف مصرَّح به لفظًا، وتحريم الضرب والسبِّ ونحوه مفهوم من لحن الكلام وفَحواه. والله أعلم.

وقد فرقوا بين اللحْن والفحوى، فالفحوى: ما يعلم من الخطاب بطريق القطع، واللحن: معنى الخطاب.

إذا تقرر هذا فقوله سبحانه وتعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ من مفهومه: القيام بشكر نعم الله وترك كفرانها، ولذلك مَدْركان يدرك بهما مذكوران في الآية: أحدهما: السمع، ومستنَده تلاوة الآيات المشتملة على جميع أحكام الشرع في أفعال العباد.

والمدرك الثاني: حصول التزكية التي منها فتح البصيرة للنظر بعين الاعتبار فيدرك بذلك بعض حكمة الله في كل موجود خلقه الله، إذْ ما خلق الله شيئًا إلا وفيه حكمة جليَّة وخفيَّة، بل جميع أجزاء العالم، لا تخلو منه ذرة عن حكمة إلهيّة، فمن لم يطّلع على أحكام الشرع التي تضمنته الآيات التي تُتلى عليه في جميع أفعاله، فيمتثل الأوامر ويجتنب النواهي: لم يمكنه القيام بحق شكر الله أصلاً.

ومن لم يعرف حكمة الله في خلق نفسه فضلاً عن غيره، أو استعمل شيئًا من جوارحه ظاهرًا أو باطنًا في غير الجهة التي خُلق لها ذلك الشيء على غير الوجه الذي أُريد به: فقد كفر نعمة الله فيه، قال الله عز وجل: ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدونِ﴾.

---

(١) سبق قلمه رحمه الله فكتب: ولا تقل..، وهو واقع في «مستصفى» الإمام الغزالي وغيره ممن بعده.

فكل من استعمل شيئًا من نعم الله في غير طاعته فقد كفر النعمة، والنعمة إذا كُفِرت نَفرت وزالت، وإذا زالت بالكفران قلّ أن تعود كما كانت.

أخبرنا إبراهيم بن محمدٍ النقاشُ أبوه بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبد اللطيف بن القُبَّيطي كتابة، أخبرنا محمد بن عبد الباقي سماعًا، قال: أنشدنا محمد بن فتوح بن عبد الله قال: وأنشدني والدي رحمه الله فيما لقَّنَنيه أيام الصِّبا:

مــن قابــلَ النعمــةَ مــن ربّــه بواجــب الــشكر لــه دامــتِ
وكـــافرُ النعمــــة مـــسلوبُها وقــلّ مـــا ترجـــع إن زالــتِ

وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من زوالها.

أخبرنا أبو محمد رسلان بن أحمد بن الموفق، أخبرنا محمد بن المحب عبد الله ابن أحمد، ومحمد بن أحمد بن أبي الهيجاء. قال ابن المحب: أخبرنا إبراهيم بن عمر الواسطي، أخبرنا منصور بن عبد المنعم، وقال ابن المحب أيضًا وابن أبي الهيجاء: أخبرنا محمد بن عبد الهادي، وقال ابن أبي الهيجاء أيضًا: أخبرنا أحمد ابن عبد الدائم، قال هو وابن عبد الهادي: أخبرنا محمد بن علي الحراني، قال هو ومنصور: أخبرنا محمد بن الفضل الصاعدي، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد ابن عيسى، أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنا مسلم[(١)]، حدثنا عبيدالله بن عبد الكريم أبو زرعة، حدثنا ابن بكير، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن موسى بن عقبة، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ

(١) في «صحيحه» ٤: ٢٠٩٧ (٩٦).

بك من زوالِ نعمتك، وتحوُّلِ عافيتك، وفُجَاءةِ نقمتك، وجميع سَخَطك».

فبالشكر تثبت النعم ولا تزول، ويبلغ الشاكر من المزيد فوق المأمول، ولهذا كانوا يسمون الشكر (الحافظ، والجالب) لأنه حافظ للموجود من النعم، جالب للمفقود منها بالمزيد.

ومادّة شكر في اللغة كيف ما تُصرُّف فيها تدل على الكثرة، يقال:

أشكَرَ القومُ: إذا أصاب نَعَمُهم بقلاً تدرُّ على أكله ألبانُها.

ويقال: اشْتَكَر ضرع الناقة: إذا امتلأ لبنًا، فهي شكِرة، وربما استُعِير ذلك للسحاب.

والشكير: ما نبت في أصول الشجر الكبار منه.

وأيضًا: هو الزرع ينبتُ في الأرض الكريمة في أصول الزرع من غير بذر.

والشَّكِير أيضًا: ما نبتَ من الشعر بين الضفائر.

وأيضًا: ما نَبَتَ من الشعر الضعيف خلال الشيب.

وأيضًا: ما نَبَتَ من صغار الشعر في مَعْرَفَة الفرس[١].

والشكور من النساء: مَن يَستبين عليها أثر الغذاء كالسِّمَن ونحوه.

وكذلك الشكور من الخيل.

والشكور من العباد: من كَثُر شكره لله عز وجلٰ، قال تبارك وتعالى: ﴿وقليل من عباديَ الشكور﴾. والشَّكَّار أبلغ في الكثرة[٢].

---

(١) هو شعر رقبتها.

(٢) وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه سبحانه وتعالى هذا المقام، وذلك فيما رواه الإمام أحمد ١: ٢٢٧، والترمذي ٥: ٥١٧ (٣٥٥١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه ٢: ١٢٥٩ (٣٨٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه
=

والشكر في أحد تعريفاته: الثناء على المحسن بما أَوْلَى من الإحسان، وهو أحد نوعي الحمد، لأن الحمد لله على نوعين: حمد ثناء ومدح، وحمد عبودية وشكر، والأول أفضل، لأن حمد الثناء والمدح متعلِّق بصفات الله تعالى وأسمائه كقوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ فجميع أسماء الله تعالى حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده، ﴿ألا له الخلقُ والأمرُ تبارك الله ربُّ العالمين﴾.

وأما حمد العبودية والشكر ـ ويقال له: حمد النِّعم والآلاء ـ فهو مشهود لكلٍّ من الخليقة مؤمنِها وكافرِها، وبرِّها وفاجرها. فمن أوائل النعم الإيجاد من العدم، فالمؤمن معترف بالله الخلاق، وتوحيده، والكافر معترف بالخلاق لكن مع الإشراك في معبوده ﴿ولئنْ سألتَهم من خلقهم ليقولُنَّ الله﴾.

وهذا الخلق من قسم النعم التي ابتدأ الله تعالى بها قبل السؤال، بل بمجرد منّ وإفضال، ومن هذا القسم: ما خصَّ الله تعالى به المؤمنين من الإيمان وغيره، ومنه ما قاله في كتابه المبين: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ ومنُّه سبحانه عليهم أجلُّه الإيمان الذي حبَّبه إليهم وزيَّنه وكَتَبه في قلوبهم، وذَكَرهم قبل أن يذكروه، وألحقهم قبل السؤال بمطلوبهم. هذا من بعض إنعامه عليهم في الدنيا، ومنه بَعْثُه الرسلَ، وتيسيرُ الطاعات التي ينالون بعملها الدرجات في الجنات، لأن الله عز وجل قد أعدّ للمؤمنين من نِعمه في الآخرة دارًا هي المقصود ﴿فيها ما تشتهي الأنفس وتَلَذُّ الأعين﴾ مع الخلود، مودَعةً من النعيم والحِبْرة والسرور، والغُرَف والخيام والقصور،

وسلم كان يقول في دعائه: «ربِّ أَعنّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ.. ربِّ اجعلني لك شكّارًا، لك ذكّارًا، لك رَهَّابًا..».

من الذهب واليواقيت والدرر ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر!.

فأيُّ شكر يقابل هذا الإنعام؟! أم أيُّ ثناء يقاوم أصغر نعمة من هذا الإكرام؟!.

روِّينا في كتاب «الشكر» لأبي بكر بن أبي الدنيا [(١)]، عن وهب بن منبِّه قال: عبد الله تعالى عابد خمسين عامًا، فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك، قال: يا رب وما تغفر لي ولم أذنب؟ فأذن الله لعِرق في عنقه فضرب عليه، فلم ينم ولم يصلِّ، ثم سكن فنام، فأتاه ملك فشكى إليه فقال: ما لقيتُ من ضربان العِرق؟ فقال الملك: إن ربك يقول: عبادتك خمسين سنة تعدل سكونَ ذا العرق.

فهذه نعمةُ نوع واحد من أنواع عافية البدن استغرقت عبادة خمسين سنة من الزمان، فما ظنُّكم بما لا يحصى من النعم المتكاثرة في الدنيا والآخرة؟!.

وما ثَمَّ إلا العجزُ عن شكر ربنا ... كما ينبغي سبحانه متفضِّلاً[(٢)]

والاعترافُ بالعجز نوع من الشكر، والتوفيقُ للشكر نعمة يجب شكرها، وسؤال الإعانة على الشكر سنّة يُتَّبع أثرها، وينشر ذكرها.

أنبأنا[(٣)] الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المقدسي، أخبرنا أبو بكر ابن أحمد الضرير قراءة عليه وأنا أسمع، في محرم سنة ثمانَ عشرةَ وسبع

---

(١) ص ٥٩ (١٤٥)، وتقدم الخبر صفحة ١٩١.

(٢) هذا أحد ثلاثة أبيات للمصنف تقدمت ص ١٩٤.

(٣) من هنا إلى آخر المجلس تقدم آخر المجلس السابع ص١٩٦ فما بعدها، وهناك تخريج الأحاديث.

مئة، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن مُسَلَّم قراءة عليه وأنا حاضر في الخامسة، أخبرتنا شُهْدَة ابنة أحمد الكاتبة سماعًا، أخبرنا أحمد بن عبد القادر بن محمد اليوسفي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيدالله الحُرْفي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن سَلْمان الفقيه، أخبرنا عبد الله بن محمد القرشي، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا أبو معاوية وجعفر بن عون، عن هشام بن عروة، عن ابن المنكدر قال: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم أَعِني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك».

وأخبرنا الشيوخ المسنِدون: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن محمد بن محمد المعظَّمي، وأبو العباس أحمد بن أبي العز بن أحمد بن أبي العز الثوري، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصوفي، بقراءتي عليهم متفرقين قالوا: أخبرنا أحمد ابن الشِّحْنة أبي طالب، والعفيف إسحاق بن يحيى الآمدي. قال الأول: أنبأنا جعفر بن علي المقرىء، وعبد الله بن عمر العتابي. قال جعفر: أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ سماعًا، وقال العتابي: أخبرنا أبو علي الحسن بن جعفر قراءة عليه ونحن نسمع، قال هو والحافظ: أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد البَرْقاني.

وقال الآمدي: أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ، أخبرنا أبو سعيد خليل بن أبي الرجاء الراراني، وأبو الحسن مسعود بن أبي منصور، قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال هو والبرقاني: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر البُندار، حدثنا ابن أبي العوام، حدثنا أبو عاصم، حدثنا حَيْوَة بن شُرَيح، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِيّ، عن الصُّنَابحي، عن معاذ رضي الله عنه قال: لقيني النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي فقال: «يا معاذُ إني أحبُّك» قلت: يا رسول الله، وأنا والله أحبك، قال: «أفلا أُوصيك بكلماتٍ

تقولُهنَّ في دُبُر كل صلاة! قل: ربِّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

تابعه أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي فقال: حدثنا محمد بن أحمد ابن أبي العوام، حدثنا الضحاك بن مَخْلَد، فذكره.

وحدَّث به أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي في كتابه «معجم الصحابة» عن علي بن مسلم، عن أبي عاصم النبيل[(١)].

وخرجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن عبد الله بن يزيد المقرىء.

وخرجه أبو داود في «سننه» عن عبيدالله بن عمر بن ميسرة، هو القواريري، عن عبد الله بن يزيد المقرىء.

وخرجه النسائي في «سننه» عن يونُس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، كلاهما عن حيوةَ بن شريح، وهو أبو زرعة المصري، بنحوه.

وهو في صحيحي أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبي حاتم محمد بن حِبان، و«مستدرك» الحاكم أبي عبد الله، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ورواه أبو بكر أحمد بن محمد بن السُّني في كتابه «عمل اليوم والليلة» فقال: أخبرني محمد بن محمد الباهلي، حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا يحيى بن يعلى، عن حيوة بن شريح، فذكره.

ورويناه من طرق غيرِ ما ذُكر.

والصُّنَابحي راويه: هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن عُسيلة بن عِسل بن عسّال المرادي، ونسبه إلى صُنابح بن زاهر، بطنٍ من مراد، رَحَل الصنابحي

---

(١) هو الضحاك بن مخلد.

من اليمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قبضَ والصنابحيُّ قد وصل إلى الجُحْفة، فقدم المدينة بعد خمسة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي، ووقعت روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم في «سنن» ابن ماجه فهي مرسلة، شهد الصُّنَابحي فتح مصر، ونزل دمشق، وبها توفي رضي الله عنه.

وقال أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الخراساني: حدثنا جعفر بن محمد بن القعقاع، حدثنا خالد بن يزيد العمري، حدثنا ابن أبي ذئب، عن صفوان بن سُلَيم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: اللهم أعني على أداء شكرك، وذكرك، وحسن عبادتك: فقد اجتهد في الدعاء».

ومما قلته في معنى الحديث نظمًا، نجعله لما ذكرناه ختمًا، وهو:

أوصيكم بالذكر يا إخوتاهْ ... ذكرِ الإله الحقِّ فيه النجاةْ
خصوصًا المأثورَ فهو الذي ... قبوله يُرْجى لمن قد رجاه
ومنه ما أوصى معاذًا به ... نبيُّنا صلى عليه الإله
بدعوة جامعة للغنى ... يدعو بها الرحمنَ دُبْرَ الصلاة
إعانةِ الرب على ذكره ... وشكره معْ حُسنِ فرضٍ قضاه
فادعوا بهنَّ الله فهو الذي ... يعطي ولا يمنع عبدًا دعاه
سبحانه من ماجدٍ واجدٍ ... ربّ الورى لا ربّ حقًّا سواه

آخر المجلس ولله الحمد حمدًا كثيرًا

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

* * * * *

الفوائد التي كتبها المصنف ضمن المجالس
وليست لها مناسبة بها

١ ـ أبو القاسم إبراهيم بن محمد ابن الإفْليلي، حدث عن أبيه، وعن أبي زكريا يحيى بن مالك بن عائذ، وغيرهما[١].

* * *

٢ ـ الحمد لله

قال أبو حامد الغزالي في كتابه «وسيلة الحاجات وآداب المناجاة» في تفصيل قواعد العقائد، حين ذكر قصة سؤال مالك بن أنس عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قال الغزالي: ولا يخفى كراهية السلف رضوان الله عليهم الخوضَ في تأويلاتها وشدة إنكارهم على من يتكلَّم فيها، وإن كان من المتأخرين من رأى جواز التأويل، وحاشى وكلا أبى الله علمًا وحكمًا! ولكن الإيثار ما عليه الجمهور واختيار أكثر الأئمة المتقدمين، إذْ معرفة ذلك ليس بفرض عين بالاتفاق، فإذا علمتَ عقيدة

---

(١) الإفليلي: من نسل سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أديب بارع، ولغوي كبير، شرح ديوان المتنبي شرحًا جيدًا، أصله من قرية في بلاد الشام، أما هو فأندلسي، تولَّى الوِزارة، ولد سنة ٣٥٢، وتوفي سنة ٤٤١. له ترجمة عند ياقوت في «معجم الأدباء» ١: ١٢٣، وابن خلكان ١: ٥١، «والوافي بالوفيات» ٦: ١١٤، و «تاريخ الإسلام» للذهبي ص٤١، وهو الذي ذكر روايته عن أبيه وابن عائذ وغيرهما.

التوحيد، وفهمتَ الواجب من ذلك فلا خلاف بين الأئمة أنه من قدَّس الله ونزَّهه ووصفه بما وصف به نفسه، ولم يعتقد ما يقال فيه إنه بدعة: فعند أهل الحق عَلِم ما وجب عليه تعلمُه من ذلك، وليس أحد من الأئمة يُوجِب عليه العلمَ بتأويل هذه الظواهر، فلنقتصرْ على آرائهم، ولنترك مجاوزة اعتقاداتهم، والخطأُ مع تعيين السلامة أحسنُ من الصواب مع توقُّع الخطر.

نسأل الله تعالى التوفيق والعصمة من طريق الخَطَل بمنِّه وكرمه.

* * *

٣ ـ الحمد لله

أنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المقدسي، أخبرنا التقيُّ أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الولي سماعًا في سلخ ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبع مئة، أخبرنا جدّي لأمي التقيُّ عبد الرحمن بن أبي الفهم، أخبرنا يحيى بن أسعد، أخبرنا بَهرام بن بَهرام البيع، أخبرنا علي بن المحسِّن القاضي، حدثنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز، أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف فيما قرىء عليه وأنا أسمع في صفر سنة ثمان وثلاث مئة، حدثنا سماعة بن محمد بن سماعة، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا أبو هلال، عن عبد الله بن بُريدة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما تعلَّم أحد الفارسية إلا خَبُث، ولا خَبُث إلا ذهبت مروءته[١].

---

(١) إسناده من علي بن الجعد فمن فوقه حسن، وقد تابعه على رواية هذا الأثر وكيع عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٨٠٤)، وانظر «المستدرك» ٤: ٨٧، ٨٨، و«موضوعات» ابن الجوزي ٣: ٧١، و«شعب الإيمان» ٢: ٢٥٧ ـ بيروت ـ، وينظر =

قال أبو عبد الله بن منده في «المعرفة»: أخبرنا محمد بن إسحاق بن نافع الخُزاعي بمكة، حدثنا محمد بن خالد البَرْذَعي، حدثنا موسى بن سهل الرملي.

وقال ابن منده أيضًا: وحدثنا جُمَح بن أبان المؤذن بدمشق، حدثنا عبد الله بن إسحاق الرملي، حدثنا يحيى بن السكن الرملي، قالا: حدثنا محمد بن فهر بن جميل بن أبي كريم بن لفاف بن كدَن، حدثنا أمية ولفاف ابنا مفضَّل بن أبي كريم، عن المفضَّل بن أبي كريم، عن أبيه، عن جده لفاف، عن الأقرع بن شُفَي العكّي، قال: دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم في مرضي فقلت: لا أحسبُ إلا أني ميتٌ من مرضي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلا لَتَبقينَّ، ولتُهاجرنّ إلى أرض الشام، وتموتُ وتدفنُ بالربوة من أرض فلسطين»[(١)].

رواه إسماعيل بن رُشَيْد الرملي، عن ضمرة بن ربيعة، عن قادم بن ميسور القرشي، عن رجل من عُكْل[(٢)]، عن الأقرع العكّي قال: مرضت. فذكر الحديث نحوه.

* * *

٢: ٥٠٢ أواخر الصفحة من «تاريخ» الطبري، ثم ينظر الفتح ٦: ١٨٤ شرح الباب ١٨٨ من كتاب الجهاد.

وكأن هذا لمن تعلم الفارسية عدولاً عن العربية.

(١) رواه غير ابن منده: ابن السكن في «معرفة الصحابة»، وابن عساكر في مقدمة «تاريخه» ١: ٢١١ وهشام بن عمار في «فوائده» ـ انظر «الإصابة» ترجمة الأقرع هذا ـ وأبو نعيم في «المعرفة» أيضًا ١: ٣٣٩ (٢١٨)، وظاهر كلامه أنه في «المعجم الأوسط» للطبراني، ولا شيء فيه، ولا في «مجمع البحرين»، ولا «مجمع الزوائد».

(٢) كذا بخطه، وفي المصادر الأخرى: من عَكّ، وهو الظاهر.

٤ ـ الحمد لله

أجاز للمسئول لهم في هذه الاستجازةِ المباركةِ الشيختان المسندتان الستُّ الجليلةُ بايْ خاتون ابنة قاضي القضاة أبي الحسن علي ابن الإمام العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء محمد بن عبد البر السُّبْكي الشافعي، وأم عبد الله عائشة ابنة إبراهيم بن خليل ابن الشرائحي ما تجوز لهما روايته بشرطه.

وكتَبَ عنهما بإذنهما العبد محمد بن أبي بكرٍ عبد الله بن محمد عفا الله عنهم.

وأجاز كذلك ما تجوز له وعنه روايته بشرطه. الحمد لله».

* * *

٥ ـ الحمد لله

أنبؤونا عن الأئمة: الحافظينِ أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي، وأبي محمد القاسم بن محمد ابن البِرْزالي، والمقرىء أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن علي الرقي قالوا: أخبرنا أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي الأبهري سماعًا ـ قال المزي: بقراءتي ـ أخبرنا أبو الفتح محمد ابن أحمد الواسطي كتابة، أخبرنا أبو الحسن عبيدالله بن محمد بن أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي سماعًا، أخبرنا جدي الإمام أبو بكر أحمد، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، حدثنا أحمد بن عيسى البِرْتي القاضي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عُبادة بن مسلم، حدثني جبير بن [أبي] سليمان بن جبير بن مطعم أنه كان جالسًا مع ابن عمر رضي الله عنهما فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه حين يمسي وحين يصبح لم يَدَعْهُ حتى فارق الدنيا

ـ أو قال: حتى مات ـ: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني [ودنياي] وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، [و] أعوذُ بعظمتك أن أُغتال من تحتي».

قال جبير: هو الخسف.

قال عبادة: فلا أدري: قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا، أو قول جبير؟[1].

فيه عدَّة من الأشياخ المتأخرين المتوفَّيْنَ في المئة (الثامنة؟)[2].

* * *

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين

وكتبه

السبت ـ ٣من جمادى الآخرة ـ سنة ١٤١٦هـ محمد عوامة

---

(١) الحديث يرويه المصنف من طريق البيهقي، والظاهر أنه في كتابه «الدعوات»، وهو في «مصنف» ابن أبي شيبة (٢٩٨٨٩، ٢٩٨٩٠، ومختصراً ٣٨٧٥٩)، و«سنن النسائي الكبرى» ٦: ١٤٥ (١٠٤٠١)، و«الصغرى» ٨: ٢٨٢ (٥٥٢٩) من طريق أبي نعيم الفضل بن دُكين، به، ورواه أبو داود (٥٠٣٥)، وابن ماجه ٢: ١٢٧٣ (٣٨٧١) من طريق وكيع، به، وفيه تفسير وكيع كتفسير جبير، ورواه النسائي في «الصغرى» ٨: ٢٨٢ (٥٥٣٠) من وجه آخر عن عبادة بن مسلم، به. وما بين المعقوفين زدته من المصادر المذكورة، وهو حديث صحيح.

(٢) كلمة «الثامنة» لم تظهر جيدًا، فلعلها كذلك؟ وهكذا كتب المصنف هذه الجملة بحروف صغيرة أسفل الصفحة بعيدًا عما قبلها.

الفهارس

فهرس الأحاديث والآثار

* * * * *

فهرس الأشعار
- سوى خواتيم المجالس -

* * * * *

فهرس شيوخ المصنف في هذا الكتاب
ـ الموضع الأول فقط ـ

* * * * *

فهرس الكتب التي نقل عنها المصنف
أو أشار إليها وهي غير مطبوعة

* * * * *

فهرس مصادر التحقيق

١ ـ الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، تحقيق الدكتور باسم جوابرة، الأولى ١٤١١، دار الراية.

٢ ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لشهاب الدين البوصيري، مصورة عن مخطوطة المصنف. والمطبوع منه أحياناً.

٣ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزَّبيدي، مصوَّرة دار الفكر للطبعة الميمنية، ١٣١١.

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الأولى ١٤٠٧، المكتبة العصرية.

٥ ـ أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء رضي الله عنهم، لمحمد عوامة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨، دار اليسر، ودار المنهاج.

٦ ـ الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، إخراج عبد الملك بن دهيش، الأولى ١٤١٠، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة.

٧ ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لابن بَلْبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الأولى ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة.

ـ وطبعة كمال يوسف حوت، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

٨ ـ أحكام قراءة القرآن الكريم، لمحمود خليل الحصري، بعناية محمد طلحة بلال مينار، الأولى ١٤١٦.

٩ ـ أحكام القرآن، لابن العربي، طبعة محمد عبد القادر عطا، الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

١٠ ـ إحياء علوم الدين، للغزالي، مصوَّرة دار الريان.

١١ ـ الأدب المفرد، للإمام البخاري، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، الثالثة ١٤٠٩، دار البشائر الإسلامية.

١٢ ـ الأذكار، للنووي، تحقيق سبيع الحاكمي، الأولى ١٤١٢، دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن.

١٣ ـ الإرشاد، لإمام الحرمين، طبعة أسعد تميم، الأولى ١٤٠٥، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٤ ـ أساس البلاغة، للزمخشري، الثالثة ١٩٨٥، الهيئة المصرية للكتاب.

١٥ ـ أسباب النزول، للواحدي، تحقيق السيد أحمد صقر، الثالثة ١٤٠٧، دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن.

١٦ ـ الاستغنا في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى، لابن عبد البر، تحقيق الدكتور عبد الله السوالمة، الأولى ١٤٠٥، دار ابن تيمية بالرياض.

١٧ ـ الاستيعاب لأسماء الأصحاب، لابن عبد البر، مطبوع على حاشية الإصابة، ١٣٩٨، مصورة دار الفكر.

١٨ ـ أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير، تحقيق الدكتورمحمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، طبعة دار الشعب.

١٩ ـ أسماء الصحابة الرواة، لابن حزم، طبعة سيد كسروي حسن، الأولى ١٤١٢، دار الكتب العلمية.

٢٠ ـ الأسماء والصفات، للبيهقي، دار الكتب العلمية.

٢١ ـ الإسناد من الدين، لعبد الفتاح أبو غدة، الأولى ١٤١٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

٢٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، مصورة دار الفكر.

٢٣ ـ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة بالرياض.

٢٤ ـ أطراف المسند، لابن حجر، تحقيق الدكتور زهير الناصر، الأولى ١٤١٤، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب.

٢٥ ـ إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر.

٢٦ ـ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)، الثانية ١٤٠٤، دار المعارف بمصر.

٢٧ ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب الطباخ، تصحيح محمد كمال، الثانية ١٤٠٨، دار القلم العربي بحلب.

٢٨ ـ الأعلام، لخير الدين الزِّرِكْلي، الثامنة ١٩٨٩، دار العلم للملايين.

٢٩ ـ إكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي، صورة عن مخطوطة المؤلف، نسخة قليج علي.

٣٠ ـ الإكمال لابن ماكولا، مصورة محمد أمين دمج، بيروت، لطبعة حيدر أباد.

٣١ ـ أمالي الأذكار، لابن حجر، طبعة حمدي عبد المجيد، الأولى ١٤٠٦، منشورات مكتبة المثنى ببغداد.

٣٢ ـ الأمثال في الحديث الشريف، لأبي الشيخ الأصفهاني، تحقيق عبد العلي عبد الحميد، بمباي، الدار السلفية، الأولى ١٤٠٢.

٣٣ ـ الأمنية في تخريج المسلسل بالأولية: المجلس الأول من أمالي ابن ناصر الدين، الأولى، ١٤٠٧، دار العاصمة، الرياض.

٣٤ ـ إنباء الغُمر، لابن حجر، مصورة دار الكتب العلمية لطبعة حيدرأباد، ١٤٠٦.

٣٥ ـ إنباه الرواة، للجمال القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الأولى ١٤٠٦، تصوير دار الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

٣٦ ـ الأنساب، للسمعاني، الأولى ١٤٠٨، مؤسسة الكتب الثقافية.

٣٧ ـ الأوائل، للسيوطي، طبعة محمد السعيد زغلول، الأولى ١٤٠٦، دار الكتب العلمية.

٣٨ ـ الأوائل، لأبي هلال العسكري، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

٣٩ ـ البحر الذي زخر، للسيوطي، مخطوط.

٤٠ ـ البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، مصورة دار الفكر، الثانية ١٤٠٣.

٤١ ـ البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، تحقيق ومراجعة جماعة، طبعة وزارة الأوقاف بالكويت، الثانية ١٤١٣.

٤٢ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، تصحيح الدكتور أحمد محمد أبو ملحم وزملائه، الأولى ١٤٠٥، دار الكتب العلمية.

ـ ورجعت إلى الطبعة الأولى للكتاب، طبعة الخانجي.

٤٣ ـ البرهان، لإمام الحرمين، تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب، الثالثة ١٤١٢، دار الوفاء بمصر.

٤٤ ـ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

٤٥ ـ البعث والنشور، للبيهقي، طبعة عمر أحمد حيدر، الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الكتب الثقافية.

٤٦ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للهيثمي، تحقيق الدكتور حسين الباكري، الأولى ١٤١٣، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٤٧ ـ بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الثانية ١٣٩٩، دار الفكر.

٤٨ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق شكر الله قوجاني، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٠.

٤٩ ـ تاريخ الإسلام، للذهبي، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الأولى ١٤٠٧، دار الكتاب العربي.

٥٠ ـ تاريخ أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني، مصورة دار الكتاب الإسلامي لطبعة ليدن ١٩٣٤.

٥١ ـ تاريخ الأمم والملوك، للطبري، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

٥٢ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مصورة دار الفكر لطبعة الخانجي.

٥٣ ـ تاريخ الجدل، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٥٤ ـ تاريخ جرجان، للسهمي، تحقيق المعلِّمي، الثالثة ١٤٠١، مصورة عالم الكتب لطبعة حيدر أباد.

٥٥ ـ تاريخ الخلفاء، للسيوطي، مصورة دار الجيل، ١٤٠٨، لطبعة محيي الدين عبد الحميد.

٥٦ ـ تاريخ الصالحية، لابن طولون، تحقيق محمد أحمد دُهْمان، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٥٧ ـ تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، طبعة العمروي، ١٤٢١، دار الفكر.

٥٨ ـ تاريخ يحيى بن معين، رواية الدوري، تحقيق أحمد محمد نور سيف،

الأولى ١٣٩٩، منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

٥٩ ـ التاريخ الكبير، للبخاري، تحقيق المعلمي، مصورة المكتبة الإسلامية لطبعة حيدر آباد الدكن.

٦٠ ـ التبصرة في أصول الفقه، لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر بدمشق ١٤٠٣.

٦١ ـ تبصير المنتبِه بتحرير المشتبِه، لابن حجر، تحقيق علي البجاوي، ومراجعة محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

٦٢ ـ تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، مصورة دار المعرفة لطبعة الهند.

٦٣ ـ التحرير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، نشر دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

٦٤ ـ التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز، للكوثري، اعتناء عبد الفتاح أبو غدة، الأولى ١٤١٣.

٦٥ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، الثانية ١٤٠٣، المكتب الإسلامي.

٦٦ ـ تحفة الذاكرين بعدّة الحصن الحصين، للشوكاني، مصورة دار الكتب العلمية.

٦٧ ـ تخريج أحاديث الكشاف، للزيلعي، طبعة سلطان بن فهد الطبيشي، الأولى ١٤١٤، دار ابن خزيمة.

٦٨ ـ تخريج أحاديث الإحياء، للعراقي = إحياء علوم الدين.

٦٩ ـ تدريب الراوي، للسيوطي، طبعة عبد الوهاب عبد اللطيف، الثانية ١٣٨٥.

٧٠ ـ تذكرة الطالب المعلَم بمن قيل إنه مخضرم، لسبط ابن العجمي، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية الحديثية.

٧١ ـ التراتيب الإدارية، لعبد الحي الكتاني، مصورة دار الكتاب العربي.

٧٢ ـ ترتيب المدارك، للقاضي عياض، طبعة أحمد بكير، ١٣٨٧، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٧٣ ـ الترغيب والترهيب، للمنذري، تعليق مصطفى عُمارة، مصورة دار الجيل.

٧٤ ـ تصحيفات المحدثين، لأبي أحمد العسكري، تحقيق محمود ميرة، الأولى ١٤٠٢، المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة.

٧٥ ـ تعجيل المنفعة، لابن حجر، طبعة عبد الله هاشم يماني، ١٣٨٩.

ـ تفسير الآلوسي = روح المعاني.

٧٦ ـ تفسير ابن أبي حاتم، (البقرة وآل عمران)، تحقيق أحمد الزهراني، وحكمت بشير، الأولى ١٤٠٨، مكتبة الدار، وطيبة، وابن القيم بالمملكة السعودية.

ـ تفسير أبي حيان = البحر المحيط.

٧٧ ـ تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور.

ـ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

٧٨ ـ تفسير فخر الدين الرازي، مصورة دار الفكر ببيروت، الثالثة ١٤٠٥.

٧٩ ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة دار القلم، الثانية.

ـ تفسير القرطبي = جامع أحكام القرآن.

٨٠ ـ تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق محمد عوامة، الثانية من الإخراج الجديد ١٤٢٨، دار اليسر، ودار المنهاج.

٨١ ـ التقرير في التكرير، لأبي الخير ابن عابدين، اعتناء محمد مرشد عابدين، الأولى ١٤١٣، مكتبة الغزالي بدمشق.

٨٢ ـ التقييد، لابن نقطة، ١٤٠٧، مصورة دار الحديث ببيروت لطبعة الهند.

٨٣ ـ التقييد والإيضاح، للعراقي، ومعه مقدمة ابن الصلاح، مصورة دار الحديث لطبعة حلب، الثانية ١٤٠٥.

٨٤ ـ تكملة إكمال الإكمال، لابن الصابوني، الأولىٰ ١٤٠٦، مصورة عالم الكتب لتحقيق الدكتور مصطفى جواد.

٨٥ ـ التكملة لوَفَيات النقلة، للمنذري، تحقيق بشار عواد، الثالثة ١٤٠٥، مؤسسة الرسالة.

٨٦ ـ تلخيص المستدرك، للذهبي = المستدرك.

٨٧ ـ التلخيص الحبير، لابن حجر، تصوير طبعة عبد الله هاشم يماني.

٨٨ ـ التمهيد، لابن عبد البر، تحقيق جماعة من المغرب، تصوير مصر للطبعة المغربية.

٨٩ ـ تنزيه الشريعة، لابن عراق، تحقيق عبد الله الصديق الغماري، الثانية ١٤٠١، مصورة دار الكتب العلمية.

٩٠ ـ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، مصورة دار الكتب العلمية للطبعة المنيرية.

٩١ ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر، مصورة دار صادر، الأولى.

٩٢ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق بشار عواد معروف، الرابعة ١٤٠٦، مؤسسة الرسالة.

٩٣ ـ التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق عبد العزيز الشهوان، الطبعة الخامسة ١٤١٤، مكتبة الرشد.

٩٤ ـ توضيح المشتبِه، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق محمد نعيم عرقسوسي، الثانية ١٤١٤، مؤسسة الرسالة.

٩٥ ـ الثقات، لابن حبان، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الأولى ١٣٩٣.

٩٦ ـ جامع بيان العلم، لابن عبد البر، مصورة دار الكتب العلمية ١٣٩٨ للطبعة المنيرية.

٩٧ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٤٠٨، دار الفكر.

٩٨ ـ جامع التحصيل، للعلائي، طبعة حمدي عبد المجيد، ١٤٠٧، مصورة عالم الكتب.

٩٩ ـ جامع الدروس العربية، للغلاييني، الطبعة السابعة عشرة ١٤٠٤، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

١٠٠ ـ الجامع الصحيح، للإمام البخاري = فتح الباري.

١٠١ ـ الجامع الصحيح، للإمام مسلم، تصوير نشرة محمد فؤاد عبد الباقي.

١٠٢ ـ الجامع الكبير، للسيوطي، مصورة الهيئة المصرية العامة للكتاب، عن المخطوطة.

١٠٣ ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، مصورة طبعة دار الكتب المصرية.

١٠٤ ـ الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، تحقيق المعلِّمي اليماني، ١٣٧١، مصورة دار الأمم للطباعة والنشر لطبعة حيدر آباد الدكن.

١٠٥ ـ جزء الحسن بن عرفة العبدي، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الأقصى بالكويت، الأولى ١٤٠٦.

١٠٦ ـ جَمَال القراء، لعلم الدين السخاوي، تحقيق علي حسين البواب، الأولى ١٤٠٨، مكتبة التراث، مكة المكرمة.

١٠٧ ـ جمع الجوامع، للسبكي، بشرح المحلِّي وحاشية العطار، مصورة دار الكتب العلمية.

١٠٨ ـ جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، الأولى ١٤٠٣، مصورة دار الكتب العلمية.

١٠٩ ـ الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي، تحقيق إبراهيم باجس، الأولى ١٤١٩، دار ابن حزم.

١١٠ ـ الحاوي للفتاوي، للسيوطي، مصورة دار الكتب العلمية ١٤٠٨ للطبعة المنيرية ١٣٥٢.

١١١ ـ الحجة في بيان المَحَجة، لأبي القاسم التيمي الأصبهاني، تحقيق محمد ربيع هادي المدخلي، الأولى ١٤١١، دار الراية بالرياض.

١١٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، الخامسة ١٤٠٧، مصورة دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي.

١١٣ ـ حول تفسير الفاتحة، لعبد الله سراج الدين، الأولى ١٤١٢، مكتبة دار الفلاح بحلب.

١١٤ ـ الدارس في تاريخ المدارس، للنُّعيمي، تحقيق جعفر الحسني، تصوير مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ١٩٨٨.

١١٥ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق أحمد الخراط، الأولى ١٤٠٦، دار القلم بدمشق.

١١٦ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، مصورة دار المعرفة للطبعة الميمنية ١٣١٤.

١١٧ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر، مصورة دار الجيل ببيروت لطبعة حيدر آباد الدكن.

١١٨ ـ الدعاء، للطبراني، تحقيق محمد سعيد البخاري، الأولى ١٤٠٧، دار

البشائر الإسلامية.

١١٩ ـ دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق محمد رواس قلعجي وعبد البر عباس، دار النفائس، الثانية ١٤٠٦.

١٢٠ ـ دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الأولى ١٤٠٨، دار الريان.

١٢١ ـ الديباج المُذْهَب في أعيان المَذهب، لابن فرحون، مصورة دار الكتب العلمية.

١٢٢ ـ ديوان حسان بن ثابت، جمع وشرح عبد الرحمن البرقوقي، ١٤١٠، دار الكتاب العربي.

١٢٣ ـ ديوان زهير بن أبي سُلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، الأولى ١٤١٢، دار الكتاب العربي.

١٢٤ ـ الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام، لبشار عواد، طبعة عيسى البابي الحلبي، الأولى ١٩٧٦م.

١٢٥ ـ ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، تصحيح حامد الفقي، تصوير دار المعرفة.

١٢٦ ـ الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصورة دار الكتب العلمية لطبعة البابي الحلبي.

١٢٧ ـ رصف المباني، للمالقي، تحقيق أحمد الخراط، الثانية ١٤٠٥، دار القلم بدمشق.

١٢٨ ـ الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، لعبد الحي اللكنوي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

١٢٩ ـ روح المعاني، للآلوسي، مصورة دار الفكر للطبعة المنيرية.

١٣٠ ـ الروض الأُنُف، للسهيلي على سيرة ابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر.

١٣١ ـ الروض المِعْطار في خبر الأقطار، للحِمْيري، تحققيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الثانية ١٩٨٤م.

١٣٢ ـ الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، للسيوطي، طبعة محمد

السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٥.

١٣٣ ـ زاد المسير، في التفسير، لابن الجوزي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط، الرابعة ١٤٠٧، المكتب الإسلامي.

١٣٤ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط، الخامسة عشرة ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة.

١٣٥ ـ الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر ابن الأنباري، تحقيق حاتم الضامن، الأولى ١٤١٢، مؤسسة الرسالة.

١٣٦ ـ الزهد، لابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مصورة دار الكتب العلمية، لطبعة الهند.

١٣٧ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، تصحيح أحمد عبد الشافي، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

١٣٨ ـ سنن ابن ماجه، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار الفكر.

١٣٩ ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد عوامة، الأولى ١٤١٩، دار القبلة.

١٤٠ ـ سنن الترمذي، مصورة دار الحديث بمصر، بدأ تحقيقها أحمد محمد شاكر.

١٤١ ـ سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٥.

١٤٢ ـ سنن الدارمي، تعليق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الأولى ١٤٠٧، دار الريان للتراث.

١٤٣ ـ سنن النسائي الكبرى، طبعة عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، الأولى ١٤١١، دار الكتب العلمية.

١٤٤ ـ السنن الكبرى، للبيهقي، مصورة دار المعرفة لطبعة حيدر آباد الدكن.

١٤٥ ـ السنة، لابن أبي عاصم، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الثالثة ١٤١٣، المكتب الإسلامي.

١٤٦ ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، السابعة ١٤١١، مؤسسة الرسالة.

١٤٧ ـ السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الأولى

١٤٠٨، دار الريان.

١٤٨ ـ السيرة النبوية، للذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الأولى ١٤٠٧، دار الكتاب العربي.

١٤٩ ـ شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، الأولى ١٤٠٤، دار المأمون للتراث.

١٥٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، الأولى ١٤٠٦، دار ابن كثير.

ـ شرح إحياء علوم الدين = إتحاف السادة المتقين.

ـ شرح الأربعين النووية = فتح المبين بشرح الأربعين.

١٥١ ـ شرح جوهرة التوحيد، للبيجوري، مصورة دار الكتب العلمية.

١٥٢ ـ شرح السنة، لمحيي السنة البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الثانية ١٤٠٣، المكتب الإسلامي.

١٥٣ ـ شرح صحيح مسلم، للنووي، المطبعة المصرية، الطبعة الثالثة.

ـ شرح العيني على البخاري = عمدة القاري.

١٥٤ ـ شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر ابن الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، الرابعة ١٤٠٠، دار المعارف بمصر.

١٥٥ ـ شرح القصائد العشر للتبريزي، تصحيح عبد السلام الحوفي، الثانية ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

١٥٦ ـ شرح اللمع، لأبي إسحاق الشيرازي، تصحيح عبد المجيد تركي، الأولى ١٤٠٨، دار الغرب الإسلامي.

ـ شرح المشكاة = مرقاة المفاتيح.

١٥٧ ـ شرح المواهب اللدنية، للزرقاني، مصورة دار المعرفة لطبعة المكتبة الأزهرية ١٤١٤.

ـ شرح النخبة لابن حجر = نزهة النظر.

١٥٨ ـ شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد سعيد خطيب.

١٥٩ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، طبعة محمد السعيد زغلول، الأولى ١٤١٠، دار الكتب العلمية.

ـ وطبعة الدار السلفية ـ بمباي، الهند ـ الأولى ١٤٠٦، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد.

١٦٠ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق علي محمد البجاوي، تصوير دار الكتاب العربي ١٤٠٤.

١٦١ ـ الشكر، لابن أبي الدنيا، طبعة محمد السعيد زغلول، الأولى ١٤١٣، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٦٢ ـ شواهد التوضيح والتصحيح، لابن مالك، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، الثالثة ١٤٠٣، تصوير عالم الكتب.

١٦٣ ـ الصحاح في اللغة، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الرابعة ١٤٠٧، دار العلم للملايين.

١٦٤ ـ صحيح أبي عوانة الإسفراييني، مصورة دار المعرفة لطبعة حيدر آباد.

١٦٥ ـ صون المنطق والكلام، للسيوطي، تحقيق علي سامي النشار، مصورة دار الكتب العلمية.

١٦٦ ـ الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ١٤٠٤.

١٦٧ ـ الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي، طبعة عبد الله قاضي، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٦.

١٦٨ ـ الضعفاء والمتروكون، للنسائي، طبعة كمال حوت، الأولى ١٤٠٥، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٦٩ ـ الضوء اللامع، للسخاوي، مصورة دار مكتبة الحياة لطبعة حسام الدين القدسي ١٣٥٥.

١٧٠ ـ طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مصورة طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣.

١٧١ ـ طبقات فحول الشعراء، للجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، الطبعة الثانية.

١٧٢ ـ طبقات المفسرين، للداوودي، طبعة دار الكتب العلمية.

١٧٣ ـ الطبقات، للإمام مسلم، تحقيق مشهور حسن سلمان، الأولى ١٤١١، دار الهجرة للنشر والتوزيع.

١٧٤ ـ عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، لأبي القاسم الشاطبي، تحقيق علي الضبَّاع، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٠.

١٧٥ ـ علل الحديث لابن أبي حاتم الرازي، مصورة دار السلام لطبعة محب الدين الخطيب ١٣٤٣.

١٧٦ ـ العلل المتناهية، لابن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٣.

١٧٧ ـ العلل ومعرفة الرجال، لعبد الله ابن الإمام أحمد، تحقيق وصي الله عباس، الأولى ١٤٠٨، المكتب الإسلامي.

١٧٨ ـ علماء دمشق وأعيانها، لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، الأولى ١٤١٢، دار الفكر بدمشق.

١٧٩ ـ عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق رمضان عبد التواب، ضمن كتاب (دراسات عربية وإسلامية) قدِّمت للأستاذ محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين عامًا، مطبعة المدني ١٤٠٣.

١٨٠ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، طبعة مصطفى البابي الحلبي، الأولى ١٣٩٢.

١٨١ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رُشيق القيرواني، تحقيق محمد قرقزان، الأولى ١٤٠٨، دار المعرفة، بيروت.

١٨٢ ـ عمل اليوم والليلة، لابن السني، شرح وتخريج عبد الرحمن كوثر البرني المدني، طبعة دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن.

١٨٣ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والسير، لابن سيد الناس، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، مكتبة دار التراث ودار ابن كثير.

١٨٤ ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة، مصورة دار الكتاب العربي لطبعة دار الكتب المصرية.

١٨٥ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، مصورة دار الكتاب العربي

١٣٩٦ لطبعة حيدر آباد.

١٨٦ ـ غريب الحديث، للخطابي، تحقيق عبد الكريم العزباوي، وتخريج عبد القيوم عبدرب النبي، الأولى ١٤٠٢، مطبوعات جامعة أم القرى.

١٨٧ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، مصورة دار المعرفة للطبعة السلفية.

١٨٨ ـ فتح المبين بشرح الأربعين (الأربعين النووية)، لابن حجر الهيتمي، طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٥٢.

١٨٩ ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، تحقيق علي حسين علي، طبعة الجامعة السلفية ـ بنارس، الهند، الأولى ١٤٠٧.

١٩٠ ـ الفروسية، لابن القيم، تحقيق مشهور حسن سلمان، الأولى ١٤١٤، دار الأندلس بالسعودية.

١٩١ ـ فضائل الصحابة، للإمام أحمد، تحقيق وصي الله عباس، الأولى ١٤٠٣، مطبوعات جامعة أم القرى.

١٩٢ ـ فهرس الفهارس والأثبات، لعبد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، الثانية ١٤٠٢، دار الغرب الإسلامي.

١٩٣ ـ فهرست ابن خَيْر الإشبيلي، طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت، الثانية ١٣٩٩.

١٩٤ ـ الفهرست، لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، دار المسيرة، الثالثة ١٩٨٨م.

١٩٥ ـ فوات الوَفَيات، لابن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

١٩٦ ـ فيض القدير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، الثانية ١٣٩١، مصورة دار المعرفة لطبعة مصطفى محمد.

١٩٧ ـ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، الثانية ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة.

١٩٨ ـ القَبَس شرح موطأ مالك بن أنس، لابن العربي، تحقيق محمد عبد الله ولد كريم، الأولى ١٩٩٢م، دار الغرب الإسلامي.

١٩٩ ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي، تعليق بشير عيون (حسن السماحي)، مكتبة المؤيد بالطائف.

٢٠٠ ـ القول المسدَّد في الذب عن المسند للإمام أحمد، للحافظ ابن حجر، الرابعة ١٤٠٢، الإمدادية بمكة المكرمة.

٢٠١ ـ الكاشف في معرفة رواة الكتب الستة، للذهبي، بحاشية سبط ابن العجمي، تحقيق محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، الأولى ١٤١٣، دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن.

٢٠٢ ـ الكامل للمبرِّد، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الرسالة.

٢٠٣ ـ كتاب الخيل، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، الأولى ١٣٥٨ طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن.

٢٠٤ ـ كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الأولى ١٤٠٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٠٥ ـ الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الثالثة ١٤٠٦، دار الكتب العلمية.

٢٠٦ ـ كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تصوير سهيل أكيديمي، لاهور، باكستان، لطبعة كالكته، ١٤١٣.

٢٠٧ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الثانية ١٤٠٤، مؤسسة الرسالة.

٢٠٨ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني، تصوير دار إحياء التراث، لطبعة حسام الدين القدسي ١٣٥١.

٢٠٩ ـ الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٧.

٢١٠ ـ الكليات، لأبي البقاء الكَفَوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، الأولى ١٤١٢، مؤسسة الرسالة.

ـ الكنى، للبخاري = التاريخ الكبير.

٢١١ ـ الكنى والأسماء، للإمام مسلم، تحقيق عبد الرحيم القشغري، الأولى ١٤٠٤، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢١٢ ـ كنز العمال، للمتقي الهندي، تصوير مؤسسة الرسالة لطبعة إحياء التراث

الإسلامي بحلب، ١٤٠٩.

٢١٣ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير، مصورة دار صادر.

٢١٤ ـ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لتقي الدين ابن فهد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مصورة دار الكتب العلمية.

٢١٥ ـ لسان الميزان، للذهبي، الثانية ١٣٩٩، مصورة مؤسسة الأعلمي، بيروت، لطبعة حيدر آباد.

٢١٦ ـ لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة، لمحمد مرتضى الزبيدي، تعليق محمد عبد القادر عطا، الأولى ١٤٠٥، دار الكتب العلمية.

٢١٧ ـ المجروحون، لابن حبان، تصحيح محمود إبراهيم زايد، الأولى ١٣٩٦، نشر دار الوعي العربي بحلب.

٢١٨ ـ المجلس الأول من أمالي ابن ناصر الدين = الأمنية في تخريج المسلسل بالأولية، للحداد.

٢١٩ ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين (الصغير والوسط للطبراني)، للهيثمي، تحقيق عبد القدوس بن محمد نذير، الأولى ١٤١٣، مكتبة الرشد.

٢٢٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، طبعة مكتبة القدسي، ١٣٥٢.

٢٢١ ـ المجموع شرح المهذب، للنووي، مصورة دار الفكر للطبعة المنيرية.

٢٢٢ ـ محاسن الاصطلاح، للسراج البلقيني، تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)، ١٩٧٤م.

٢٢٣ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، الأولى ١٣٩١، دار الفكر بدمشق.

٢٢٤ ـ المحصول في علم الأصول، للفخر الرازي، تحقيق طه جابر العلواني، الثانية ١٤١٢، مؤسسة الرسالة.

٢٢٥ ـ المختصر في علم الأثر، للكافِيَجي، تحقيق علي زوين، الأولى ١٤٠٧، دار الرشد بالرياض.

٢٢٦ ـ المدخل إلى أصول الحديث، للحاكم، طبعة محمد راغب الطباخ، ١٣٥١، المكتبة العلمية بحلب.

٢٢٧ ـ المراسيل، لأبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الأولى ١٤٠٨،

مؤسسة الرسالة.

٢٢٨ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري، باكستان، ملتان، المكتبة الإمدادية، باعتناء فيض أحمد ونور أحمد، ١٣٩٠.

٢٢٩ ـ مسائل نافع بن الأزرق، تحقيق محمد أحمد الدالي، الأولى ١٤١٣، طبعة الجفّان والجابي.

٢٣٠ ـ المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات، الأولى ١٤٠٠، من مطبوعات جامعة أم القرى.

٢٣١ ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ومعه تلخيص المستدرك، للذهبي، تصوير دار الكتاب العربي لطبعة حيدر آباد.

٢٣٢ ـ المستصفى، للغزالي، مصورة دار الكتب العلمية ١٤٠٠ للطبعة البولاقية ١٣٢٢.

٢٣٣ ـ مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مصورة عالم الكتب.

٢٣٤ ـ مسند الشاميين، للطبراني، تعليق حمدي عبد المجيد، الأولى ١٤٠٩، مؤسسة الرسالة.

٢٣٥ ـ مسند الشهاب، للقضاعي، تعليق حمدي عبد المجيد، الأولى ١٤٠٥، مؤسسة الرسالة.

ـ مسند عبد بن حميد = المنتخب.

٢٣٦ ـ مسند عمر بن عبد العزيز، للباغندي، تخريج وتكميل محمد عوامة، الثانية ١٤٠٤، مؤسسة علوم القرآن.

٢٣٧ ـ مسند الفاروق الفقهي، لابن كثير، طبعة عبد المعطي قلعجي، الأولى ١٤١١.

٢٣٨ ـ المسند، لأبي داود الطيالسي، مصورة دار المعرفة لطبعة حيدر آباد.

٢٣٩ ـ المسند لأحمد بن حنبل، مصورة دار صادر الأولى للطبعة الميمنية.

٢٤٠ ـ مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، لابن النحاس، تحقيق إدريس محمد علي ومحمد خالد إسطنبولي، الأولى ١٤١٠، دار البشائر الإسلامية.

٢٤١ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، تصوير المكتبة العتيقة ودار التراث.

٢٤٢ ـ المصاحف، لابن أبي داود، الأولى ١٤٠٥، دار الكتب العلمية.

٢٤٣ ـ مصباح الزجاجة في زوائد سنن ابن ماجه، للبوصيري، الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٤٤ ـ المصباح المنير، للفيومي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، السابعة ١٩٢٨م.

٢٤٥ ـ المصنف، لابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، الأولى ١٤٢٧، دار القبلة.

٢٤٦ ـ المصنف، لعبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الثانية ١٤٠٣، المكتب الإسلامي.

٢٤٧ ـ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، لعلي القاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الرابعة ١٤٠٤، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

٢٤٨ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مصورة دار المعرفة لطبعة الكويت.

٢٤٩ ـ المعارف، لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، الرابعة، دار المعارف بمصر.

٢٥٠ ـ معالم السنن، للخطابي = سنن أبي داود.

٢٥١ ـ معجم الأخطاء الشائعة، لمحمد العدناني، الثانية ١٩٨٩، مكتبة لبنان.

٢٥٢ ـ معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، الأولى ١٣٩٣، دار الغرب الإسلامي.

٢٥٣ ـ معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، لمحمد أحمد دُهْمان، الأولى ١٤١٠، دار الفكر.

٢٥٤ ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، تصحيح فريد عبد العزيز الجندي، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

٢٥٥ ـ معجم شيوخ الذهبي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الأولى ١٤٠٨، مكتبة الصدّيق بالرياض.

٢٥٦ ـ معجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، تصوير عالم الكتب، ١٤٠٣.

٢٥٧ ـ المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق محمود الطحان، الأولى ١٤٠٥،

دار المعارف بالرياض.

٢٥٨ ـ المعجم الصغير، للطبراني، طبعة محمد شكور محمود الحاج أمرير، الأولى ١٤٠٥، المكتب الإسلامي ودار عمار.

٢٥٩ ـ المعجم الكبير، للطبراني، نشرة حمدي عبد المجيد، الثانية ١٤٠٤.

٢٦٠ ـ المعجم المختص، للذهبي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الأولى ١٤٠٨، مكتبة الصديق بالرياض.

٢٦١ ـ المعجم المشتمل على ذكر شيوخ الأئمة النَّبَل، لابن عساكر، تحقيق سكينة الشهابي، دار الفكر بدمشق.

٢٦٢ ـ معرفة الرجال عن يحيى بن معين، لابن محرز، تحقيق محمد كامل القصار وزملائه، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥.

٢٦٣ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق عادل العزازي، الأولى ١٤١٩، دار الوطن.

٢٦٤ ـ معرفة علوم الحديث، للحاكم، تحقيق الدكتور معظَّم حسين، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الثالثة ١٣٨٥.

٢٦٥ ـ المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفَسَوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، الأولى ١٤١٠، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

٢٦٦ ـ المغازي، للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، مصورة عالم الكتب، ١٤٠٤.

٢٦٧ ـ مغني اللبيب، لابن هشام، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، تصوير دار إحياء التراث العربي.

٢٦٨ ـ مفتاح الجنة، للسيوطي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الثالثة ١٣٩٣.

٢٦٩ ـ مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، الأولى ١٤١٢، دار القلم بدمشق.

٢٧٠ ـ المقاصد الحسنة، للسخاوي، تحقيق عبد الله الصديق، مصورة دار الهجرة لطبعة دار الأدب العربي ١٣٧٥.

٢٧١ ـ مقالات الكوثري، مطبعة الأنوار، ١٣٧٣.

٢٧٢ ـ مقدمة ابن الصلاح = التقييد والإيضاح.

٢٧٣ ـ ملء العيبة، لابن رُشَيد، تحقيق محمد الحبيب الخوجة.

٢٧٤ ـ من صحاح الأحاديث القدسية، مع شرحها، لمحمد عوامة، الرابعة ١٤٢٨، دار اليسر، ودار المنهاج.

٢٧٥ ـ مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، الأولى ١٣٩١، مكتبة التراث بالقاهرة.

٢٧٦ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ١٤٠٨، دار الفكر.

٢٧٧ ـ المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة، لمحمد عبد الباقي الأنصاري الأيوبي، تصوير دار إحياء علوم الدين بدمشق لطبعة حسام الدين القدسي.

٢٧٨ ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد، طبعة صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، الأولى ١٤٠٨، مكتبة السنة.

٢٧٩ ـ المنتظَم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، طبعة محمد ومصطفى عبد القادر عطا، الأولى ١٤١٢، دار الكتب العلمية.

٢٨٠ ـ المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، لعلي القاري، طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧.

٢٨١ ـ المنمَّق، لابن حبيب البغدادي، الأولى ١٤٠٥، عالم الكتب.

٢٨٢ ـ المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، طبعة حلمي محمد فودة، مصورة دار الفكر، للطبعة الأولى ١٣٩٩.

٢٨٣ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للهيثمي، نشرة محمد عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية بمصر.

٢٨٤ ـ موافقة الخُبْر الخَبَر في تخريج أحاديث المختصر (الأصولي)، لابن حجر، طبعة حمدي عبد المجيد وصبحي السامرائي، الأولى ١٤١٢، مكتبة الرشد بالرياض.

٢٨٥ ـ المواهب اللدنية، للقسطلاني، تحقيق صالح أحمد الشامي، الأولى ١٤١٢، المكتب الإسلامي.

٢٨٦ ـ المؤتلِف والمختلِف، للدارقطني، تحقيق موفق عبد الله عبد القادر،

الأولى ١٤٠٦، دار الغرب الإسلامي.

٢٨٧ ـ الموطأ، للإمام مالك، رواية يحيى الليثي، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة عن طبعة البابي الحلبي.

٢٨٨ ـ ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي، الأولى ١٣٨٣.

٢٨٩ ـ نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم السهيلي، تحقيق محمد إبراهيم البنا، الثانية ١٤٠٤، دار الرياض.

٢٩٠ ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، الثانية ١٤٠٥، مؤسسة الرسالة.

٢٩١ ـ نزهة الألفاظ، لأبي موسى المديني، طبعة عبد الراضي محمد عبد المحسن، الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٩٢ ـ نزهة النظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر، ـ مع لقط الدرر ـ مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦.

٢٩٣ ـ نسب فحول الخيل، لابن الكلبي، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن، الأولى ١٤٠٦، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

٢٩٤ ـ النشر في القراءات العشر، لابن الجوزي، طبعة علي محمد الضباع، مصورة دار الفكر.

٢٩٥ ـ نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفوائد، للعلائي، نشرة بدر عبد الله البدر، الأولى ١٤١٦، دار ابن الجوزي.

٢٩٦ ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتاني، مصورة دار الكتب العلمية ١٤٠٠.

ـ النكت على ابن الصلاح للعراقي = التقييد والإيضاح.

٢٩٧ ـ النكت على ابن الصلاح، لابن حجر، تحقيق الدكتور ربيع عمير، نشرة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الأولى ١٤٠٤.

٢٩٨ ـ النكت الوفية على شرح العراقي على ألفيته، للبرهان البقاعي، مخطوط.

٢٩٩ ـ نهاية السول في رواة الستة الأصول، لسبط ابن العجمي، صورة عن مخطوطة المصنف.

٣٠٠ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطَّناحي، طبعة عيسى البابي الحلبي، الأولى ١٣٨٣.

٣٠١ ـ هداية القاري، لعبد الفتاح المرصفي، الأولى ١٤٠٢.

٣٠٢ ـ الوافي بالوَفَيات، للصلاح الصفدي، جماعة من المحققين، الثانية ١٤١٢، دار النشر فرانز شتايز شتوتغازت.

٣٠٣ ـ الوفا بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم، لابن الجوزي، تصحيح مصطفى عبد القادر عطا، الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

٣٠٤ ـ وَفَيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

* * * * *

الفهرس الموضوعي

١ ـ فهرس ما يتعلق بالآية الكريمة مفرداتٍ ومعاني

أ ـ ما يتعلق بمفردات الآية الكريمة :

﴿يتلو عليهم آياته﴾

٢ ـ فهرس مباحث علوم القرآن:

٣ ـ فهرس ما يتعلق بعلم التوحيد وما إلى ذلك:

٤ ـ فهرس علوم الحديث والرجال وفوائد حديث الرحمة:

٥ ـ فهرس أصول الفقه :

كلمة في ذكر الأوصاف المحمودة في الخيل ينقلها غالي ابن أبي الفتح ابن جني ١٣١

وهذه فوائد عامة جاءت في التعليق، أصنِّفها زمرًا، وأذكرها حسب ورودها في التعليق:

أ ـ الإمام النسائي ضعَّف أمَّ الأسود، لا أبا الأسود الغفاري ١١٩ت

نصر بن علقمة الحضرمي ثقة لا «مقبول» ١٢٠ت

استدراك على الهيثمي في إعلاله حديثًا ١٢٢ت

تحقيق في معرفة من هو أبو عبد الرحمن الشامي الراوي، عن الشعبي ١٨٥ت

الإيمان نصفان: صبر وشكر، حسَّنه العراقي، وهو ضعيف جدًا ١٨٦ ـ ١٨٧ت

الحكم بن عبد الله: اثنان، ابن خُطَّاف العاملي، وابن سلمة الأَيْلي ٢١٦ت

حديث رواه الدارقطني وجوَّده العراقي، وفيه راو ضعيف ٣٩٢ت

ب ـ أول من بنى دارًا للحديث الشريف، وأول من درَّس فيها ٣٤ت

حَرِيز الرَّحبي بفتح الحاء وسكونها، وشيوخه ثقات كلهم ٤٤ت

الدُّوشابي: نسبة إلى الدوشاب، وهو الدِّبس ٧٠ت، ٢٣٤ت

القَوْقَل: هو غَنْم بن عوف، والقواقل هم بنوه وإخوته ٧٧ت

نسبة العَرْجي إلى ماذا؟ ١٠٤ت

لسان الدين ابن الخطيب ذو الوزارتين والعُمُرين ١١٣ت

الزرقاني نَسَب كتاب سليمان بن بَنين إلى ولده عبد الغني ١٢٨ت

إبراهيم بن زكريا العبدسي يتحرف في عدد من الكتب إلى: العبدي ٣١٥ت

التحقيق في ضبط الفاء من: الفراوي ٣٣٥ت

التحقيق في سنة بناء البصرة والكوفة ٣٣٤ت

حصل لابن خلكان انتقال ذهن في كنية نُصَيب الأكبر إذ كناه بكنية نَصيب الأصغر ٤٥٢ت

جـ ـ «الدارس في أخبار المدارس» هل هو للنعيمي أو ابن طولون؟ ٣٤ت، ٥٥ت

مسند النعمان بن بشير من «معجم الطبراني الكبير» موجود غير مفقود ١٢٢ت، ١٨٥ت

حديث من رواية ابن مسعود، فيجعل في «الإحسان» طبعة مؤسسة الرسالة من رواية حذيفة بن اليمان ١٥٧ت

المغيرة بن عامر: صوابه: المغيرة عن عامر، وكأنه تحريف قديم في «شُعَب

* * * * *

٧ ـ الفهرس الإجمالي للكتاب

* * * * *